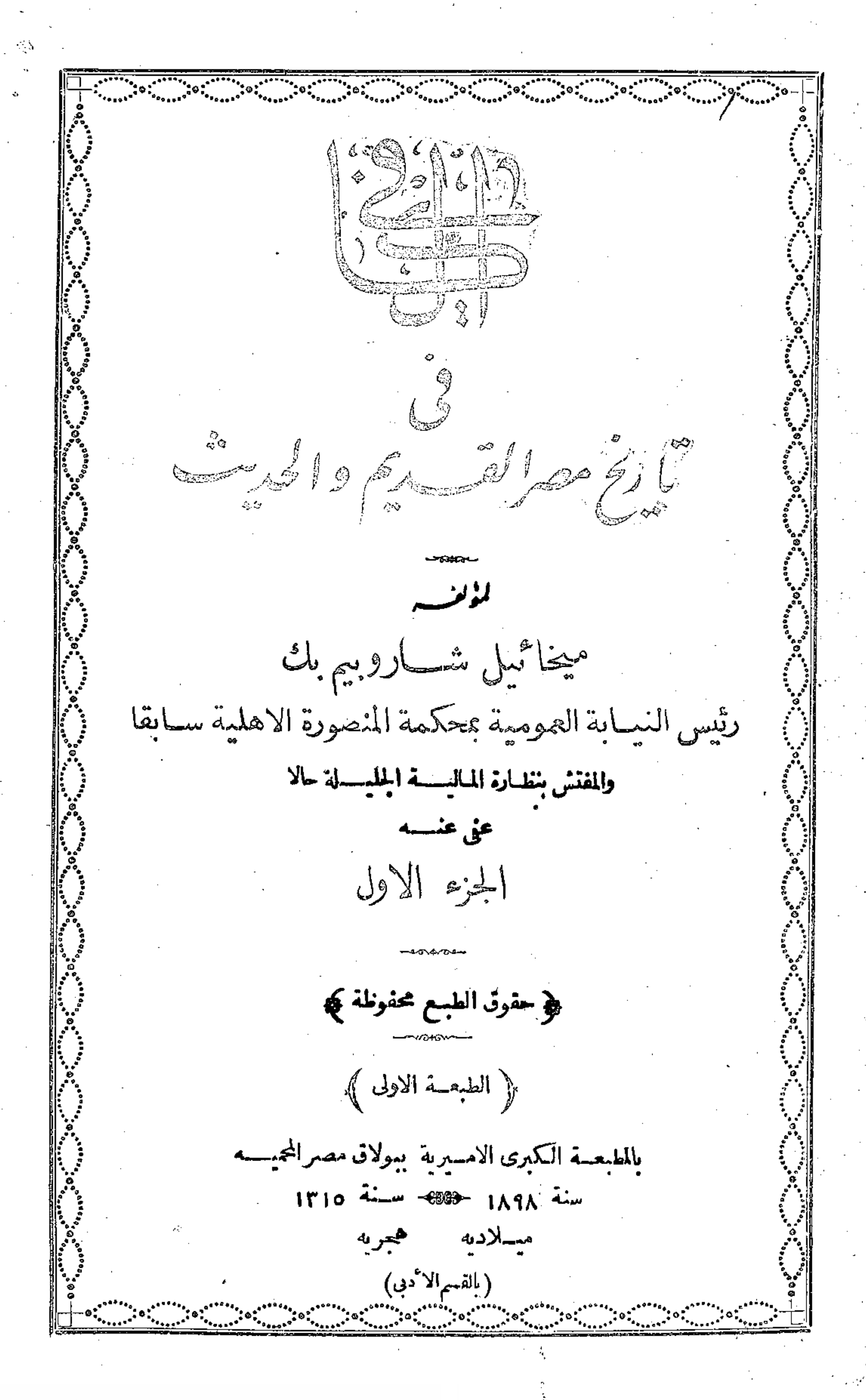


الكافي

فى

تاريخ مصر القديم والحديث

لمؤلفه

ميخائيل شاروبيم بك

رئيس النيابة العمومية بمحكمة المنصورة الاهلية سابقا

والمفتش بنظارة المالية الجليلة حالا

عفى عنه

الجزء الاول

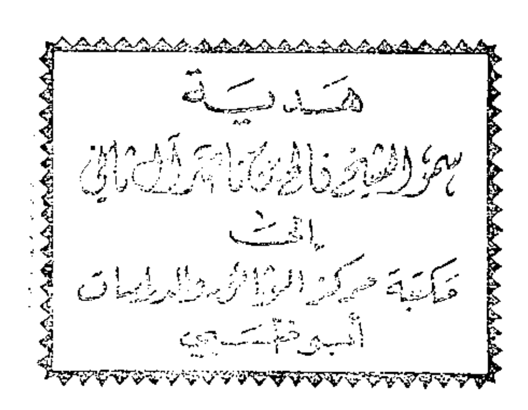
(الطبعة الاولى)

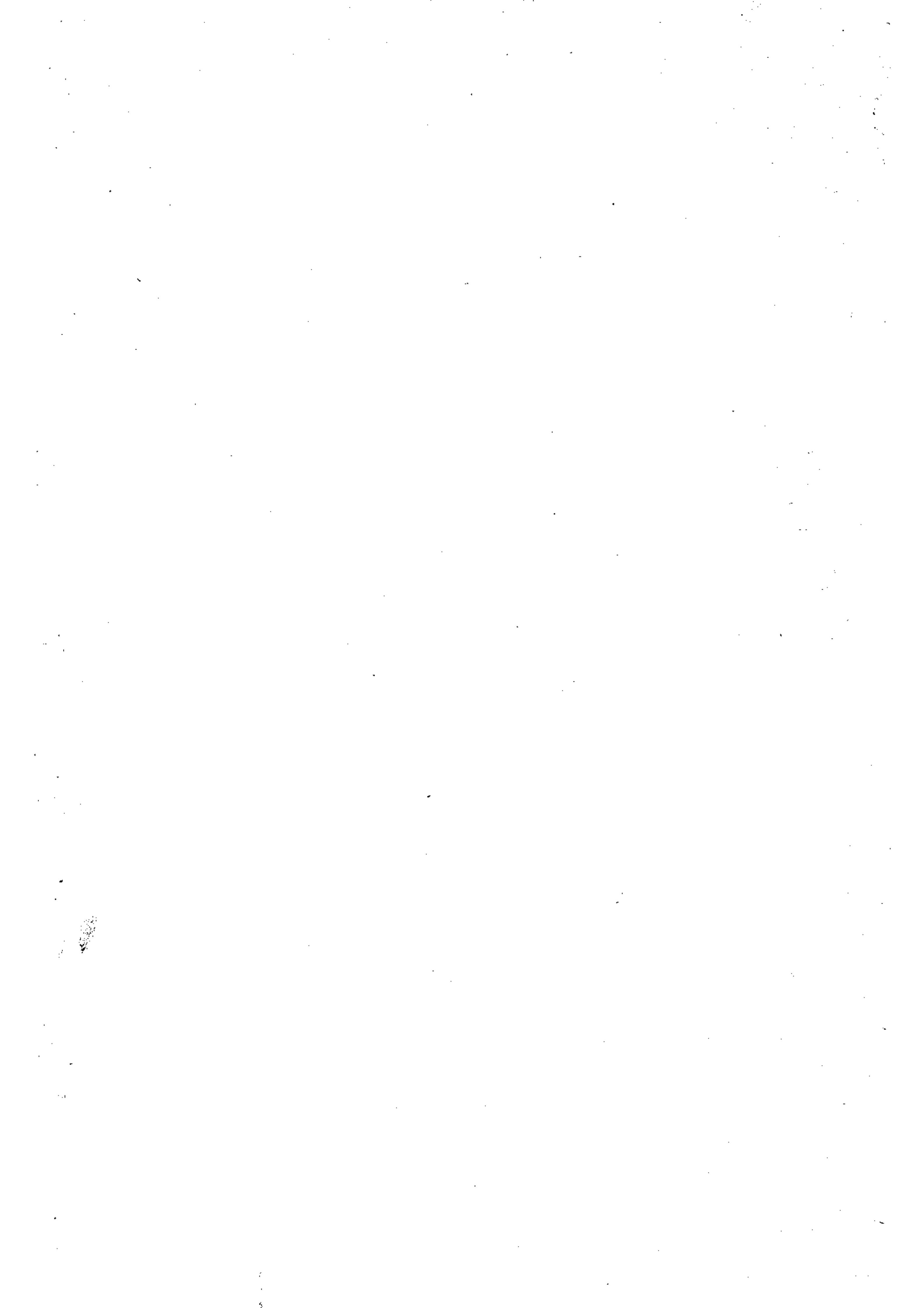
بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحميه

سنة ١٨٩٨ سنة ١٣١٥

ميلاديه هجريه

(بالقسم الأدبى)


هدية
إلى
مكتبة مركز الوثائق والدراسات
أبوظبي





بحمدك اللهم تستفتح المطالب * وتستمنح الرغائب * وبشكرك تستزاد النعم * وتستذاد النقم * تفردت سبحانك بالعزة والجبروت * وتوحدت بالملك والملكوت * وتنزهت فى التدبير عن الشريك والمعين * وتقدست فى التقدير عن الحدس والتخمين * فصرّفت خلقك بين رفع وخفض * وبسط وقبض * وابرام ونقض * واماتة واحياء * وايجاد وافناء * وهداية واضلال * واعزاز واذلال * أنزلت الكتب السماوية مخبرة بأخبار الاخيار * مسفرة عن محاسن أخبار الاخيار * فكانت لقوم تذكرة * ولآخرين تبصرة * يدرك بها المتأخرون ما للاوائل * ويكونون معهم على حدّ قول القائل

من فاته نظر الديار بعينه * فعليه أن يصغى الى الاخبار
ليشاهد الآثار ممن قد مضى * والمرء ليس له سوى الآثار

ونسألك اللهم أن تصلى وتسلم على أنبيائك الذين ضربوا لنا الامثال * بوقائع الامم والاجيال * وسردوا أخبار الاولين * تبصرة وذكرى للمتأخرين * وعلى آلهم وأصحابهم * الذين نسجوا على منوالهم * فجاؤا بأصدق الروايات * وأمروا باجتناب الانباء الكاذبة ونبذ الخرافات * ونهوا عن الاخذ بما تولع به الاخباريون والقُصّاص من الاباطيل والترهات

(وبعد) فيقول الفقير الى مولاه الكريم * ميخائيل بن شاروبيم بن ميخائيل ابن شاروبيم * لما كان بين تاريخى مصر القديم والحديث نسب مجهول * وسبب فى

الظاهر

الظاهر مقطوع غير موصول * حيث مضت على أولهما أجيال وأحقاب * وأعين الكتاب تنظر اليه من وراء حجاب * كانت الحاجة داعية لان ينتظما فى عقد نضيد * ويجتمعا بعد شتات الشمل فى بيت القصيد * ولايكون ذلك الا بالاسهاب والتطويل * ولايستغنى فيه قط بالاجمال عن التفصيل * اذكم تولى مصر من دوله * وكم حكمها من سلطان ذى بأس وصوله * وكم من ممالك هى كذلك أخضعتها * وأمم ساستها * وعهود أبرمتها * ومدائن أحدثتها * وهيا كل ومساجد شادتها وكل ذلك كما لايخفى يستلزم بيانا ويستتبع النص عليه عصرا فعصرا وزمانا فزمانا * على توالى الايام * وتتابع الفراعنة والبطالسة والقياصرة والملوك والسلاطين والحكام * وبالنظر الى ما وقع لكل منهم من يوم أنشئت مصر * الى عهدها الاخير من هذا العصر * ففكرت كثيرا فى الحصول على هذا الغرض المهم * والوصول الى المقصود فى هذا الطريق المداهم

لعلى أن أنال بها مرادى * وأحظى بالمنى بين البريه
فانظر من خلال سطور قوم * مآثرهم فأكتسب القضيه
ويحكم لى بأنى مستحق * حقوقا لى دلائلها قويه

غير أنى كنت أرى أن السابقين الى طلبها كانوا أطول باعا * بل أوفر علما وأكثر بحثا واطلاعا * وأولى بصناعة الكتابه * وأحق بسمة البراعة والنجابه * وهم لم يفوزوا بالمنال * مع ما سهروه فى تحصيل ذلك من الليالى الطوال

وكل يدعى وصلا بليلى * وليلى لاتقر لهم بذاكا

وكان من أتى منهم بشئ جديد * بعد عناء وجهد جهيد * فانما أتى برسائل مجمله * أو فصول غير مفصله * لاتشفى لمحبى التاريخ غليلا * ولاتغنى عن الرجوع الى الكثير من المؤلفات التاريخية فتيلا * ومنهم من تعرض لتاريخها جملة واكتفى بالاجمال * وأعرض عن التفصيل فى مقام البيان الذى هو مقتضى الحال * فلما سار بى الفكر يتردد فى فيافى الأمل * ويستطلع ماعساه أن يكون من وسائل العمل * كدت أن أنبذ هذا الامر ظهريا * وأطرحه عنى قصيا * وأجعله منى نسيا منسيا * فلا أكون متعسفا جهالات * ولا خابط عشوات سيما وقد كان لى من المناصب الديوانيـة فى خدمة وطنى شاغل يحدو بى حدو الزاجر المقيم ويذرى سويعات نهارى اذراء الريح الهشيم * مع مايضاف الى ذلك من قلة البضاعه ووجوب الوقوف عند حد عدم الاستطاعه * فقيض الله لى من جعل يقول * ياهذا لايقعدك الخمول * ولايبعدك عن بلوغ هذه الامنية ونيل الامل * ما أراك فيه من التردد والوجل * بل سر فمن سار على الدرب وصل * ومن يعرف المطلوب يستزر مابذل * ولله در من قال

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله * ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس فى طلب العلا * قليلا يعش دهرا طويلا أخا ذل

وقال لأستسهلن الصعب أوأدرك المنى * فما انقادت الآمال الا لصابر

واعلم أنه لايترك منار فى مغار * ولاتدرك أوطار الابركوب الاخطار * ومالك لاتجد حتى تعتصر مأربك * وتهتصر فى هذه الآونة الصالحة مطلبك * والله تعالى يحل عقدة من لسانك * ويجرى فى ميدان البراعة يراع بنانك * فقلت يارعاك الله انى أسير وساوس كثير ظنون وهواجس * وهذا لايخفاك من عوائق النجاح * وموانع الفوز والفلاح والعاقل من لايأتى أمرا حتى يخبر مشروعه * ولا يقدم على عمل حتى يدرك بمرآة التبصر موضوعه * وهذا الذى تشير على بطلابه * وتستفزنى الى الاقدام على طرق بابه * لهو غاية مرامى * ولكنه وايم الله من أبعد المرامى * لان من يعدّ نفسه فى عداد المؤرخين ويدّعى أنه من الرواة والمحدثين * يجب عليه أن يطابق بين الواقع وواقع الامر * ولايحول عن الحقائق ولو تقلب على الجمر * ومن لى بالعصمة عن الغواية * واصابة الحقيقة فى الرواية والتاريخ كما تعلم صحيفة الزمان * وصورة من الماضى تمثلها أقلام الكتاب بأتم حجة وأقوى برهان * وفى المثل من ألف فقد استهدف

وهذا هو الداعى لتأخير بغيتى * ومنع يراعى من قراع الكتائب
فأنت ترى لى العذر ياخير ناصح * لئلا أرى فى الناس مضغة عائب
وحفظى عرضى واجب ومحتم * وتنزيهه عن ترّهات المثالب

فقال بلى ولكن لايجمل بخاطب المعالى * أن يتهيب سهر الليالى * ولله در القائل

ليس الفتى بفتى لايستضاء به * ولاتكون له فى الارض آثار

ومازال بى حتى سرّى عن سرّى * واشتدّ بالعزم أزرى * وتحققت أن الكدّ أحسن معين على تحصيل الامل * والجدّ أعين قرين لتيسير العمل * فنشطت من عقال * وقلت على الله سبحانه الاتكال * وأجريت القلم فى حلبة البراعه * وأخرجت نفسى من أرض الخمول الى روضة البراعه * وأطلقتها من عقال الفهاهة واللكنه * الى اعمال الفكرة والفطنه * ولكن بين تقديم وتأخير * وصفاء وتكدير * حتى تصرم أجل تلك الخدمه وقدّر الله بانفصام عروة تلك الحزمه * فاعتزلت منصبى راضيا عما كان * شاكرا تصاريف الزمان * فلما سكنت بعزلتى نفثات بعض الصدور * وتم نفوذ ذلك القدر المقدور * رحلت عن الكنانة الى مسقط رأس الوالدين * وقد كنت لم أره منذ نشأتى الى ذلك الحين وأنخت به مطية الرضا والتسليم * وسجدت لله شكرا على ما أولاه من فضله العميم * ثم مالبثت أن اتخذت القرطاس سميرى * والجدّ معينى على الكدّ ونصيرى * ومضيت فى الذى نهجه لى الامل * وقت ناشطا عما عصبه بى العمل * فسهل الله ما كنت ألاقيه قبل من المتاعب * وزال عنى بمنه وكرمه ما كان ملازما لعملى من المصاعب * وما زلت حتى ظفرت بالذى كنت أتمناه * وأتيت بما يحبه محب التاريخ ويرضاه * فجاء كتابى بحمد الله خير كتاب * وعمدة ماصنف فى هذا الباب * حقيقا بما قال فيه القائل

كتاب

كتاب ان نظرت اليـه تلقى * يتيم الدرّ فى لبات حور
ترى الروض الندى به نضيرا * وباسم زهره بين السطور
ترى الخود الحسان مخدّرات * تبدّى حسنها خلف الستور

وها هو بين أيديكم اليوم يتلو عليكم عبرا من آثار الماضين * وسيرا من أخبار آبائكم الاولين * فاحفظوا منها حكما ظواهر * واتخـذوا لكم من أحاديث أيامهـم مواعظ وزواجر فقد طالما كانت البلاد غرضا لكل نابل * وأكلة لكل آكل * وفريسـة لكل صائل * حتى اختلط فيها الحابل بالنابل * وهذا كله من عبث الغرباء وافسادهم * وتطاول أطماعهم الى معالى الحكم وعنادهم * وما برحت هذه السطوة الاجنبية تزرع الروع فى القلوب * وتثير القطوب والخطوب والكروب * حتى لم تبق من آثار المجد الاثيـل الا بقايا جدران * ولم تترك من معالم الفخر الذى لم يكن له مثيـل الارسوم مدنيـة وعمران * وقـد ذلت هاتيك السلطة وذهبت تلك الهيبة * وتفرّق شمل الهيئة باستفحال داء هاته العلة * وانصرف هذا العنصر الطيب بتوالى الايام * وكرور الشهور والاعوام * عن وجهتـه بعض الانصراف وأصبح منكبا عن منهاجه فاقدا كثيرا من مزاياه بحكم ذلك الجور والاعتساف * غـير أنه لم تزل فيـه بقايا هى السائدة على أهليـه * الحافظة لما بقى من رفيع شرفه ومجد ذويه * ينبيك عنها ماتراه من الهـدء وثبات الجنان * والدعة واللطف والحنان * وخفض الجناح للقـريب * وتوطين النزيل والغريب * فكأن الذى قضى على بقايا تلك الآثار القـديمة بالبقاء * لتكون مرشدا وهاديا لسائر الامم فى تمدنهم الحديث الى سلم الارتقاء * هوالذى حفظ فيهم هـذه الباقيات الصالحات لتكون عنوانا على هاتيك الشمـائل * وبرهانا على تفردهم بأحاسن هذه المحاسن والفضائل

وقد بدأته بنوح أبى البشر الثانى عليه السلام * ثم حام ومن جاء من ولد حام * ثم من قام بعدهـم من الفراعنة والبطالسة والقياصرة والسـلاطين والحكام * ثم ذكرت قسما كبيرا من تاريخ جاهليـة العرب * وتدرّجت الى ذكر تاريخ صاحب الشريعة الاسـلامية (صلعم) وكيف ساد وغلب * وقد تتبعت سنى الخلافة سنة بعدسـنه * على أسلوب مفيد وخطة مستحسـنه * الى انقراض الخلافة العباسـيه * سـنة اثنتين وعشرين وتسعمائة هجريه * ثم أتيت على ذكر من قام بالامر بعدها من ملوك آل عثمـان * وهو السلطان سليم ابن السلطان الغازى بايزيدخان * ولكنى استطردت فأتيت على سائر من سـبق من السلاطين توفية للمقام وبيانا لمن شاء الاستقراء من الباحثين * وذكرت فى سنى ملكهم أخبار من تولى من الولاة والعمـال * وسيرة من أحسن منهـم ومن أساء فى الاعمال * وأضفت الى أخبار من ملك من القياصرة والخلفاء والملوك والسـلاطين * عـدد من تولى البطريكية من المتأصلين والملكيين * وذكرت طرفا من الانشقاقات الدينية * والمناظرات الحزبيه * والكوارث التى ترتب عليها تفرق كلـة الدين * والفتن التى قامت بين الاحزاب فانجزم بها حبل اليقين *

ثم انى اعتمدت فى تأليفى هـذا على بعض الكتب الشهيرة الاجنبيه * وكثير من كتب التاريخ القديمة والحديثة العربيه * وأفرغته فى قالب لايشوبه خلل * ولايعـترى القارئ منه ان شاء الله أدنى ملل * وجزأته الى أربعـة أجزاء الأول منها ينتهى الى سـنة تسع عشرة هجريه * أعنى قبـل أن تحتل البلاد الجيوش الاسلاميه * وبعد تقلص ظل ملك الدولة الرومانيه * وابتدأت الجزء الثانى منه بتاريخ العرب الجاهليه * وانتهيت منه الى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة هلاليه * وهى السنة التى دخل فيها السلطان سليم البلاد بجيوشه التركيه * والجزء الثالث يبتدأ بتاريخ ملوك آل عثمان * وينتهى الى سنة عشرين ومائتين وألف وهى سنة الامتنان * التى علا فيها شرف نجم الامير الشهير * الحاج محمد على باشا الكبير * والجزء الرابع منـه ابتداؤه تاريخه رحمـه الله وانتهاؤه الى سنة ثمان وثلاثمائة وألف على التحقيق * وهى السـنة التى انتقل فيها الى رحمة مولاه الخديوى محمد باشا توفيق وقد ارتقت بعـده الأريكة المصرية بجناب شبله الأعظم * ذى المجـد الاثيـل الداورى الأفخم * مالك أزمة المعالى * وطود مجـدها الشامخ العالى * مولانا الخـديوى الاكرم (عباس حلمى باشا الثانى) بلغه الله من كل مايحبه غاية الأمانى * وانما وقفت عند هذا الحد ليكون عصره مبـدأ تاريخ جديد * وأول زمن طالعه سعيد * وسأفرد لعصره الزاهر كتابا زاهرا * وأخصص له فيما بعـد تاريخا باهرا * ليكون مفردا بمقال * كما تفرد صاحبه حرسه الله بمحاسن الخلال

وقد سميت كتابى هذا «الكافى» فى تاريخ مصر القديم والحديث وانى أحمد الله على ماوفق له عبده * فبلغ بمنه وجوده منيته وقصده * وأسأله سبحانه بنعمته حفظا من الخطل وبعونته اخلاصا فى العمل * وبقدرته بعدا عن الزلل * فهو خير مسؤل * وأكرم مرجوّ ومأمول

(تنبيـــــــه)

سئل أحد العلماء عن التاريخ فقال هو المعاد المعنوى لانه يعيـد الاعصار التى سلفت ويبعث أهلها من القبور * كأنهم فى عالم الظهور * بعـد أن يكونوا قد تلاشت أخبارهم وعفت آثارهم * قال والتاريخ حافظ للانساب * ضابط للاحساب * لولاه لخفيت أخبار الأول * وعفت آثار الممالك والدول * ولم تعرف حقوق ولاحفظت عهود * ولا برز مافى عالم الغيب الى عالم الشهود اه

قلت والتاريخ خطيب قائم يقرر الحوادث الماضية على تعدد أنواعها * ويتلو عجائب الوقائع الغابرة على تباين أوضاعها * فان كان مادوّنه على أسلوب بسيط مفيد * خال من الحشو والتعقيد

انساق السامعون الى حفظ عباراته * وفهم اشاراته * وان كانت عباراته وحشية المبانى معقدة * لم ينل سامعها منها المأمول * ويعسر عليه فى سلوك طريقها الى مقصوده الوصول * وليس من تمام الفائدة فى شئ أن يكتب صاحب التاريخ مايعتنى بجمعه من الحوادث والاخبار مقفى منسقا منسوجا على منوال مقامات البديع أورسائل الصابى * أويجعله كله رموزا لايتسنى لكل انسان أن يفكها فان هذا كله ممتنع فى مذهب أهل التاريخ وشرعة أصحاب الانتقاد * هذا تاريخ العلامة عماد الدين أبى عبدالله محمد بن محمد الاصفهانى المسمى بالفتح القسى فى الفتح القدسى قدحوى من ضروب البلاغة وكال المحافظة على النفائس اللغوية فى مفرداتها وتراكيبها مع تزيين الكلام وتحسينه بالتمييق والسجع والتنسيق والترصيع والتورية والجناس وغير ذلك مالايقدر عليه الا القليل من الكتاب وأهل الانشاء * ولكنه ليس من السهل المتيسر لسائر مطالعى التاريخ ادراك مافى عباراته من تلك المعانى العالية والاستعارات البعيدة فيلزم على كل من شاء قصدا من قصوده أن لايقرأه الا وبين يديه معجم اللغة يقلب صفحاته عند كل سجعة فينصدع لذلك فكره * لعمر الله ان فى ذلك لمنتهى الجور وغاية التثقيل على محبى التاريخ بل ربما كان داعيا الى اذهاب ولوعهم به * ومثل ذلك تاريخ الامام محمد بن عبد الجبار المدعو بأبى النصر العتبى المؤلف فى وقائع السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين فانه مع صغر حجمه ووقوف تدوينه عند انتهاء سنى ملك ابن سبكتكين المذكور قد تضمن من حسن التنسيق واشباع الكلام من رقائق لغة العرب ماقام بشرحه الامام أحمد بن على بن عمر المنينى فى مجلدين ضخمين لاينقصان عن نيف وثمانمائة صحيفة وكلها شواهد على مافيه من حسن صناعة الانشاء وعلى أن صاحبه من أكابر البلغاء متمكنة فيه ملكة تلك الصناعة التى قداستلزمت ذلك الشرح الطويل الذى لولاه لاستعصى على الكثير فهم مقاصده ومناحيه

وكأن طالب التاريخ لاينال منه شيأ الا اذا كان متمكنا من فنون اللغة العربية كما أشرنا الى ذلك وهذا على ما أظن ضرب من العسف * نعم لايسوغ التوسع فى القول حتى يقال انه ينبغى أن يكون التأليف باللغة العامية لاسيما تدوين الاخبار التاريخية بدلا عن اللغة الصحيحة الفصحى وذلك لان لغة هذا المصر العامية مفعمة بالحشو الاعجمى الذى لايمكن معه التحرير ولايصح معه التأليف مع أن الألسنة قد انطبعت عليها أعنى على هاته اللغة الجافية واستوى فى التخاطب بها العالم والجاهل حتى فى مجامع الافادة والاستفادة والتعليم والتعلم وعم ضررها بحيث اذا سمعك عالم أيا كان علمه تنطق ببعض كلمات فى التخاطب صحيحة غير عامية امتعض ورماك بالتكلف ووسمك بالتعسف وربما خاطبك بهذر الكلام بان يقول لك ياسبحان الله كأنك وسيبويه رأسان فى قلنسوة فان حاججته تأفف ولم ينصفك وبالغ فى مناقضة قولك ونازعك حقك الذى بيدك آمنا غير خائف لعلمه أن الناس طرا تقوم لنصرته ومثل ذلك أنى كنت أخاطب رجلا يوما فى أمر يعنيه وفى الذى صح فى يدى منه فطال بيننا الاخذ والرد

حتى غلبت حجتى حجته وكدت أزهق مايدعيه فقال انى أقول لك الحق انى رجل لاأحب التشدق بعبارات النحاة واستعارات أهل البيان فقلت وماالذى أنكرته من ذلك فقال انك تنطق بألفاظ ضخمة معظمة وهذه خطة مذمومة فى عرف التخاطب العام وماذا عليك لونطقت بها كما ينطق بها كتابنا وأصحاب الذوق السليم منا وكأنى بك لم تسمع قول القائل

وللناس عادات وهم يألفونها * لها سنن يرعونها وفروض

فمن لم يوافقهم على العرف بينهم * فذاك ثقيل عندهم وبغيض

فقلت ياهذا ليس فى الشر أسوه ولافى اتباع الخطاقدوه فان كان هذا كله مبلغ انكارك ومنتهى انتقادك فماالخيبة الرجاء وأين ما كنت تدعيه الآن من الاحاطة بكل شئ ثم كيف تدعونى الى غير الهدى الذى أنت مقيم عليه ولغتك التى عمت فأطفأت نور اللغة الصحيحة بما أدخلته عليها من الفساد والتحريف قد كانت ولن تزال علة انحطاط الامة وحرمان السواد الاعظم وأعنى بهم العامة من فوائد العلوم والآداب والاشتراك فى جنى ثمار الحضارة والمدنية فأمسوا وهم لايحسبون فى عداد الهيئة الاجتماعية والجامعة القومية الا كالانعام بل هم أضل سبيلا اذ لاحركة عندهم مرتبة ولاقصد صحيح ولاتفريق بين مايضرهم وماينفعهم * ولعمر الحق انك ياهذا قد خطأت من حيث أخطأت وتهافت على غير مساغ للقول فانك ان أنكرت أنت فالناس طرا لاينكرون أن اللغة كاملة غنية فى ذاتها عن حشو ودخيل وكما أن فيها من التدوينات العالية العربية المجلاة بالمحسنات البديعية ورقائق الالفاظ مالايكاد يدخل تحت الحصر فكذلك فيها الاصطلاحات السهلة البسيطة الجامعة بين صحيح اللغة وصحيح عرف التخاطب العام وعندى أن النوع الثانى أهم وفائدته أكمل وأعم اذ يستوى فى فهمه العلماء ومن دونهم من سائر طبقات الناس ولذلك نسقت كتابى هذا الكافى على هذا النسق ليعم ان شاء الله تعالى نفعه وتجزل فائدته غيرناظر الى مايقوله العائبون العاتبون ولاحافل بما سيرموننى به اذ ليس فى أيديهم من الحجة ماليس فى يدى * هذه مقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون المغربى قد حوت من العربية الخالصة فضلا عن صحة الانتقاد وقوة الحجة وفصاحة التعبير ماعم بشهرته مشرق الارض ومغربها حتى روى عنه الرواة ونقل الكتاب وترجم المترجمون واحتجوا بحجته وأخذوا بقوله ومع كل ذلك فقد عاب بعض مافيها بعض أهل الانتقاد من المتقدمين والمتأخرين وسفهوا رأى صاحبها ونازعوه حقه الذى بيده

ومن ذلك ماسمعته من بعض الناس قال لى يوما * انى غير كاتم عنك ماأنا معتقده ولاوجل من أن أقوله لك انى أرى تاريخ ابن خلدون خلوا من البلاغة والفصاحة التى جمعتها فصول مقدمته ولاأظننى مخطئا اذا قلت ان كانت هذه المقدمة لذلك المغربى كان مافى الكتاب لغيره وان كان مافى الكتاب من عندياته كانت فصاحة المقدمة وطلاوة عباراتها من عنديات غيره فقلت يارعاك الله أما المقدمة فانى أرى أنها وضعت لقوم * وأما الكتاب فلآخرين وذلك أن هذا الفاضل رحمه الله قد التزم فى تنسيق مقدمة كتابه التى هى عنوان فضله ودليل عالميته

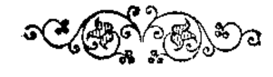
واحاطته

واحاطتــه بكل فن مايجمل بكل باحث فى فضل علم التاريخ وفى حقيقة النبوة والكهانة وفى اختــلاط الانساب كيف يقع وفى أخــلاق البشر وتأثير العناصر وغير ذلك من ضروب الفلسفة التى قصد من تنسيقها على هــذا النحو من البلاغة وحسن الترصيف عرضها على ذوى المكانة العالية اظهارا لفضله ومبلغ قدرته على التأليف والاستنباط الذى لم يسبقه اليه أحد من المشارقة والمغاربة ولذلك نراه قد كتب بقدر علمه والذى صح فى يده منه وما قامت به الحجة عنده آمنا مطمئنا غير مقصر ولا كاتم لما فى نفسه فجاءت عبارته غاية فى الطلاوة وحسن السبك حتى عدّت من المصنفات الفريدة فى بابها * وأما الكتاب فقد استعمل فيــه السهولة فى التعبير ليطلع عليه العلماء ومن دونهم ابتغاء التعميم والمشاركة فى فوائده العلمية وهذه أصلح الله حالك خطة محمودة لايهتدى اليها الامن كشــف العلم عن بصيرته وبصره وهداه الى سواء السبيل

وبالله كأن شرعة الانتقاد عنــد المتقدمين والمتأخرين واحدة والامر بينهما فيها مشاع غير مقسوم الاأنها عند المتقدمين خير منها عند المتأخرين لانك اذا ناظرتهم ناظروك طلبا للحق وأسقطوا بينك وبينهم اللجاج والمراء والمكابرة وأوسعوك تلطفا بان تقوم بحجتك غير مؤاخذين فى شئ ولا متعنتين عليك فى شئ والانتقاد اذا كان القصد به الافادة والاستفادة وتحقيق الحق والاتيان على ماصح من أصول الشئ المنتقد وفروعــه كانت نتيجته حسنه * وفائدته عامــة مستحسنه * وجد الناس أمر صاحبه ومدحوه * أما اذا كان القصد به المهاترة والمكابرة على غير حق كان مثل صاحبه كمثل الفراشة التى اذا رأت نور السراج فرحت به ورقصت حوله ثم لاتلبث أن تحترق وتموت

وأما التعييب فخطة مذمومة ولطخة فى وجه الادب لاسيما اذا كان المراد منــه التشنيع والتقريع فانه بدون المناظرة الحقة التى هى مجال للاستفادة ومحط للافادة ممتنع وكان صاحبه مدفوعا اليه بعامل الغــيرة ودافع الحســد وكان اذا تلطفت معــه فى القول وحاججته جبهك وقطعك عن بلوغ الحجة بشئ من المكابرة وهذر الكلام فتحتاج أن تقبض لسانك ولاتبسطه له ببيان حجتك لانك لاتقدر على تقويم الظل مع اعوجاج العود * وكان التعييب ملكة اذا رسخت واستحكمت فى النفس لايجيــد صاحبها المناظرة الصحيحة * قال أصحاب الكلام لان الملكات صــفات للنفس فلا تتزاحم دفعــة ولا تلتقى فى واد واحد الا فى القليــل النادر من الاحوال * والعائب اذاشب على هــذا الخلق غلب على طبعه التنطع فى القول والتشدق والمماحكة وهى من أعراض هــذا الخلق فلا يبقى من ورائهــا الاذهاب المروءة والنقص فى النظر القلبى والادراك فيرى حينئــذ الســليم معيبا والصحيح سقيما والمستقيم معوجا وهكذا تنقلب الاشكال فى عينيه الى أضدادها والصور الى عكس ماهى عليه * والعائبون فضلا عن أنهم يقتحمون مواطن التعييب من غــير أبوابها لايأتونها الاارضاء لشــيطان الحســد ثم هم يحقدون على من يعارضهم أو يخالف رأيهم وربمــا أدخلوا على أنفسهم الهموم والاحزان من

قيام أهل النصفة فى وجوههم واستمروا فى عناء عظيم من أجل ايجاب الحق لانفسهم فيحصل لهم المقت من الناس لما فى الطباع البشرية من حب الترفع عن الصغار والهوان اذقل أن تسلم نفس لنفس بالكمال والترفع عليها الا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة أو بعصمة من الله وهداية منه * وهذا أوان الشروع فى المقصود بعون الملك المعبود



المقـــــدمة

(وفيها فصـــلان)

الفصـــــل الاول

(فى دخول نوح عليه السلام السفينة وفيمن نزل مصر من ذريته)

هبط ادم وحوّاء عليهما السلام من جنات النعيم كما جاءت به الكتب المنزلة وكثرت ذريتهما فسعوا فى الارض فسادافبعث الله سبحانه وتعالى اليهم نوحا عليه السلام فنهى وأنذر فلم يرعووا ولم تأخذهم آخذة من الخوف فشاء الله تعالى أن يبيدهم بطوفان فأوحى الى نوح ان يصنع لنفسه ولذريته فلكا وان يدخله هو وبنوه وامرأته ففعل فلما صار نوح ومن معه فى الفلك أمر الله تعالى فانفتحت أبواب السماء وانفجرت ينابيع الغمر وعلت المياه على وجه الارض فمات كل ذى روح على وجه الارض وكان فلك نوح عليه السلام طافيا على وجه الماء فلم يبق سوى نوح وبنيه ومن معهم وكان ذلك بعد الخليقة بألف وستمائة وست وخمسين سنة على ماأخبر به المؤرخون

ولما غيض الماء استوى الفلك على الجودى ففرح نوح وعائلته وتفرقت الحيوانات التى كانت فى الفلك فى أنحاء الارض فلم تمض عليها الاحقبة من الدهر حتى تناسلت وملأت الارض وانطلق بنو نوح مع عيالهم الى ارض شنعار الواقعة جنوبى الجبل المذكور على مقربة من دجلة والفرات فاستوطنوا هنالك وتوالدوا وأخذوا فى النماء حتى صاروا فى خلال جيل بعد الطوفان شعبا عظيما * وكان أكثر حديثهم فى ذلك الحين عن الطوفان وماترتب عليه من انقراض العالم فأوجسوا خيفة من أن يعود مرة أخرى ورأوا أن يبنوا صرحا عظيما يلجؤن اليه عند الحاجة ويتخلصون من غائلة الطوفان فأقاموه على شاطئ الفرات الى جهة الشرق وبالغوا جدّا فى اعلائه حتى قيل انهم كانوا يريدون أن يصلوا به الى عنان السماء فرارا من الموت

وبينماهم على هذا الحال من الاجتهاد اذ ابتلاهم الله تعالى بأمر منه فبلبل ألسنتهم فتفرقت كلمتهم ووقع بينهم الخلاف وصاروا لايعرفون كلام بعضهم فكفوا عن العمل وخاب منهم

الرجاء والأمل وهاموا على وجوههم شرقا وغربا فاستوطن كل فريق منهم قسما من الارض كما جاءت به الكتب * وسمى ذلك الصرح ببرج بابل * وكان أولاد نوح الذين عمرت بهم الارض بعد الطوفان كما تقدم ثلاثة سام وحام ويافث * وكان ليافث سبعة أولاد أولهم دجومر وهو الذى هاجر الى الشاطئ الشمالى من البحر الاسود وتفرق نسله غربا وسكنوا فى الجنوب الغربى من أوروبا وفى جزائر بريطانيا وأكثر الاوروباويين من نسله على المشهور من قول جماعة من المؤرخين * وكان لدجومر ثلاثة أولاد الاول اشكيناز وقد نزل بالشاطئ الجنوبى من البحر الاسود * والثانى ريفاث وقد نزل شرقى اشكيناز * والثالث تجرمة وقد نزل بالجانب الشرقى من ريفاث * الثانى مأجوج ومقره ببلاد التتر أى الشاطئ الشمالى من بحر الخزر وأكثر سكان أواسط آسية من نسله كالمغول وغيرهم * الثالث مادى وموطنه شمالى بلاد العجم * الرابع ياوان وقد سكن بلاد اليونان وباسمه سمى دانيال النبى أهالى هذه البلاد وكان لياوان هذا أربعة أولاد الاول منهم الشتة استوطن هيلاس وهى الولاية الجنوبية الغربية من بلاد اليونان * الثانى ترشيش ومقره كليكيا فى آسية الصغرى وباسمه سميت مدينة ترسيس وذهب بعضهم الى أن طائفة من نسله سكنت أيضا بلاد اسبانيا * الثالث كتيم ومكانه عند شواطئ بحر ايطاليا وبلاد اليونان * الرابع رودانيم ومكانه البانيا التى هى بلاد الارناؤد على جنوبى مدينة تريستة ويظن أيضا أنه سكن فى نواحى مرسيليا جنوبى بلاد الفرنسيس * الخامس نوبال ومحله بجوار مأجوج ومابين البحر الاسود وبحر الخزر * السادس ماشك ومسكنه فى جوار نوبال ومأجوج وقد سكن بعض نسله فى شواطئ بحر البلتيك ومنه تسلسل بعض المسكوبيين * السابع تيراس ولم يعلم المؤرخون أين سكن قالوا والمظنون أن نصف أهل الارض من نسل يافث

وأما حام فكان له أربعة أبناء أولهم كوش وكان له ستة ذكور ومحله غربى بلاد العرب وقد سكن أكثر نسله افريقية قيل ومنهم من سكن عند الشواطئ الشمالية من خليج العجم وامتد شمالا الى مابين النهرين ويظن أن أكثر أهالى افريقية من نسله لانهم كانوا ينسبون اليه وان بنيه جميعا سكنوا بلاد العرب وافريقية ماعدا نمرود فانه سكن على سواحل الفرات وهو الذى أسس مدينة بابل * الثانى (مصرايم) وقد نزل بمصر فسميت بهذا الاسم نسبة اليه وقد تفرع منه سبع قبائل الاولى لوديم ومحلها غربى مصر الثانية عانيم وهى من القبائل الرحالة الثالثة لهابيم سكنت جنوبى لوديم الرابعة نفتوحيم ومحلها على الشاطئ البحرى أى على شاطئ البحر فى الجهة الغربية من مصر * قالوا ويظن أن اسم نبتون إله البحر عند الاقدمين مأخوذ منها * الخامسة فتروسيم ومحلها مصر العليا السادسة كالوحيم ومحلها بين مصر وأرض كنعان على شاطئ البحر ومنها الفلسطينيون السابعة كفتوريم ومحلها جزيرة قبرص * وأما الثالث من أولاد حام واسمه فوط فقد سكن شمالى افريقية ونسله مذكور مع كوش ولود والرابع كنعان ومحله الارض المنسوبة اليه وكان لكنعان هذا ابنان الاول

صيدون وهو الذى بنى المدينة المعروفة الآن باسمه وهى صيدا ويقال انها أقدم مدن العالم والثانى حث وقد عقب غير هذين تسع قبائل سكنت أرض كنعان فى أيام يشوع بن نون * وأما سام فكان له خمسة بنين الاول عليوم ومحله جنوبى بلاد العجم الثانى آشور ومنه الآشوريون الذين استعبدهم النمرود وكوش الثالث ارفكشاد وقد توطن بين النهرين ومن نسله ابراهيم الخليل عليه السلام وكان لارفكشاد هذا ولدانهما فالخ ويقطان وكان ليقطان ثلاثة عشر ولدا منهم قبائل بلاد العرب وقد سكن الاسماعيليون بينهم الرابع لود ومن نسله اللوديون ومقامه الاناطولى الخامس ارام ومقامه بين النهرين ولذلك سميت هذه الارض سهل ارام وكان لارام أربعة بنين الاول عوص ومقامه عند رأس خليج العجم الثانى حول ومقامه منبع نهر الاردن حيث يدعى باسمه الثالث لم يذكر له المؤرخون اسما ولا محلا الرابع ماش وقد سكن الاناطولى أيضا * فمما تقدم يتضح أن أكثر سكان افريقية ومنها ديار مصر هم من نسل حام ولد نوح عليه السلام

واعلم أن مصر التى بناها مصرايم ولد حام وتوطنها بنوه من بعده ﴿ اذا صح هذا القول ﴾ يحدها من الشمال البحر الابيض المتوسط ومن الشرق البحر الاحمر وخليج السويس ومن الجنوب بلاد النوبة ومن الغرب الصحراء وبلاد برقة وهى واد يكتنفه جبلان شرقا وغربا يتخللهما النيل من الجنوب الى الشمال ويصب فى البحر الابيض المتوسط عند مدينتى رشيد ودمياط بمصبيهما * وكان المصريون يعتقدون أنهم أول من سكن هذه الديار وعمرها ولذا سموا أنفسهم لوت ونقشوه على الآثار ومعناه أصل البشر ظنا منهم أنهم اباء البشر * قال دهروجيه فى كتابه الذى ألفه فى تاريخ الست عائلات الاول ان الذى تحقق له من الآثار أن أصلهم وتمدنهم انما هو من آسية لا من الجهة الجنوبية

الفصل الثانى

﴿ فى تاريخ مصر القديم وفيما يعتبره المصريون قاعدة لتأسيس مملكتهم ﴾

اختلف أهل التاريخ على اختلاف طبقاتهم فى تحديد مبدإ تأسيس المملكة المصرية وتاريخ نشأتها وكيفية ارتقائها مراقى ذلك التمدن العجيب فمن قائل انها قديمة العهد جدا ومن قائل انها ابنة اثنين وخمسين قرنا ومن قائل خمسة وثلاثين والكل على قوله حجة وبرهان فالقائلون بأنها قديمة العهد جدا جعلوا مستندهم على أنه لما لم يهتد قدماء المصريين الى معرفة مبدإ تأسيس مملكتهم وتاريخ نشأتها فرضوا لظهورها ثلاث عائلات أولية على وجه الاحتمال والتقريب وسموا العائلة الاولى منها بعائلة المعبودات التى يقال لها العائلة المقدسة

والثانيــة العائلة الشبيهة بالمقدسة والثالثة عائلة آبائهم الأولين وهم الحورشسو وقد ذكر كل من كهنة منف وطيبة عائلة المعبودات المذكورة على الترتيب الآتى

عدد	جدول أسماء المعبودات بمنف	
١	بتاح	
٢	رع	
٣	شو	وأخته تفنوت
٤	سب	وزوجته نوت
٥	ازوريس	وزوجته ازيس
٦	ست	وزوجته نفتيس
٧	حور	وزوجته حاتحور
		الشعرى اليمانية

عدد	جدول أسماء المعبودات بطيبه	
١	امون	المشترى
٢	منتو	المريخ
٣	توم	
٤	شو	وأخته تفنوت
٥	سب	وزوجته نوت (زحل)
٦	ازوريس	وزوجته ازيس
٧	ست	الشيطان وزوجته نفتيس
٨	حور	وزوجته حاتحور

قالوا ومعنى بتاح الفتاح وهو رمز للقدرة الالهية التى أوجدت الكون ومعنى رع عنصر النار وشو عنصر الهواء وسب عنصر التراب وازوريس عنصر الماء * قال صاحب العقد الثمين أما حور فانه يدل على الزمن المستقبل ولذا كان المصريون يلقبون به ولى العهد كما أنهم يلقبون الملك الحاكم برع أى الشمس والاموات بازوريس وكانوا يعتبرون هذه المعبودات ملوكا حقيقية وجعلوا لها أسماء وألقابا رسمية قال وأما العائلة الشبيهة بالمقدسة وعائلة أجداد المصريين فلم يوجد لها على الآثار القديمة شئ يذكر غير ما رأيناه فى ورقة تورينو يعنى المحفوظة فى خزانة التحف بمدينة تورينو احدى عمالات ايطاليا المبينة لترتيب الملوك ومدة ملكهم من أن الذين حكموا مصر قبل الملك (منا) وسبقوه فى الترتيب كانوا يدعون حورشسو ومعناه خدمة المعبود حور ولعلهم كهنة اهـ قال لبسيوس ان قدماء المصريين ينسبون لمعبوداتهم أولاجدادهم حورشسو سن القوانين المدنية وابداع الفنون والصنائع واختراع الورق والكتابة وايجاد الاسماء المقدسة وترتيب الديانة والمذاهب ولذلك كان قدماء المؤرخين من اليونان يقولون ان البركان حكمها (أى مصر) كذا من السنين ومعناه ان كاهن هيكل النار التى كانت احدى المعبودات قد حكمها كذا سنة * ويقال ان أول هؤلاء الملوك يعنى الكهنة كان من مدينة طيبة كما يقال ان أول من أسس مدينة طيوه التى هى الآن بلدة الاقصر وما حولها هو الشمس يعنى كاهن الشمس * ثم خرجت بعد ذلك العائلة الملوكية من هاتين المدينتين * وأما من قال بانها ابنة اثنين وخمسين قرنا فجماعة من كبار أصحاب التاريخ المتقدمين وتبعهم جماعة من المتأخرين منهم مايتون المؤرخ قال ان العائلات التى ملكت مصر احدى وثلاثون عائلة تنقسم الى ثلاث طبقات وقد جعل لكل منها بابا مخصوصا * فالباب الاول فى الطبقة الجاهلية أو الطبقة القديمة ومدة ملكها ألفان ومائة سـنة وخمس سنين وتشتمل على احدى عشرة عائلة من العائلة الاولى الى الحادية عشرة

والثانى فى الطبقة الوسطى ومدة ملكها ألف وثلاثمائة واحدى وسبعون سنة وتشتمل على ست عائلات من الثانية عشرة الى السابعة عشرة * والثالث فى الطبقة الاخيرة ومدة ملكها ألف وثلاثمائة واحدى وسبعون سنة وتشتمل على أربع عشرة عائلة من الثامنة عشرة الى الحادية والثلاثين فيكون مجموع سنى ملك هذه العائلات زهاء خمسة آلاف سنة * وقد عد هذه العائلات جماعة من المؤرخين بنحو ثلاثين عائلة وعدها اخرون ستا وثلاثين * وقارن جماعة من المتأخرين بين مبدإ ظهور كل طبقة من الطبقات الثلاث المذكورة وبين التاريخ الميلادى والهجرى فكان مبدأ ظهور الطبقة الاولى منها أى الطبقة الجاهلية موافقا لسنة أربعة آلاف وخمسين قبل الميلاد المسيحى وسنة ست وعشرين وستمائة وخمسة آلاف قبل الهجرة المحمدية * والطبقة الوسطى منها لسنة أربع وستين وثلاثة آلاف قبل الميلاد وسنة ست وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة * والطبقة الاخيرة منها لسنة اثنتين وسبعمائة وألف قبل الميلاد أى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف قبل الهجرة * قال مانيطون وكانت كل عائلة من هذه العائلات تلقب بمركز حكومتها فاذا كانت العائلة فى مدينة طيبة مثلا سميت بالطيبية وان كانت فى مدينة منف سميت بالمنفية ورتب مانيطون هذه الطبقات الثلاث وحقق سنى ملك كل منها فى كتابه على الترتيب الآتى

ترتيب العائلات		تخت المملكة لكل عائلة فى القدم	سنو ملك كل عائلة	
			سنة	
العائلة	الاولى	تنيس	٢٥٣	الطبقة الجاهلية على ما رواه مانيطون
«	الثانية	منفيس	٣٠٢	
«	الثالثة	«	٢١٤	
«	الرابعة	«	٢٨٤	
«	الخامسة	«	٢٤٨	
«	السادسة	ايليفنتين	٢٠٣	
«	السابعة	«	٧٠	
«	الثامنة	منفيس	٢٤٢	
«	التاسعة	هرقليوپوليس	١٠٩	
«	العاشرة	«	١٨٥	
«	الحادية عشرة	طيبه	٠٠	
العائلة	الثانية عشرة	طيبه	٢١٣	الطبقة الوسطى على ما رواه مانيطون
«	الثالثة عشرة	«	٤٥٣	
«	الرابعة عشرة	اكسويس	١٨٤	
«	الخامسة عشرة	الرعاة	٠٠	
«	السادسة عشرة	«	٥١١	
«	السابعة عشرة	«	٠٠	

ترتيب العائلات		تخت المملكة لكل عائلة فى القدم	سنو ملك كل عائلة	
العائلة	الثامنة عشرة	طيبه	٢٤١	الطبقة الاخيرة كما رواه مانيطون
»	التاسعة عشرة	»	١٧٤	
»	العشرون	»	١٧٨	
»	الحادية والعشرون	تانيس	١٣٠	
»	الثانية والعشرون	بوباست	١٧٠	
»	الثالثة والعشرون	تانيس	١٨٩	
»	الرابعة والعشرون	سيبس	٦٦	
»	الخامسة والعشرون	اتيوبيه	٥٠	
»	السادسة والعشرون	سيبس	٠٧	
»	السابعة والعشرون	الفرس	١٢١	
»	الثامنة والعشرون	سيبس	٠٧	
»	التاسعة والعشرون	منديس	٢١	
»	الثلاثون	سيبانيس	٣٨	
»	الحادية والثلاثون	الفرس	٠٨	

وممن حذا حذو مانيطون هـذا فى حسابه وتحقيقه العلامة الفلكى محمود باشا المصرى فقد قرأت فى رسالته التى حررها بالافرنسية فى سـنة اثنتين وستين وثمانمائة وألف ميـلادية تحت عنوان ﴿ عمر الاهرام والغرض من بنائها ﴾ ماملخصه قال * رحمه الله

كنت تعوّدت أن أزور هذه الآثار الشريفـة * يعنى الاهرام * فى أوّل فصـل الربيع أحد الاعتـدالين حينما يكون الليـل والنهار متساويين ويقع ذلك مرتين فى السنة فى نحو الحادى والعشرين من كل من مارث وسبتمبر فلما جاء اعتـدال مارث من سنة اثنتين وستين وثمانمائة وألف ميلادية استقدمنى الجناب الخديوى * يعنى به اسمعيل باشا * الى سرايه بالجيزه ورسم لى بالذهاب الى الاهرام وتعيين اتجاهاتها واسـتنتاج كل مايمكن اسـتنتاجه منها من القواعد العلمية فقمت بالامر طائعا وضربت لى مضربا فى جوار الهرم الكبير ولبثت أربعـة أيام كامـلة كنت أرى فى لياليها النيرة نجومها اللامعـة تتـلألأ كأنها تحيي بابتسام تلك الآثار العظيمة الدالة على ذلك المجد الانسانى فلما أمعنت الطرف فى حركات تلك النجوم والكواكب وسيرها استوقف نظرى ضياء ذلك الكوكب المعروف بسـيريوس يعنى الشعرى اليمانية الذى هو أعظـم كواكب برج الكلب الاكـبر وأشرقها ضـياء فكنت أرى أن أشعته تنبعث عمودية الى الوجهة القبلية من الهرم بلا انحراف فجعلت أفكر فى ذلك وأدقق النظر والتأمل حتى ثبت عندى أن هذا الأثر العظيم لابد وأن يكون مقاما لاحد الآلهة الفلكية وأصحاب

المقامات العلوية وهذا الاله على معتقدهم اغاهو نجم الشعرى اليمانية * الى أن قال * وليس الهرمان الكبيران هما المتجهين فقط تمام الاتجاه للاربع نقط الاصلية بل ان كافة الاهرام الصغيرة وسائر الآثار الجنازية هى كذلك أيضا مما يدل على أن إنشاءها كان لغرض دينى أشبه بالذى حدا بالامم الحاضرة الى بناء مقابر موتاهم على وضع وشكل مخصوص * فانك ترى عند معاشر المسلمين مثلا أن وضع اللحد عمودى على اتجاه مكة المكرمة التى فيها بيت الله الحرام بحيث اذا وضعت الجثة على جانبها الايمن كان وجه الميت متجها نحو الكعبة * قال ومما يؤيد أن بناء الاهرام كان لغرض دينى ماراه الراى من ميل سائر جهاتها على سطح الافق بزاوية لاتزيد ولا تنقص عن اثنين وخمسين درجة ونصف تقريبا وهذا لايمكن وقوعه ابدا بطريق الصدفة والاتفاق ولابد أن يكون لهم فيه مآرب ويكون لهذا الوضع العجيب علاقة بأحد الكواكب التى كانت آلهة لقدماء المصريين * الى أن قال * وأما معرفة سنى الاهرام وما مضى عليها من الاعوام فينحصر فى البحث بين سنة (٢٢٥٠) وسنة (٣٢٥٠) وهو زمن يكون فيه الميل موافقا ٢٢ درجة و ٣٠ دقيقة وبعمل الحساب على مقتضى هذا يتضح أن بناء الاهرام كان سنة اثنتين وثلاثمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد المسيحى وهذا التاريخ وان كان على وجه التقريب نظرا لما يحصل عادة من الفرق فى حساب الاميال لكنه موافق لما ذكره معظم مؤرخى العرب مثل الفوضانى وابن عبد الحكم والمسعودى والمقريزى وغيرهم وهم القائلون بأن حدوث الطوفان كان فى القرن الحادى عشر قبل تجسد السيد المسيح وان الاهرام كان بناؤها قبل الطوفان بثلاثة أو أربعة أجيال * قال وربما استند هؤلاء المؤرخون وابن يونس الفلكى فى هذا القول على القصة المشهورة التى جاء فيها أن بعض المصريين عثروا على ورقة من البابيروس الذى كان قدماؤهم يكتبون عليه فدفعوها الى راهب قبطى من رهبان دير قلامون ليفك رموزها وكان ذلك حوالى سنة خمس وعشرين ومائتين هجرية فقال لهم ان سنتكم هذه توافق سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة وأربعة آلاف من بناء الهرم وسنة احدى وأربعين وتسعمائة وثلاثة آلاف من الطوفان * الى أن قال * وقد ذكر كل من يونسن والجنرال ويزا أن الزمن الواقع بين منيس ونيكتانيوس هو عبارة عن ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمس وخمسين سنة وان مدة تسلط الاربع عائلات الاول من ملوك الفراعنة كانت خمسمائة وسبعين سنة وان انقراض ملك العائلة الرابعة منها كان فى سنة خمس وثمانين وتسعمائة وألفين للاسكندر وسنة عشر وثلاثمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد المسيحى * قال ولما كان بناء الهرمين الكبيرين فى أيام الملك كيوبس والملك كفريم وكلاهما من ملوك هذه العائلة يعنى الرابعة التى حكمت مائة وخمسا وخمسين سنة كان بناؤها على مقتضى هذا الحساب فى القرن الرابع والثلاثين قبل الميلاد المسيحى أو فى الخامس والثلاثين على رواية بروكش * قال وعندى أنه من المحقق الذى لامراء فيه أن لبناء الاهرام علاقة دينية بنجم الشعرى اليمانية وأنه قد مضى عليها اثنان وخمسون قرنا اهـ

وممن قال انها ابنة خمسة وثلاثين قرنا جماعة من المتقدمين والمتأخرين أيضا ممن اجتمعت كلمتهم على أن (منا) الذى هو أول ملوك الطبقة الجاهلية هو (مصرايم) المذكور فى التوراة ولما كان من الثابت المقرر فى التوراة أن مصرايم هذا هو ولد حام وحام ولد نوح عليه السلام كان من الثابت المقرر أيضا أن المدة الواقعة مابين الخليقة من آدم عليه السلام والطوفان هى ألفان ومائتان وست وخمسون سنة أى قبل مولد المسيح بثلاثة الاف ومائتين وأربع وأربعين سنة * وقبل هجرة صاحب الشريعة المحمدية بثلاثة آلاف وثمانمائة وست وستين سنة * وكانت الحقيقة هى غير ماذكره مانيطون ومن حذا حذوه من المتأخرين ومع أن مانيطون عاد فاستدرك فقال ان ملوك مصر فى سنى الطبقتين الاولى والثانية لم يكونوا جميعا متتابعين ملكا بعد آخر بل كانوا كثيرين متعاصرين مع بعضهم فنهم من كان مستقلا بحكم اقليم ومنهم من كان منفردا بمقاطعة ومنهم من كان يحكم بالاشتراك وغير ذلك فان المتأخرين من أهل التاريخ لما حاروا فى كيفية وأسباب هذا الفرق الجسيم ولم يجدوا وجها للطعن فى صحة مارواه مانيطون وقوة سنده أوله بعضهم بان ديار مصر كانت منقسمة الى عدة ممالك علكها أمراء متعاصرون من ملوك الطوائف فى كثير من المدد المذكورة وغالط بعضهم أيضا فقال وان مانيطون وهم فعدد كثيرا من العائلات الملوكية على أنها متتالية بعضها عقب البعض مع أنها كانت متعاصرة * وزعم أصحاب هذا المذهب أنه بينما كانت العائلة الخامسة قابضة على زمام الملك فى جزيرة ايليفنتين مثلا كانت العائلة السادسة مستولية فى هذه المدة على سرير الملك بمدينة منفيس

قلت وليست عبارة مانيطون المؤرخ هذه وحدها التى كانت ولم تزل موضعا للنقد بل هكذا حال التوراة أيضا اذ قام فى هذا العصر جماعة من علماء التاريخ وآخرون من الكتاب يخطؤن ماجاء فيها من أن المدة الواقعة بين الخليقة والطوفان هى ألفان ومائتان وست وخمسون سنة وأثبتوا أنها أكثر من ذلك كثيرا وقد سلم جماعة من علماء اللاهوت صحة هذا المذهب حتى وفق بعضهم بين هذا القول وبين عبارة التوراة بأن سلسلة الآباء المذكورة فى التوراة غير متصلة وقالوا انه لم يذكر فيها الا خاصة الناس دون عامتهم ولم يقفوا عند هذا الحد بل تطرف جماعة الى القول أيضا بأن أسفار موسى عليه السلام كتبت بعده بأعوام كثيرة بل بعد سبى بابل وان ماجاء فى التوراة من الحوادث التاريخية الخاصة بنى اسرائيل أو المنقولة عنهم لايعوّل عليها كثيرا * ولكن هذا كله لم يغير من صحة التوراة ولم يمس عصمتها التى هى عقيدة أهل الكتابين من اسرائيليين ومسيحيين * على أننا لو وفقنا بين الحوادث التاريخية المذكورة فيها وبين حوادث أيام تلك الطبقات الثلاث التى ذكرها مانيطون وذلك بأن نضم أيام ملك الطبقتين الاولى والثانية التى هى أكثر اشكالا وتعقيدا بعضها الى بعض مع اعتبار أن مبدأ ملك الدولة الاولى منها كان بعد الطوفان لصح التوفيق وزال بعض اللبس وكان هذا المذهب على مافيه من التعليل أقرب سائر تلك المذاهب الى الصواب وأبعدها عن الشطط

وعليه

وعليه فانى مورد هنا ماصح عندى من أساوب هذا التوفيق غير مشاغب ولامفضل مذهبا على مذهب فانى أعلم انها كلها أحاجى ومعميات وانها لاتزال كذلك حتى تنكشف خبايا تلك الآثار ويظهر لاصحاب العلوم الاثرية مافيها من الرموز والاسرار * وليس هذا بالامر العسير فى هذا القرن الذى كاد يبلغ فيه كل علم منتهاه

أما طريقة الوصول الى هذا التوفيق فهى أن نضم أيام ملك الطبقتين الاولى والثانية وهى عبارة عن سبع عشرة عائلة كما رتبها مانيطون بعضها الى بعض ونحسب أن أيام ملكها جميعها تبتدئ من الطوفان وتنتهى الى ماقبل نزول يعقوب وبنيه على أرض مصر فى أوائل حكم الدولة الثامنة عشرة المتأصلة * فاذا صح لديك ذلك كانت مدة ملك الطبقتين المذكورتين عبارة عن ألف وثلاثمائة وستين سنة لاغير وكان مبدأ ملكها قبل مولد السيد المسيح بثلاثة آلاف ومائتين وأربع وأربعين سنة وقبل هجرة صاحب الشريعة المحمدية بثلاثة آلاف وثمانمائة وست وستين سنة كما يتبين لك ذلك من الترتيب الآتى على ماجاء فى التوراة

سنة	
١٠٧٠	من الطوفان الى ميلاد ابراهيم الخليل عليه السلام بطريق تسلسل الاجيال
١٠٠	من ابراهيم الى اسحق ولده عليهما السلام
٠٦٠	من اسحق الى يعقوب عليهما السلام
١٣٠	من يعقوب الى مجيء بنى اسرائيل الى مصر
١٣٦٠	

وقد جاء مارواه مانيطون مطابقا لما نصت عليه التوراة من أن نزول يعقوب وبنيه على أرض مصر كان فى أيام الدولة الثامنة عشرة المذكورة وهى الثانية المتأصلة التى قامت من مدينة طيبة بعد سقوط الدولة السابعة عشرة المعروفة بدولة الهيكسوس أودولة الرعاة وجلائهم عن البلاد فدل ذلك دلالة واضحة على أن مدة ملك الطبقتين المذكورتين لم تتجاوز قط ألفا وثلاثمائة وستين سنة وليست ألفين وسبعمائة وثلاثا وعشرين سنة كما رواه بعض أصحاب التاريخ

أما الطبقة الثالثة وأعنى بها الطبقة الاخيرة التى تبتدئ من العائلة الثامنة عشرة وتنتهى بالعائلة الحادية والثلاثين على رواية مانيطون المؤرخ فهذه لما كانت أخبار أيام ملوكها ظاهرة جلية صح أن نقسمها الى أدوار ستة بشرط انطباق ماوقع فى كل دور منها من الحوادث والانباء على ماجاء فى التوراة وعلى هذا الترتيب يكون الدور الاول من هذه الادوار شاملا لاربع عائلات من الثامنة عشرة الى الحادية والعشرين * ويصح أيضا تقسيم هذا الدور الى قسمين

الاول منها يشتمل على عائلتين اثنتين هما الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أما أيام ملك هاتين العائلتين فكلها تقارن مدة سكنى بنى اسرائيل أرض مصر تمام المقارنة * قال مانيطون المؤرخ فى كتابه بعد كلام فأقام يوسف بمدينة منف وتسلط على سائر البلاد فى أيام أعظم

وأقدر فراعنة المملكة الجديدة اه قلت يريد بفرعون هذا الملك طوطوميس الثالث أوطوطميس الذى تولى الملك بعد نفى الملوك الرعاة واخراجهم من أرض مصر وجاء فى التوراة مانصه * وقال فرعون ليوسف انظر قد جعلتك على أرض مصر * وخلع فرعون خاتمه وجعله فى يد يوسف وألبسه ثوب ارجوان و وضع طوق ذهب فى عنقه وأركبه فى مركبته الثانية ونادوا أمامه « اركعوا » وجعله على كل أرض مصر * وقال فرعون ليوسف أنا فرعون فبدونك لا يرفع انسان يده ولا رجله فى كل أرض مصر اه

ومما جاء أيضا مؤيدا لصحة ظهور هذه العائلة المتأصلة بعد نفى الرعاة واخراجهم من البلاد بغض المصريين لسائر رعاة الغنم وكراهتهم لاسم الرعاة واعتبارهم أن كل راع للغنم نجس وقد جاء فى التوراة من قول يوسف عليه السلام لاهله عند قدومهم اليه بأرض مصر * فيكون اذا دعاكم فرعون وقال ماصناعتكم أن تقولوا عبيدك من أصحاب الماشية منذ صبانا الى الآن نحن وآباؤنا جميعا كى تسكنوا أرض جاسان لان كل راعى غنم رجس عند المصريين اه وكان خروج بنى اسرائيل من أرض مصر أيضا فى أيام الملك منفطا الثانى أحد ملوك الدولة التاسعة عشرة التى هى احدى الدولتين المذكورتين ومنفطا هذا هو ابن سيزوستريس صاحب الحروب المشهورة والفتوحات المأثورة قال مانيطون المؤرخ مات منفطا هذا عن ابنة اسمها طوسير وابن قاصر اسمه منفطا الثالث ويلقب بأوسير خيرورع ميامون فتزوجت هذه الابنة بعظيم من المصريين اسمه حفطا منفطا فكان يقال له أيضا فرعون تبعا لها وكان يحكم بالنيابة عنها اه ففسر أهل التاريخ أن زواج طوسير المذكورة بذلك العظيم الذى لم يكن من بيت الملك مع أن جدها سيزوستريس كان قد خلف عدة بنين يدل على حدوث حادث عظيم جدا نجم عنه انقراض سائر أعضاء تلك العائلة الملوكية * قالوا وهذا الحادث انما هو غرق فرعون وجنوده فى البحر قلت فاذا صح ذلك كانت مدة مقام بنى اسرائيل فى أرض مصر مائتين وثلاثين سنة وهى مدة ملك العائلتين المذكورتين وتسلطهما على السواء

والقسم الثانى منهما يشتمل على عائلتين اثنتين أيضا وهما العائلة العشرون والحادية والعشرون فهاتان العائلتان وان لم يقع فى أيامهما من الحوادث شئ يذكر الا أنه يصح اعتبار مبدإ أيامهما من خروج بنى اسرائيل من مصر الى حدوث ماحدث من الكوارث فى أيام العائلة الثانية والعشرين التى قامت بعدها هذه العائلة وبناء على ذلك تكون عبارة عن ستمائة وسبعين سنة بالمقارنة على ماجاء فى التوراة حسب الترتيب الآتى

سنة	
٤٠	مدة مقام بنى اسرائيل فى البرية
٣٠	رياسة يشوع بن نون على بنى اسرائيل
٤٥٠	مدة قضاة بنى اسرائيل على مافى سفر اعمال الحواريين
٣٠	مدة رياسة صموئيل النبى على بنى اسرائيل بعد عالى الكاهن الى ولاية شاول
١٢٠	من ولاية شاول الى ملك سليمان بن داود عليهما السلام
٦٧٠	

والى

والى هذا الحين أى الى أيام ملك سليمن بن داود عليهما السلام انقسمت السلطنة الاسرائيلية الى مملكتين أولاهما مملكة اسرائيل ورأسها ياربعام عبد سليمان وهذه لم تلبث أن تلاشت وعفت آثارها وثانيتهما مملكة يهوذا ورأسها راحبعام بن سليمان وهذه قد بقيت تتنازعها الاحن وتتوالى عليها الخطوب والمحن الى مجيء المسيح ثم تلاشت أيضا فأصبحت أثرا بعد عين كما أنبأ بذلك يعقوب عليه السلام ولده يهوذا

اذا علمت ذلك كان مجمل سنى ملك الدور الاول من الطبقة الثالثة على هذا الترتيب تسعمائة سنة لاغير

وأما الدور الثانى فيشتمل على ثلاث عائلات من الثانية والعشرين الى الرابعة والعشرين ومدة ملكها مائتان وثمان وثلاثون سنة بالتطبيق على مدة من ملك من ملوك يهوذا من أيام رحبعام الى موت بوثام كما سترى ذلك مفصلا فى محله * وقد طابق ماذكره جماعة المؤرخين من الحوادث والانباء التى وقعت أيام هذه العائلات الثلاث ماجاء فى التوراة أتم مطابقة من ذلك أن الملك شنشق الاول رأس العائلة الثانية والعشرين التى هى احدى هذه العائلات وقاعدة ملكها بوبسط بالشرقية المعروفة بتل بسطة الواقعة الآن على قيد بعض فراسخ من مدينة الزقازيق قد أجار ياربعام أحد عبيد سليمان بن داود عليه السلام عند ما نزل فى جواره هاربا من وجه سيده * وشنشق هذا مذكور فى التوراة باسم شيشق قال بعض أهل التاريخ ونزل يوربعام عبد سليمان بن داود على شيشق ملك مصر مستجيرا فأكرم شيشق مثواه واتفق أن مات سليمان عليه السلام بعد ذلك بقليل فتولى الملك بعده ابنه رحبعام فلم يستوعلى سرير الملك حتى خرج عن طاعته عشرة أسباط من بنى اسرائيل لاسباب لامحل لايرادها هنا وسيروا فى طلب ياربعام عبد سليمان عليه السلام فسار اليهم فأحسنوا لقاءه وولوه الملك وسموه ملك اسرائيل فتجرد رحبعام عند ذلك لقتاله وركب عليه فى جيش عظيم من سبطى يهوذا وبنيامين فأرسل ياربعام الى شيشق ملك مصر يستنجده على قتال رحبعام فسار شيشق لنجدته فى جيش ضخم وألف ومائة مركبة حربية وقاتل رحبعام قتالا عنيفا للغاية وفتح مدن يهوذا ونهب خزائن بيت المقدس وبيت الملك وأخذ تروس الذهب التى كان عملها سليمان عليه السلام وعاد الى مصر ظافرا غانما ونقش تاريخ هذه الغزوة على جدران هيكل الكرنك وكتب عليه يهوذا ملكى * يعنى ان مملكة يهوذا صارت فى قبضة يده * أما بيان سنى ملك هذه العائلات الثلاث التى هى عبارة عن مائتين وثمان وثلاثين سنة كما تقدم الذكر فهى على الترتيب الآتى من ملك على يهوذا كما هو مذكور فى التوراة

سنة	
١٧	مدة ملك راحبعام
٠٣	مدة ملك ابيا
٤١	مدة ملك اسيا
٦١	

سنة	
٦١	ماقبـله
٢٥	مدة ملك يوشافاط
٠٨	مدة ملك يورام
٠١	مدة ملك احزيا
٦	مدة ملك عليا
٤٠	مدة ملك يواش
٢٩	مدة ملك أموصيا
٥٢	مدة ملك عذريا
١٦	مدة ملك يوثام
٢٣٨	

وأماالدور الثالث فينحصر كله فى العائلة الخامسة والعشرين السودانية ولاتتعداها ومدة سنى هذا الدور احدى وعشرون سنة لاغير وهى عبارة عن المدة الواقعة من ملك أحاذ الذى تولى على يهوذا بعد يوثام الى ملك حزقيا حسب البيان الآتى

سنة	
١٢	مدة تملك أحاذ على اليهودية قبل تملك هوشع على مملكة اسرائيل
٠٤	مدة « « « بعد تملك هوشع على مملكة اسرائيل
٠٥	مدة تملك حزقيا الذى تولى بعده أحاذ المذكور
٢١	

ومن الحوادث التاريخية التى وقعت فى أيام هذه العائلة وجاءت مذكورة فى التوراة أيضا أنه لما قام شلمناصر ملك أشور على هوشع ملك اسرائيل المذكور وكان هوشع معاصرا للملك سيواس فرعون المذكور فى التوراة باسم سواء وهو أخو الملك سباقوس الحبشى الذى دوّخ ديار مصر وتولى ملك الفراعنة قسرا بعد حروب وخطوب أتينا على شرحها فى ترجمته أرسل هوشع ملك اسرائيل الى سواء ملك مصر يستنجده ويستحثه فأبطأت النجدة وركب شلمناصر على هوشع فى عسكر جرار وقاتله وظفر به وقبض عليه وسجنه فجعل هوشع يستغيث بسواء الملك فلم يغثه لعدم تمكنه من ذلك وقالت التوراة فى هذا المقام مانصه * وفى الثانية عشرة لاحاذ ملك يهوذا تولى هوشع بن أيلة على السامرة على اسرائيل تسع سنين وعمل الشر أمام الرب ولكن ليس كملوك اسرائيل الذين كانوا قبله وصعد عليه شلمناصر ملك أشور فصار له هوشع عبدا ودفع له جزية ووجد ملك أشور فى هوشع خيانة لانه أرسل رسلا الى سواء ملك مصر ولم يؤد جزية الى ملك أشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك أشور وأوثقه فى السجن وصعد ملك أشور على كل الارض وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنين وسبى شعب اسرائيل الى أشور اه قلت وكان خراب مملكة اسرائيل وزوالها تماما بعد هذا التاريخ

وأماالدور الرابع فبدؤه العائلة السادسة والعشرون التى قام على رأسها بسماتيكوس

الاول المشهور بحب العلوم وتوسيع نطاق المعارف والآداب وهو الذى فى أيامه اتسع نطاق استعمال الكتابة بالحروف الابجدية ومدة سنى هـذا الدور مائة وثلاث وعشرون سنة وأشهر على ترتيب سنى من عاصرها من ملوك يهوذا الاتى بيانهم بعد

شهور	سنين	
٠٠	٢٤	مدة ملك حزقيا خلاف الخمس سنوات التى كان يعاصر فيها الدور الثالث
٠٠	٥٥	« حكم منسا بن حزقيا
٠٠	٠٢	« « امون بن منسا
٠٠	٣١	« « يوشيا بن امون الذى قتله فرعون نخو
٠٣	٠٠	« « يهوياحاذ بن يوشيا الذى خلعه فرعون نخو
٠٠	١١	« « الياقيم بن يوشيا الذى ولاه فرعون نخو
٣	١٢٣	

ومن الحوادث التاريخية التى جاءت فى التوراة مثبتة مطابقة هذه المدة على الوجه المشروح لمدة الدور الرابع المذكور حادثة نخاوس بن بسماتيكوس رأس هذا الدور * ومحصلها انه لما كان نخاوس هذا ميالا كأبيه الى تحسين أحوال الرعية بتوسيع نطاق التجارة عمد الى فتح البلاد وركب فى عسكر جرار وزحف على يهوذا وقاتل يوشيا ملكها وضيق عليه وما زال حتى قتله وفتح مدائنه وتملك عليها من البر والبحر فبايع بنو يهوذا يهوياحاذ ولد يوشيا بالملك واجتمعوا تحت رايته فأغضب ذلك نخاوس فرعون المذكور وركب من فوره فى عسكره على يوشيا وحاربه وظفر به وخلعه وذلك عند رجوعه من غزوة بابل وولى مكانه أخاه الياقيم وضرب الخراج على شعب يهوذا فى كل عام مائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب واستصحب يهوياحاذ الى مصر أسيرا فبقى بها حتى مات قالت التوراة * وفى أيامه يعنى فى أيام يوشيا هذا * صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك اشور الى نهر الفرات فصعد الملك يوشيا للقائه فقتله فى مجدو حين رآه وأركبه عبيده ميتا من مجدو وجاؤا به الى أورشليم ودفنوه فى قبره فأخذ شعب أرض يهوذا يهوياحاذ ابن يوشيا ومسحوه وملكوه عوضا عن أبيه وكان يهوياحاذ ابن ثلاث وعشرين سنة حين ملك وملك ثلاثة أشهر فى أورشليم واسم أمه حموطل بنت أرميا بن لبنة اه

وأما الدور الخامس فبدؤه أواخر سنى العائلة السادسة والعشرين أى أوائل ملك بسماتيكوس الثانى الذى حارب النوبة وأبلى فى قتالها بلاء حسنا ومات فقام بالامر بعده ابنه فرعون خفرع الذى يقال له أيضا وح ابرع * قال أصحاب التاريخ وكان فرعون هـذا معاصرا لصدقيا ملك يهوذا الذى وقع خراب أورشليم وسبيها الى بابل فى أيامه باغارة بختنصر ملك بابل وان صدقيا أرسل الى فرعون خفرع المذكور يستنجده على قتال بختنصر فلم يفلح وسقط صدقيا فى يد بختنصر * قال الله تعالى على لسان نبيه أرمياء الذى كان على عهد سبى بابل هكذا قال الرب هاأنا ذا أدفع فرعون خفرع ملك مصر ليد أعدائه وليد طالب

نفسه كما دفعت صدقياء ملك يهوذا لبخنتنصر ملك بابل عدوّه وطالب نفسه اه قال أهل التاريخ وقد تم ما أنبأ به نبى الله أرمياء حيث انتقض على (فرعون خفرع) عسكره وشقوا عصا طاعته عند عودته من حروبه مع القيروان ثم خلعوه وملكوا عليهم جنديا اسمه اماسيس ويقال له أيضا احمس فسار احمس هذا مع هؤلاء الخوارج لقتال وح ابرع ولم يكن مع وح ابرع فى ذلك الحين سوى بعض الجنود الاجنبية التى كانت فى خدمته وهى زهاء ثلاثين ألفا فلما التقى الجمعان عند مدينة صاالحجر اقتتلا قتالا عنيفا فكانت الدائرة على جنود وح ابرع ووقع فى قبضة احمس فحبسه فى قصره قال هيرودوتس فلم تلبث الجنود بعد ذلك أن طلبته من احمس وشددت فى طلبه فدفعه اليهم فقتلوه فى الحال واستقل احمس بالملك واتسعت كلمته وخضع لحكمه أهالى جزيرة قبرص ثم مات فتولى الملك بعده بسماتيك الثالث فلم يستقر به المنصب حتى زحف ملك فارس على أرض مصر فى عسكر جرار فخرج بسماتيك لقتاله فى عدة وافرة من الجنود المصرية واليونانية الذين كانوا فى خدمته فلما التقى الجمعان واشتد القتال هجمت جيوش بسماتيك على جيوش كمبيز ملك فارس وكان كمبيز قد وضع فى مقدمة جيوشه كثيرا من السنانير والبزاة وغيرها من الحيوانات التى كان يعبدها المصريون فلم يجسروا على القتال ولم يرموا بسهامهم على عدوهم مخافة أن تصيب تلك الحيوانات المقدسة فجفلوا ورجعوا القهقرى وسقط بسماتيك فى قبضة كمبيز فقتله بعد أمور قد أتينا على ذكرها مفصلة فى ترجمته وبسقوط بسماتيك هذا زالت دولة الفراعنة وانثلّ عرشها وتقلص ظل ملكها من هذه الديار فأصبحت من هذا الحين ولاية تابعة لمملكة كمبيز بن كورش ملك فارس (قلت) وقد ورد فى التوراة أن الله أوحى الى حزقيال النبى عند سبى بابل وخراب أورشليم أنه لا يكون بعد اليوم رئيس من أرض مصر وألقى الرعب فى أرض مصر (ومن أصدق من الله قيلا) فانه لم يقم من ذلك الحين رئيس على مصر من أهلها الى يومنا هذا

وقد عدّ أهل التاريخ هذه الدولة الفاتحة الغاصبة فى عداد الدول المالكة باعتبار أنها السابعة والعشرون بعد السادسة والعشرين المصرية المتأصلة فاذا صح لديك ذلك كان ادخالها أيضا فى دائرة الدور الخامس على مقتضى الترتيب المتقدم بيانه لازما مع مايدخل معها فى هذا الدور أيضا من بقية الدول الاخرى المتممة له كالدولة الثامنة والعشرين الصاوية والدولة التاسعة والعشرين الاشمونية والثلاثين السمنودية والحادية والثلاثين الفارسية التى انقرضت باغارة الاسكندر المقدونى على البلاد أما سنو ملك هذه العائلات فمائتان وثلاث وثلاثون سنة على مقتضى التنسيب الآتى للحوادث التاريخية المذكورة فى التوراة

سنة	
١١	مدة ملك صدقياء على يهوذا وهو الذى وقع خراب أورشليم وسبى بابل فى أيامه
٢٧٢	المدة من سبى بابل الى ظهور الاسكندر المقدونى
٢٨٣	

بقى

بقي علينا الآن أن نأتي على ذكر الدور السادس الذى هو آخر مارتبناه من هاتيك الادوار وبيان عدد مايدخل فيه من الدول التى تولت الملك وسنى ملك كل منها تتميما لحساب هذه القاعدة التى اخترناها للتوفيق بين ماجاء فى التوراة وماجاء فى التاريخ * فنقول اذا صح ماتقدم بيانه وكان هذا الترتيب غير معيب فى شئ كان اذن مبدأ الدور السادس المذكور ظهور الاسكندر المقدونى وكان هذا الدور مشتملا على دولتين لاغير أولاهما الدولة البطليموسية وثانيتهما الدولة الرومانية أو اللاطينية المعروفة فى حساب أهل التاريخ بالدولة الرابعة والثلاثين وهى الدولة التى ولد فى أيامها السيد المسيح وكانت مدة ملك هاتين الدولتين ثلثمائة وتسع عشرة سنة على الترتيب الآتى

سنة	
٠١٢	مدة ملك الاسكندر المقدونى
٢٧٥	مدة ملك الدولة البطليموسية
٠٣٢	مدة ملك الدولة الرومانية أو اللاطينية
٣١٩	

فاذا جمعت سنى ملك كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث الى بعضها على مارتبناه من الادوار ظهر لك أن المدة الواقعة من عهد الملك (منا) رأس العائلة الملوكية الاولى الذى يسميه بعض أهل التاريخ مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام أو من الطوفان الى مولد السيد المسيح ثلاثة آلاف ومائتان وأربع وأربعون سنة ولم تتجاوز الاربعة آلاف سنة كما قاله جماعة من المؤرخين المتقدمين والمتأخرين وان أنكروا أن مصرايم هو (منا) واذا علمت ذلك فالوقوف عند حد بعض هذه الاحتمالات والفروض الثلاثة التى ذكرناها أو تفضيل بعضها على بعض والأخذ به دون الآخر ترجيح بلا مرجح ولذلك لم أورد ما أوردته من المقارنة والتطبيق بين ماجاء فى التوراة وماجاء فى كتب التاريخ القديمة على ماتقدم بيانه انتصارا لمقالة على أخرى ولا حذف حجة للترغيب فى تفضيل مذهب على آخر لانى أعلم أنها كلها آراء لم يثبت منها لغاية الآن شئ ولا صحت بها دعوى ولكنى حرصت على أن لا تفوت محبى التاريخ معرفة هذه النبذة أيضا فذكرتها غير كاتم مافى نفسى منها ولا ساتر رأيى فيها فلا أنا داع اليها ولا ناه عن الأخذ بها

واعلم أن المصريين كانوا قبل عهد الملك بسماتيك يزعمون أنهم أقدم شعب على وجه البسيطة قال هيرودوتس لما تولى بسماتيك الملك عمد الى معرفة حقيقة هذا الزعم وكان يظن أن الفريجيين أقدم شعب ويتلوهم المصريون قال وكانت أبحاثه الى ذلك الحين لم تكف لمعرفة الحقيقة فاخذ طفلين رضيعين وسلمهما الى راع يربيهما مع عنز ورسم له أن يضعهما فى بيت لايدخل أحد عليهما الا العنز لترضعهما فى وقت معلوم وأن يتفرغ عن كل أشغاله وقت ارضاعهما وقصد بذلك أن يعرف ماهى أول كلمة ينطقان بها متى صارا قادرين على الكلام فلما مضى عليهما سنتان دخل الراعى يوما وقد فتح باب البيت فزحف

الولدان نحوه وصرخا بيكوس ومدا اليه أيديهما فاستكان عند ذلك ليرى مايكون بعد هذه اللفظة فصار كلما دخل عليهما يصرخان بيكوس فاعلم الملك بالقصة فرسم باستحضارهما فلما حضراوسمع منهما تلك اللفظة استخبرعن الشعب الذى يستعمل كلمة بيكوس ومامعناها فقيل له ان الفريجيين يسمون الخبز بهذا الاسم قال هيرودوتس فلذلك تنازل المصريون للفريجيين عن ادعاء الاسبقية (قلت) ولعلها خرافة رووها عن هيرودوتس بعادات المصريين وأخلاقهم وأعيادهم وقدرة آلهتهم وكهنتهم وسحرتهم وغير ذلك مما اعتاد هذا المؤرخ العظيم الاسهاب و بسط الكلام فيه ومع ذلك فان هذه الرواية على ما فيها من الخلط تؤيد ماقلناه من أنه لم يتيسر لقدماء المصريين أن يعرفوا من أين جاء آباؤهم ولا مبدأ تأسيس مملكتهم ولا من أين وصلت اليهم مادة هذا التمدّن العجيب ولذلك لم يجزموا بشئ من هذا كله بل بنوا كل ما قالوه فى هذا الباب على فروض واحتمالات اجتمعت كلمتهم على بعضها واختلفت فى البعض فتبعهم فى ذلك أصحاب التاريخ من المتقدمين والمتأخرين غير مبالغين فى النقد لضعف سندهم وعجزهم عن تفنيد البرهان بالبرهان ودحض الحجة بأقوى منها وكان مااجتمعت عليه كلمتهم ولم يختلف فيه منهم اثنان قولهم ان (منا) هو أوّل مؤسس للملكة المصرية وانه رأس العائلة الاولى من الطبقة الاولى احدى الطبقات الثلاث التى رتبها مانيطون فى جدوله فعلى مقتضى هذا الترتيب نأتى هنا بذكر كل دولة من الطبقات الثلاث المذكورة وذكر أخبار كل ملك منها على التعاقب و بالله سبحانه وتعالى البداية ومنه تبارك وتعالى الهداية

الكتاب الاوّل

(فى ملوك الطبقات الثلاث وفيه ابواب)

البـــاب الاول

(فى الطبقة الاولى أو الطبقة العليـــا)

كان مبدأ هذه الطبقة على مارواه جماعة المؤرخين سنة خمسة آلاف وأربعة قبل الميلاد المسيحى أى سنة ست وعشرين وستمائة وخمسة آلاف قبل الهجرة المحمدية وهى تبتدى بالملك (منا) وتنتهى الى الدولة الحادية عشرة الطينيسة وسنو ملكها ألف وتسعمائة وأربعون سنة

الفصل الاول

(في العائلة الاولى الطينية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة خمسة آلاف وأربعة قبل الميلاد المسيحي أى سنة ست وعشرين وستمائة وخمسة آلاف قبل الهجرة المحمدية وسمو ملكها ثلثمائة سنة وخمس سنين وعدة ملوكها تسعة أولهم الملك (منا) أومناوس الذى قالوا باحتمال انه (مصرايم) المذكور في التوراة

في الكلام على الملك منا

هوأول ملوك مصر وأول مؤسس للملكة المصرية بعد دولة الحورشسو وأصله من مدينة طينة وهى بلدة كانت على مقربة من العرابة المدفونة بجوار جرجا ولما استخلص (منا) المذكور الملك من أيدى الكهنة واستقل بحكم البلاد هاجر من مدينة طينة المذكورة لميل أهلها الى الكهنة وأقر رؤساء القبائل على ماهم عليه من قبل وأسس مدينة منف التى موقعها الآن البدرشين وميت رهينة وهما من أعمال مديرية الجيزة وجعلها تحت ملكه وحول اليها النيل الى مجراه الذى هو عليه الان قال ديودور الصقلى وكان النيل يجرى بصحراء ليبيا وأصلح أحوال الرعية بتحسين أحوال الزراعة قال هيرودوتس كانت الاصلاحات التى أحدثها بمدينة منف سببا فى عمارتها وتخطيط المدن بارجائها وشيد فيها هيكلا لمعبودها (بتاح) أى الفتاح فصارت منف مركز المدنية والتمدن والعلوم والمعارف الى عصر اليونان ثم أدخل سكان ليبيا تحت الطاعة بعد أن غزاهم قال مانيطون وبعد موته اتهم أنه غير عادة أسلافه من الزهد عيله الى الترف ووضع الطعام على الموائد وتناوله الطعام مضطجعا على سرير قال ديودور واقتدت به الملوك من بعده فلما تولى الملك تنحت أحد ملوك الدولة الرابعة والعشرين أنكر عليه هذه العادة الذميمة والبدعة السيئة اذ هى موجبة للجبن والخمول وأمر بنقش كلام عنها فى حجر هجيا فيه (منا) ووضعه فى معبد امون بطيبة وقال مانيطون انه لما تغلب الملك (منا) على طائفة الكهنة ونزع الحكم من أيديهم بالقهر والغلبة نسبوا اليه سوء العاقبة وقالوا انه ابتلعه تمساح البحر بعد أن حكم ستين وقيل اثنتين وستين سنة وكان الملك (منا) المذكور معظما فى قومه مهيبا عندهم حتى انهم عبدوه وقدموا له الذبائح والبخور واستمروا على عبادته فلما مات خلفه ابنه أثوتيس

فى الكلام على الملك أثوتيس

(ومن ملك بعده من هذه العائلة)

تولى هذا الملك بعد أبيه ويقال انه لبث عاملا على مصر العليا والصعيد ثلاثين سنة فى حياة أبيه وهو الذى زين مدينة منف وحسنها وبنى فيها الهياكل والقصور المشيدة واشتغل بعلم التشريح وألف فيه رسالة استمدّ منها أطباء قدماء المصريين * قال صاحب العقد الثمين وهى التى تجددت كتابتها فى عهد رمسيس الثانى وعنوانها مكتوب فى الصحيفة الخامسة عشرة فى كتاب الاموات ونصه

هذا أوّل مجموع فى التذاكر الطبية النافعة لمعالجة البرص قد نقل من صحيفة قديمة وجدت داخل محبرة تحت تمثال أنوب فى مدينة ليتوبوليس

قال وكان وجودها فى عصر الملك سيتى الذى هو الخامس من هذه العائلة حسب ترتيب الآثار وحيث ان بينه وبين الملك تتا (يعنى أثوتيس) ملكين فهذا يثبت للملك تتا المذكور معرفة علم الطب والتشريح ولعظم فائدة هذه الرسالة نقلت الى الملك (سندا) المندرج اسمه فى جدول العائلة الثانية

ومات الملك أثوتيس فقام بالامر بعده كنكنيس ولم يعلم المؤرخون من أخباره شيأ يذكر ومات بعد أن حكم احدى وثلاثين سنة * فقام بالامر بعده (ونيفس) الاوّل وفى أيام هذا الملك حصلت بمصر مجاعة عظيمة جدّا ومن أعماله الهرم الموجود على شمالى الهرم المدرج بسقارة وهو المعدّ قديما لدفن ما كان يعبد من الثيران فى أيامه * قال صاحب العقد الثمين وقد استكشف هذا الهرم البارون فون مينونولى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وألف ميلادية فوجده موضوعا على خلاف وضع الاهرام لعدم اتجاه أركانه الى النقط الاربع الاصلية وله أربعة أبواب وبداخله حجرات قال فان صح ذلك كان هذا الهرم أوّل هرم بنى فى مصر اه ومات ونيفس المذكور بعد أن حكم ثلاثا وعشرين سنة * فقام بالامر بعده ونيفس الثانى ولم يذكر المؤرخون من أخباره شيأ ومات بعد أن حكم اثنتين وأربعين سنة * ثم قام بالامر بعده (سيتى) وهو الذى وجدت فى أيامه الرسالة الطبية التى ألفها الملك أثوتيس المكتوبة فى الباب الرابع والستين من كتاب الاموات وهى من ضمن الرسائل الطبية المشتملة عليها الصحيفة القديمة الموجودة فى برلين كما رواه صاحب العقد الثمين ولم يذكر المؤرخون لهذا الملك شيأ من الاخبار ومات بعد أن حكم عشرين سنة * فقام بالامر بعده (مية بيدوس) ولم يعلم أيضا من أخباره شئ ومات بعد أن حكم ستا وعشرين سنة * فقام بالامر بعده سميسس وهو حفيد الملك سيتى وفشا فى أيام هذا الملك فى البلاد الوباء ففتك بالخلق فتكا ذريعا ثم قامت فتنة

عظيمة

عظيمة فاختل نظام البلاد وعكف الناس على ارتكاب المعاصى واستفحل أمر الفتنة فمات فى أثنائها الملك ميسس بعد أن حكم ثمانى عشرة سنة * فقام بالامر بعده (ابنه نخس) وقد تولى الملك فى خلال الفتنة وانتشار الخلل فزاد الهيجان بتوليته واشتدت الفتنة وعظمت ولم تنطفئ نارها الا بزوال العائلة الاولى هذه وموت ابنه نخس المذكور الذى هو تاسع ملوكها وآخرهم فقامت بعدها العائلة الثانية المعروفة بالطينية

الفصل الثانى

﴿ فى العائلة الثانية المعروفة بالطينية ﴾

كان ابتداء حكم هذه العائلة فى سنة أربعة آلاف وسبعمائة واحدى وخمسين قبل الميلاد أى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وخمسة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها ثلاثمائة وستون سنة وعدة ملوكها تسعة وهم الآتى ذكرهم بعد * قال جماعة الكتاب ويقال ان بين هذه العائلة وبين الملك (منا) أول مؤسس للمملكة المصرية قرابة متواصلة ولكنه لم يقم من الادلة ما يثبتها ولم يوجد فى النقوش الاثرية لهؤلاء الملوك شئ سوى أسمائهم وكان أول ملوك هذه الدولة (الملك بوثوس) * قال مانيطون المؤرخ المصرى لما استولى الملك بوثوس على ملك مصر نزل رجز من السماء على مدينة بوبست المعروفة الآن بتل بسطه خسف بها الارض وأهلك فيها خلقا كثيرا اه ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره أو آثاره شيأ ومات بعد أن حكم ثمانيا وثلاثين سنة * فقام بالامر بعده (كايه خوس) وفى أيامه عكف الناس على عبادة الحيوانات فعبدوا الثور أبيس بمدينة منف والثور منيفس بالمطرية والجمل المقدس بمدينة تمى الامديد قال صاحب العقد الثمين وذلك ما دلت عليه النقوش التى وجدت داخل مقابر منف بسقاره اه ومات (كايه خوس) المذكور بعد أن حكم تسعا وثلاثين سنة (فقام) بالامر بعده بنيوثريس ومن أعماله انه سن قانونا أجاز به للنساء الحكم ووراثتهن فى الملك كيلا يخرج الملك من بيته (قال ده روجيه) وحاصل ما فى هذا القانون ان الملك اذا مات وكان له أولاد ذكور كانوا أحق بالملك وان لم يكن له ذكور أو كانوا وانقرضوا كان الحق فى الملك لبناته اه (وقال ماسبرو) فى ذلك ما مؤداه ان كل ملك توفى عن زوجة ولم يعقب ولدا أو كان ولده قاصرا ورثت الملك من بعده زوجته بشرط أن لا تتزوج فان تزوجت بغيره ممن ليس له الحق فى الملك لا يجوز لزوجها هذا أن يكون ملكا وانما يجوز لذريته منها أن يعطى لهم منصب الملك ولقب الفراعنة اه وقد أجاز الملك بنيوثريس فى قانونه المذكور أن سلطة الملوك على الرعية حق مفروض عليهم أداؤه بالنيابة عن

المعبودات وبالغ فى هذا الامر جـدّا حتى زعم أن دمه الذى فى عروقه من دماء المعبودات ولذلك جعل لنفســه السلطة على جميع صـنوف الرعية ولقب نفسـه بابن الشمس التى هـى أعظم المعبودات ليثبت القرابة لنفسه ولمن يأتى بعده بالمعبودات فسرى هذا الزعم منـه الى جميع الملوك المصريين الى أيام الرومان ومن هـذا الحين صارت الرعية لاتستخف بالملوك ولو ضـعفت شـوكتهم وذلك لخصائصهم القدسـية وقرابتهـم من المعبودات فانه ان زالت عنهم دولة الحكم بقيت لهـم حرمة التقديس * وأخذ المصريون من هـذا القانون ان كل من أراد تأسيس عائلة غـير ملوكية ووصـلها بالعـائلة الملوكيـة التى قبلها فليتزوج من بنات الملوك أو يأخـذ منهن لاولاده فيتم له وصف القرابة بينهما كما دلت على ذلك الآثار (ومات الملك بنيوثريس) المذكور بعـد أن حكم سبعا وأربعين سنة (فقام) بالامر بعده(طلاس) ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شـيأ (ومات) بعـد أن حكم سبع عشرة سنة (فقام) بالامر بعده الملك ستنس (قال مانيطون) المؤرخ المصرى كان الملك الخامس من هذه العائلة المدعو ستنس واسـع العـلم كبير المعرفة فكان لذلك محترما الى عهد اليونان وقد أتم الرسالة الطبيـة التى وجـدت فى مدينـة سخم المعروفة عند اليونان باسم ليتوبوليس (ومات) بعد أن حكم احـدى وأربعـين سـنة ومعنى ستنس باللغة القديمة المهول (ثم قام) بالامر بعده خارس ولم تذكر عنـه جماعة الكتاب شيأ (ومات) بعد أن حكم سبع عشرة سنة (فقام) بالامر بعده الملك نفرخرس وهوالسابع من ملوك هذه الدولة قال مانيطون وقدحلا فى عصرهذا الملك ماء النيل حتى صار عذبا كالعسل وبقى على هـذا الحال أحد عشر يوما ومات نفرخرس المذكور بعدأن حكم خمسا وعشرين سنة * فقام بالامر بعده الملك سيسوخريس وهو ثامنهم قال مانيطون وكان هذا الملك طويل القامة جدا * ونقل صاحب العقد الثمين عن علماء القلم المصرى القديم أن مقبرة (توت حُتب) الموجودة بمنف وتمثال «سبا» المحفوظ بمتحف باريز هما من آثار هذه العـائلة لانه يظهر من نقوشهما وصناعتهما وتصاويرهما أنهما من صناعة الحالة الأولى لكونهما أقل اتقانا من صـنائع المتأخرين (ومات) سيسوخريس المـذكور بعد أن حكم ثمانيا وأربعين سـنة (فقام) بالامر بعده خينه رس وهو آخر ملوك هـذه الدولة ولم تذكر أصحاب التاريخ من مآثره شـيأ (ومات) بعد أن حكم ثلاثين سـنة وبموته انقرضت هذه الدولة التى هى من نسل الملك (منا) على مارواه بعض أصحاب التاريخ الذين قالوا أيضا ان الملك منا المـذكور وان كان قد أخضع لحكمه جميع القبائل القاطنـة فى وادى النيـل وأدخـل تحت طاعتـه جميع رؤساء الاقسام بشرط أن يكون الحكم متوارثا بينهـم وبين ذريتهم الاأنه لم يتمكن من جعل أهل مصر أمة واحدة ومازالت كذلك الى أن تغلبت عليها ذريته فاختلطت القبائل بعضها ببعض وتألفت وصارت أمة واحدة واشتهرت بالامة المصرية * قيل وقد كان فى عصرهاتين العائلتين عائلات أخرى معاصرة ومشاغبة لهما ولبثوا كذلك الى أن أطاعوا ودخلوا تحت حكم ملوك الدولتين (قال) صاحب العقد الثمين ولذا نجد أسماء بعض

الملوك

الملوك منقوشة على ألواح حجرية لم يذكرها مانيطون فى جدوله فلا بد وأن تكون من تلك العائلات المضادّة لذرية منا اه وبانقراض العائلة الثانية المذكورة على وجه ماتقدم قامت بعدها العائلة الثالثة المنفية

الفصل الثالث

(فى العائلة الثالثة المعروفة بالمنفية)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة تسع وأربعين وأربعمائة وأربعة آلاف قبل الميلاد أى سنة احدى وسبعين وخمسة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وأربع عشرة سنة وعدة ملوكها تسعة أولهم الملك نخروفس (قال) أصحاب التاريخ كان منشأ هذا الملك بمدينة منف وهو رأس العائلة الثالثة ولم يستقر به المنصب حتى قامت الفتنة فى البلاد واتصلت بسكان صحراء ليبية الداخلة تحت طاعة ملوك مصر من عهد الملك (منا) فسير لقتالهم عسكرا فالتقى الجمعان فى ليلة مقمرة فخيل لسكان الصحراء أن دائرة القمر تغير شكلها المعهود فخافوا وظنوا أن الله غضب عليهم لخروجهم على الملك نخروفس فبادروا بالطاعة له وانحسمت الفتنة واستتب الأمن وتوطد وأخذت البلاد فى الترقى فانتشرت العلوم واتسع نطاق الصنائع والفنون وما زالت تترقى فى أيامه حتى مات بعد أن حكم ثمانى وعشرين سنة كما رواه مانيطون المؤرخ فقام بالامر بعده توسورترس فحذا حذوه فى بث العلوم والصنائع فاحسن فن الكتابة وأتقن صناعة قطع الحجر ونحته وكان ماهرا فى علم الطب كالملك (تتا) وألف فيه كتبا تداولها الناس فى القرن الاول من التاريخ المسيحى ثم مات بعد أن حكم تسعا وعشرين سنة فقام بالامر بعده الملك تره يس ولم تذكر له جماعة الكتاب شيأ ومات بعد أن حكم سبع سنين * فقام بالامر بعده الملك سسوخريس ولم تعلم جماعة الكتاب من أخباره شيأ ومات بعد أن حكم سبع عشرة سنة (فقام) بالامر بعده الملك سوفيس ولم يعلم من أخباره شئ ومات بعد أن حكم ست عشرة سنة * فقام بالامر بعده الملك تسرتاريس ولم يعلم من أخباره شئ ومات بعد أن حكم تسع عشرة سنة * فقام بالامر بعده الملك أخس ولم يعلم من أخباره شئ ومات بعد أن حكم اثنتين وأربعين سنة (فقام) بالامر بعده الملك سفوريس ولم يعلم من أخباره شئ يذكر ومات بعد أن حكم ثلاثين سنة (فقام) بالامر بعده الملك كرفريس وهو آخر ملوك هذه العائلة قال مانيطون المؤرخ وفى أيام ملك هذه العائلة زادت ثروة المملكة وكثرت عماراتها (قال) صاحب العقد الثمين فمن تلك المبانى أبو الهول الموجود الآن بين الهرمين بالجيزة ويسمونه حورمخى أى شمس الافقين يعنون بذلك الشمس وقت شروقها وغروبها وهما الوقتان اللذان كانوا يعبدونه فيهما وصورته على شكل سبع له رأس آدمى اشارة الى القوة

والعقل وبهذه المثابة جاز لهم ان يرمزوا به لكل ملك ذى قوة وتدبير حكم مصر ولذا ترى فى المتاحف والبرابى والهياكل وغيرها كثيرا من الملوك المصورة أجسامهم على هيئة سبع مع اتقان وجوههم ودقة هيآتهم الاصلية ومن هذه التماثيل ماهو كبير وصغير وأكبرها أبوالهول الموجود بين أهرام الجيزة ومنها الهيكل الموجود بالجهة القبلية من أهرام الجيزة ويعرف الآن بالكنيسة وهو من بدائع عصرهم ومحاسن صنعهم لكونه مبنيا بالحجر الصوّان المنحوت والجبس العظيم ومنها أيضا جملة محاريب ومقابر بتلك الجهة كان سكان منف يدفنون فيها موتاهم خشية الغرق وكانت تلك المقابر تبعد عن منف بخمسة الاف متر من الجانب الغربى وكان أغلب فقرائهم يدفنون موتاهم فى لحود على عمق متر واحد والمتوسطون يدفنون فى ضريح مربع مبنى بطوب أصفر غير متقن ولايضعون معهم شيأ سوى أوان من الفخار بجانب الجثة فيها طعام معد لغذاء الميت وقت بعثه يوم القيامة حسب اعتقادهم وأما الاغنياء فكانت مقابرهم تتركب من ثلاثة أجزاء أولها حجرة ظاهرة منقوشة بأنواع النقوش والتصاوير المتقنة إما قليلا أوكثيرا على قدر ميسرة أربابها وكانت هذه الحجرة معدّة لاجتماع أقارب الميت فيها وقت زيارة القبور وثانيها حجرة صغيرة رأسية مفتوحة الفوهة فى حجرة أخرى من حجرات المقبرة وثالثها حجرة أوعدة حجرات أخر فى أسفل الحجرة الصغيرة وهى المعدة لوضع جثة الميت فيها ولايجوز لاحد أن يدخلها * وبعض الناس يصنعون مقابرهم بكيفية أخرى فينحتون فى الجبل آبارا عميقة فيها منامة أوجملة منامات معدة لمواراة الموتى وأهل هذه الطبقة يضعون موتاهم فى توابيت على هيئة الانسان عارية عن الرسوم ومصنوعة من جملة قطع ويثبتونها بمسامير من خشب ويكتبون فوقها مامعناه (أنت فلان ابن السماء وخلقة الارض) وفى عصر العائلة الحادية عشرة جعلوا يدهنون وجه التابوت باللون الأصفر أو الابيض أو الأسود ويصوّرون فوقه المعبودتين (أزيس ونفتيس) راكعتين وأجنحتهما على التابوت وفى عصر العائلة الثامنة عشرة كانوا يلونون التوابيت من باطنها وظاهرها بالسواد ويجعلون الوجه أحمر ذهبيا ويرسمون على الصدر صورة عقاب وفى عصر العائلة التاسعة عشرة الى الحادية والعشرين كانوا يدهنون توابيتهم بالطلاء المعروف بالورنيش الذى فى لونه صفرة ويبالغون فى اتقان التصاوير دون النقوش وكانوا يضعون الموميا الصغيرة أى الجثة المصبرة اما فى تابوت أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة يدخلون بعضها فى بعض وفى عصر العائلة الثانية والعشرين الى الثالثة والعشرين كانوا يلوّنون التوابيت من باطنها بلون أسود أو بلون الخشب ويجعلون وجهها أحمر وعلى رأسها عصائب مزخرفة ويلفون موتاهم بلفائف من القماش ثم اصطلحوا بعد ذلك على تلوين باطن التوابيت بالابيض وتقسيم أغطيتها بالالوان الى أقسام عديدة ويكتبون فوقها كتابة بمداد أخضر وفى زمن البطالسة اتخذوا توابيتهم من الصوان والمرمر الازرق فكانوا ينقشون عليها نقوشا متقنة الصناعة (قال الراوى) فلو تأملنا جميع هذه التوابيت وما عليها من النقوش والحلية علمنا ما كان يلزم للميت من النفقات والمصاريف الجسيمة التى

كانت تزداد قيمتها بما يتبعها من كثرة النقوش والمبالغة فى التصاوير اه وقد وجد مكتوبا على ورقة قديمة فى متحف فرنسا سميت باسم (بريس) الذى وجدها ماتعريبه انه لما توفى الملك حوتى وهو (سفوريس) ثامن ملوك هذه العائلة تولى بعده الملك سنفرو وهو (كفريس) تاسع هذه العائلة وكان محسنا لاهل مملكته وفى مدته ثار عليه سكان جبل الطور وتعدّوا على حدود مصر فقاتلهم وقهرهم واستولى على أرضهم وشيد فيها قلاعا وحصونا وديارا وحفر آبارا وأقام بتلك الارض رجالا تستخرج له المعادن من النحاس والحجارة الكريمة كالفيروزج وعساكر تخفرهم ثم رسم نفسه هنالك على صخرة (بوادى مغارة) فى هيئة مقاتل يقمع أعداءه ونقش بجانب صورته ذكر غزوته (قاله دە روجيه) ووضع اسمه داخل خانة ملوكية ولقب نفسه فى تلك الصخرة بخمسة ألقاب وهى (حور) ومعناه الكاهن و (موت نب) (عرع نب) ومعناه صاحب التاجين وهما تاج العقاب وتاج الثعبان و (حور نب) ومعناه المنصور الظافر بأعدائه و (سوتن سخت) ومعناه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى و (سارع) ومعناه ابن الشمس وهو الاسم المقدس المختص بالعائلة الملوكية وختم ذلك بجملة دعائية له وهى (عنخ ازاسنب) ومعناها دام بصحة وعافية قال فاقتدى به الملوك بعده فى جميع ذلك ولما عاد الى مصر بعد هذه الغزوة بنى فى حدود الدلتا قلاعا وحصونا بقيت الى عصر العائلة الثانية عشرة وابتنى له هرما سماه (خع) أى العيد ولم يعلم محله وانما يقال انه هو الموجود بميدوم بدليل وجود اسم هذا الملك منقوشا على بعض جدران مقابر قديمة فى تلك الجهة كما رواه ده روجيه فى كتابه فى الست عائلات الاولى ولمدافعته عن بلاده أحبته الرعية وبالغت فى تعظيمه وعكفت على عبادته بعد وفاته واستمروا على عبادته واحترامه الى عصر البطالسة وكان متزوجا بالملكة مرتيتفس واصطلح ملوك هذه الطبقة على نقش أسماء أهرامهم فى الآثار بجانب أسمائهم فكان ذلك سببا لسهولة معرفة أسماء الاهرام فى مدتهم كما رواه ده روجيه فى كتابه المذكور ومن مآثر ملوك هذه العائلة التمثالان الموجودان الآن بمتحف بولاق أحدهما تمثال (رع حتب) وثانيهما تمثال (نفرت) زوجته المتخذان من حجر واحد وعليهما نقوش تدل على أن رع حتب كان الكاهن الاكبر فى المطرية وقائدا للجيوش المصرية وان زوجته نفرت أعنى الجميلة كانت حفيدة ملك لم يعلم اسمه بعد اه ومات الملك كفريس بعد أن حكم ستا وعشرين سنة وبانقراض الدولة الثالثة المذكورة على وجه ماسبق بيانه قامت بعدها الدولة الرابعة المنفية

الفصل الرابع

(فى العائلة الرابعة المنفية)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة خمس وثلاثين ومائتين وأربعة آلاف قبل الميلاد أى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وأربعة الاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وأربع وثمانون

سـنة وعدةملوكها أربعة عشر ملكا (قال) أصحاب التاريخ ولم يعلم من أسمائهم غير ثمانية وسنذكرستة منهـم بعد وأولهم الملك خوفو وبظهور هذه العائلة ظهرت مصر بمظهر الارتقاء وحسن البناء والعمائر التاريخية

فى الملك خوفو

كان هذا الملك غازيا شـديد البأس عظيم المهابة قاتل طائفة من بنى عون وهم قبيلة من عرب البوادى الذين كانوا مستوطنين بناحية وادى مغارة وكانوا كثيرى التعدى على حدود مملكة مصر الشرقيـة من الجهة البحرية فأذلهـم وأخضعهم وكان يحب تشـييد العمارات والمبانى العظيمة فمن مآثره الهرم الاكبر الموجود بالجيزة واسمه ((خوت)) يعنى البهاء وكان العمال المشتغلون ببنائه مع المناوبة فى كل ثلاثة أشهر مائة ألف عامل واستمرت عمارته ثلاثين سنة منها عشرة فى توطيد أرضه وتأسيس حجارته السفلى وبناء الجسر الموصل اليه من شاطئ النيل بالحجارة لنقل الاحجار التى بنى بها هذا الهرم ومنها عشرون سنة فى تشـييد ذات الهرم كما رواه هيرودوتس ونقل أيضا عن بعض المؤرخين أن قدماء المصريين انما أرادوا ببناء تلك الاهرام منع المعتـدين الذين ينتهكون الحرمات وينبشون القبور من سلب مايكون فيها للموتى من التوابيت الجميلة والاوانى الفاخرة بالدخول فيها ووافقهم آخرون على ذلك وقالوا ان قدماء المصريين كانوا أشد الناس حرصا على موتاهم ولذا صـنعوا هذه المبانى الضخمة لاعجاز أهل الغايات عن التوصل الى كنهها اهـ كما رواه ماريت

وقال صاحب العقد الثمين وهذا الهرم لم يحصل له خلل مع ثقـله وطول مدته البالغة ستين قرنا وليس فى طوق البشر الآن اعمال بناء فيه حجرات وطرق وارتفاع بثقل يمكث زمنا كزمنه (قال) وقد اطلعت على حجر بدار التحف المصرية عليـه نقوش بجانبه الايمن والايسر فالتى على جانبه الايمن تفيد أن الملك (خوفو) بنى هرمه المذكور والمقابر التى محيت آثارها الآن بجانب هيكل المعبودة ازيس المجاور ذلك الهيكل لمعبـد أبى الهول من الجانب الغربى البحرى وانه أنشأ أيضا لابنتـه الاميرة (حونت سن) هرما بجوار هيكل ازيس المذكور ومن هذا يعلم أن أبا الهول ومعبده وهيكل أزيس كانت موجودة قبل بناء هرم خوفو ويسـتفاد من النقوش التى على جانبه الايسر أن الملك المذكور كان أهـدى هـدايا للمعبودة أزيس المسماة أيضا حاتحور واتخذها والدة له وأصلح معبدها ووضع بداخله التماثيل التى وجدها فيه من قبـل وهى سـفينة أزيس وتمثال (سـلك) وتحوت وبتاح وحور وازيس ونفتيس وسخت وأزوريس وحپى وبجانب كل تمثال منها مكتوب اسم المادة المتخـذ منها فسـفينة أزيس وتمثـال حور وتحوت كانت من الخشب المطلى بالذهب وكان تمثال أزيس من الذهب والفضة وتمثال نفتيس من التنج (قال) وأثبت دميخن أن الملك خوفو أصلح أيضا هيكل حاتحور

الذى

الذى بذنده ومن هنا يتضح لك أن دعوى اليونان على الملك خوفو بأنه كان ظالما لرعيته فى تسخيرهم لبناء هرمــه وغلق أبواب الهيا كل واهانة المعبودات المصرية كذب لاأصل لها لما علمت من تشييده الهيا كل السابقة ولعل قولهم انه ظالم لرعيته فى بناء هرمه مبنى على انه لما قاتل بنى عون وأسر رجالهم سخرهم فى بناء هرمه كما هى عادة قدماء الملوك فى معاملة الاسرى وهذا وحده لايفيد أنه ظالم لرعيته (والاهرام) مقابر كانت تهتم فى بنائها الفراعنة من تاريخ استيلائهم على الملك فيشــيدون أولا حجرة يدفنون فيها الملك بعــد وفاته ثم يبنون عليها هرما صغيرا و يعلونه طبقة فطبقة بالتدريج على حسب مدة حكم الملك فان طالت مدته كان هرمه كبيرا شامخا والاقتراه صغيرا وعلى ذلك يكون عدد طبقات كل هرم دليــلا على عدد سنى حكم صاحب ذلك الهــرم وعــدد الاهرام الموجودة فى ديار مصر ينيف على المائة والمشهور منها ســبعون هرما اه وفى عصر هذا الملك عثر أحد الكهنة على رسالة طبية بالقرب من محراب معبــد مدينــة دعوت بــلاد النوبة فنقلها الى الملك خوفو وكتب على هــذه الرسالة كيفية عثوره عليها بالالفاظ المعربة بما مؤداه (كانت الارض محــدقة بالظلام والقمر يضىء من كل جهة على هذه الرسالة) فأحضرتها أعجوبة لجلالة الملك خوفو اه ثم مات (الملك خوفو) بعد ان حكم تسعا وعشرين سنة فتولى الملك بعده سوفيس الاول وهو الملك رع ددف

(الملك رع ددف)

كان هذا الملك كثير العبادة شديد التدين فاحبته الرعية واحترمته وقدســته وجعلته فى مصاف المعبودات (قال أصحاب التاريخ) وقــد وجد نقش على حجر لرجــل مصرى اسمه ابساموتيك بن أصاحور يفيــد أن ابساموتيك المذكور كان كاهنا للمعبود (تانن) وللمعبودة (ازيس) ملكة الاهرام وكاهنا للملك خوفو وللملك خفرع الذى هو سوفيس الثـانى وللمقدس رع ددف الذى هو سوفيس الاول وللمعبود حور مخى الذى هو أبو الهول ويظن أنه ابن الملك خــوفو والاخ الا كبر لخفرع أى سوفيس الثانى قال بعض الكتاب فان صح ذلك صدقت الرواية اليونانية بأن خفرع كان خليفة أخيه فى الحكم بدون ملك بينهما وكانت مدة الملك سوفيس الاول المذكور ثلاثا وســتين سنة ثم مات وقام بالامر بعده سوفيس الثـانى ويسمى أيضا خفرع

(فى الملك خفرع)

قال أصحاب التاريخ من اليونان لما تولى الملك خفرع بعد موت أخيه رع ددف الذى

هو سوفيس الاوّل شرع فى بناء الهرم الثانى بجانب هرم خوفو وجعله على وضعه وسماه (آر) يعنى الكبير قال صاحب العقد الثمين ويرى بجانبه محل قطع الاحجار التى كانت تستعمل فى بنائه وكلا الهرمين موضوع على جبل ارتفاعه مائة قدم (وروى هيرودوتس) عن المصريين أنهم نسبوا لهذا الملك الظلم والاعتساف بالرعية وقالوا انه سار على سيرة الملك خوفو فى جميع أعماله وقد سخرهم فى بناء هرمه وأغلق الهياكل وشدّد عليهم فأبغضوه بغضا شديدا كبغضهم للملك خوفو وكانوا يودّون لوأنهم لاينطقون باسم أحدهما ولذلك سموا هرميهما براعى المواشى تهكما واستهزاء وذكر ديودور الصقلى أن كلا الملكين حرم من بقائه مدفونا فى هرمه وذلك لان الرعية كانت تبغضهما بغضا شديدا وقد عمدت الى جثتهما فأخرجتهما من الهرمين وكسرت تابوتيهما وألقتهما على الارض إهانة لهما قال ولم يستدل الى الآن من الآثار على شئ من سيرة خفرع المذكور غير أنه عثر على سبعة تماثيل من حجر الصوّان على رسم صورته كانت ببئر فى المعبد المشهور الآن بالكنيسة التى قبلى أبى الهول فنقلت الى دار التحف المصرية وحفظت فيها اه

ومات خفرع المذكور بعد أن حكم ستا وستين سنة على مارواه مانيطون المؤرّخ فقام بالامر بعده منكورع الذى يسمى أيضا منخرس

(فى الملك منكورع)

(المسمى أيضا)

(منخرس)

(قال) جماعة الكتاب لما استقرّ منكورع المنصب عمد الى انشاء الهرم الثالث الموجود خلف الهرمين وبالغ فى إنجازه وسماه (حور) يعنى الاعلى قالوا وكان منكورع هذا عادلا محبا للرعية شفيقا عليهم واسع الحلم كثير الرحمة فكان اذا تظلم أحد الناس من حكم يكون صدر عليه حق اليه وعمه باحسانه ولاطفه ليهوّن عليه الامر وقد دلت النقوش الاثرية على اهتمامه بأمر المعابد والهياكل حيث أمر ولده (حورددف) أن يطوف على جميع المحاريب والمعابد فيصلح ماتخرّب منها وينشئ غيرها فى الكثير من المدن فقام بالامر قالوا ولما كان يدبر العمل فى محاريب مدينة (ايتوبوليس) المعروفة الآن باسم (وسيم) عثر على كتابة منزبورة بلون أزرق على لوح من رخام فأحضرها الى أبيه فرحا مسرورا وقدّم اللوح اليه قال ماسبرو وهى الكتابة المدرجة ضمن المواعظ والحكم القديمة التى جمعها علماء اللغة الهرمسية فى الباب الرابع والستين من كتاب الاموات فصعب عليهم حلها لانها أعجزت أهلها كما جاء فى قول كاتب من عصر الرمسيسية الى رفيقة له وهو

(تأتيني بأسرار كبيرة) أي بمواعظ وحكم عن الامير حور ددف وتقول لى انك ماعلمت منها طيبا ولارديأ وكأنها سور منيع لايمكن تجاوزه وكيف تقول ذلك مع انك كاتب ماهر فائق على أقرانك فطن ولك فكر رائق وكلام موزون اذا قلت كلمة كانت أعظم من ثلاث كلمات صدرت عن غيرك ولقد تركتني أصم بما حصل لى من فزع قولك . قال وبهذا يتضح لك أن المواعظ والحكم القديمة كانت صعبة على أهلها ولذا يتعسر الآن على علماء القلم المصرى القديم حل معضلاتها اه

وكان الملك منكورع حليما ومآثره كثيرة منها عدة مؤلفات فى علم الدين وكان شديد الرغبة فى تقدم وطنه والارتقاء به الى درجات التمدن والتقدم ولذلك كفل الملك شبسكاف الذى تولى الملك بعده فجعله فى بيته وأحسن تربيته بين عائلته وزوجه بابنته المسماة (معتخع) ليؤهله لارتقاء منصة الملك من بعده

(قال صاحب العقد الثمين) وقد وجدت جثة الملك منكورع هذا فى تابوت من حجر الصوان داخل هرمه فأرادت دولة الانجليز نقله الى متحفها فغرقت السفينة به فى ساحل البرتغال ولم تحصل على شئ منه سوى الجثة وغطاء التابوت المحفوظين الى الآن فى متحفها وهذا الغطاء مصنوع من خشب الجميز على شكل آدمى وعليه نقوش تتضمن دعوات طيبة له وتدل على أنه كان ملكا على جميع أرض مصر اه

ومات بعد أن حكم أربعا وعشرين سنة كما شوهد ذلك على الآثار القديمة وفى رواية مانيطون ثلاثا وستين سنة فقام بالامر بعده شبسكاف وهو خامس ملوك هذه الدولة ويسميه مانيطون فى جدوله باسم سبرخرس

(فى الملك شبسكاف)

(المسمى أيضا)

(سبرخرس)

هو خامس ملوك هذه الدولة ولما استقر به الملك أمر ببناء الايوان الغربى الموجود بمعبد بتاح بمنف قالوا وهو أعظم ايوان مزين بالصور والرسوم الغريبة ليمتاز بذلك عن أسلافه وبنى له هرما يعرف باسم (شبسكافكب) قال هيرودوتس ونقش عليه يعنى على الهرم المذكور نقوشا معناها

لاتحقر هرمى بين الاهرام المبنية بالحجارة لانى أفضله عليها تفضيل المشترى على جميع الكواكب اذ كان بناؤه بطوب متخذ من خشب مبلول فى مستنقع ماء امتص ذلك الخشب طفل المستنقع وقال أيضا ان هذا الملك كان أحد الخمسة المشرعين بالديار المصرية وانه رتب

الديانة وأبدع فن الهندسة ورصد الكواكب وسن قانونا للقرض يجوز للمرء أن يرهن جثة والده عند الغير ويأذن للدائن أن يتصرف فى مقبرة المدين حتى يوفيه دينه فان لم يوفه حرم المدين هو وذريته من الدفن فيه بعد وفاتهم

ومات بعد أن حكم سبع سنين كما جاء فى جدول مانيطون المؤرخ فقام بالامر بعده (ثامقيش) ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيأ ومات بعد أن حكم تسع سنين وبه انتهت العائلة الرابعة ولم يعلم من أخبارها غير ماذكر وقامت بعدها العائلة الخامسة التى كان تخت حكمها بجزيرة أسوان

الفصل الخامس

(فى العائلة الخامسة التى كان تخت حكمها)
(جزيرة أسوان)

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة احدى وستين وتسعمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وثمان وأربعون سنة وعدة ملوكها تسعة (قال ده روجه) ولم يظهر لنا من تاريخ هذه العائلة بعد البحث والتنقيب من الآثار وغيرها الا ماسنذكره لبعض ملوكها وكان أول هذه العائلة الملك اسكاف ويقال له أيضا اسركاف

(فى الملك اسكاف)

(الذى يقال له)
(اسركاف)

قال أصحاب التاريخ كان هذا الملك محبا للرعية عادلا دينا موقرا فكانت الرعية تحبه وتحترمه وتجله الكهنة اجلالا عظيما ولذلك جعلوا له وقتا معينا للعبادة وسماه مانيطون فى جدوله باسم اسرخرس وابتنى اسركاف هذا لنفسه هرما سماه عب ستو يعنى (المكان الطاهر) ولم يعلم من أخباره شئ غير ماذكر ومات بعد أن حكم ثمان سنين وقال مانيطون ثمانيا وعشرين سنة

فقام بالامر بعده الملك سحورع الذى يسميه مانيطون سفرس ولهذا الملك هرم على شمال قرية بوصير واسمه خعبا ومعناه بعثة الروح قالوا وله فى وادى مغارة لوحة أثرية موجودة

للآن

الآن ومنقوش عليها رسم صورته على هيئة المنصور على أعدائه وأمام صورته نقوش يستفاد منها أنه قهر جميع أعدائه وتغلب عليهم قالوا ولبث المصريون يعبدون هذا الملك بعد موته زمنا طويلا وقد وجد فى عصر اليونان هيكل معدّ لعبادته وبداخله أسماء الكهنة الذين كانوا معينين لخدمته وكان لهذا الملك مدينة شهيرة على مقربة من اسنا سماها باسحورع وقد محيت آثارها الآن ومات بعد أن حكم أربع سنين وقال مانيطون ثلاث عشرة سنة

فقام بالامر بعده الملك ككا ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيأ ومات بعد أن حكم سنتين

فقام بالامر بعده الملك نفرار كارع ويسميه مانيطون نفرخرس ولهذا الملك هرم سماه (با) ومعناه الروح وفى أيام هذا الملك ازداد تمدن البلاد واشتغل أهلها بالعلوم والآداب قالوا وقد وجد بين قبور هذا العصر أسماء لكثير من الادباء مثل (أورخوو) و(يحولث) قالوا وكلاهما كان حائزا للشرف العالى بين قومه

ومات نفرار كارع بعد أن حكم عشرين سنة فقام بالامر بعده الملك شبسكارع ولم تذكر عنه جماعة الكتاب شيأ ومات بعد أن حكم عشرين سنة كما رواه مانيطون المؤرخ

فقام بالامر بعده الملك خع نفررع ولم يوجد له شئ يذكر سوى اسمه ومات ولعل مدة حكمه كانت مع مدة شبسكارع فيكون الاثنان حكما معا وقال مانيطون انه حكم سبع سنين ويسميه باسم سيسيرس ثم قام بالامر بعدهما الملك رعنوسر ويسميه مانيطون المؤرخ ريورس قالوا وهو أول من أضاف اسم (آن) وهو اسم عائلته الى اسمه فكان يقال له بعد ذلك رعنوسر آن وكان ملكا محاربا كثير الغزوات غزا سكان جبل الطور وانتصر عليهم وبنى له هرما بيوصير سماه (من ستو) ومعناه المحل المتين فلما مات دفن فى الهرم المذكور بعد أن حكم احدى عشرة سنة وقال مانيطون بل أربعا وأربعين سنة

فقام بالامر بعده الملك منكاحور ويسميه مانيطون المؤرخ فى جدوله منخرس وله هرم يعرف باسم نترستو ومعناه المحل المقدس قالوا والغالب أن موضع هذا الهرم بجهة سقارة ومات بعد أن حكم ثمان سنين وقال مانيطون تسع سنين فتولى الملك بعده الملك دد كارع

(فى الملك دد كارع)

(الذى يقال له أيضا)

(تنخرس)

كان دد كارع المذكور كثير العناية بالعلوم والصنائع وقد استكشف فى أيامه معادن

بوادى مغارة وابتنى له هرما كاسلافه الفراعنة وسماه نفر ومعناه الجميل قالوا ولم يعلم مكانه الى الآن وكان له ولد من العلوم والفلسفة بمكان عظيم اسمه بتاح حتب وقد شاخ ومات ودفن بجانب مقبرة (تى) واشتهر بالعلوم والمعارف التى نقلت عنه وكذلك المواعظ والحكم التى منها إذا كبرت بعد الصغر أو حزت مالا بعد الفقر وصرت به الاول فى مدينتك وازدادت به شهرتك فلا تعظم نفسك بسببه لان الله منّ عليك به ولا تحتقر امرأ كان كما كنت فقيرا أو كان ذامال مثلك ميسورا ومنها كن وجيها مادمت حيا ومنها متى صار للمرء اعتبار وساح فى الارض وتأهل بامرأة فان كان عاقلا جهز بيته وأحب زوجته ولم يتنازع معها وأطعمها وزينها بتحسين أعضائها وعطرها وجعلها مسرورة مدة حياته ولا يكون عليها متوحشا قاسيا ومنها أيها الهنهان (اسم لمعبود) صاحب العمر الكبير متى أتى للمرء الهرم وحصل له الضعف والعجز وأتاه النذير ورقد متألما صغرت عيناه وثقلت أذناه واضمحلت قوته وتلجلج لسانه وأظلم قلبه ووهن العظم منه حتى لايفكر فى أمس ويلازمه النسيان لضرّ ألم به فيتبدل معه الطيب بالخبيث الذميم ويذهب عنه الطعم والذوق السليم كيف لا وهو الهرم الذى يصير الانسان فى أسوإ حال وأقبح هيئة ومآل فيعطل حواس شمه حتى لايستنشق رائحة العود ويكلّ من الوقوف والقعود فماذا يفعل الانسان اذا وصل لحالتى وسمع مقالتى فقال الهنهان تعلم نصيحة من سلف التى يستغربها الصغار ويستعملها كبار الخلف وهى (ادفع عنك أذى العقلاء ولا تسئ أحدا ولو من الاعداء) اه كما نقله ماسبرو

(ومات الملك) ددكارع المذكور بعد أن حكم ثمانيا وعشرين سنة وقال مانيطون بل أربعا وأربعين سنة فقام بالامر بعده الملك أوتاس وهو آخر ملوك هذه العائلة على مارواه جماعة المؤرخين

(فى الملك أوتاس)

(الذى يقال له أيضا)

(آتوس)

لما ارتقى أوتاس المذكور عرش الملك ابتنى له هرما بسقارة وسماه نفرستو ومعناه الجميل قال صاحب العقد الثمين فتح يعنى الهرم سنة احدى وثمانين وثمانمائة وألف للميلاد وهو الموضوع فى الجنوب الغربى من الهرم المدرج ويرى حوله كثيب من الرمال والحصباء ناشئ من عمليات الفتح التى حصلت فيه قبل الآن ومن تساقط كسوته الظاهرة التى كانت مصنوعة من حجارة طرا ويرى على ظاهره هيئة الدمار وسقوط الصخور والاحجار وكان عرض قاعدته مائتين

وعشرين

وعشرين قدما وارتفاعه اثنين وستين قدما فتناقصت الآن مقاييسه لما حصل فيه من
الهدم والدمار من أهل الغوايات الذين سعوا فى فتحه لاخذ ما كان مكنوزا فيه حسب
اعتقادهم فلما أزالوا الكسوة الظاهرة وتوصلوا الى مدخله وجدوه مسدودا بالصخور التى
لايمكنهم ازالتها فاضطروا الى فتح كوة معطفة طولها تقريبا سبعة أمتار توصلوا بها الى المدخل
الاصلى وهو عبارة عن طرقة طويلة عرضها متر وستة وثلاثون سنتمتر مكتوب عليها بالمداد
الاحمر أحمد النجار قال ولعله هو الذى أيضا فتح هرم الملك خوفو الموجود بالجيزة مدة المأمون
لرسم اسمه فيه فان صح ذلك كان فتح هذا الهرم سنة عشرين وثمانمائة هجرية ومن تلك
الطرقة يتوصل الى قاعة معدة لاستراحة الزائرين وكان طولها ثلاثة أمتار وتسعة وثمانين
سنتمتر وعرضها مترين وستة وخمسين سنتمتر ثم تمتد من تلك القاعة طرقة أخرى يوجد فى
وسطها ثلاثة حواجز ارتفاع كل واحد منها الآن متر واحد وكانت من قبل مجعولة لسد مدخل
الهرم ثم تنتهى بقاعة وسطى طولها ثلاثة أمتار وخمسة وسبعون سنتمترا وعرضها ثلاثة أمتار
وثمانية سنتمتر وفيها طرقتان احداهما على اليمين والاخرى على اليسار فالتى على يمين الداخل
طولها متر وخمسون سنتمترا وعرضها متر وستة وثلاثون سنتمترا وتفضى الى حجرة طولها سبعة
أمتار وتسعة وعشرون سنتمترا وعرضها ثلاثة أمتار وخمسة عشر سنتمترا قال ولما فتح الهرم
لم يوجد به شئ سوى تابوت الملك المتخذ من المرمر الاسود وغطاؤه ملقى بعيدا عنه وذراع الملك
الايمن وعظم ساقه وبعض قطع من أكفانه ويرى فى وسط هذه الحجرة حفرة كبيرة كان
حفرها اللصوص للبحث عن دفائن كنوزية والتى على يسار الداخل مقاسها كالطرقة السابقة
وتوصل الى طرقة أخرى فتقطعها فى وسطها وطولها ستة أمتار وثلاثة وتسعون سنتمترا وعرضها
متران وخمسة وثمانون سنتمترا وجانبها الشرقى مقسم بفاصلين الى ثلاثة أقسام كل فاصل بارز
فى الطرقة بمقدار متر وخمسة وعشرين سنتمترا ويرى على حجرات هذا الهرم نقوش
هيروغليفية محفورة فى حيطانه ترجمها جناب ماسبرو مدير الانتيقخانة الان فى كتاب مخصوص وهى
عبارة عن أدعية اعتاد قدماء المصريين كتابتها فى القبور قال وقد أعرضنا عن درج ترجمتها
هنا لعدم أهميتها وهذا الهرم معد الآن للفرجة اه بنصه ومات الملك أوناس بعد أن
حكم ثلاثا وثلاثين سنة (قال بعض الكتاب) وقد اتضح من الصحيفة المصرية القديمة
المحفوظة الآن فى متحف تورينو بايطاليا ان الملك أوناس المذكور كان المتمم للقسم الاول من
طائفة الفراعنة وان ملوك هذا القسم الذين حكموا مصر على عمود التعاقب من عهد ﴿ منا ﴾
الى أوناس المذكور كانوا من نسل ﴿ منا ﴾ وبعد موت الملك أوناس انقرضت ذرية ﴿ منا ﴾
ونسله كما حققه بعض المؤرخين وقال آخرون بل ان الملك ﴿ تتا ﴾ أحد ملوك العائلة
السادسة هو آخر نسل الملك ﴿ منا ﴾ ولكل وجهة وبانقراض هذه العائلة أى الخامسة
قامت بعدها العائلة السادسة التى كانت قاعدة ملكها جزيرة أسوان

الفصل السادس

﴿ فى العائلة السادسة التى قاعدتها ﴾

﴿ جزيرة أسوان ﴾

كان ابتداء ملك هذه العائلة سنة ثلاث وسبعمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتا سنة وثلاث سنوات وعدد ملوكها ستة أولهم الملك آتى الذى يقال له أتوس وشريكه الملك تتا

(فى الملك آتى والملك تتاشريكه)

كان الملك ﴿ آتى ﴾ المذكور قبل ولايته حاكما على الاقليم القبلى ويقال انه كان من جزيرة أسوان وقيل انه من العرابة المدفونة وأما الملك ﴿ تتا ﴾ فكان حاكما على الاقاليم البحرية فعدّهما أصحاب التاريخ لذلك كملك واحد لحكمهما فى وقت واحد وقد كان ﴿ تتا ﴾ المذكور آخر من ولد من الملوك بمدينة منف كما قاله بعض المؤرخين وقال آخرون ان الملك ﴿ آتى ﴾ هو رأس العائلة السادسة المذكورة وأول ملك منها حكم البلاد وقد بنى له هرما سماه ﴿ بابو ﴾ ومعناه هرم الارواح وجلب اليه الاحجار من وادى الحمامات فى السنة الاولى من حكمه وعين لهذا العمل رئيسا اسمه ﴿ احى خفا ﴾ والامير ﴿ تحوت اربنى ﴾ وملاحظين اسم الاول منهما ﴿ أبي ﴾ والثانى ﴿ بتاح انكيو ﴾ ومائتين من العساكر ومائتين من العمال ومثلهم من أهل الصناعة وشيده على نحو ماأراد وأما الملك ﴿ تتا ﴾ فقد بنى له هرما آخر وسماه ﴿ ددستو ﴾ ومعناه أمتن المحال صلابة ولقبه بابن الشمس قال أصحاب التاريخ ولم يسبقه بهذه التسمية أحد فى هرمه قال مانيطون المؤرخ ومات بعد أن حكم ثلاثين سنة قتله عساكره فتولى بعدموته وموت ﴿ تتا ﴾ شريكه المذكور ﴿ مريرع ﴾ الذى يسميه مانيطون باسم فيوس

(فى الملك مريرع)

﴿ الذى يسمى أيضا ﴾

(فيوس)

تولى مريرع المنصب الملوكى فجعل تحت حكمه جزيرة أسوان كما فعل الملك ﴿ آتى ﴾ سلفه

فانحط لذلك قدر مدينة منف وأخذت بهجتها فى الزوال وظهرت عليها جزيرة أسوان وكان مريرع المذكور عاقلا محبا لتقدم البلاد وعمرانها فاستوزر رجلا اسمه (اونا) قال العلامة ده روجيه وكان (اونا) هذا فى أول أمره رئيس كهنة الملك (تتا) وكان مسموع الكلمة عنده فقلبه فى أكبر الوظائف وأعلاها وقد كان رباه فى بيته فلما تولى الملك مريرع استوزره وسلمه مقاليد الامور ورسم له بالذهاب الى طرا ليبحث له هنالك على صخرة بيضاء يصنع منها تابوتا لجثته فتوجه (أونا) المذكور وأتى اليه بالصخرة فزاد عنده قبولا وأخذ من هذا الحين يزيد فى ترقيه حتى ولاه نظارة أشغاله فاحسن التدبير وفرح المصريون بحسن سياسته ووجه الملك مريرع عنايته الى استكشاف المعادن فرتب لها الملاحظين والعمال حتى كثرت محصولاتها وزادت عما كانت عليه قبل أيامه وفتح طريقا مخصوصا فى الصحراء من قفط الى البحر الاحمر تسهيلا للمسافرين وفتح طريقا أخرى فيها للتجارة واختط مدينة جديدة فى مصر الوسطى وأصلح معبد (حاتحور) الذى بدندره حتى أعاده الى ما كان عليه وكانت الحوادث قد دمرته فى العصر القديم ولقب نفسه بابن (حاتحور) وأدرج هذا اللقب مع اسمه فى خانة ملوكية وخرج عليه أهالى النوبة وقبائل الشام المسماة (عمو) وقبائل هيروشا القاطنون أيضا فى جنوب بلاد الشام وكانوا أهل قوة ومنعة فركب اليهم وغزاهم وتغلب عليهم وأرجعهم الى الطاعة قال صاحب العقد الثمين وتفصيل ذلك منقوش على لوحة (اونا) الحجرية وهو وزيره وتعريبها ملخصا من كتاب العلامة ده روجيه

(ان جلالة الملك بيبى) وهو لقب الملك مريرع جيش جيشا عظيما من كافة أرجاء مصر ومن بلاد ارمنت ومن بلاد العبيد وهى أمام (واوات) (وكاوو) (وعمام) وأرسل (اونا) على هذا الجيش بعد أن رتبه وعلمه بمشاهير رجال دولته فتوجه به (اونا) الى قتال الحروشعيين وغزاهم وهدم حصونهم وقطع أشجارهم ودواليهم وحرق زرعهم وقتل من عساكرهم ألوفا عديدة وأسر جما غفيرا من رجالهم ونسائهم وأطفالهم ورجع بجيشه سالما منصورا من غير ضرر ففرح به الملك فرحا كبيرا واستعمل الاسارى فى أشغاله وباع العبيد منهم وقال (اونا) انى توجهت خمس مرات بهذا الجيش المجند الى قتال بلاد (حروشع) وقهرت عصاتهم ثم عصاة بلاد (تجع) التى هى على شمال حروشع فسرت اليهم بهذا الجيش وقاتلتهم قتالا شديدا حتى أهلكت جميع عصاتهم وبهم انتهت الحرب وانقادت لاوامر الملك جميع البلاد قال ولما تمت هذه الغزوات نلت عند الملك مزيد الشرف والقبول وتكرم علىّ بعدم خلع نعالى عند دخولى فى القصر عليه وتمثلى بين يديه اه

وعادت بعد ذلك الراحة الى عموم البلاد وخضعت أهالى النوبة والليبيا وجهات آسية المتاخمة للدلتا وبلاد الحبشة واسترجع هذا الملك الى ملكه جبل الطور وقد كانت ضمته اليها بلاد آسية على عهد من سلفه امن الملوك وملأ ديار مصر بالآثار العظيمة فكان أعظم ملوك هذه العائلة وبه نالت مصر شهرة عظيمة وراحة كبيرة ومات بعد أن حكم أربع عشرة سنة

وقال مانيطون بل ثلاثا وخمسين فقام بالامر بعده الملك مرنرع الاول الملقب (سوكرمساف) ويسميه مانيطون باسم مثه سوفس الاول

(فى الملك مرنرع)

(أو)

(مثـــــه سوفس الاول)

هو ابن الملك مريرع وكانت أيامه كلها راحة واطمئنانا فقد مهد له أبوه العقبات وأرهب جميع الامم المخالفة المتاخمة لديار مصر فى أيامه فبقيت على الطاعة والسكينة واستوزر مرنرع المذكور وزير أبيه المسمى (اونا) وفوض إليه تدبير المملكة والنظر فى مصالح الرعية وسلم إليه عدة وظائف أخرى مهمة منها ولاية الحكم على الاقليم القبلى بأجمعه وهذا المنصب لم ينله أحد من قبل قالوا ورسم له بان يصنع له هرما وناووسا فأخذ (اونا) السفن ومراكب الحمل مع سفينة حربية وهى أول سفينة حربية صنعت فى ديار مصر وسار الى بلاد (أيبها) والى جزيرة أسوان لجلب الحجارة اللازمة لبناء الهرم والناووس ومنها الى بلاد حانوب المشهورة بجودة الاحجار لاحضار مائدة عظيمة للعاقرة وأتى بجميع ذلك على ظهر النيل وقت فيضانه ولم يسبق لهذا العمل مثيل من عهد الملك (منا) ثم أخذ فى بناء الهرم فما أتم بناءه حتى مات فحضر الملك جنازته ومشى أمامه حتى واروه التراب

(ومات الملك مرنرع) أيضا بعد أن حكم سبع سنين فقام بالامر بعده الملك نفر كارع الذى يسميه مانيطون فيوبس

(فى الملك نفـــــر كارع)

(ويسمى أيضا)

(فيوبس)

(تولى الملك نفر كارع) ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره مايعادل سنى ملكه فقد حكم قرنا كاملا كما رواه مانيطون المؤرخ وتسعين سنة كما دلت عليه الآثار غاية ماقالوه عنه انه رسم باستخراج المعادن من جبل الطور فى السنة الحادية عشرة من ملكه وأنه طرد من كان فيه من القبائل المتوحشة وبنى له هرما سماه (من عنخ) ومعناه دار الحياة فبلغت

مصر فى أيامه من الشهرة واتساع الكلمة وبعد الصيت مبلغا عظيما وبقيت محافظة على حدودها وملحقاتها زمانا طويلا وقد لقبه اليونان (بيى) قال بعض الكتاب وعلى هذه التسمية يكون هو (بيى الثانى) ومات فقام بالامر بعده الملك مرنرع الثانى الذى يسميه مانيطون مثه سوفس الثانى

(فى الملك مرنرع الثانى)

(ويسمى أيضا)
(مثه سوفس الثانى)

(تولى مرنرع الثانى) الملك ولقب سوكرمساف الثانى ولم يستقر به المنصب حتى قامت الفتنة بين أهل البلاد واضطرمت نارها وارتفع لهبها فقاموا عليه وعصوه وقتلوه فكان خامس ملوك هذه العائلة وكانت مدة حكمه سنة واحدة فقامت بالامر بعده أخته وزوجته الملكه نيتوقريس التى تسمى أيضا ليوتوقريس

فى الملكة نيتوقريس

كانت هذه الملكة من أجل نساء عصرها وأشهرهن فضلا وكمالا وهى أخت وزوجة الملك مرنرع الثانى ولقبها مانيطون المؤرخ فى تاريخه بموردة الخدين قالوا ولما استقر بها المنصب عمدت الى الاخذ بثأر أخيها الذى هو زوجها من قاتليه وقد كانوا بعض رجال الدولة فاحتالت عليهم وجذبتهم الى قصر لها تحت الارض بقرب النيل بدعوى وليمة أعدتها لهم فلما جلسوا للطعام أمرت بانسياب النيل عليهم فغرقوا جميعا وماتوا ويقال انها ألقت نفسها بعد ذلك فى محل ممتلئ برماد فماتت فيه حتى لاتكون عرضة للعقاب وكانت مدة حكمها اثنتى عشرة سنة قالوا وفى أيامها أتمت الهرم الثالث الذى تركه الملك منكورع ناقص البناء وعظمت بناءه وكسته من الخارج بحجر الصوان واتخذت لها منامة فى وسطه بأعلى الحجرة التى دفن فيها الملك منكورع من قبلها بثمانمائة سنة

وفى عهد هذه العائلة تقدمت صنعة التصوير والنقش واتسعت وأتقنت غاية الاتقان وكانت قبلها فى حالة واحدة متشابهة وانتشرت عبادة المعبود ازوريس وعمت جميع الانحاء وقد كانت قبلها قليلة الا فى بعض المدن وانتهت سنو ملك العائلة المذكورة بموت الملكة نيتوقريس التى كانت آخر ملوكها وقامت بعدها العائلة السابعة والثامنة المنفية والتاسعة والعاشرة الاهناسية على الترتيب الآتى بعد

الفصـــل السابع

(في العائلة السابعة والثامنة المنفية)
(والتاسعة والعاشرة الاهناسية)

(قال أصحاب التاريخ) لم يتأت لاحد من جماعة الكتاب الاهتداء الى معرفة أخبار ملوك هذه العائلات ولا معرفة شئ من أخبارها فان هذا الدور وهو الممتد من آخر الدولة السادسة الى أوائل الدولة الحادية عشرة يعدّ من أشكل أزمان تاريخ مصر وملوكها ويقدر بنحو أربعمائة وثلاثين سنة حتى ان مانيطون المؤرخ المصري لم يتعرض لذكر أسمائهم ولم يأت على شئ من أخبارهم قالوا والغالب أنه الى ذلك الحين لم تكن لتهتدى جماعة الكتاب على الجهات التى توجد فيها آثار هذه العائلات الاربع المذكورة (قال صاحب العقد الثمين) وهذا القول هو الارجح ويؤيده ماذكره مريت باشافى تاريخه من أنه يوجد بوجه الظن لهذه العائلات آثار فى نواحى ميدوم والفنت واهناس المدينة وفى سائر المنطقة الارضية التى فى مدخل وادى الفيوم قال غيرأننا الى الآن لم نطلع عليها ولم نقف على حقيقتها وماورد عن مانيطون فى هذه العائلات الاربع هو أن العائلة السابعة كانت قاعدة حكمها مدينة منف وملوكها خمسة من غير أن يعين أسماءهم وكانت مدة حكمهم خمسة وسبعين يوما وفى رواية سبعين يوما وفى أخرى سبعين سنة وقد ذكر بعض الكتاب ابتداء ملكهم فقال ملكوا سنة خمسمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة اثنتين وعشرين ومائة وأربعة آلاف قبل الهجرة والذى وجد من أسمائهم فى ورقة تورينو أربعة وهم نفر كارع وقد حكم سنتين وشهرا ويوما ونفروس وقد حكم أربع سنين وشهرين ويوما وآخر ومحل اسمه مقطوع من تلك الورقة وقد حكم سنة واحدة وثمانية أيام

وان العائلة الثامنة كانت قاعدتها مدينة منف وملوكها سبعة وعشرون ملكا وفى رواية تسعة عشر وقيل تسعة وقيل خمسة ملوك ومدة حكمهم مائتان واثنتان وأربعون سنة وفى رواية مائة سنة وان ابتداء ملكهم كان سنة خمسمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة اثنتين وعشرين ومائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وان العائلة التاسعة كانت قاعدة ملكها اهناس المدينة المتاخمة لمدينة بنى سويف على شاطئ بحر يوسف وملوكها تسعة عشر وفى رواية أربعة لم يعلم منهم سوى ملك واحد واسمه (اكتوس) وكانت سنو ملك هذه الدولة مائة سنة وتسع سنين وقيل مائة سنة وكان ابتداء ملكهم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ثمانين وتسعمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وان العائلة العاشرة كانت قاعدتها اهناس المدينة أيضا وعدة ملوكها تسعة عشر وسنو ملكهم مائة

وخمس وثمانون سنة وكان ابتداء حكمهم سنة تسع وأربعين ومائتين وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة احدى وسبعين وثمانمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة قالوا وقد وجد بعض أسماء ملوك هذه العائلات الاربع منقوشا على لوحة حجرية فى هيكل سيتى الاول بالعرابة المدفونة (قال صاحب العقد الثمين) ومرتب فى هذا الجدول على الصورة الآتية

نمر الملوك	اسماؤهم	ألقابهم	نمر الملوك	اسماؤهم	ألقابهم
٤٠	نتركارع		٤٩	نفركارع	ترل
٤١	منكارع		٥٠	نفركاحور	بيبي‌سنب
٤٢	نفركارع		٥١	نفركارع	
٤٣	نفركارع	نبى	٥٢	نفركارع	عنو
٤٤	ددكارع	شما	٥٣	كورع	
٤٥	نفركارع	خوندو	٥٤	نفركورع	
٤٦	مرنحور		٥٥	نفركوحور	
٤٧	سنفركا		٥٦	نفراركارع	
٤٨	رعنكا				

قال وهذا أصح ترتيب وجد لاسماء ملوك هذه العائلات وكان سبب انقراض العائلة السابعة والثامنة هيجانا داخليا استمر نحو مائة وخمسين سنة ثم بعدها ظهرت العائلة التاسعة والعاشرة من اهناس المدينة التى كانت تسمى قديما (خيننسو) وتسميها اليونان (هيرقليوپوليس) وهى على قيد ثلاثين فرسخا من منف وكان موقعها جهة الغرب فى جزيرة عظيمة أحدثها فرع النيل الذى كان جاريا اذ ذاك تحت سفح جبل ليبيا ولم تكن اهناس المذكورة دار سياسة والذى أشهرها ملك يدعى (أخيثوس) مذكور اسمه فى كتب اليونان أنه من هذه العائلات وكان رجلا جبارا متمردا ظلوما فأصيب فى آخر أيامه بالجنون ثم ابتلعه تمساح كما رواه هيرودوتس المؤرخ وكانت مدة حكم هاتين العائلتين ستمائة وقيل ثلثمائة سنة ولم يذكر أصحاب التاريخ ان كان حكمها عم ديار مصر جميعها أو تناول بعضها قالوا وانما قد تحقق من الآثار أنه حصل بين الملكين المتممين للعائلة العاشرة وبين أمراء طيبة بالاقاليم القبلى محاربات انتصر فيها الامراء على الملكين المذكورين ثم تعاهدوا على ترك الاقاليم القبلية للامراء المذكورين بشرط أن يحكموا بالتبعية لملوك اهناس المدينة ولكن لم يلبث الامراء طويلا حتى خرجوا وجعلوا لهم عائلة أى دولة مخصوصة هى الدولة الحادية عشرة وأقاموا عليهم انتف الاول واليا يحكم بالتبعية لملوك اهناس المدينة وانتف هذا هو رأس هذه العائلة انتهى ببعض تصرف

الفصل الثامن

﴿ فى العائلة الحادية عشرة الطيبية ﴾

كان ابتداء حكم هذه العائلة سنة ثلاثين ومائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة خمسين وسبعمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وكان عدة ملوكها ستة عشر ملكا لم يشتهر منهم بالاخبار سوى تسعة وكانت مدة حكمهم ثلاثا وأربعين سنة ولكنهم كانوا تابعين لملوك اهناس المدينة ولذلك لم تتوسع جماعة الكتاب فى ذكر مآثر كل واحد منهم الا الملك ﴿ منتوحتب ﴾ الرابع ﴿ ومعنخ كارع ﴾ قال صاحب العقد الثمين قد كانا ملكين يحكمان بالاصالة اه وأول من ملك من هذه العائلة الملك انتف الاول

(فى الملك انتف الاوّل)

﴿ الذى يقال له أيضا ﴾
(انتف عا الاول)

هو رأس ملوك الدولة الحادية عشر وقد حكم البلاد بالتبعية لملوك اهناس المدينة ولذلك لم يدرج اسمه داخل خانة ملوكية كالفراعنة لانه لم يكن أصيلا بل كان واليا على الاقليم القبلى وكان ملكا مهيبا جليل القدر ذا شوكة عظيمة وله هرم على ضفة الصحراء فى الجهة المعروفة الآن بذراع أبى النجا بمديرية قنا مبنى بالطوب اللبن وجعل فى وسطه ضريحا كساه بالحجر الأبيض وأتقنه غاية الاتقان قالوا ووجد أهل تلك الناحية جثته داخل هذا الضريح موضوعة فى تابوت غطاؤه مطلى بالذهب وعليه اسمه ولكنه فقد

قال صاحب العقد الثمين وكذا وجد فى داخل الضريح حجر مؤرخ فى السنة المتممة للخمسين من حكمه وعليه رسم صورته وعلى رأسه تاج الثعبان وبجانبه أربعة كلاب كان يحبها مدة حياته وكان له ولد يدعى (منتوحتب الاول) لقب فى أيام أبيه بولى العهد وحكم البلاد القبلية تحت سلطة ملوك اهناس المدينة فلما مات أبوه تولى الحكم بعده ووضع اسمه فى خانة ملوكية اه ولم تصل جماعة الكتاب الى معرفة شئ من أخباره ثم مات فقام بالامر بعده (انتف عا الثانى) ولم يوجد له أثر يذكر غير تابوته الذى صار العثور عليه فى جهة الأصاصيف بقرب ذراع أبى النجا ثم مات

فقام بالامر بعده منتوحتب الثانى ومات ولم يقف أحد من الكتاب على شئ من أخباره

فقام بالامر بعده انتف الثالث ولم يوجد له أثر يذكر ومات

فقام بالامر بعده منتوحتب الثالث وله صورة منقوشة على أثر فى جزيرة الكنوز القريبة من قصر أنس الوجود على شكل مقاتل منصور على ثلاث عشرة أمة أجنبية متوحشة وبجانبها نقوش معناها أنه يعترف بالمعبودة «نخم» معبودة قفط التى كانت يومئذ محصنة بالحصون والقلاع للدفاع عن وادى الحمامات وكانت مستودع الذهب والحجارة النفيسة التى كانت تستخرج من ذلك الوادى وكان بينها وبين بلاد العرب علاقة تجارية وقد زادت هذه العائلة بهجتها ورونقها بما أحدثته فيها من المبانى والعمائر العظيمة قالوا «ولمنتوحتب» هذا نقوش فى وادى الحمامات منها ذكر والدته المسماة «أتم» ومنها حثه الناس على الاهتمام باستخراج المعادن النفيسة من هذا الوادى ومنها أنه حفر بئرا فى وسطه عمقها عشرة أذرع مصرية سبيلا للواردين

(قال صاحب العقد الثمين) ووجد له أيضا فى هذا الوادى نقوش مؤرخة فى اليوم الخامس عشر من شهر بابه سنة اثنتين من حكمه يذكر فى أولها توسلات للمعبود «خم» ثم يقول فيها لرجل اسمه «أمنمحعت» انقل تابوتى وغطاءه من هذا الوادى الى طيبة فتقرب هذا الرجل أوّلا بقربان الى معبوداته ثم جمع ثلاثة آلاف رجل على هذا التابوت وأنزلوه فى سفينة على ظهر النيل حتى أوصلوه الى طيبة اه فلما مات قام بالامر بعده «انتف الرابع» وكان ذا تدبير حسن وسياسة حازمة فما زال حتى نزع الاقليم القبلى من ملوك اهناس المدينة واستقل بالحكم عليه وأخضع أيضا أهل آسيه الشمالية (قال ماسپرو) وقال انى استوليت على الوجه البحرى أيضا ولكن لاصحة لقوله لوجود ملوك اهناس المدينة المتأصلين فى الوجه البحرى اه وله آثار أخرى ومات فدفن فى ذراع أبى النجا

وقام بالامر بعده «منتوحتب الرابع» ولقبه «نبخردع» فلم يستقربه المنصب حتى ركب على ملوك اهناس وأخذ يقاتلهم ليستخلص منهم الوجه البحرى ومازال على قدم الحرب والقتال حتى ظفر ونزعه منهم واستبد بملك مصر وادعى أنه المؤسس لهذه العائلة وابتنى لههرما سماه «خوستو» ومعناه أبهى الاماكن لم يعلم محله وانما استدل على اسمه من حجر وجد فى العرابة المدفونة لكاهن كان خادما فيه ثم مات «منتوحتب» هذا

فقام بالامر بعده «سعنخ كارع» فلما استقربه المنصب سهل المواصلات ومهد العقبات التى كانت بين بلاد العرب وديار مصر ونقش على حجر فى وادى مغارة نقشا ذكر فيه ماترجمته عن شاباس

(يقول حنو) أرسلنى الملك لأوصل السفن الى بلاد العرب ولأحضر له الصمغ ذا الرائحة الذكية . يعنى البخور الذى جمعه رؤساء الصحراء للملك خوفا منه لان رعبه عم جميع الامم فتوجهت من قفط ومعى جنود من جنوب طيبة يخفرون التجريدة المرسلة لمقاتلة

الاعـداء فى بلاد العرب وعـددها ثلاثة آلاف رجل وكان معى أيضا نحاتون وعمال وضباط فرت بالكفر الاحمر ثم بأرض مزروعة وأعـددت معى قربا وآلات لحل زلع الماء وكانت عشرين زلعـة فصارت تحملها الرجال مع النناوب وحفرت أربعـة أحواض أحـدها كان فى غاية متسعة ومقاسه اثنتا عشرة قصبة واثنان فى محل يدعى (اتاحتت) مقاس أحدهما قصبة واحـدة وعشرون ذراعا ومقاس الآخر قصـبة وثلاثون ذراعا ورابعها كان فى جهة تدعى (آتب) طوله عشر قصبات فى مثلها وعمقه ذراع واحد ثم وصلت الى سبا وأنشأت هنالك سفنا لنقل المحصولات من مين البقيع ورجعت من سبا الى (والئ) و (رهان) فأحضرت منهما الحجارة النفيسة لتماثيل المعابد ولم يحصل مثـل ذلك من قبل وكذا لم يعهد أن أحـدا من أقارب الملوك أرسل الى تلك الجهات غيرى وانما فعلت ذلك لفرط محبة الملك لى اه (قال شاباس) المترجم لهذه الحكاية ان (حنو) هو أول من فتح الطريق الموصل من قفط الى بلاد العرب بأمر الملك (سعنخ كارع) وجعل فيها خمس محطات وعيونا للماء فكانت سببا لترتيب المواصلات فيها وسـلوكها بالقوافل التى كانت تأتى بالبضائع والسـلع من بلاد الهند والعرب الى مصر واستمر هذا الطريق كذلك الى عصر اليونان والرومان

وكان المصريون يطلقون على حضرموت واليمن اسم (پون) فاستعار العرب هذا الاسم ووضـعوه للقهوة المعروفة بالبن وصار علما لها الى يومنا هـذا (قال مريت باشا) وقد وجد فى ذراع أبى النجا جمـلة من آثار هذه العائلة يرى عليها علامات الغلط وهى عدة ألواح حجرية مستديرة من أعلاها وبعض أمتعة وأوان وفاكهة وخبز وملبوسات وشئ من أثاث البيوت والاسلحة وآلات الصناعة وكل ذلك محفوظ بخزانة التحف ببولاق قال وقد اصطلح أهل هذا العصر على أنهم يرسمون فوق توابيت موتاهم أشكالا بأجنحة على هيئة الطيور ويلونونها بألوان مختلفـة باهرة اشارة إلى ما كان من جـملة عقائدهم الدينية من أن احدى معبوداتهم المسماة (آزيس) كانت تحنو على أخيها (آزوريس) بالتجنيح عليه بذراعيها فشبهوا الميت بآزوريس ووضعوا صورته على توابيت الموتى قال والى الآن لم يستوعب جميع آثار هذه العائلة اه

(قال مانيطون المؤرخ) وضـعفت شوكة من قاموا بالامر بعد الملك (منتوحب الرابع) وزال بأسهم وتقهقروا فكان ذلك سببا فى انتقال الملك منهم الى العائلة الثانية عشرة بعد أن ظلوا قابضين على زمام حكم البلاد نحو ثلاث وأربعين سنة اه قلت فانتهت الطبقة الاولى بانتهاء هذه العائلة وظهرت الطبقة الثانية بدور جديد ومظهر مفيد فزادت البلاد فى أيامها بهجة وعمرانا والعلوم والصنائع تقدما واتقانا كما سيذكر فى محله

الباب الثانى

(فى الطبقة الثانية)

(قال أصحاب التاريخ) كان ظهور الطبقة الثانية من ملوك مصر فى سـنة أربع وستين

وثلاثة

وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ست وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وعدة من ملك منها ست عائلات من العائلة الثانية عشرة الى اخر العائلة السابعة عشرة وفى رواية من الحادية عشرة الى الثامنة عشرة والاولى أرجح * وكانت سنو ملكها ألف سنة وثلثمائة واحدى وستين سنة

الفصل الاول

(فى العائلة الثانية عشرة الطيبية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة أربع وستين وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة ست وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها مائتان وثلاث عشرة سنة وقد اتخذت قاعدة مملكتها مدينة طيبة فلما استتب لها الامر عملت على توحيد حكومة البلاد وجعلها مملكة واحدة تحت حكم ملك واحد وقد كانت الى هذا الحين منقسمة الى حكومات مختلفة حاكمة فى وقت واحد فنجحت وفازت وصارت البلاد كلها فى أيامها مملكة واحدة وكان عدة ملوكها ثمانية أولهم الملك امنمحعت الاول الملقب سحب أبرع وهو الآتى ذكر أخباره بعد

فى الملك امنمحعت الاول

لما ارتقى امنمحعت الاول سرير الملك نهض الى قتال الاعداء الذين كانوا يشنون الغارة على البلاد وقد كانوا أحزابا من سكان ليبيا والنوبة وآسية اجتمعوا على قتاله فقاتلهم حول قلعة تانوى التى كانت غربى مدينة منف ومازال بهم حتى انتصر عليهم وتغلب وأخذ منهم منف وتعقبهم حتى طردهم عن البلاد وعاد غانما قال صاحب العقد الثمين ولما طرد هؤلاء الاحزاب واستتبت الراحة فى عموم مصر قال مقالة مكتوبة فى ورقة سالير تعريبها

فرجت عن الحزين حزنه فلم يسمع أنين صوته وانطفأت بهمتى نار الحروب وزالت الثورات والكروب وكان الناس من قبلى كثور يضرب وهو لا يشعر بماض ولا آت ولم يكن للجاهل والعالم راحة فى جميع الحالات ووسعت الفلاحة الى جزيرة أسوان ونشرت علائم الافراح الى روضة يحيط بها البحران واقترحت فى ملكى ثلاثة أصناف من الحبوب وأحييت (تبرا) أعنى إله الحب المحبوب كيف لا وقد فاض النيل من جدواى على جميع الارض فلم ير من جائع فى مدتى ولا من ظمآن تحت سلطتى وما هذا الا لامتثال الرعية أوامرى واستماعهم كلمتى وتمسكهم بافكارى فلهذا قهرت السبع وقطعت دابر التمساح وظفرت بأقوام (واواى) فنعم هذا الفلاح وأخذت (المتاشيو) أسارى وألزمت أهل آسية السير بجانبى كالأرانب حيارى اه

قال وكان لهـذا الملك العاقل ولد زكى فلما آنس منه رشدا صار يخبره بأحواله وطباعه فى الحروب وغيرها وهذه ترجمة ماقاله لابنه فى ورقة سالير متى جن الليل * استغرقت ساعة فى السرور ثم تمددت على فرش لينة بقصرى وتهيأت للراحة لتأخذنى سنة النوم وهكذا عادتى فاذا عصتنى جماعة وتظاهرت علىّ بالعدوان أظهرت لهم أولا الضعف كالثعبان البرى ومتى تهيأت لقتالهم لم أجد أحدا منهم يقاومنى فى القتال وبذلم تنبنى نائبـة طول عمرى واذا انتشر الجراد وأضر بالعالم أوأضمر أحد احداث الشقاق فى قصرى أوكانت زيادة النيل غير كافيـة أونضب الماء من الصهاريج كنت أجتهد فى اصلاح ذلك اه

وقد اعتنى امنمحعت المذكور فى استخراج الذهب من النوبة وكان قد أهمل أمره من عهـد الملك ((بيى)) وقاتل بعض طوائف الزنوج وأدخلهـم تحت الطاعـة وغـزا بنى ((واواى)) وقـد كانوا من ألد أعداء المصريين من قديم الزمان ولكنهم لم يلبثوا أن فارقوا أوطانهـم ونزحوا عنها تخلصا من خضوعهـم اليه قال بركش . ان سواحل المنزلة الشرقية التى كانت معمورة بأخلاط من المصريين ومن قبائل آسية كانت كافيل خارجة عن حكمه وقد شيد لنفسه هرما سماه (كانفر) اى الهرم العالى الجيـل وبنى هيكلا عظيما لمعبودات منف فتنافس من أتى بعده من الملوك فى توسيعه وتحسينه وبالغوا فى ذلك * ثم بعد استقلاله بالملك عشرين سنة أشرك معه فى الحكم ابنه المدعواوسرتسن الاول وكتب ذلك فى صحيفة وجدها ساليروتعريب مافيها

رفعتـك يابنى من بين الرعيـة وأطلقت لك التصرف كى يخافوك ويهابوك أما أنا الآن فأتزين برفيع الاقمشة لأظهر للعيون كنبتة من نبت بستانى وأعطر نفسى بالعطريات الكثيرة كأنما أنثر علىّ ماء من صهاريجى اه

وكانت مدة مشاركة ابنه له فى الملك عشر سنين من غير منازعة بينهما فظهر ابنه بين الرعية بمظهر أطفأ مظهر أبيـه واتسعت كلمته وعلت شهرته وكان للملك امنمحعت كتاب بين فيه قصة حياته وكان نفيسا جدا حسن العبارة فتداول تعلمه أهل المدارس القديمة وتنافسوا فى ذلك وكان مانيطون يسميه باسم أفنمس ومات بعد أن حكم ست عشرة سنة وفى رواية ثلاثين سنة فانفرد بالامر بعده ابنه أوسرتسن الاول الملقب خير كارع

(فى الملك أوسرتسـن الاول)

لما مات الملك امنمحعت استبد ولده أوسرتسن بالملك فكان ملكا جليـل القـدر عالى الهمة محبوبا استمال اليـه قلوب الرعية بمظهره العظيم وهو صاحب المسلة الكبيرة المنصوبة بالمطرية وقد كانت أمام هيكل الشمس المدعو أونم تعظيما لهذا الهيكل لما كان له من الشهرة الواسـعة وكانت تؤمـه النـاس فى كل وقت لأداء شـعائر دينهم وصنع بجانبها مسـلة أخرى

ولكنها

ولكنها تكسرت ولم يبق لها أثر أما الاولى فباقية الى يومنا الذى نحن فيه وعليها نقوش بالقلم الهرمسى قال صاحب العقد الثمين وملخصها ان الملك المنصور حياة كل موجود سلطان الوجه القبلى والبحرى خبر كارع صاحب التاجين وسلالة الشمس أوسرتسن المحب لمعبودات المطرية دام بقاؤه صنع هذا الاثر فى مبدإ العيد الرسمى لتخليد ذكره واحياء لهذا العيد اه قال ماسبرو وكان هذا اليوم يعنى يوم العيد الرسمى محترما عند المصريين حتى ان الملك أوسرتسن الاول نصب فيه المسلتين المذكورتين فى مدينة المطرية وكانت هذه المدينة محدقة بصور وفيها أصنام هائلة بين قائم على قواعد وقاعد على نصبات عجيبة طول كل صنم منها ثلاثون ذراعا وأعضاؤه على تلك النسبة ووجد أيضا بجوار قرية بجيج جهة الفيوم لهذا الملك مسلة ثالثة عليها نقوش تتضمن أنه نصبها تعظيما لمعبودات الفيوم أمام باب هيكل قد دمر الآن قال وكان فى عصره رجل اسمه (امنى) قد بنى له مقبرة فى بنى حسان مكتوبا عليها مناقبه وملخصها . ان ((امنى)) هذا مات اليوم الرابع عشر من بؤنة سنة ثلاث وأربعين من حكم الملك أوسرتسن الاول وقد كان سافر مع الملك فى البحر والبر لقيادة الجيش المرسل لقتال الاعداء فى جهتى (كنت) ((وأنو)) ببلاد الايتيوبيا فتغلب عليهم وظفر بهم وعاد معه سالما ثم أرسله الملك ثانيا بأربعمائة رجل لجلب سبائك الذهب من تلك الجهة فلما أحضرها غمره باحسانه ثم عينه ثالثا لتوريد البقر الحلوب للقصر الملوكى فقام فى تحصيل ذلك خير قيام ثم جعله ناظرا على قسم ((سعح)) الذى كان شرقى المنية فلم يظلم فى حكمه فقيرا ولا أرملة ولا صيادا ولم يطرد راعيا ولم يسخر فى أعماله أحدا بل سقى العطشان وأطعم الجوعان ولما حصلت فى زمنه السنون المجدبة اجتهد فى زرع جميع أرض قسمه وأطعم سكانه وجلب لهم المأكولات فلم يجع أحد منهم وكان يسوّى فى العطاء بين الأرملة والمتزوّجة وبين الكبير والصغير ولما وافت زيادة النيل أخذ كل زارع محصول أرضه من غير أن يأخذ منه (امنى) شيأ اه

(ورأى أهل التاريخ) أن هذه الرواية قريبة من قصة يوسف عليه السلام فظنوا أن أوسرتسن الاوّل هذا هو فرعون يوسف الذى وقع القحط فى أيامه لاهل مصر وعندى أن هذا الظن بعيد عن الصواب لان مدّة يوسف بن يعقوب لاتوافق هذا العصر واعتنى هذا الملك أيضا باستخراج الاحجار النفيسة من جبل الطور وكان جليل القدر مسموع الكلمة فى تلك الاصقاع وكان من مشاهير عصره أمير اسمه ((منتوحتب)) قال صاحب العقد الثمين وله قصة منقوشة على حجر فى متحف بولاق حاصلها أنه كان ناظر الداخلية والحقانية والاشغال العمومية والديانة وكان عادلا مشرعا عالما فهذب كل أمر فى ديار مصر وأقام شعائر الدين وحامى عن الفقير والعاجز وأعطى الأمان لمن شاء وقاتل أعداء الملك وتغلب على أهل آسية وسكن هيجان الوادى والعبيد وكان له الامر والنهى فى الوجه القبلى والتصرف فى وضع الضرائب على الوجه البحرى وصنع له محرابا ملاصقا لمعبد أزوريس بالعرابة المدفونة وحفر فيه بئرا اه

وقبل موت أوسرتسن هذا رسم لمهندسه المسمى مرى أن يبنى له مقبرة فبناها وجعل بداخلها أودا بطرقات مقامة على أعمدة وجعل فيها حوضا متصلا بالنيل وعمل لها أبوابا ومسلات ووجهة من حجر طرا الابيض ثم مات بعد أن حكم خمسا وأربعين سنة وفى رواية مانيطون ستا وأربعين وكان مانيطون يسميه سيسونخوسيس فقام بالامر بعده امنمحعت الثانى الملقب تب كورع

(فى الملك امنمحعت الثانى)

لم تذكر جماعة الكتاب عن الملك امنمحعت هذا شيأ من الاخبار سوى ماقاله بعضهم من ان المصريين كانوا فى أيامه فى قتال وحروب هائلة مع طوائف الايتيوبيين بغية توسيع مملكتهم وتقوية حدودها فى تلك الانحاء وان الملك امنمحعت المذكور كان متزوجا بالملكة نفرت ومعناها الجميلة وكان مانيطون المؤرخ يسمى هذا الملك باسم اماغس وقد حكم ثمانيا وثلاثين سنة ومات فقام بالامر بعده الملك أوسرتسن الثانى

(فى الملك أوسرتسن الثانى)

تولى الملك أوسرتسن الثانى فأحسن التدبير وحافظ على حدود المملكة واجتهد فى بقاء شهرتها التى أوجدها أسلافه وقد كانت الحدود يومئذ تمتد الى بلاد الايتيوبيا ومن آثار عصر أوسرتسن الثانى المذكور مقبرة (خنوم حتب) الموجودة فى بنى حسان وعليها أجمل نقوش قال صاحب العقد الثمين وهى مبينة لبعض أحكام الوراثة فى ذلك العصر اذ يفهم منها ان خنوم حتب بن (نحر) وأمه (بوقت) كان قريب الملك وصنع هذا الاثر لتخليد ذكره وذكر مستخدميه الذين عملوا الخيرات وذكر من امتاز من فلاحيه بالدرجة العالية وبين كل صنعة ووظيفة تحت رسم صورته وأخبر أن الملك امنمحعت الثانى أورثه الحكم الذى كان لجده من أمه على البلاد الشرقية بجهة المنية وأورثه أيضا وظيفة الكهانة للمعبودين (حور) (وبخت) التى كانت لجده أيضا بعد أن وضع له الحدود بنفسه فى كل جهة ووزع على الاراضى مياه النيل كما كان جاريا لجده من قبله وسبب توريث الحكم اليه من جده هو ان الملك امنمحعت الاول أمر بتعيين جده رئيسا على البلاد الشرقية جهة المنية وبعد ان مهدها له وأخمد عصيان أهلها وأصلح مادمر منها وبين حدودها بنفسه ووضع عليها الضرائب على حسب المحصولات ووزع عليها المياه كما كان مقررا فى السجل جعل هذا الجد ناظرا على قسم (سعع) بعد أن بين له حدود ومياه ذلك القسم وأنعم على ابنه المرحوم (نخت) برتبة حاكم على مدينة المنية اذ كان له حق الوراثة فيها .

قال

قال ولما تولى الملك أوسرتسن الاول أصدر قرارا مؤيدا للارشد من ذرية الجد برتبة الرئاسة فكانت والدتى ﴿بوقت﴾ هى السابقة فى الترؤس على مدينة امنمعت الاول المسماة سحتب أبرع فى قسم سعح فساغ لها بذلك أن تتزوج بحاكم فتزوجها الحاكم ﴿نحر﴾ والدى وعلى ذلك أورثنى امنمعت الثانى رتبة الرئاسة على مدينة المنية التى كانت لجدى وذلك سنة تسع عشرة من حكمه فعملت مافيه الاصلاح لهذه المدينة وأحييت اسم والدى ﴿نحر﴾ وشيدت المعابد ووضعت تماثيلى فيها ورتبت لها مايلزم للقرابين وعينت لها قسيسا أقطعته أراضى وأخدمته فلاحين ورتبت للاموات الصدقات فى جميع أعيادهم الآتية وهى

عيد السنة الجديدة وعيد رأس السنة وعيد السنة الكبيرة وعيد السنة الصغيرة وعيد آخر السنة والعيد الكبير وعيد الحر الاكبر وعيد الحر الاصغر وعيد خمسة أيام النسىء وموسم ورود المحصولات ومواسم أنصاف الشهور الاثنى عشر وفى كافة أعياد الأحياء ومواسم الأموات وشرطت أنه ان بدل كاهن شيأ من هذه الرسوم فهو معزول عن الخدمة ولاينوب ابنه عنه انتهى

وكان خنوم حتب هذا من كبار المصريين وعظمائهم وكان يؤمه كثير من الناس لكرمه فمن أتى اليه قاصدا بابه عائلته من بنى عمو القاطنين بآسية وكانوا سبعة وثلاثين فرسمهم فى مقبرته بصورة أنهم قيام بين يديه خاضعون يشيرون اليه بالتحية ويسألونه أن يأذن لهم بالاقامة فى جواره ورسم كاتبه المسمى نفرحتب كأنه يعرض عليه ورقة قال صاحب العقد الثمين مضمونها يعنى مضمون الورقة المذكورة * فى السنة السادسة من حكم الملك أوسرتسن الثانى قدم سبعة وثلاثون نفسا من بنى عمو وأحضروا معهم من جهة ﴿بتسو﴾ معدنا يسمى ﴿مسموت﴾ هدية منهم للملك وكان هذا المعدن مرغوبا جدا عند المصريين ولذا كانت عرب البقيع المسماة عمو تأتى به الى أهل مصر اه

قال ويرى على قبر خنوم حتب رسوم دالة على كيفية الفلاحة وأعمال الجهادية وطرق الموسيقى وتربية المواشى ومبينة لصور الملوك والاعيان وملاعيب اللهو وبعض قواعد الاحكام وتدبير المنازل وأثاثاتها وفيها أيضا اعمال دينية وآثار تاريخية وفن الملاحة وعلم الحيوانات قال فمن أراد الوقوف عليها فليتوجه الى بنى حسان وينظر رسمها فى قبر خنوم حتب هذا

وقد استنتج بركش من حكاية خنوم حتب أن الرتب والوظائف والرئاسة فى الاقسام والمدن كانت تورثها الملوك الذكور عن آبائهم وأجدادهم وان الاجنبى كان لاحق له فى الحكم الا اذا تزوج امرأة لها حق الوراثة فيه وأن الملوك كانت تباشر توزيع المياه على الاراضى وتسجيلها فى الدفاتر وضبط مساحتها ووضع الضرائب اللائقة بها وبهذه العادة الجيدة كان يمتنع الظلم والخصومة بين الاهالى اه

ومات الملك أوسرتسن الثانى بعد أن حكم تسع عشرة سنة وقال مانيطون بل ثمانيا وأربعين سنة وسماه باسم تسيسوستريس فقام بالامر بعده الملك أوسرتسن الثالث الملقب خع كارع

(فى الملك أوسرتسن الثالث)

تولى الملك أوسرتسن الثالث فكان شهما مهيبا صاحب عزم وحزم فاتسعت لذلك شهرته وكبرت شوكته وبلغت مبلغا عظيما جدا حتى عبدته الناس بعد موته وقد غزا مرارا طوائف العبيد المقيمين فى جنوب مصر رغبة فى توسيع حدود المملكة وأنشأ فى وادى حلفا بالقرب من الشلال الثانى القلاع والحصون وقد بقى منها قلعتان للآن يعرفان بقمنه وسمنه لمنع دخول الاعداء جوف البلاد وفيهما يرى آثار الاسوار الشامخة والبروج العالية والخنادق والنزلات وغير ذلك قال صاحب العقد الثمين وكان بداخلها معبد وعدة مساكن دمرت الآن وقد عثر على حجرين كانا مجعولين حدا فاصلا لبلاد مصر من جهة الجنوب مكتوب على أحدهما مانصه

هذا حد مصر الجنوبى وضع فى السنة الثامنة من حكم الملك أوسرتسن الثالث مخلد الذكر لايجوز لأىّ أسود أن يتجاوز هذا الحد فى أثناء سفره الاسفنما فيها حيوانات من بقر ومعز وحمير من قبل بنى الأسود اه

وفى آخر هذه الكتابة عبارة مضمونها لايجوز لأى سفينة تابعة لبنى الاسود خالية من الحيوانات المذكورة الدخول أثناء سيرها فى بلاد مصر الجنوبية والكتابة الموجودة على الحجر الثانى يفهم منها ان هذا الملك وضع سنة ست عشرة من حكمه هذا الحجر حدّا فاصلا لبلاد مصر الجنوبية وانه أمر بنصب تماثيله فى تلك الجهة فلهذا ابتهل أهل النوبة بصالح الدعوات الى أوسرتسن هذا بعد وفاته ومدحوه بأنه كان حامى حمى مصر وكان رجلا مقداما ثم بعد مضى خمسة عشر قرنا أعنى فى عصر العائلة الثامنة عشرة شيد له تحوتمس الثالث معبدا فى سمنه وكتب عليه ابتهالات كان يتلوها المصريون فى ذلك الوقت وهذا تعريبها ملخصا* أيها الامراء الذين يحترمون معبودات جهاتهم اذاقربتم من هذا الأثر فاتلوا هذا الابتهال الى معبود النوبة «(تويون)» والى الملك المرحوم أوسرتسن الثالث عسى أن يرحمافلانا اه

وكان أوسرتسن الثالث المذكور كثير التعبد يحترم المعبودات ويشيد لهم الأبنية العظيمة وقد وجد على الآثار من قوله انه فى اليوم الثامن عشر من كيهك سنة أربع عشرة من حكم الملك أوسرتسن الثالث مخلد الذكر ومحب «(خم حر)» معبود مدينة ققط صدر أمر منه بصنع أثر فى وادى الحمامات «(الحرشف)» معبود اهناس المدينة اه وله هرم فى دهشور ثم مات بعد أن حكم ستا وعشرين سنة فقام بالامر بعده الملك امنمحعت الثالث الملقب عنامعت

(فى الملك امنمحعت الثالث)

تولى الملك امنمحعت الثالث فأحسن التدبير وخلد له ذكرا لايمحى بما شيده فى الفيوم

من المبانى الجسيمة والعمائر النافعة وذلك أنه لما كانت ديار مصر وزروعات أرضها بين عاملين هائلين هما الغرق والشرق وكان اذا وقع أحدهما فى احدى السنين كانت الطامة الكبرى على البلاد وأهلها وكان الملك امنمحعت المذكور كبير العناية بأمر مملكته شديد الرغبة فى اسعادها وايرادها موارد الغنى والتقدم نهض الى تلا فى هذه الاضرار وجعل البلاد فى مأمن منها وكان فى الصحراء الغربية من مصر بادية عظيمة تصلح للزراعة وهى التى تعرف الآن بوادى الفيوم وكانت كما قاله بعض الكتاب تتصل بوادى النيل الاصلى بقطعة من الارض كالبرزخ وفى وسطها قطعة أرض مستوية سطحها يضاهى سطح مزارع مصر وفى جانبها الغربى أرض منخفضة متسعة جدا تغمرها مياه بحيرة طبيعية هى التى تعرف الآن ببركة قارون تبلغ من الطول أكثر من عشرة فراسخ فرسم بحفر بركة فى وسط تلك القطعة الارض المستوية وجعلها مستودعا للماء عرفت ببركة موريس فان كانت زيادة النيل ضعيفة فتحت البركة المذكورة فيخرج من المياه المخزونة فيها مايكفى لرى مزارع بادية الفيوم بل سائر أراضى الجانب الايسر من النيل الى البحر الابيض وان كان النيل كثيرا جدا بحيث يخشى منه تكسير الجسور صرف القدر الزائد عن المنافع الى تلك البركة الجديدة فان طفحت فيها المياه انصرف مازاد عنها الى بحيرة قارون بواسطة قنطرة تسد وتفتح بحسب الحاجة

وكان الملك يرسل فى كل سنة قبل ارتفاع النيل جماعة الى النوبة يستكشفون زيادة النيل جهة سمنه وقنه ولذا يرى فى تلك الجهة نقوش بالقلم البربائى معناها على ماروا‌ه جماعة من الكتاب هكذا * الى هنا وصل ارتفاع النيل فى السنة الرابعة عشرة من حكم الملك امنمحعت الثالث خلد ذكره اه

قال العلامة لبسيوس وكان فيضان النيل فى عصر العائلة الثانية عشرة يزيد عن أكثر فيضانه الآن جهة سمنه وقنه ثمانية أمتار وسبعة عشر سنتمترا وان زيادته المتوسطة فى عصر امنمحعت الثالث تزيد على فيضانه الحالى سبعة أمتار اه

قال صاحب العقد الثمين فيتضح لك مما تقدم ان بركة قارون كانت طبيعية وبركة موريس صناعية وكانت الاولى كثيرة الاسماك والثانية يصب فيها ماء النيل من ترعتين وقت زيادته ثم يحجز فيها بواسطة سد فاذا كان وقت الشرق فتح هذا السد فيسقى الاراضى المجاورة لبركة موريس وكانت احدى هاتين الترعتين تتفرع من النيل بجانبه الغربى ثم تجرى تجاه بحر يوسف الحالى وكان باب السد موضوعا فى مجمع الترعتين والترعة الثانية كانت تجرى جهة الشمال وكانت معدة لتوزيع المياه على الارض عند الشرق وكان فى وسط بركة موريس المذكورة هرمان فى كل منهما تمثال جالس فالهرم الاول كان فيه تمثال زوجته المسماة سبك نفرورع وقد وجد رسم هذه الملكة فى صحيفة موجودة بمتحف بولاق وسماها اليونانيون باسم موريس يعنى تلك البحيرة وأصلها (مرى) ومعناها (بحيرة) اذمن عادتهم أن يضعوا حرف السين آخر

أسماء الاعلام عنـدهم فلذا حولوا كلمة مرى الى موريس وقالوا (بحيرة موريس) زاعمين أن موريس هذا اسم لاحد الفراعنة المصريين والحقيقة ليس بشئ قال بعض الكتاب

وأما الفيوم فاصـلها بايوم أوفايوم ومعناه بالهرمسـية بلد البحر ثم عربها العرب فقالوا الفيوم وأطلقوه على نفس الاقليـم تسميـة للارض باسم الماء الذى أخصبها باقـتراح الملك امنمحعت الثالث ومن أعمال هذا الملك السراى الشهيرة باسم لابيرانتا وتسمى بالقلم الهرمسى لابوراحونت ومعناها معبد فم البحيرة وكان ينعقد فيها مجلس الاعيان من كهنة المصريين للمداولة فى أمور السياسة وكان بداخله اثنتا عشرة رحبة متقابلة الابواب ستة على الشمال وستة على اليمين وهـذه العمارة محدقة من الخارج بسور كبير وفيها ثلاثة آلاف أودة منها ألف وخمسمائة فى الدور الاول وألف وخمسمائة فوقها وفيها أيضا ايوانات ورحبات وجميعها مسقوفة بالحجارة ومقامة على أعمدة من الحجر الابيض منتظمة الصفوف وفى آخر هذه العمارة هرم مزين بالرسومات العجيبة والاشكال الغريبة يتوصل اليه بسرداب تحت الارض وفيه قبر امنمحعت الثالث الذى دفن فيه

(وذكر استرابون) أن الاماكن التى داخـل تلك العمارة كانت بعـدد أقسام ديار مصر القـديمة فكان لمنـدوب كل قسم محل مخصوص فيجتمعون فيها إما بأمر من الملك أوعلى مقتضى قانون البلد لكى يتـداولوا فى أحوال بلادهم كوضع الرسوم والاموال وتغيير الملك أوالعائلة وهـذه العمارة موضوعة فى الجهـة الشرقية من بحيرة موريس على ربوة واسـعة مربعـة طولها مائتا متر وعرضها مائة وستون مترا وكانت وجهتها المطلة على بحـيرة موريس مصنوعة من الحجر الابيض فان دخلها انسان ضل عن الطريق ولم يهتد للخروج منها لكثرة أماكنها وأحجارها مجلوبة من وادى الحمامات بدليل ماوجـد على صخور الوادى المذكور من النقوش الدالة على انه فى السـنة التاسـعة من حكم الملك امنمحعت الثالث سار هـذا الملك بنفسه الى هـذا الوادى لجلب الحجارة للعمارة الجارى العمـل فيها بمـدينة الفيوم وصنع تمثالا لنفسـه على شكل جالس ارتفاعه خمسـة أذرع وهو المـذكور آنفا ويرى أيضا فى وادى الحمامات نقوش أخرى تفيد أن الملك أرسل هناك جماعة من المهندسين لمباشرة قطع ونحت الاحجار ولعمل التماثيل المطلوبة له ووجد فيه أيضا نقوش من أعمال بعض رجال دولته يفهم منها أن لهـذا الملك مآثر كثـيرة منها استخراج بعض المعادن من بحيث جزيرة جبـل الطور وأخصها معدن الفيروزج ومنها انه قاتل الزنج وفتح بلادا كثيرة اهـ

ومات الملك امنمحعت الثالث المذكور بعد أن حكم اثنتين وأربعين سنة وقال مانيطون بل حكم ثمان سـنين وكان يسميه باسم أمرس فقام بالامر بعـده الملك امنمحعت الرابع الملقب معت خرورع وأخته الملكة سبك نفرورع

(فى الملك امنمعت الرابع)

وأخته

(الملكة سبك نفرورع)

تولى الملك امنمعت الرابع وأخته الملكة سبك نفرورع معا وحكما بالاشتراك وكانت ولاية أخته بحق الوراثة كالملكة (نيتوقريس) من العائلة السادسة ولم يعلم من أخبارهما شئ يذكر غاية ما كتبه أصحاب التاريخ أنه قد استدل من الآثار على أن حدود المملكة المصرية كانت تمتد فى عصر هذه العائلة الى بلاد النوبة وكانت ملوكها متسلطة على بحيث بجزيرة الطور وكان بين المصريين وبين سكان ليبيا الشمالية وأهل آسية أشغال ومعاملات تجارية كان مركزها بين مدينتى بنى سويف واهناس المدينة ولهذه الاسباب اختلط المصريون بالليبيين فتعلم المصريون عن الليبيين ألعاب المصارعة * وكان الزنوج فى أيام هذا الملك يأتون الى بلاد مصر أفواجا لخدمة أهلها وكانت العلوم والصنائع فى أيام هذه العائلة بالغة حد الكمال والمدارس فى نجاح وتقدم وحدود البلاد وأقسامها وحركة نيلها فى انتظام غريب وأتقن فن البناء وصناعة الاحجار ولذلك قال أصحاب التاريخ إن أغلب ماوجد فى الاقاليم القبلية من الاعمدة الحلزونية الشكل هو من أعمال هذه العائلة دون غيرها

ومات الملك امنمعت الرابع المذكور وأخته الملكة نفرورع ولم يذكر أصحاب التاريخ أيهما مات أولا وانما يستنتج من جدول أسماء هذه العائلة المنقول عن الآثار وجدول مانيطون المؤرخ أن مدة حكم الملك امنمعت الرابع المذكور كانت تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة أيام حسب الآثار وثمان سنين حسب ماقاله مانيطون وكانت مدة حكم الملكة نفرورع سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما كما دلت عليه الآثار وأربع سنين كما رواه مانيطون وبموتهما انقرضت الدولة الثانية عشرة المذكورة وقامت بعدها الدولة الثالثة عشرة الطيبية

(الفصل الثانى)

(فى العائلة الثالثة عشرة الطيبية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة احدى وخمسين وثمانمائة وألفين قبل الميلاد المسيحى

أى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وثلاثة آلاف قبل الهجرة وسنو ملكها أربعمائة وثلاث وخمسون سنة وقيل غير ذلك وعدّة ملوكها سبعة وثمانون وقيل غير ذلك

وقد خفى على أهل التاريخ معرفة أسماء ملوك هذه العائلة وما لهم من المآثر وغاية ماقالوه عنهم ان أكثرهم كان يلقب بلقب (سبك حتب) (ونفرحتب) قالوا وبالبحث فى الآثار القديمة وجد كل من لقب سبك حتب ونفرحتب منقوشا على الاحجار القديمة ولكن لم يعلم من أى عائلة هو ولما عثر أصحاب العلوم الأثرية على نقوش على الصخور التى بجهة سمنة مضمونها أن الملك (سبك حتب الاول) كان حيا على عهد الملك (أوسرتسن) الثالث استنتجوا من ذلك أن ظهور هؤلاء الملوك الملقبين باللقبين المذكورين كان عقب العائلة الملوكية الثانية عشرة وقد وجدت أسماؤهم مرتبة فى جدولين على صحيفة من البردى ممزقة وهى موجودة بمتحف تورينو بايطاليا قالوا وعدّتهم سبعة وثمانون ملكا كما تقدّم

ولم تعلم أسماؤهم كلهم الا القليل منهم وهم كما ذكرهم صاحب العقد الثمين رع خوتاوى الملقب سبك حتب الاوّل . وسخم كارع . ورع امنمعت الاوّل . وسحتب أبرع الاوّل . وأوفنى . وسعنخ أبرع الملقب أمنى أنتف امنمعت . وسمن كارع . وسحتب أبرع الثانى . و . . . كارع . والعاشر لم يعلم اسمه . والحادى عشر اسمه نزم أبرع . ثم رع سبك حتب الثانى . وران سنب . وأتوأبرع الاوّل . وسزف . . رع . ورع سخم خوتاوى الملقب سبك حتب الثالث . ورع أوسر . . وسمنخ كارع الملقب مرمشا . و . . . كارع . و . . . أوسرسر . ورع سخم سوزتاوى الملقب سبك حتب الرابع . وخع سيشش رع الملقب نفرحتب بن حاعنخف . ورع ساحاتور . وخع نفررع الملقب سبك حتب الخامس . وخع كارع . وخع عنخ رع الملقب سبك حتب السادس . وخع حتب رع الملقب سبك حتب السابع . وح أبرع الملقب يعب . ومر نفررع الملقب أبى . ومر حتب رع . وسعنخنسرع الملقب أوتو . ومر سخمرع الملقب أنرن . وسوز كارع . . أورع . وأنم . . . رو . ومن الخامس والثلاثين الى الثالث والاربعين ساقط من الاصل . والرابع والاربعون هو مر خبررع . ثم مر كارع . ثم من السادس والاربعين الى الخمسين ساقط . ثم . . . . مس . ورع معت . . الملقب أبا . و . . . رع أوبن الاوّل . و . . . . كا . ورع . . تن . ورع . . . . . . وسابع خمسيهم لم يعلم له اسم . وثامن خمسيهم اسمه نحسى رع . ثم خع خرورع . ثم نبفعا أتورع . وسحبرع . ومرز فارع . وسوز كارع . ونبز فارع . ورع أوبن الثانى ومن سادس ستيهم الى سابع ستيهم ساقط . واسم ثامن ستيهم . . . زف عرا . ثم . . . رع أوبن الثالث . ثم . . أتو أبرع الثانى . وحرابرع . ونب سن رع . ومن ثالث سبعيهم الى سادس سبعيهم ساقط . ثم سابع سبعيهم سخبرن رع . ثم دد خرورع . وسعنخ كارع . ونفرتوم . . رع . وسخم . . . رع

وكا

. وكا . . . رع . ونفرابرع . ورع . . . . ورع خع . . . . ونزكارع . وسمن . . . رع
. وهو سابع ثمانيهم

وكانت المملكة المصرية فى عهد هـذه العائلة حافظة لمجدها باقيـة على حالها من بعد الصيت واتساع الكلمة بل كبرت حدودها عما كانت عليه واتسعت وكان الملك الثالث منها وهو المسمى (سعنخ أبرع) له اقب محتوعلى ثلاثة أسماء ملوكية وهى امنى . وانتف . من العائلة الحادية عشرة (وامنمحعت) من العائلة الثانية عشرة وابتنى له هرما سماه ﴿ أمنى خورب ﴾ قالوا ولم يعلم له محل للآن

وللملك السادس عشر من هذه العائلة المسمى (سبك حتب) الثالث نقوش بقرب سمنة على صخور بشاطئ النيل رأسية الوضع صعبة المرقى مكتوبة على ارتفاع سبعة أمتار فوق مابلغه زيادة النيل الآن ومعناها ان ماء النيل وصل ارتفاعه الى هنا فى السنة الثالثة من حكم جلالة الملك (سبك حتب) الثالث خلد ذكره

وأما الملوك الاربعة الذين هم (سبك حتب الرابع) (ونفرحتب) (ورع ساحاتور) (وسبك حتب الخامس) فقد تركوا من الآثار مادل على أنهم كانوا حقيقة فى عداد ملوك هذه العائلة قال صاحب العقد الثمين وقد عثر على تمثال الملك سبك حتب المذكور المتخذ من حجر الصوان فى صان فـدل وجوده هناك على أنه كان حاكما على الوجـه البحرى كما ثبت ذلك أيضا للملك سبك حتب الخامس لوجود تمثاله المحفوظ الآن بمتحف باريز فى تل بسطة وكذلك استدل على وجود تمثال وأسماء بعض ملوك هـذه العائلة فى جزيرة (ارجو) وفى جهة الكاب بمقـبرة (سبك نخت) على أنهم كانوا حاكمين على الوجه القبلى والنوبة وكان لهم عليها الصولة والقوة حتى وضـعوا فيها تماثيلهم اثباتا لحكمهم وتذكرة بسلطتهم عليها وقـد ذهب بعض أصحاب التاريخ الى أن العمالقة الذين هم الرعاة قد دخلوا ديار مصر فى أيام هذه العائلة ولكن الآثار الدالة على تملك هذه العائلة على جميع ديار مصر والنوبة تكذب هذا المذهب اه

وانقرضت هذه العائلة و بانقراضها قامت بعدها العائلة الرابعة عشرة السخاوية المنسوبة الى مدينة سخا التى هى من بلاد مديرية الغربية الآن

الفصل الثالث

﴿ فى العائلة الرابعة عشرة السخاوية ﴾

كان مبـدأ ملك هذه العائلة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وألفين قبـل الميلاد أى سنة عشرين وثلاثة آلاف قبـل الهجرة وسنو ملكها مائة وأربع وثمانون سـنة وفى رواية

أربعمائة وأربع وثمانون سنة والاول أقرب الى الصواب وعدة ملوكها ستة وسبعون ملكا ولم يذكر مانيطون الكاهن شيأ من أخبارهم ولا تعرض لذكر أسمائهم فحذا حذوه بقية الكتاب قال صاحب العقد الثمين وكذا لم يبلغنا من غيره يعنى غير مانيطون ولا من الآثار رواية عنهم ولكن بالاطلاع على صحيفة تورينو وجد مذكورا فيها بعد ملوك العائلة السابعة جملة ملوك تنسب لهذه العائلة يعنى الرابعة عشرة المذكورة وجميعها محصورة فى الجد ولين الاخيرين منها وأكثرها متلاش وهم رع سحب رع . ورع مرزفا . ورع سفشكا . ورع زفارع خب . ورع أوبن . وسادسهم وسابعهم سقطا من الاصل ثم جاء بعدهما رع نب زفا . ورع أوبن . ورع سفوتوحت . ورع حرحت . ورع نبسنو . وثالث عشرهم ورابع عشرهم ساقطان من الاصل . ثم جاء خامس عشرهم وهو رع ب .... ثم سخبر رع . ورع ددخرو . وسعنخكارع . ورع نفربابى . ورع سخم . ورع كا .... ورع نفرحت . ورع آ .... ورع خعو . ورع نفركا . ورع من . وسابع عشريهم وثامن عشريهم سقطا من الاصل . ثم جاء تاسع عشريهم وهو رع أوسر . ثم رع .... ورع سخم ... ورع سخم س ... ورع سسن . ورع نب أرى . ورع نب أتن . ورع سمن أوسر ... ورع ساأوسرأت . ورع سخمحرو . ومن تاسع ثلاثيهم الى خامس ستيهم ساقط من الاصل . وكذلك سادس ستيهم غير مرقوم . ثم جاء سابع ستيهم وهو رع سنفركا . ثم رع منخوو . ومن تاسع ستيهم الى ثانى سبعيهم ساقط من الاصل . وكذا ثالث سبعيهم غير مرقوم . ثم جاء رابع سبعيهم وهو حانانحا . ثم (ينوو) خامس سبعيهم وهو آخرهم

قال ماسبرو وكان انقراض هذه العائلة مسببا عن عصيان الرعية وشقهم عصا طاعة آخر ملوكها فذهبت على يد من ظهروا من ملوكها خاملى الذكر اه قال صاحب العقد الثمين ولعل الملك رعخعو الملقب (عن أب) هو من ملوك هذه العائلة وله أثر فى دار التحف المصرية يدلنا بوجه التقريب على درجة الصناعة فى ذلك العصر اه وقال ماريت ان آثار هذه العائلة توجد بأسيوط اه وبانقراض هذه العائلة قامت بعدها العائلة الخامسة عشرة وارتقت منصة الاحكام

الفصل الرابع

(فى العائلة الخامسة عشرة)

لم يعلم أحد من أهل التاريخ مبدأ ظهور هذه العائلة ولا سنى ملكها ولا عدة من ملك منها بالتحقيق غاية ما جاؤا به أن ملوكها ينقسمون الى قسمين وطنيين وأجانب فالوطنيون لم يعلم

عنهم شئ سوى أنهم كانوا قابضين على زمام الاحكام بالاقاليم القبلية وكانت قاعـدة مملكتهم مدينة طيوه . والاجانب كانوا يعـرفون بالرعاة وبالعمالقة وعدّتهم ستة ملوك وقـد حكموا البـلاد وساسوها زهاء مائتى سـنة وتسع وأربعين سـنة وكانت قاعـدة مملكتهم مدينة أواريس بالاقليم البحرى وأوّل من ملك منهم الملك سلاطيس وهو الذى تسميه العرب الوليد ابن روقع

(فى الملك سلاطيس المعروف عند العرب بالوليد بن روقع)

هو أول مـلوك هـذه العائلة وقـد ارتقى منصـة الملك بعـد اغارة قومـه على الاقاليم البحرية من ديار مصر وأخذها من الملوك المتأصلين وتحرير الخبر أنه فى نهاية أيام آخر ملوك الدولة الرابعـة عشرة السخاوية جاء الى ديار مصر طوائف مختلفو الاجناس تحت راية الوليد ابن روقع وهو المسمى عند اليونان باسم سلاطيس ونزلوا مصر السـفلى والوسطى وحاربوا من فيهما وتغلبوا عليهم بعد هجمات متتابعة وحروب هائلة وقيل بل بدون كبير معارضة لان أهل البـلاد كانوا يومئـذ فى ثورة وخروج وكان هؤلاء الاقوام كثيرين جـدّا فانبثوا فى البلاد وعاثوا وأفسدوا وأحرقوا المعابد والهياكل ودمروا الكثير منها ورسم سلاطيس المذكور ببناء القلاع والحصون بدلها وأكثر من سـفك الدماء والقتل والسلب فنزح أكثر الاهالى وساروا مع من بقى من بيت الملك المتأصلين الى الاقليم القبلى واستقروا بمدينة طيوه واتخذوها تختا لملكهم فشحن سلاطيس المذكور الاقليم البحرى بالجند والاسلحة ومعدات الحرب تحرزا من هجمات المصريين وجعل مـدينة منف تختا لمملكته ورتب نظام الاحكام وضرب الجـزية على من بقى من المصريين بالاقليم البحرى وانتقل من هذا الحين ملك البلاد الى الرعاة ماعدا الاقاليم القبلية فانها بقيت مستقلة تحت حكم العائلة المتأصلة المصرية فى مدينة طيوة التى هى دار الفراعنة وصار من هـذا اليوم فى ديار مصر مملكتان مملكة الفراعنة ومملكة الرعاة المتغلبين على منفيس قال مانيطون ولما غضب الله على مصر أرسـل اليها من المشرق أمة خبيثة قوية شـديدة البأس فاستولت عليها بلا حرب ولا قتال واسـتعبدت أهلها ورؤساءها وهـدمت معابدها وهياكلها وسبت الاولاد والنساء وملكت عليها ملكا جـديدا من هـذه القبيلة الهكسوسية أقام فى مـدينة منف وهو الملك سلاطيس ومن فرّ ونجا من أفخاذ العائلة الملوكية ذهب الى الصعيد والى ساحل البحر الاحمر وتحصنت هذه القبيلة بالقـلاع والمعاقل والحصون وتمكنت من الاقاليم البحرية والوسطى وفعلوا بأهلها مالا خـير فيه ولم يبق للدولة المصرية المتأصلة الا ملك الصعيد وكانت دار ملكه مدينة طيوه انتهى

ووفد على الملك سلاطيس هذا جموع كثيرة من أهل آسية فاتخذ له منهم عسكرا ليأمن

شر الكنعانيين القائمين فى بلاد الشام ومن بقى من سلالة الملوك المصريين المتأصلين ومن العراقيين فابتنى القلاع والحصون فى المواقع النافعة وحشد أكثر جنده جهة مدينة السويس الآن وبنى فى مدينة أواريس معسكرا عظيما وأنشأ حولها الخنادق والحصون وبالغ فى ذلك جدا فهابه المصريون واتسعت كلمته وطارت شهرته وظل يدبر الامور تسع عشرة سنة ثم مات

فقام بالامر بعده الملك (بنون) وقدقضى أكثرسنى ملكه فى قتال ملوك طيوه وإخضاعهم وجعلهم تحت طاعته فلم يفلح ثم مات بعد أن حكم أربعا وأربعين سنة

فقام بالامر بعده الملك (انخناس) فتجرد كذلك لقتال ملوك طيوه وغيرهم من الملوك المتاخمين ومات بعد أن حكم ستا وعشرين سنة وسبعة أشهر

فقام بالامر بعده الملك (آبابى الاول) وكان مغازيا كثير الحروب والقتال مع الملوك المصريين ومات بعد أن حكم احدى وستين سنة

فقام بالامر بعده الملك (يانا) ومات بعد أن حكم خمسين سنة وشهرا ولم تذكر جماعة الكتاب من أخباره شيأ

فقام بالامر بعده الملك (أسس) وهوسادسهم وآخرهم ومات بعد أن حكم تسعا وأربعين سنة وشهرين وانقرضت بموته هذه العائلة كما قاله أهل التاريخ وكانوا كلهم قساة غلاظ القلوب فابغضهم المصريون بغضا عظيما وكرهوهم كرها زائدا . قالوا وأصل هؤلاء الملوك مجهول فمن قائل انهم من العبرانيين ومن قائل بل هم تتار وتركمان وبعضهم يجعلهم صوريين وكنعانيين والاقرب الى الحقيقة انهم من جهة الحجاز وبلاد الشام المتاخمة لديار مصر قال علماء الآثار فقد شوهد من هيئة أشكالهم المرسومة على كثير من الآثار القديمة أن صورهم كلها مرسومة بالوشم الازرق وهم متشحون بجلود الغنم وهذه الاشارات من الأدلة الناطقة بانهم من العرب لامن العبرانيين ولامن غيرهم ولا سيما أن دولتهم فى بلاد مصر كانت تعرف بهيك سوس يعنى الملوك الرعاة قالوا لان لفظة هيك عند قدماء المصريين معناها الملك وسوس معناها الرعاة فاذا زيد عليها واو وقيل سوسو كانت بمعنى العرب وبتطبيق هذا الرسم على ما يوافقه بالقلم البربائى وجدت كلمة (حق شاسو) موافقة له لان معنى حق ملك ومعنى شاسو أيضا البوادى وقال ماسبرو ان معنى شاسو اللصوص من عرب البوادى فسماهم المصريون بهذا الاسم لدناءة أصلهم

وذكر ماريت أن قبائل الهيكسوس كانوا أخلاطا من العرب وأهل الشام وكانت أكبر قبيلة حاكمة عليهم تسمى بالقلم الهرمسى (خيتا) وفى التوراة الحيثيين وفى كتب العرب العمالقة وبعد ان أقاموا فى ديار مصر مدة طويلة مالوا الى حضارة أهلها فتأسوا بهم وغلبت عليهم طباعهم فتركوا الفظاظة والغلاظة ومالوا الى محبة الرعية وإحياء ما اندرس من معالم التمدن والعمارية واستخدموا الكثير من كتاب المصريين وتلقبوا بالقاب الفراعنة ودانوا بدينهم وفتحوا المدارس لتهذيب أولادهم واعتنوا بالامن والراحة واختاروا لمصالح دولتهم رجالا

متمكنين من أولى المناصب والرتب العالية واتخذوا مدينة صان تختالهم وفتحوا معابدها وأكثروا من العمائر فيها حتى صارت من أعظم المدن شهرة وتغلبوا على الوجه القبلى ونزعوه من أيدى الملوك المتأصلين واستولوا على كافة أنحاء مصر القبلية والبحرية وطالت أيامهم وتعاقبت ملوكهم وعم نفوذهم مشرق البلاد ومغربها وبانقراض هذه العائلة انتقل الملك الى العائلة الثانية منهم وهى العائلة السادسة عشرة المعروفة بالصانية

الفصل الخامس

فى العائلة السادسة عشرة الصانية

كان مبدأ ملك هذه العائلة سنة أربع عشرة ومائتين وألفين قبل الميلاد أى سنة ست وثلاثين وثمانمائة وألفين قبل الهجرة وسنو ملكها خمسمائة واحدى عشرة سنة وعدد من ملك منها اثنين وثلاثين ملكا كلهم من الرعاة الذين هم الهيكسوس كما رواه مانيطون ولم يذكر من أسمائهم سوى اسم ملك واحد وهو (آبابى) وسماه (ابوفيس) وتسميه العرب الريان ابن الوليد الملقب (رعاكنن)

(فى الملك آبابى أو أبوفيس الملقب رعاكنن) (الذى تسميه العرب الريان بن الوليد)

قال بعض الكتاب الغالب أنّ مانيطون المؤرخ لم يأت بذكر الملك (أبوفيس) هذا دون من ملك من هذه العائلة الا لشهرة أيامه وأهمية ماوقع فيها من الحوادث والانباء اذ هو الريان بن الوليد الملقب رعاكنن وهو فرعون يوسف عليه السلام وفى أيامه وفدت السيارة التى اشترت يوسف من اخوته بعد اخراجه من الجب فباعه مالك كبير هؤلاء السيارة الى وزير مصر قفطير ويسمى بالقلم القديم (بدوفر) ومعناه هدية الشمس فلما اشتراه قفطير أتى به الى بيته وقال لامرأته رعاييل بنت رعاييل أكرمى مثواه فلما رأت حسنه عشقته وأحبته حبا كبيرا وراودته فامتنع وقال لها كيف وزوجك سيدى وقد أكرم مثواى فلا يصح لى أن أخونه فكان من أمر سجنه ماجاءت به الكتب وكانت المحبوس يومئذ فى الجانب البحرى من سقارة قال صاحب العقد الثمين ومكانه معروف للآن عند أهل تلك الجهة اه

وكان معــه فى السجن فتيان هما ساقى الملك وخبازه وكان من أمر رؤياهما وما قاله لهما يوسف ماجاء فى الكتب المـنزلة وبعد مكثه فىالسجن بضع سنين رأى فرعون رؤيا هى أن سبع بقرات سمان وسبع بقرات عجاف خرجن من نهر يابس فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعـقد حبها وأفركت وسبعا أخرى يابسات قـد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة وطلب منهم تفسـير هذه الرؤيا فقالوا أضـغاث أحلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين فعند ذلك أخبر الساقى عن يوسـف فأرسـله الملك اليه فى السجن ففسر له يوسـف هذه الرؤيا كما جاءت به الكتب المنزلة فكان ذلك سببا فى خروج يوسف من السجن وجعله الملك (زافنات بنياخ) ومعناه أمين على خزائن الارض فأشار على الملك حينئـذ باعمـال الخزائن لجعـل الطعام فيها بقصله وسنبله وأن يرفع الخمس من طعام الناس مدة سبع السنين المخصبة فأمر الملك ففعلوا ماأشار به يوسف فكفى يوسـف أهل مصر ومن تاخمها مدة السبع سنين المجدبة وفى خلال ذلك جاء بنو يعقوب فى مصر وتعرفوا بأخيهم يوسف وأقاموا نحو أربعين سنة بمدينة تعرف الآن بالسهريج بمديرية الشرقية وقصتهم مذكورة فى التوراة

قالوا وقد اسـتدل جماعة الكتاب على حصول القحط فى أيام يوسف عليه السـلام بما عثروا عليه من النقوش على أحد مقابر قرية الكاب لرجل من المصريين اسمه (بابا) ويلقب (آباتا) وهو من أقارب ملوك العائلة الثالثة عشرة وكان معاصرا ليوسف قال صاحب العقد الثمـين وتعريبها كنت ذا قلب رؤف لا آلف الغضب ولذا أكرمتنى المعبودات بالخير الجزيل فى دار الدنيا وكان أهـل بلدى وهى الكاب تهنئنى بالصحة والسـلامة وكنت أقتص من المسيئين ورزقت من الاولاد مدة حياتى باثنين وخمسين ولدا صغيرا وكبيرا بين ذكور وإناث وكان لكل واحـد منهم سرير وكرسى وسفرة وكانوا يأكلون فى كل يوم مائة وعشرين مـدّا من القمح والحبوب وكان لهم ثلاث بقرات حلوبة واثنان وخمسون بقرة وثمانية حمير وكانوا يحرقون من البخور ماينيف عن الهـين[1] ويصرفون من الزيت ملء زجاجتـين فان ناقضنى أحد فى قولى وظن أنه أضحوكة فأشهد المعبود (مونت) على ماقلته من الحق وانى أحضرت جميع ذلك فى بيتى وكنت أعطى اللبن الرائب فى قدر والبوظة فى قدر طويل ضيق الرأس يعرف بالدلق بمقـدار يزيد عن الهين وجمعت قمحا كثيرا محبة للمعبود الطيب أى الملك وكنت متيقظا وقت الزراعة فى السنين المخصبة

قال ولما حصل القحط فى كثير من السنين كنت أعطى القمح لاهل المدينة فى كل مجاعة وبهذا يعـلم أن تنبهه زمن الزراعة وصرفه الغـلال للناس وقت المجاعة هو إشارة بلا شبهة الى سنى يوسف المخصبة والمجدبة اهـ (كما رواه بركش)

---

١ الهين بكسر الهاء وسكون النون كيل معروف عندهم

وقامت

وقامت فى أيام هـذه العائلة فتنـة دينية بين الملوك وأمراء الاقاليم القبليـة وكبرت واستفحل أمرها ومازالت حتى انسلخ الوجه القبلى عن حكم الرعاة المذكورين وعاد الى حكم ملوكه المتأصلين وكان أول من ظهر منهم الملك ((تاعا الاول)) وأسس فى الاقليم القبلى العائلة السابعة عشرة وهى العائلة المتأصلة وكان ذلك فى أيام الملك ((ابابى)) الملقب رعا كنن الذى هوآخر الملوك الرعاة من العائلة السادسة عشرة المذكورة

الفصـــــل السادس

(فى العائلة السابعة عشرة)

لم يعلم أحد من أهل التاريخ مبدأ ظهور هـذه العائلة ولا سنى ملكها غاية ماجاؤا به عنها ان عدد من ملك منها ستة ولم يأتوا بشئ من أخبارهم لا بالاجمال ولا بالتفصيل . قالوا وفى عصر هـذه العائلة كانت مصر بين حكومتين الاولى فى الاقليم البحرى وجزء من الاقليم القبلى وهذه كانت ملوكها من الرعاة وعددهم ثلاثة وأربعون ملكا لم يعلم اسم أحـد منهم سوى الملك ابابى . رعا كنن . وكانت قاعدة ملكهم مدينة صان والثانية فى الصعيد الاعلى وملوكها من الوطنيين المتأصـلين وقاعدة ملكها مدينة طيوه وعددهـم ثلاثة وأربعون ولم يعلم منهـم سوى ستة لاغير وهـم تاعا الاول الملقب رعسكنن الاول وتاعا الثانى الملقب رعسكنن الثانى وأليسـفر غموثوريس وتموزيس وتاعا كن الملقب رعسكنن الثالث وكامس الملقب رعوز خبر * ولنتكلم على كل ملك منهم بالتعاقب واحـدا فواحدا وأولهم الملك تاعا الاول

(فى الملك تاعا الاول الملقب)

((رعسكنن الأول))

قال جماعة الكتاب لما ارتقى تاعا الاول منصة الملك نهض الى استخلاص البلاد من أيدى العمالقة والاستبداد بالملك وجيش لذلك جيشا ضخـما للغاية وقاتل الرعاة المـذكورين وقام لنصرته الامراء من أهل البلاد الذين هم من أخفاذ العائلات الملوكية المتأصلة وأمدوه بالذخيرة والرجال ومازالوا يطاردون الرعاة والحرب بينهم سجال حتى أجلوهم عن مصر الوسطى ودفعوهم الى مدينة منف فأقاموا فيها مااستطاعوا

ولما رأى تاعا الاول من قيام هؤلاء الامراء لنجـدته واسـتخلاص الوطن من الاغراب

عينهم نظارا على أقسام مملكته وأباح لهم التلقب بلقب (سوتن) ومعناها ملوكى تعظيما لشأنهم حيث هم من نسل الملوك . وفى أيام الملك أليسفرغموثوريس ركب عليهم أيضا وقاتلهم ليطردهم من البلاد وما زالوا حتى أجلوهم عن منف أيضا فانحازوا بجنودهم الى مدينة أواريس التى بها معسكرهم واستقروا بها حقبة من الدهر آمنين ثم قام عليهم الملك رعسكنن الثالث وقاتلهم وكذلك الملك كامس وغيرهما من ملوك هذه العائلة الذين لم تعلم أسماؤهم لجماعة الكتاب فلم يستطيعوا اخراجهم من أواريس لمنعتها وظلوا حاكمين على أواريس المذكورة وما جاورها من المدن والبلاد حتى تغلب عليهم الملك (أموسيس الاول) رأس العائلة الثامنة عشرة التى قامت بعد هذه العائلة . قال بعض الكتاب ولم يبلغ كره المصريين للرعاة حد ماذكره بعض أهل التاريخ فقد كانوا فى آخر أيامهم هم والمصريين على وفاق ووئام حيث شيدوا لهم المبانى العظيمة وابتنوا المعابد الكثيرة كما تقدم فمالوا اليهم وأحبوهم وسمى بعض المصريين أولادهم بأسماء الرعاة تفاؤلا وبانقراض هذه العائلة تم انقراض الطبقة الثانية باسرها فظهرت بعدها الطبقة الثالثة التى هى الطبقة الاخيرة

الباب الثالث

(فى الطبقة الثالثة)

كان ظهور هذه الطبقة سنة ثلاث وسبعمائة وألف قبل الميلاد أى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألفين قبل الهجرة وتبتدئ بالعائلة الثامنه عشرة وتنتهى بالعائلة الحادية والثلاثين التى هى العائلة الفارسية عبارة عن أربع عشرة عائلة وسنو ملكها ألف وثلثمائة واحدى وثلاثون سنة وفى رواية ألف وثمانمائة وست وستون

الفصل الاول

(فى العائلة الثامنة عشرة الطيبية)

كان مبدأ حكم هذه العائلة سنة ثلاث وسبعمائة وألف قبل الميلاد أى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألفين قبل الهجرة وهو مبدأ ظهور الطبقة الثالثة وكان عدد من ملك من هذه العائلة أربعة عشر ملكا وسنو ملكهم مائتى سنة واحدى وأربعين سنة وأولهم الملك أموسيس الاول وتسمى هذه العائلة بالطيبية

(فى الملك أموسيس الاول)

(الذى يقال له)

(أحمس الاول)

كان مبدأ ظهور الملك أموسيس الاول مظهرا لطبقة جديدة وعائلة حازت السودد والفخار وعلو الكلمة فقد انفردت بالشوكة الملكية والسطوة الاهلية وامتدت حدود مملكتها امتدادا سريعا وزادت ثروتها وتكاثرت عماراتها وكان أموسيس المذكور مصاهرا للملك الايتيوبيا بزواج ابنته المسماة (أحمس نفرت آرى) فتعاهد معه على إخراج العمالقة من أرض مصر والنهج على منوال أسلافه من الفراعنة المتأصلين وأخذ فى التأهب والاستعداد وتجييش الجند فلما كانت السنة الخامسة من ملكه سار بجيش عظيم وانضم اليه الامراء المصريون الذين هم من سلالة الملوك المتأصلين حتى نزلوا حول قلعة أواريس وحاصروها برا وبحرا وضيقوا عليها وشددوا حتى فتحوها عنوة وطردوا من كان بها من العمالقة وتبعهم الملك أموسيس بعسكره حتى أدخلهم قلعة (سروحن) فى حدود أرض كنعان وكانت هذه القلعة غاية فى المنعة والضخامة وقد أنشأها العمالقة ليتحصنوا فيها عند الحاجة فحاصرها ثم هجم بجيشه عليها وأخذها وأسر من العمالقة خلقا كثيرا ففر من بقى فتبعهم بعسكره حتى عبروا الفرات فتركهم وعاد منصورا وقد تخلصت البلاد من أيديهم وانفكت من قيود العبودية والاسر بعد أن تسلطوا عليها ستمائة سنة وفى رواية أربعمائة سنة

وبقى من العمالقة قوم فى جوف البلاد فأظهروا الطاعة والخضوع لملك البلاد فأنزلهم على سواحل المنزلة وأقطعهم الاراضى التى كانت بيد أسلافهم ليتعيشوا من غلاتها ولم تستقر به الراحة بعد قتال العمالقة واخراجهم حتى خرج عليه أهل النوبة وعصوا أمره وشقوا عصا طاعته فسار لقتالهم وظهر عليهم وأرجعهم الى الطاعة ولما رأى الايتيوبيون من منزلة زوجة الملك أموسيس عند المصريين واعتبارهم لها وهى من جنس الايتيوبيين خضعوا له وأطاعوه بغير قتال احتراما لقدس زوجته فاتسعت عند ذلك كلمته وعلت على جميع الديار المصرية من الشلالات الى البحر الابيض المتوسط لايعارضه فى حكمه أحد قال بعض الكتاب وقد استمرت نار الحرب والقتال مضطرمة بين ملوك الرعاة والملوك المتأصلين زهاء مائة وخمسين سنة حتى عاد لمصر استقلالها ورجعت مملكتها التى أنشأها أول ملوكها (منا) وكانت فى خلال هذه المدة الطويلة أخذت عماراتها وآثاراتها العظيمة فى التداعى

الى السقوط بل تخرب منها الكثير واضمحل حال الرعية فنهض الملك أموسيس المذكور الى ترميم العمارات وتنظيم الاحكام وترتيب الادارة وعين الامراء الذين ساعدوه على اخراج العمالقة نظارا على أقسام مملكته وأباح لهم التلقب بلقب ((سوتن)) يعنى ملوكى كما تقدّم وفى السنة الثانية والعشرين من حكمه أمر بتشغيل محاجر طرا وفرض على أسارى العمالقة نقل الحجارة منها ووكل بهم رجالا لترميم معبد (بتاح) بمدينة منف ومعبد (أمون) بالكرنك ولانشاء معابد أخرى جديدة فعاد الى البلاد رونقها القديم وبهجتها الاصلية وأحبته الرعية حبا كبيرا و بالغوا فى تعظيمه وقد أمر بعسكر أواريس الذى كان للعمالقة فهدم وأنشأ محله قلعة تسمى (تاسال) لتكون حائلا بين اغارات أهل آسية و بين بلاد مصر وهجر مدينة صان حيث كانت تحت حكم العمالقة وتركها على حالة ماأصبحت عليه بعد الحرب الاخيرة حتى كاد اسمها يمحى من كتب التاريخ * ثم مات أموسيس المذكور بعد أن حكم خمسا وعشرين سنة وهو المعروف فى جدول الآثار القديمة ((باحمس الاول)) فقام بالامر بعده الملك أمنحوتب الملقب زعركا

(فى الملك أمنحوتب الاول)

تولى الملك بعد موت أبيه ولعدم بلوغه سن الرشد قامت أمه (احمس نفرت آرى) بدلا عنه بمهام المملكة وما زالت حتى بلغ رشده فقام بالامر ونهض الى تعزيز مصر من الجانب القبلى وكذلك فعل بالجانب البحرى حتى صار حصينا لايمكن وصول العدوّ منه الى ديار مصر وكانت له عدّة وقائع حربية فى الصعيد الأعلى تشهد بها النقوش المنقوشة على أحجار الكاب المنسوبة الى احمس رئيس الملاحين قال صاحب العقد الثمين منها مامعناه انى أحضرت سفينة الملك امنحوتب حين جهز تجريدة لقتال الايتيوبيين لتوسيع حدود مصر هنالك فانتشب بينهم الحرب وأسر الملك رئيس سكان جبل النوبة من بين رجاله وكنت أنا فى مقدّمة فرساننا وقاتلت قتالا شديدا حتى شاهد منى الملك البسالة والشجاعة وقتلت رجلين من العدوّ وقطعت أيديهما وقدمتهما لجلالته ثم أسرت رجلا وأحضرته له وصرت أبحث عن أهله ومواشيه وبعد هذه الغزوة صحبت جلالته راجعين الى مصر فى يومين وكان قيامنا من جهة البئر الأعلى فأحسن الىّ بعقد من ذهب وكنت غنمت جاريتين غير الجوارى اللاتى أحضرتهن له ولذلك لقبت بفارس الملك اهـ

ووجد أيضا بجهة الكاب نقوش لرجل مصرى يدعى ((احمس بن سوتب)) تفيد أن هذا الملك تقاتل مع أهل الايتيوبيا ومع الجهة المسماة ((امكاحاك)) التى فى الجانب الشرقى من مصر

وقد أصلح ماتهـدم من قسم طيبة وهيكل أمون ولذا يرى اسمه منقوشا على طوبها وحجارتها وملك مصرمع جميع ملحقاتها ولما وطد دعائم الراحة تزوّج بالملكة (أحع حتب) وأقام معها فى أرغـد عيش وأتم راحة واتخـذه أهل مصر بعـد موته مقـدسا وجعلوا له كهنة مخصوصين لعبادته لما شاهدوه من الراحة فى زمن حكمه

قال صاحب العـقد الثمين وجثته بدار التحف المصرية طولها متر واحـد وخمسة عشر سنتمترا وهى محفوظة فى تابوتها ومـدرجة فى أقمشة بنيـة اللون وفوقها أكاليل من أزهار البشنين والبردى وغيرهما اه

ومات امنحوتب المذكور بعد أن حكم ثلاث عشرة سنة فقام بالامر بعده الملك تحوتمس الاول الملقب رعا خبركا

(فى الملك تحوتمس الاول)

(ويسمى أيضا)

(توتومس الاول)

قال صاحب العقد الثمين هذا الاسم مركب من كلمتين احداهما تحوت ومعناها هرمس والثانية مس ومعناها ابن ثم صارا علما على هذا الملك

وقال غـيره من الكتاب ان اسمه مركب من كلمتين احداهما توت ومعناها هارب وميس أوموسيس ومعناها ابن ثم صارا علما وكان ملكا عظـيم البأس كثـير الحـروب قاتل الايتيوبيا جنوبا وانتصر عليهـم ونقش نصراته على بعض الالواح الحجرية فى مـدينة كرمان إزاء جزيرة أونبو وأعظم نقش فيها مانقشه بالجزيرة المذكورة فى السـنة الخامسة من حكمه حيث يذكر فيه وقائعه الحربية وأسماء الامم التى دخلت تحت طاعتـه ووضعت له الجزية وامتـدت حكومته إلى محاجر مدينة أونبو من النوبة وقد وجد اسمه منقوشا على حجر هنالك ووجد أيضا نقوش أخرى بجهة أسوان مؤرخة فى السنة الاولى من ملكه تدل على نصرته على بلاد النوبة وتغلبه على أهلها واتسعت فى أيامه حـدود مصر وامتدت من الجنوب الى جبل (أبتا) بأرض الحبشة ومن الشمال الى آخر أماكن أهل آسية وكانت بلاد الايتيوبيا منبع ثروة ديار مصر حيث كانت تأتى منها البضائع والارزاق على المراكب بالنيل من الحبوب والجلود والعاج والاخشاب والحجارة النفيسة والحيوانات والمعادن من الذهب وكان المصريون يستخرجونه من تلك الاصقاع بواسـطة الاسرى والعبيد وكان هـذا المعدن يسمى عندهـم (نب) قال صاحب العقد الثمين فاشتق من هذا الاسم كلمة النوبة المعلومة الآن

وقاتل هـذا الملك النوبيين وأدخلهم تحت طاعتـه ثم أقام عليهم أمراء ليحسنوا تدبير البلاد وسياسة أمورها وكان يلقب كل أميرمنهم بلقب «الامير الملوكى لبلاد الايتيوبيا» ولما تم له الامر بجهة الجنوب واتسعت مملكته وعلت كلمتـه سار بجيش عظيم نحو الشمال وقاتل سكان وراء فلسطين وأرض كنعان بالسهول الواقعة بين دجلة والفرات وهم الطوائف المعروفون فى النقوش القديمة باسم «روتنو» وكانت هـذه الطوائف لا حاكم لها ولا سلطان يرجعون فى أمورهم اليه وكانوا يقطنون بلاد الجزيرة التى بين دجلة والفرات ومنها مدينة بابل ومدينة نينوى وبلاد الكرد وكانت تأتى اليها التجارة من مصر الى «رافيا» التى كانت مأهولة يومئذ بالعمالقة ثم الى فلسطين ومنها يعبر نهر الفرات فينتهى الى الجزيرة المذكورة وكان هذا الملك عظيم القدر عالى الهمة موفقا فى جميع أعماله

قال بعض الكتاب وهو الذى بيع يوسف بن يعقوب عليهما السلام الى وزير مصر فى أيامه على ماقيل واشتهر وفسرله أحلامه المذكورة فى الكتب (قلت) وقد اختلف أصحاب التاريخ من جهة شخص فرعون يوسف من هو من الفراعنة فزعم البعض أنه من ملوك العائلة الثانية عشرة وهذا بعيد وزعم البعض الآخر أنه كان من الملوك الرعاة الذين تغلبوا على مصر واسمه الوليد المعروف عند اليونان باسم «أبى فاس» وقد تقدم بيان ذلك فى محله وقال أحد المتأخرين من أهل التاريخ المحققين ان هذا الزعم غير صحيح لتقادم عهد تلك المدة (قلت) والاصح ان دخول يوسف الى مصر كان بعد انقراض دولة الرعاة كما قال مانيطون المؤرخ المصرى فانه لما تكلم على مدينـة منف التى هى منفيس قال وعاش بها يوسف وتسلط على جميع البـلاد فى زمن أقدر وأعظم فراعنـة المملكة الجـديدة التى قامت بعـد نفى الرعاة وخروجهم من أرض مصر الى أرض كنعان وهى الدولة الثامنة عشرة المتأصلة التى قامت بمدينة طيبة ويؤيد صحة هذا القول ماجاء فى التوراة من قول يوسف لاخوته عند نزولهم عليه بارض مصر * يكون اذا دعاكم فرعون وقال ماصناعتكم أن تقولوا عبيدك من أصحاب الماشـية منـذ صبانا الى الآن نحن واباؤنا جميعا حتى تسكنوا أرض جاسان لأن كل راعى غنم رجس عند المصريين . ويستدل من الآثار أن تحوتمس هذا تزوج باخته المسماة احمس ويقال إنها ملكت مصر بعده ولذا يظن أن اسم أميسيس الوارد فى جدول مانيطون المؤرخ بعد اسم الملك المذكور هو اسم هذه الملكة

ومات تحوتمس الاول المذكور بعـد أن حكم عشرين سـنة وحسبها بعضهم احـدى وعشرين سنة وقد عبده المصريون وعبدوا أخته بعد موتهما وجعلوهما فى مصاف القدسين وبعونه قام بالامر بعده تحوتمس أو توتوميس الثانى

(فى الملك توتوميس الثانى)

لما ارتقى توتوميس الثانى سرير الملك عمد الى تعمير الهياكل والمعابد ثم أرسل جيوشه الى الشام والايتيوبيا ليأخذوا له البيعة من أهلها فبايعوه وكانت السودان قائمة على قدم القتال من عهد الملك توتوميس الاول فحاربهم توتوميس الثانى هذا وقاتلهم قتالا شديدا حتى أدخلهم تحت نير الطاعة وصير بلادهم جميعا الى حدود الحبشة ولاية تحت حكمه بعد أن كانت مستقلة وأقام عليها العمال من قومه من ذوى الرتب العالية وسماهم «ولاة الديار الجنوبية من قبل المملكة المصرية» كما فعل أسلافه من قبل ثم اعتبر هذا اللقب رتبة عالية فكان ينعم به على من يستحق حكم تلك البلاد ولو كان قاصر القصد الشرف والاعتبار وكان اذا أحسن به على من لم يبلغ رشده أقام له رئيسا يحكم بالنيابة عنه الى أن يتم رشده فيتولى الحكم بنفسه : ومات هذا الملك بعد أن حكم ثلاثين سنة وبضعة أشهر ولم يعقب نسلا فتولى الملك بعده أخوه توتوميس الثالث ولاية اسمية حيث كان قاصرا فقامت أخته بالامر بالنيابة عنه حتى يبلغ الرشد وهى الملكة حعتشبسو الملقبة رمكا

(فى الملكة حعتشبسو)

«وتسمى أيضا»

(رمكا)

هى ابنة توتوميس الاول وأخت توتوميس الثانى المتقدم الذكر قال أصحاب التاريخ ولما كان لها حق الحكم على البلاد بالوراثة عن أمها «احمس» وجدتها «احمس نفرت آرى» أشركها أبوها توتوميس الاول معه فى آخر أيامه فى حكم البلاد فلما مات والدها ظهرت وعلت كلمتها وعظمت شوكتها أيضا فى أيام أخيها توتوميس الثانى و زادت بتوليتها النيابة عن أخيها توتوميس الثالث واعتبرها المصريون الوارثة الحقيقية لكرسى الملك فلما دانت لها الامور تزوجت بزوج اسمه توتوميس ومات فتزوجت بآخر اسمه «امتطه» وولدت من الاول ولدها المسمى توتوميس وكانت عالية الهمة فنهضت لتشييد المبانى العظيمة والهياكل الكبيرة وسمتها باسمها ورتبت لها القرابين وأحسنت التدبير جدا وحافظت على البلاد وأخذت الجزية من طوائف «الروتنو» سكان سوريا الشمالية وكانت عظيمة القدر مهيبة فرسمت نفسها فى الآثار على هيئة رجل له لحية ملوكية وكانت متسلطة على بلاد الشام والايتيوبيا وعزمت على أخذ بلاد «بون» وبلاد «توتنرو». قال صاحب العقد الثمين . ومعنى أسماء هذه البلاد الاراضى المقدسة وموضعها فى جنوب بلاد العرب من جهة الهند وهى متاخمة بلاد البون وكانت مركز التجارة للشرق عموما ولمصر خصوصا وكانت بضائعها ترد الى مصر على طريق قفط اه وكانت تريد بذلك توسعة ملكها بتلك البلاد الشهيرة بالاخشاب النفيسة والصمغ

والعطريات والذهب والفضة واللازورد والحجارة النفيسة وجميع التجارات العظيمة التى تحتاجها مصر لاشغال الهياكل والمعبودات وغيرها وأنشأت فى البحر الاحمر عمارة حربية وسافرت فيها بنفسها لتقود عسكرها وتقاتل بلاد (البون) المذكورة فلما نزلت عليها طلب أهلها الامان فأمنتهم فسلموا بلا حرب ولاقتال وعدلت عن المسير لقتال أهالى الاراضى المقدسة بعد أن رأت من استسلام أهالى (البون) مارأته ثم رجعت الى مصر وأمرت برسم صورة تلك الواقعة وتحريرها على جدران حجرتين فى الدير البحرى وفى أحد جوانب هاتين الحجرتين مايدل على أن قائد جيوش الاعداء يتمثل بجيشه مع التضرع والخشوع أمام قائد جيوش هذه الملكة المتوج بالنصر والغلبة وترى صفة قائد جيوش الاعداء أنه أغبر اللون له ضفائر من الشعر مستطيلة على ظهره مجردا من السلاح ومن خلفه زوجته وابنته فى صورة شنيعة وحالة فظيعة ينفر منها الناظر قال صاحب العقد الثمين: ورسمها موجود فى متحف بولاق فاذا نظرت اليهما وجدت نوع استرخاء فى أعضائهما وورمافى أنخاذهما يدل ذلك على أن فى جسمهما مرضا وتشاهد فى الجانب الآخر من الحجرتين المذكورتين رسومات ثانية بها أشكال السفن الحربية المصرية يشحنها رجال من الاعداء المنقادين بالحيوانات الغريبة كالزرافات والقردة والنمور وفى جهة أخرى ترى أنواع الاسلحة وسبائك النحاس وحلق الذهب وفى أخرى حمل الصناديق من أصناف الاشجار العطرية المضمخ أسفلها بالطين وقدرها اثنتان وثلاثون شجرة لغرسها فى بساتينها بطيبة وصورة السفن ضخمة يظهر عليها متانة التركيب ذات شراع ومجاذيف وعلى سطحها طوائف البحرية ويوجد تماثيل أخر عليها أشكال العساكر المصرية راجعة من الغزو كأنها تسرع فى المشى وتدخل مدينة طيبة بدلائل النصرة مسلحة برماح أوبلط فى الميامن وفى المياسر قابضة سعف النخل علامة النصر والغلبة وأمامهم الطبول والمزامير وكأنهم يضربون النوبة الحربية وبجانبهم الضباط حاملين على أكتافهم الاعلام والرايات الوطنية مكتوبا عليها اسم الملكة (حعتشبسو) الوصية على الملك (توتميس الثالث) اه

وقد فعلت هذه الملكة من جليل المآثر وعظيم المفاخر ماأعلى قدرها وحفظ بين هذه العائلة ذكرها واستبدت بالتصرف مدة سبع عشرة سنة ومع بلوغ أخيها سن الرشاد وتصرفه فى الامور فقد كانت هى صاحبة الحل والعقد الى ان ماتت فاستبد أخوها توتميس الثالث المذكور بالملك

(فى الملك توتميس الثالث)

لما استقر بالمنصب واستبد بالحكم بعد موت أخته حعتشبسو عمد الى ابادة ذكر أخته

بمحو

بمحو اسمها الذى كانت نقشته على ماشيدته من المبانى العظيمة والعمائر الجسيمة المرسوم عليها صور وقائعها الحربية ونقش اسمه عليها بدل اسمها ليمحى خبرها ويطفئ سراج مجدها الذى دلت عليه فعالها انتقاما منها على ماصنعته به من اغتصاب الملك والتصرف فى الامور بعد بلوغه سن الرشد ولم يمض على استقلاله بالملك الا القليل حتى خرجت عليه طوائف (الروتنو) وامتنعت من دفع الجزية واقتدى بها سكان جميع الجهات المجاورة لها ثم خرجت كذلك جميع الايالات التى كانت لمصر فى آسية ولم يبق منها سوى غزة وماتاخمها من البلدان فركب الملك توتوميس عليهم بجيوش عظيمة وهزمهم شر هزيمة ونقش وقائع حروبه معهم على جدران هيكل الكرنك

قال صاحب العقد الثمين ماحاصله فى شهر برموده سنة اثنتين وعشرين من حكم الملك تحوتمس الثالث يعنى توتوميس توجه هذا الملك الى مدينة غزة وعمل فيها عيد ولايته ثم أخذ فى المسير منها الى مدينة (يوحم) فوصل الى ضواحيها فى عشرة أيام ونزل بعسكره هناك وانتظر استكشاف طلائعه لينظم جيشه على حسب أخبارهم ففى اليوم السادس عشر من الشهر المذكور أخبرته طلائعه أن الاقوام المخالفين تحت قيادة أمير كدش قد عسكروا بالقرب من قلعة مجدو فى مضيق كرمل وانتشرت قوتهم فى طريق لبنان فعند ذلك أشار عليه بعض قواد جنوده بالتوجه اليهم من طريق أثونا ليكون الهجوم على الاعداء من خلفهم وكانت هذه الطريق موصلة الى سهل (يزرل) الواقع بين مدينة مجدو وجبل تابور فلم يقبل الملك منهم ذلك خوفا من عدم نجاح هذا المشروع وسار بجيشه مسرعا الى (آلون) فوصل الى ضواحيها فى ثلاثة أيام وكانت تلك الجهات خالية من الاعداء ومن الحصون لعدم الاعتناء بها فشغلها الملك بجزء من عسكره وفى صبيحة عشرين من الشهر اجتاز المضيق الآنف الذكر من دون معارضة وانتظر فى سفح الجبل من جهة الشمال مؤخر جيشه فلما اجتمع جيشه فى الساعة السابعة من اليوم المذكور نشره فى السهل على شاطئ نهر (كينا) تجاه معسكر الاعداء من غير أن يبرز للقتال وفى صبيحة الحادى والعشرين من الشهر نظم جيشه للقتال والهجوم وجعل الميمنة فى حصن حصين هناك بوادى (كينا) والميسرة ممتدة فى السهل الى الشمال الغربى من مجدو وأقام هو فى القلب ثم هجمت الجيوش المصرية على أهل الشام هجوما فظيعا أوقع الرعب الشديد فى قلوبهم فتشتتوا وتركوا عرباتهم وخيولهم وولوا الادبار مسرعين فى فرارهم الى مجدو فلما رآهم حراس هذه المدينة أغلقوا الابواب دونهم خوفا من دخول الجيوش المصرية فى أثرهم ولذلك لم يتمكن أحدهم من دخول المدينة سوى من تسور الجدران من القواد على الاحجار

وأما باقى الجيش فانه تشتت داخل الجبل وتخلص من سفك الدم والذى قتل منهم ثلاثة وثمانون مقاتلا وأسر نحو ثلثمائة وأربعين رجلا وغنم المصريون فى ساحة القتال مائتى

ألف واثنين وثلاثين حصانا (كذا) وتسعمائة وأربعا وتسعين عربة وغير ذلك من الاشياء التى تركها أهل الشام وقت هزيمتهم ثم توجه الجيش المصرى منصورا الى مجدو وهى وقتئذ أعظم من ألف مدينة فلم تثبت فى صف القتال الا أياما ثم سلمت للمصريين وبفتحها انتهت الحرب وأطاعه رؤساء الشام والجزيرة والكردو بادر الجميع بدفع الجزية واظهار الانقياد والتعظيم للملك المنصور تحوتمس الثالث اهـ

ثم عاد أمير الشام الى العصيان ثانية وخرج عن طاعة الملك توتميس الثالث المذكور وهيج عليه سكان شمال سوريا فركب عليهم توتميس وحاربهم وتغلب على مدينة توتب وحلب وارواد وذلك فى السنة التاسعة والعشرين من ملكه وهجم فى السنة المتممة للثلاثين على مدينة كدش فتملكها وأخذ جميع مافيها من الاموال ودمر الاسوار ودكها دكا وسار منها الى مدينتى صميرة وارواد فظفر بهما أيضا وانتصر على الخوارج ثم عفا عن زعماء العصاة وأبقاهم فى مناصبهم وأخذ أولادهم واخوتهم الى مصر رهينة فكان اذا توفى أحد من هؤلاء الرؤساء أرسل واحدا من المرهونين ليتولى بدله

وفى السنة الثالثة والثلاثين من ملكه عبر الفرات وسار الى الجزيرة التى بين دجلة والفرات فى الجهة التى نصب فيها توتميس الاول الحجر الشاهد على نصرته وتغلبه على بلاد الارمن وادخالهم تحت طاعته ثم عبر نهر الخابور الى دجلة وسار حتى وصل الى نينوى بالعراق فخرج اليه رئيس العراق وتلقاه بالبشر والقبول وسلم اليه وأطاعه فأقره على منصبه وأباح لعسكره صيد مافى تلك الاصقاع من وحوش البر فاصطادوا منها مائة وعشرين فيلا وأتوا له بجلودها وماغنموه من تلك الغزوات ثم سار الى مصر فكان اذا مر بمدينة أوقرية تخرج له أهلها بالجزية والهدايا النفيسة وتلقوه بالفرح والقبول فظن أن قد تم له الامر وخضعت جميع آسية اليه ولم يبق له من يعارضه فى ذلك

فلما كانت سنة أربع وثلاثين من ملكه عادت بلاد آسية الى شق عصا الطاعة وخرج كذلك فى سنة خمس سكان الجزيرة وفعل كذلك أهل كدش وغيرها من البلاد المجاورة لها فركب عليهم وقاتلهم جميعا وما زال حتى أخضعهم وانتصر عليهم نصرا مؤزرا ولم يكد يرجع من غزوة آسية واخضاع أهلها حتى قام عليه الزنوج والعبيد القاطنون على شاطئ النيل الاعلى فسار اليهم فلما أحسوا بقدومه تركوا أوطانهم وهربوا الى الجبال فأمر فنهبت مواشيهم وجميع أموالهم من الذهب والاوانى المعدنية والريش وغير ذلك وهدموا مساكنهم وأحرقوها ثم عاد بجيشه والنصر يتقدمه فكانت أيامه كلها حروبا وشدائد

ومات توتميس الثالث المذكور فى الثلاثين من شهر برمهات سنة أربع وخمسين من حكمه بعد أن قهر بلاد الحبشة والنوبة والسودان والشام والجزيرة وبلاد العراق الغربى وكردستان وجزيرة قبرص وأخذ منها جميعها الجزية صاغرة وهو من أشهر ملوك هذه الدولة

الثامنة عشرة التى هى رأس الطبقة الثالثة من طبقات ملوك مصر كما تقدم حسب ترتيب جماعة المؤرخين من المتقدمين والمتأخرين وكانت مدّة حكمه خمسا وعشرين سنة وبعض أشهر وفى رواية ثمانا وأربعين سنة فانتقل الملك بعده الى حفيده أمنوفيس الثانى الملقب رعا خبرو ويسمى أيضا امنحتب الثانى

(فى الملك أمنوفيس الثانى)

ارتقى أمنوفيس الثانى هذا سرير الملك والبلاد امنة مطمئنة لامهدد لسطوتها ولا موقف من الامم لنفوذ كلمتها فزاد فى نفوذها واعلاء كلمتها وتقوية شوكتها وأخذ فى تتميم مانوى سلفه على فعله من بناء العمائر العظيمة والمبانى المشيدة فى النوبة وبلاد الكنوز وابريم ولم يتمها وكانت فى أيامه الراحة ضاربة أطنابها فى جميع انحاء البلاد والرعية فى خوف من شدّة بأسه وجبروته لم تجسر على الخروج ولا شق عصا الطاعة مدّة ثم هب الآشوريون بعد ذلك من سنة الحول وعمدوا الى شق عصا طاعته والاستقلال بحكم أنفسهم فلما آنس منهم ذلك وأحس بما وراءه من الخوف على بقية الايالات الداخلة تحت سلطانه جيش جيشا عظيما وركب لقتالهم فاجتاز الفرات ونهر ارسانت وأرسل طليعة من عساكر الشام يستكشفون أحوال الآشوريين فى مدينة (انات) ثم سار لقتالهم وضيق عليهم حتى انتصرت عساكره ثم سار منها الى الجزيرة ووقعت الهدنة بينه وبين أهلها الى شهر أبيب فقضى الشتاء فيها وذلك فى السنة الثانية من حكمه فلما كان العاشر من شهر أبيب سار الى نينوى فلاقاه أهلها واستسلموا له بغير قتال فنزل بدجلة وسار الى مدينة ((اكاد)) وملك عليها وكانت هذه الغزوة آخر الحرب مع الآشوريين ثم عاد فى السنة الثالثة من حكمه بطريق البحر وكان فى مقدّم سفينته سبعة قتلى من رؤساء مدينة ((تاخيس)) قد قتلهم بيده فى معمعة الحرب فلما دخل مصر أمر فعلقوا ستة منهم على سور مدينة ثيبة وقد قطعوا أيديهم وعلقوها أيضا بجانبهم ونقلوا سابعهم الى النوبة فعلقوه فى مدينة ((نبتا)) ليكون عبرة لاهالى تلك الاصقاع . وحكم هذا الملك خمسا وعشرين سنة وقيل لم يحكم الا عشر سنين وعشرة أشهر وكان جليل القدر فلما مات تولى بعده الملك توتوميس الرابع الملقب رعمنخبرو وهو ابن أمنوفيس الثانى

(فى الملك توتوميس الرابع)

تولى هذا الملك بعد أبيه أمنوفيس الثانى وعكف على بناء الهياكل وتشييد المبانى

العظيمة وحافظ على بقاء مصر على ماوجدها عليه من رفعـة الشأن واتساع الكلمة وحارب الايتيوبيين فى السـنة السابعة من حكمه وأخضع الشام لخروج أهلها عن طاعته وحصن مصر وجعلها فى منعـة على القبائل العاصية جهة لوبيـة وبلاد برقة . قال صاحب العقد الثمـين . ثم عكف على عبادة الشمس كما ورد فى الاسانيـد الاثرية على جدران معبد أمدا بالنوبة واحترم أبا الهول القائم بين الهرمين بالجيزة حيث كان السر فى وضـعه الاصلى رمزا عن الشمس المشرقة التى كان يتصف بها كل حاكم حائز لكافة الاوصاف الفرعونيـة لكونه بهذه الاوصاف يكون نائبا فى الارض عن الشمس المعبودة لهم قال ويشاهد فى صـدر أبى الهول حجر ارتفاعه أربع عشرة قدما انكليزية قد علته الرمال وبأعلاه صورة الملك تحوتمس الرابع مرسومة جهة اليمين على هيئة انها تعبد أبا الهول وعلى يسارها رسم الشمس ثم يلى ذلك نقوش مؤرخة فى اليوم التاسع عشر من شهر هاتور من السـنة الاولى من حكم هـذا الملك تفيـد أنه لم يوفر أشـياء لتحسين مدينتى منف والمطرية ولاعطاء المرتبات المقررة للمعابد ولانشاء الهياكل واعمال التماثيـل للمعبودات وانما تصـفه بالقوة والشوكة بـين الدول قال ومن أجمل عبارات هذا الحجر خطاب منصوص فى آخره عن لسان أبى الهول يخاطب به الملك ويقول له

أكلمـك بنفسى كما يكلم الأب ابنـه فانظرنى وسرّح الطرف نحوى يانحوتمس ياولدى أنا أبوك (حورمخى خـبرع توم) أى الشمس المشرقـة الموجودة الكامـلة . أعـدك بأن تملك سائر الارض فى طولها والعرض وأن تعطيـك الامم جزياتها العـديدة ويطول عمـرك سنين مديدة اهـ

وحكم هذا الملك تسع سنين وثمانية أشهر ومات فتولى الملك بعده ابنه أمنوفيس الثالث الذى رزق به من زوجته موت أموا ويسمى أيضا امنحتب الثالث ويلقب رعماتب

(فى الملك أمنوفيس الثالث)

لما تولى هـذا الملك واستقر به المنصب بسط يده على جميع حـدود المملكة التى كانت تمتـد يومئذ شمـالا إلى نهر الفرات وجنوبا إلى دجلة وكان جليل القـدر له شهرة عظمة فى الاقطار الغربية وكان اليونان يسمونه (المنون) وقيل انه لم يكن من جنس المصريين ولكنه اغتصب المملكة وتسلط عليها بمداخلته مع أحـد الفراعنة بالزيجه ويسـتدل على صحة ذلك بانفراد قبره الذى فى مدينة ثيبة عن قبور باقى الفراعنـة ويحكى أن ولادته وتربيتـه وشؤنه كانت عجيبة ومرسومة فى آثار مبانى لقصر و * تحرير الخبر أن رئيس الكهنة بشر أمه بحمله فأحست بذلك عن قرب فلما وضـعته بشرها أيضا بعظم شأنه واتساع كلمته وأن يكون له ملك عظيم

لم يسبق لمثله وملك مابين الخافقين شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فتم جميع ماقاله الكاهن وقد شيد المبانى العظيمة والهياكل بالقصر وبيبان الملوك وغزا الغزوات الكثيرة بالنوبة والسودان وانتصر فيها فادّعى لنفسه الالوهية ولقب نفسه (هودوس) يعنى شمس الربيع وكذلك سمى نفسه ملك القطرين وصاحب المصرين ومولى الخافقين وكان يعنى بالقطرين الاقليمين البحرى والقبلى وبالمصرين منف وثيبة وبالخافقين المشرق والمغرب يعنى آسية وافريقة وكان مهيبا حسن السياسة بعيد النظر فى الامور فامتدّت مملكته من الجزيرة الى قلب الحبشة وملأ جوانب النيل بالآثار العجيبة والرسوم الغريبة والهياكل والمعابد فمنها هيكل جبل البركل وهيكل الشلال الثالث وغيرهما من الآثار الاخرى بجزيرة أسوان وجبل السلسلة وطرا ومنف وجزيرة الطور قال صاحب العقد الثمين ونقش تاريخ غزواته على تاج هيكل لقصر الذى جدد فيه جزأ عظيما فقال مامعناه

أنا الملك المنصور الاكبر والليث الشديد الغضنفر أنا الذى دوخت بالسيف طوائف المتوحشين وملكت بلادهم وفرقت شملهم وأبدتهم أنا ملك القطرين وولى أمر المصرين والسيد المالك المطلق التصرف وابن الشمس ضارب رقاب الولاة الكبار ورؤساء الاقوام فى الاقطار لابلدة من البلدان تقاومنى ولا دولة من الدول تصادمنى بل سرت فى سائر الاقطار جامعا شمل الانتصار كالمعبود حوريس ابن المعبودة ازيس وكالشمس فى كبد السماء أضرب قلاعهم وأدمر حصونهم كيف لا وقد قهرت جميع الملل وألزمت كافة الدول بتأدية الجزية لديار مصر ألست بسلطان البرين وأمير العالمين ومن سلالة الشمس اهـ

ويقال انه هو الذى أنشأ على ميسرة النيل تجاه ناحية لقصر معبدا من أعظم الآثار المصرية القديمة وقد تخرب الآن ولم يبق منه الا الصورتان الموجودتان به المسماتان الآن بالصنمات وهما صورة الملك امنوفيس الثالث المذكور ويقال لهما أيضا شامة وطامة وكان فى الزمن الاول لم يلتفت الى هذه الصورة أحد فحصلت زلزلة فى سنة سبع وعشرين قبل الميلاد المسيحى فأسقطت جزء أحد التمثالين المذكورين وبقيت قاعدته قائمة فى محلها وقد شوهد أن هذه القاعدة متى سقط عليها الندى وقت الصباح سمع منها صوت مستطيل عند شروق الشمس فكان يعجب من ذلك أرباب السياحة من اليونان والرومان واعتقدوا أن صورة الملك امنوفيس الثالث المذكور هى صورة شمسون أحد أرباب الايتيوبيين ابن تيتون وأمه (أورور) وهو الذى أعان (بريام) على ارغام أنوف اليونان وانه يشير بالتحية عند طلوع الشمس الى أمه (أورور) أى الفجر ويودعه قال بعض المتأخرين ان هذا الصوت كان من أثر الندى وتأثير الشمس على الحجر فهى خاصية طبيعية وكان هذا الملك متزوجا بامرأة أجنبية من بيت الملك تدعى (تابى) ورزق منها بولد اسمه امنوفيس الرابع ويقال انه خلف عدة أولاد تولى منهم بعده ملك مصر ابنه هودوس وقد كان تناوب كرسى المملكة المصرية من غير بيت الملك عدة ملوك

قد حسبوهم فى عداد ملوك الدولة الثامنة عشرة ولكنهم كانوا خاملى الذكر ليس لهم من الآثار مايذكر قالوا فلما تولى هودوس ابن أمنوفيس الثالث المذكور رجع به المنصب الملوكى الى أهله من بيت الدولة الثامنة عشرة وكانت مدة حكم امنوفيس الثالث المذكور ستا وثلاثين سنة وخمسة أشهر فقام بالامر بعده الملك أمنوفيس الرابع الملقب رع نفروخون آتن

(فى الملك امنوفيس الرابع)

كان هذا الملك قبل توليته الملك كاهنا للشمس فلما آل اليه الملك بالوراثة عن أبيه امنوفيس الثالث أمر الناس بعبادتها ونهاهم من عبادة بقية المعبودات وغير اسمه لما فيه من ذكر أمون لبغضه له وسمى نفسه ((خون آتن)) يعنى نور قرص الشمس وأمر فمحوا جميع أسماء أجداده وأقاربه التى وجد فيها اسم أمون وحافظ كثيرا على كل ما كان فيه اسم الشمس محبة فيها واحتراما لها قال صاحب العقد الثمين وقد أمر بتخطيط مدينة جديدة بمحل تل العمارنة قرب منية الصعيد لتكون تختا جديدا للدولة المصرية بدل مدينة طيبة التى هى مقر المعبود آمون ونقل فى مدينته المستحدثة تمثال قرص الشمس وسماه ((آتن)) موافقة لاسم معبود اليهود أدونوس أو ادوناى وبكشف أرض تلك المدينة ظهر أنها كانت كثيرة الاماكن والشوارع المنتظمة منها آثار معبد الشمس المشتمل على دهليزين وعلى ستة عمد مدرجة الوضع كانت منصوبة فى وسط هذا المعبد وشوهد أيضا على جدرانه رسم الشمس مشرقة فوق الملك ورجاله وهم وقوف يقدمون القرابين اليها ولها أشعة ذات أيد كأنها تنشر الحياة على المخلوقات وحول ذلك أدعية وقصائد يتلوها المرتلون مصحوبة بنغمات الاوتار ومعهم غانية تدعى ((سنرو)) تقول مدحة لقرص الشمس مطلعها

لك الثنا ياصاحب الأعوام * ياموجد الشهور والايام
يامعدد الساعات * فى سائر الاوقات

وقد كان شديد المحافظة على حدود مملكته كثير العناية بأمرها فكان الايتيوبيون وأهل الشام والولايات الشرقية وجزائر البحر الابيض يدفعون له الجزية صاغرين وكان ملكا مهيبا موفقا فى الحروب والغزوات ومات عن سبع بنات ولم يعقب ذكرا يتولى الملك بعده قال صاحب العقد الثمين ولذا انتقل الملك بعد وفاته الى خمسة رجال من المصريين حكموا على التناوب بينهم بدون حق فى الوراثة وسنذكر من علم منهم على ترتيبهم فى جدول ملوك هذه العائلة قال

(فى الملك آيى)

هذا الملك هو أوّل الملوك الخمسة وكان قبل استيلائه على سرير الملك يدعى ((تتراتف آيي

حق

حق نتراوس ﴾ ومعناه الكاهن آي الحاكم المقدس في طيبة وكان متولياعند الملك أمنوفيس الرابع وظيفة سائس ركاب الميسرة ثم ترقى الى ناظر خيول الملك ثم الى كاتب سره وكان أخاه من الرضاعة وزوج ابنته الكبيرة ﴿ آتي ﴾ فلما آل اليه الملك على ديار مصر غيراسمه آي وسمى نفسه ﴿ رع خبر خبر وأرما ﴾ وقد علم من الآثار أنه أبقى ديانة الشمس واحترم أيضا أمون والمعبودات المصرية التي أبطلها أمنوفيس الرابع وكانت مدة حكمه تزيد عن أربع سنين وفي أثناء ذلك عين پاوروايا على الاقطار السودانية وصنع لنفسه مقبرة في بيبان الملوك بطيبة نقش اسمه عليها فمحاه من حكم بعده من الملوك لكونه خارجا عن بيت الملك ولم يبق اسمه الاعلى بعض مواضع من تابوته واقصر مدته ترك مقبرته المذكورة ناقصة البناء اه وبموته قام بالامر بعده الملك توت عنخ أمن

(في الملك توت عنخ أمن)

تولى توت الملك بعد الملك آي وهو ثاني الملوك الخمسة وكان قبل توليته المنصب الملوكي حاكما على مدينة أرمنت وقد بقيت جميع المدن والبلدان خاضعة لحكمه وكان ملكا مهيبا جليل القدر نافذ الكلمة أتى اليه رؤساء قبائل الآشوريين والروتنو والجزائر وبلاد السودان بالجزية والهدايا النفيسة من الذهب والفضة والاواني من المعدن المتقنة الصناعة ومن الخيول والسباع وجلود النمور وغير ذلك مما كان يصنع و يوجد بالجزيرة التي بين دجلة والفرات وكانت أيامه غاية في الراحة والعز والطمأنينة فلما مات تولى الملك بعده الملك (رسعا كاخبرو) ثم ملكان آخران مجهولا الاسم كما رواه صاحب العقد الثمين ولكن لم يعلم لهؤلاء الثلاثة شيء من الاخبار أو المآثر ولم يصل جماعة المؤرخين الى الوقوف على شيء من أعمالهم وبموتهم عاد الملك ثانية الى من بقي من العائلة الثامنة عشرة المتأصلة وهو الملك ﴿ حوربي ﴾ وقيل هو الملك هوريس بن أمنوفيس الثالث وبنته المسماة طماهوموت

(في الملك حوربي أوحورمحب)

﴿ ويسمى أيضا ﴾

(رع سرخبرواستبن رع)

لم يستقر الملك حوربي المذكور بالمنصب حتى قامت الفتنة في جوف البلاد واشتدت

وأخذت فى الانتشار بسبب ماحصل من تغيير ديانة البلاد على عهد الملك أمنوفيس الرابع وقام الاهالى على قدم وساق ومحيت آثار الملوك الذين ساعدوا على تغييرها من جميع الهيا كل والمعابد فنهض الملك ‹ حورمحب › الى اطفاء نار الفتنة ورسم بارجاع عبادة المعبودات المصرية القديمة فقام عند ذلك الاهالى على هيكل الشمس ودكوه دكا ومحوا آثار المدينة العظيمة التى أسسها هؤلاء الملوك على مقربة من تل العمارنة وكانت تخت مملكتهم بدلا عن مدينة طيبة كرسى الملوك المصريين وما زال الملك حورمحب حتى مهد الامور وأسكن الفتنة وتم له الامر فنهض الى انشاء العمائر وبناء الآثار العظيمة فبنى الواجهة الرابعة من معبد الكرنك وأصلح الغار الكبير الذى بجبل السلسلة وكان قبل ذلك مقطعا تستخرج منه الحجارة ونقش على جانبيه الغربى نقوشا تدل على نصرته على أهل الايتيوبيا وكان ملكا حسن السياسة فعادت المملكة فى أيامه الى ما كانت عليه أوّلا وبلغت من العز والمجد مبلغا عظيما وحافظت على مالها من الحدود البعيدة على عهد الملك توتميس الثالث وحورمحب هذا هو آخر من أبلغ الديار المصرية من ملوك الدولة الثامنة عشرة أقصى درجات العمار وأكبر مراتب الفخار ومات عن بنته طماهوموت وابنه رمسيس الاول ولما كانت طماهوموت أرشد من أخيها وكان أخوها قاصرا تولت الملك بدلا عنه وقامت بتدبير أمور المملكة خير قيام فكانت مدّة حكم الملك حورمحب وابنته معا ثمانا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وهو آخر ملوك الدولة الثامنة عشرة على قول جماعة من الكتاب وقد أقامت هذه الدولة على كرسى المملكة احدى وأربعين ومائتى سنة ثم قامت بعدها الدولة التاسعة عشرة وعلى رأسها الملك رمسيس الاول الذى هو ابن حورمحب المذكور

(الفصل الثانى)

(فى العائلة التاسعة عشرة)

كان ابتداء ملك هذه العائلة سنة اثنتين وستين وأربعمائة وألف قبل الميلاد أى سنة أربع وثمانين وألفين قبل الهجرة وعدة ملوكها ثمانية ومدّة ملكهم مائة وأربع وسبعون سنة وأول ملوكها الملك رمسيس الاوّل وهو ابن حورمحب وأخو الملكة طماهوموت آخر ملوك الدولة الثامنة عشرة وهو الآتى ذكر مآثره بعد

(فى الملك رمسيس الاول)

تولى رمسيس الاوّل الملك والبلاد فى ضعف وشوكتها فى ذبول وكلمتها فى انحطاط بسبب

الفتن المترتبة على تغيير الديانة القديمة من آخر ملوك الدولة الثامنة عشرة وقد طمع فيها الغريب وخرج أهل آسية عن طاعتها وانضموا الى الحيثيين وصاروا يشنون عليها الغارة ولما كان رمسيس هذا ابن الملك (حورمحب) وأخا الملكة (طماهوموت) تولى الملك خلفا لاخته وأبيه خلافا لما قاله بعض الكتاب من أنه لم يعلم ان كان من عصبة الملوك المصريين أو ظهر من أهل آسية قال وغاية ماعلم أن زوج ابنته (سيتى) هو من ملوك العائلة الثامنة عشرة ثم تبوأ كرسى الملك كبيرا فأحسن السياسة فى رعيته وأوردها موارد الراحة وكان مهيبا جليل القدر قاتل فى السنة الثانية من حكمه أهالى شمال الشام من طريق الفرات وجبل كورين والبحر الابيض وهى البلاد التى يسكنها الخيتاس ويعرفون فى التوراة بالحيثيين وهاجم الجم الغفير من حلفاء هذه الطائفة من سكان آسية وقاتلهم قيل وهو أول من أقدم على مقاتلة الحيثيين والتغلغل فى بلادهم حتى وصل نهر العاصى ثم عاهدهم وكانت مدة حكمه تسع سنين وخلفه ابنه منفطه الاول المسمى عند اليونان (سيتى) أو سيطوس الاول

(فى الملك سيطوس الاوّل)

(الملقب)

(رعما من)

لما ارتقى سيطوس الاول كرسى المملكة خف الى الاعمال النافعة وتعزيز جانب المملكة واتبع آثار جده الملك (توتوميس الثالث) فى إعلاء شأن البلاد والوصول بالمملكة الى أوج العز والفخار وله من الآثار الغريبة والعمائر العظيمة بالاقليمين القبلى والبحرى وعلى سواحل البحر الاحمر وبلاد النوبة مايدل على علو همته وجليل قدره وقد أكمل بناء هيكل القمر الذى كان قد أنشأه الملك (توتوميس الرابع) بناحية بنى حسن القديمة وبنى بجانبه معابد أخرى ومقابر مرسوما عليها اسمه وأنشأ بالصعيد الاعلى عند جبل السلسلة على الشاطئ الغربى من النيل معبدا منحوتا فى الجبل لم تزل منه بقايا جيدة الصناعة كاملة الزينة تدل على تقدم فن العمارة والنقش فى أيامه وله القاعة ذات الاعمدة الموجودة بجهة الكرنك التى هى من أبدع العمائر المصرية القديمة وتسمى بالقصر المنفطى نسبة اليه قيل ولم يتم (سيطوس) المذكور بناء هذا القصر وانما الذى تممه ابنه (رمسيس الثانى) وأنشأ هيكلا آخر للشمس فى الوادى المعروف بوادى المويه على بعد يومين من النيل فى البرية التى فى طريق القصير ومن أعماله أيضا اصلاح الغار الموجود فى بنى حسان للمعبودة (بشت) وهو المعروف الآن بغار (تمسيسدوس) وكان من قبل مقطعا تستخرج منه الحجارة للعمارات وينسب اليه أيضا مقطع

أحجار الرصيف المصنوع الآن فى جزيرة أسوان وهو من آثار الاحجار التى نقلها للعمارات التى بناها فى هذه الجزيرة ومن آثاره المسلة العظيمة التى نقلت من مصر الى مدينة رومة والهيكل الكبير الذى استكشف حديثا بالعرابة المدفونة ومايحتوى عليه من التصاوير العجيبة والنقوش الغريبة وهو أول من حفر الخليج الموصل ماء النيل الى بحر القلزم الذى هو البحر الاحمر وأول من فتح طريقا للقوافل من اسنا الى معدن الذهب بجبل (اتوكى) وحفر فى الجبل هنالك عينا ينبع منها الماء وله جملة غزوات وحروب مع السودان والشام وكثير من بلاد آسية وانتصر على قبيلتى (الخيتاس) (والروتنو) وهما أعتى القبائل وأشدها بأساوغزا مدينتى نينوى وبابل وسار بجنوده الى أقصى بلاد أرمينية وانتصر على أهلها وكانت جميع بلاد آسية الى عهد الملك سيطوس الاول ثانى ملوك الدولة التاسعة عشرة قد خرجت عن طاعة المملكة المصرية وصارت تشن عليها الغارات وتتقوى وتتحرز حتى صارت من أكبر أعدائها وكان بينها وبين مصر من الوقائع والحروب ماسيذكر فى محله ثم مات الملك سيطوس الاول المذكور فكانت مدة ملكه اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وفى رواية مانيتون احدى وخمسين سنة ودفن فى مدفنه الذى ابتناه لنفسه فى بيبان الملوك عند مدينة طيبة تحت الارض يعجب منه كل من يراه لما فيه من الهيئات الفلكية كالشمس تسبح بسفينتها فى السماء وكأن السماء لجة ماء وتجتاز مايعارضها من عقبات الثعبان أبب وكالنجوم الثوابت والسيارة وغير ذلك وتولى بعده بكر ولديه وولى عهده رمسيس الثانى

(فى الملك رمسيس الثانى)

(المعروف)

(بسيزوستريس)

(اللقب)

(رع أوسرما استبن رع)

اشتهر هذا الملك برمسيس الاكبر حيث كان أعظم ملوك مصر قوة وأكبرهم سلطة واقتدارا وكان ظافرا كثير الحروب والغزوات ملأ مشارق الارض بصيت فتوحاته وأرهب مغاربها بهيبته وبأسه وسطواته ولم يكن أحد قبله من ملوك مصر عبر البحر الاحمر فجهز هو عمارة عظيمة قيل انها كانت أربعمائة سفينة حربية وتغلب على سواحل البحر المذكور وعلى جزائر بحر الهند فامتد ملكه من نهر الكنك بآسية الى نهر الدنوب الذى هو نهر الطونة

وكان كلما فتح قطرا واستولى على مملكة من الممالك شيد فيها هيكلا وآثارا تدل على نصراته وفتوحاته وأنزل فيها طائفة من جنده المصرى ليستوطنوها وينشروا ديانتهم وعوائدهم فيها ليكون ذلك دلالة ظاهرة على تخليد ذكره وزاد فى ثروة أهل وطنه وأوردهم موارد السعادة والرفاهية ونعم بالهم وسن لهم القوانين والاحكام ونظم أمورهم على أكمل ترتيب وأحسن نظام وضرب الجزية على عشرين أمة اسـترعاها ويقال ان كاهن الشمس بشر أباه بأن ولده هذا يملك سائر بلاد العالم ولذلك لما آلت اليه المملكة المصرية اعتنى بهيا كل مدينة منف المكرسة للشمس فشيدها ووسعها توسيعا خارجا عن حد العادة وقد طال عمره وامتدت مدة ملكه وتنوقلت مآثره وتواترت مفاخره وتكلم عنه كثيرا أصحاب التاريخ وقالوا انه لم يسبق هذا الملك أحد من ملوك العائلتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أعظم من توتميس الثالث الذى كان بينه وبين رمسيس الثانى هذا ستة ملوك وكان رمسيس من زمن شبوبيته فاضلا بارعا متضلعا من العلم والحكمة حتى قيل انه تلقى جميع العلوم وسائر الفنون عن ((هرمس المثلث)) الذى هو ايليا النبى أى إدريس عليه السلام زعم البعض أنه تلقاها عنه مشافهة (قلت) وهذا غير صحيح لتأخر زمن رمسيس ورفع ايليا الى السماء قبل زمن رمسيس كما جاءت به الكتب ولعله تعلمها بالتلقى عن أحد الهرامسة المصريين وقد دلت كتب اليونان على أن هرمس الهرامسة المثلث هو ايليا النبى وهو مصرى المولد وأنه أول من وضع العلوم والفنون والسياسات والتدابير والحروب والصنائع وله رموز عجيبة وأسرار غريبة ومعارف غزيرة واسعة قد أودعها بطون الاسفار والكتب وهو أول من عرف الله سبحانه وتعالى وعبده قالوا ولما جاء الطوفان وأغرق الارض وأهلك سائر النوع البشرى ثم عمرت الارض باولاد نوح عليه السلام كان الناس كافة على الفطرة الاولى لايعرفون شيأ من ضروريات المعيشة فبعث الله لهم هرمس هذا فى صورة انسان وقد كان رفع الى السماء قبل الطوفان فعلمهم مايحتاجون اليه وثقفهم فتبدلت أخلاقهم الوحشية بانسانية وطباعهم الحيوانية بآدمية اذ كانوا هائمين على وجوههم كالوحوش لايفهم بعضهم بعضا الابصياح ساذج متقطع مختلطا ووضع لهم أسماء المسميات وعلمهم طرق التعارف فيما بينهم قالوا وله اثنان وأربعون كتابا سلمها الى طائفة الكهنة وأمنهم عليها وأودعهم أسرارا غامضة وأمرهم بمعرفة مافى تلك الكتب كل على قدر حاجته ومرتبته فى الهيئة الاجتماعية وقال جامبليك ان كتب هرمس الهرامسة بلغت بعصر عشرين ألف كتاب وقال مانيطون بل أكثر من ذلك كثيرا اه ولغزارة علمه كانت جميع عباراته سهلة المآخذ مقبولة مألوفة للنفوس وكانت عادة المصريين أنهم اذا اخترعوا شيأ من المعارف النفيسة والحكم نسبوه الى هرمس المثلث ليسهل تلقيه من عامة الناس و يكون حسنا لديهم مقبولا وكان ((رمسيس الثانى)) المذكور بطلا شجاعا ميالا للغزو والقتال فأرسله أبوه لغزو بلاد العرب فنزل عليهم وقاتلهم وأرجعهم الى الطاعة ولم تكن العرب قبله انقادت لملك من الملوك الاولين وكان معه فى هذه الغزوة كثير من أبناء

المصريين الذين كانوا تربوا معه ثم سيره الى جهات المغرب فاستولى على برقة وغيرها من بلاد أفريقية وصيرها من ملحقات المملكة المصرية ثم مات أبوه عقب ذلك فتولى الملك بعده فلم يستقر به المنصب حتى جيش الجيوش وأكثر من معدات القتال وسار لقتال الاقطار السودانية وما زال بها حتى أخضعها وضرب على أهلها الجزية مقدارا يدفعونه فى كل سنة من الآبنوس وسن الفيل والذهب ولما كان فى مبدإ السنة الخامسة من حكمه قامت عليه سكان آسية الشمالية وهم قبائل الخيتاس وكاتى وكركميش وكدش وأراد وكانوا أقواما أصحاب قوة وبأس فتألبوا على محاربته وانضم اليهم أقوام أخر لم يكن لهم سابق قتال مع المصريين فعمت بذلك الفتنة وامتدت فى أرجاء آسية الشمالية كلها وانحدروا جميعا على عجل الى أن وصلوا الى وادى الارنؤد على مقربة من حدود مصر فلما بلغ رمسيس خبر وصولهم ركب فى جيش عظيم وسار لقتالهم فعبر أرض كنعان التى كانت يومئذ خاضعة لديار مصر وانعطف الى الجهات الشمالية ونزل بشبتون القريبة من كدش وبث العيون والجواسيس لتأتى له باخبار العدو وما هو عليه من المنعة أو الضعف وكذلك فعل العدو فلما كان فى بعض الايام خرج رمسيس فى طائفة من حراسه وسار صوب مدينة كدش فلقيه رجلان من الاعداء وأخبراه بان رؤساء القبائل الذين كانوا اجتمعوا لنجدة رئيس الحيثيين انفصلوا عنه وسيروا بهما لخدمته والعمل بمقتضى اشارته وأنهما تركا رئيس الحيثيين فى حلب شرقى مدينة تونب يتقهقر بعسكره فرارا من رهبتك وخوفا من جبروتك فاغتر رمسيس بهذا الكلام وتمكنت منه الخيلاء فزحف على الاعداء بمن كان معه من طوائف الحرس فى ذلك اليوم وقد كان بينه وبين معسكره بعد بعيد وكان قد رتب من معه من الجند وقسمهم الى أربع فرق الاولى منها فرقة أمون رع والثانية فرقة رع والثالثة فرقة بتاح والرابعة فرقة سوتخ وعين لكل موقفا أمام العدو فلما سار بمن معه من الحرس نحو كدش يريد مفاجأة العدو وأخذه أخذ عزيز مقتدر برز اليه رجلان بعثهما رئيس الحيثيين ليقبضا عليه ويأخذاه أسيرا وكانت جيوش العدو مجتمعة فى الشمال الشرقى من كدش وهى على أهبة الهجوم على كل من يمر بهم من عساكر رمسيس فآنس رمسيس من الرجلين أنهما انما أتيا ليقبضا عليه ويأخذاه أسيرا فأمر جنوده بالقبض عليهما واوسعوهما ضربا حتى اعترفا بسر بعثتهما وخفى مأموريتهما وأنهما انما حضرا لكشف أخبار الجيوش المصرية والقبض على رمسيس فعقد رمسيس لذلك مجلسا من كبار جنده وعنفهم وبالغ فى تعنيفهم وقال كيف تأتون بنا من طريق لاخبرة لنا بها ولا معرفة لنا بما فيها وكيف بسوء تدبيركم نضل عن طريق السلامة ونقع مع ما نحن فيه من القلة فى أيدى الاعداء الذين هم لنا بالمرصاد فجعلوا يعتذرون ويهونون عليه الامر ويقولون انما ذلك كله من فساد قلوب حكام هذه البلاد التى نزل بها العدو فلم يخبروا بخبره ولم يكشفوا لنا عن عوراته والرأى أن نرسل الساعة من يأتى لنا بالجيوش فنركب على الاعداء ونقاتلهم حتى نظفر بهم فبينما هم يتدبرون اذ ظهر العدو فى عدده

وعدده

وعدده يريد قتال رمسيس ومن معه وكان رمسيس فى هذا الحين نازلا بمن معه من جند الحرس على شمال كدش قريبا من نهر العاصى فهجم عساكر الحيثيين عليه هجمة رجل واحد وصدموا جنود القلب وأوقعوا فيهم القتل ففشل المصريون وانقسموا وولوا الادبار وبقى رمسيس بين الاعداء منفردا فتأهب للقتال قال صاحب العقد الثمين وقدجاء فى النقوش الأثرية أن الشاعر المصرى (بنتاأور) كان حاضرا مع رمسيس فى هذه الموقعة فقال فى ذلك مانصه

ان حضرة الملك نهض وهو فى غاية الصحة واعتدال المزاج ونهاية القوة والابتهاج كأنه المعبود مونت آخذا عدة الحرب فى الحال ومتهيأ للضرب والقتال فأرسل عربته فى صفوف الجموع وهجم على بنى خيتاس منفردا بنفسه لم يتقدم معه أحد من أبناء جنسه واقتحم المعركة وحده أى اقتحام بمشهد من جميع الاتباع والخدام وقد أحاط به ألفان وخمسمائة عربة حربية من شجعان الخيتاس والعصبية والقبائل المتكاثرة والعشائر المتظاهرة وهم ﴿آرادوس﴾ ﴿ومازو﴾ ﴿وبتاسا﴾ ﴿وكشكاش﴾ ﴿واليون﴾ ﴿وجازوناتان﴾ ﴿وشيروب﴾ ﴿واكتور﴾ وغيرهم وكان على كل عربة من عرباتهم ثلاثة من المحاربين ولم يكن مع حضرة الملك أحد من عشيرته ولا من أمراء دولته ولا من قواد جنوده ولا من العساكر الرماة ولا من عساكر العربات فتوجه الى معبوده واستغاث بمولاه قائلا

تركنى وحدى جند الرماة والفرسان ولم يبق معى من يشد ازرى . أو يعضد ظهرى . فماذا يريد مولاى أمون فهل أناعاص أستحق العقاب مع أنى لمولاى سميع مطيع أعمل بما أعلم من الامر بقدر ما أستطيع . وأقوم بحقوق المشاعر واظهار الشعائر . وأملأ بيوت العبادة من غنائم الاعدا . وأتقرب للمعبود بالقرابين التى لاتحصى عدا . وقد أكثرت من المعابد والهياكل وذبحت ألف ثور قربانا مزينة بالزهور الطيبة الرائحة وشيدت الهياكل الجسيمة . واقتطعت لها الاحجار العظيمة . وغرست فى المعابد الاشجار المخلدة . ونذرتها لتكون مآثر مؤبدة . وأحضرت من جزيرة أسوان للمولى المعبود أحجار المسلات الشامخة . وأجريت السفن فى البحار الزاخرة لجلب غنائم الملل الى الهياكل الباذخة . فها أنا يامولاى أدعوك وأنا بين أقوام كثيرين لاأعرفهم . وأنا فى حضرتك وحدى . فاقدا لجندى . تركنى عساكر الرماة وفرعنى الفرسان الكماة . وقد دعوتهم فما أجابونى . واستغثت بهم فما أغاثونى . وأنت أولى بى من الجنود الرماة والفرسان . وأحق بنصرتى من الابطال والفتيان . فانصرنى على العدد الكثير والجم الغفير . قال ثم أجاب الشاعر فى قصيدته بكلام عن مولاه انه لبى دعاءه وقبل رجاءه (قلت) وقد ضربنا صفحا عن ايراده هنا خوف ملل القارئ

وبعد قتال وحروب هائلة بين رمسيس والحيثيين والكنعانيين مدة خمس عشرة سنة كادت تفنى فيها جيوش الفريقين تقدم خيتاسار رئيس الحيثيين فى طلب الصلح والكف عن القتال حقنا للدماء واستبقاء لما بقى من تلك النفوس فجنح رمسيس الى ذلك قال صاحب العقد الثمين وأبرم أمره سنة احدى وعشرين من حكم رمسيس وحرروا معاهدة كتبت صورتها

أولابلغة الحيثيين ثم نقشت على لوح من فضة وقدمت الى ملك مصر فى مدينة رمسيس وكانت مبنية على الشروط والاحكام المدونة فى المعاهدة التى وقعت بين أمير الخيتاس ورمسيس الاول وسيتى الاول وهذا نص تعريبها

(المقــــدمة)

فى اليوم الحادى والعشرين من شهر طوبة سنة احدى وعشرين من حكم رمسيس ميامون محبوب (أمون رع) (وحورمخى) (وبتاح) سيد قسم (أنختو) بمنف (وموت) سيدة قسمى (أثر) (وخونفرت حتب) بطيبة وهو القائم على كرسى ملك العباد كأبيه (حورمخى) تخلد ذكره بينما كان هذا اليوم فى مدينة بارمسيس ميامون يؤدى فيها الشعائر للمعبود أمون رع ولحورمخى ولتوم سيد مدينة المطرية ولأمون الساكن بمدينة بارمسيس ولبتاح بالمدينة المذكورة وللشجاع (ست بن تحوت) لانهم منوا عليه بدوام عيده الرسمى و بدوام أعوام السلم له وبخضوع الاهالى والامم تحت نعليه على الدوام اذا برسل من طرف أمير الحيثيين خناسار أقبلت اليه وتقدمت بين يديه ليطلبوا الصلح منه وكانت صورته منسوخة على لوح من فضة مرسل من طرف أمير الحيثيين الى ملك مصر مع رسولين هما (تارتيسبو) (ورمسيس) يطلب الصلح من رمسيس ميامون ثور الملوك الذى وضع حدوده فى كافة الارض حيثما أراد وهــذه المعاهدة كتبها خناسار أمير الحيثيين المفخم ابن موراسار أمير الحيثيين المفخم وحفيد سابلل أمير الحيثيين المفخم على لوح من فضة وذلك بينه وبين رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر المفخم ابن سيتى الاول ملك مصر الاكبر المفخم وحفيد رمسيس الاول ملك مصر الاكبر المفخــم وهى معاهــدة وطيدة على الصلح والمحالفة والوفاق مؤكدة للسلم والاتفاق دائمة على الدوام

كان فيما مضى من عهد بعيد حصل بين ملك مصر وأمير الحيثيين عليهــما رضوان الرب اتفاق الاان أخى موتور أمــير الحيثيين نقضــه وتحارب فى زمنــه مع سيتى الاول ملك مصر الاكبر لكن من الآن فصاعدا أعنى من هذا اليوم تعهد خناسار أمير الحيثيين بمراعاة هــذه الشروط سائلا (أمون رع) (وست) أن عنا بدوام اتباعها فى ديار مصر وفى بلاد الحيثيين وأن يزيلا الشقاق أبدا من بين المتشارطين قال

(المعاهــدة)

اتفــقت أنا خناسار أمير الحيثيين ورمسيس ميامون ملك مصر الاكبر من هــذا اليوم على مراعاة الصلح والمعاهدة بيننا أبد الآبدين وعلى أن يكون حليفى ومنطويا على السلم معى وعلى أن أكون حليفه ومنطويا على السلم معه دهر الداهرين كما كان ذلك فى عصر أخى موتور أمير الحيثيين الاكبر الذى خلفته

فى الحكم بعـد موته وجلست على تخت والدى وهاأنا خناسار أظهر المودة الصادقة لرمسيس
ميامون ملك مصر الاكبر وبناء على معاهدتنا ومسالمتنا هذه تكون ديار مصر وبلاد الحيثيين
فى سلم ومحالفة تامةدائمة دون أن يقع بينهما أدنى شقاق مدى الدهر بشرط أن أمير الحيثيين
لايشن أدنى غارة على مصر لسلب شئ منها كما أن رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر لايشن
غارة على بلاد الحيثيين لسلب شئ منها وأن أتبع اتفاق العـدل الذى حصـل فى مدة سابلل
رئيس الحيثيين الاكبر واتفاق العـدل الذى حصـل فى مـدة أبى مورا سار رئيس الحيثيين
الاكبر وأن يتبع ذلك أيضا رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر ونعترف بيننا سوية بأن نتبع
هـذا الاتفاق ونجرى أعمال العـدل من هذا اليوم بشرط أنه ان أغارت أعـداء على بلاد
رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر لزمه أن يرسل الى أمـير الحيثيين ليخبره بالحضور فينضم
الى قوته عليهـم ويجب على أمير الحيثيين حينئذ أن يجيب سؤال ملك مصر الاكبر ويقاتل
أعداءه وان لم يرد أمير الحيثيين الحضور بنفسه لزمه أن يرسل جنوده المشاة وعرباته ليقاتلوا
أعـداء ملك مصر وان غضب رمسيس ميامون على جماعة من أتباعه يكونون قـد سرقوا
شيأ منه وأراد أن يقتلهم فعلى أمير الحيثيين مساعدته على ذلك وإن أغار عدو على بلاد خيتا
لزم أمـير الحيثيين أن يرسـل الى ملك مصر ويخبره بأن يحضر بقوته ليقاتل أعداءه فان أراد
رمسيس ميامون ملك مصر الحضور بنفســه قاتل أعداء أمير خيتا وان امتنع عن الحضور
بنفسه لزمه أن يرسـل مشاته وعرباته ليقاتل أعداء أمـير خيتا وأن يعين الوقت ويخاطبهم
بذلك وان كانت جماعة من خـدم أمير الحيثيين تسيئه فى خـدمته فعـلى رمسيس ميامون
أن يساعـده فى تأديبهم واذا هاجر بعض السكان من بلاد رمسيس ميامون الى أمـير خيتا
فعلى هـذا الامـير أن لايقبلهم بل يرسلهم الى رمسيس ملك مصر الاكبر واذا ذهب بعض
العمـلة الماهرين الى أمير خيتا لعمـل ما فلا يتوطنون أرض خيتا بل يرسـلون الى رمسيس
ميامون ملك مصر الاكبر واذا كان بعض الهاربين يحضرون من بـلاد خيتا ليتوجهوا الى
رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر فلا يقبلهم عنـده بل يرسلهم الى أمـير خيتا واذا ذهب
بعض العمـال المـاهـرين من أرض خيتا الى ديار مصر لعمل ما فعـلى رمسيس ميامون ملك
مصر أن لايوطنهم مصر بل يأمر بارسالهم الى أمير خيتا هذا الكلام الذى على لوح الفضة
مقول على لسان ألف معبود من معبودات ومعبودى الجهاد منهم معبودات بلاد خيتا وعلى
لسان ألف معبود من معبودات ومعبودى الجهاد منهم معبودات مصر وهو أيضا يعتبر حقا
وذمـة علينا ويشهد بذلك ست معبـود توتب وست معبود خيتا وست معبود مـدينة أرنا
وست معبود مـدينة توسورونتا وست معبود مدينة بركا وست معبود مـدينة خساب وست
معبود مدينة سارسو وست معبود مدينة حلب وست معبود ...... وست معبود مدينة
سربينا وأسترتا معبود بلاد خيتا وجزيرة تاضرار وكدش ومعبود مدينة أخن ومعبود مدينة
تساى وجبال وأنهار بـلاد خيتا ومعبودات بـلاد كادز وآتانا وأمون ورع وست والارباب

الحربية والمعبودات وجبال وأنهار ديار مصر وكافة من بدائرة البحر الاكبر والهواء والسحب وهذا الكلام الذى على لوح الفضة منسوب لبلاد خيتا وبلاد مصر فكل من لم يتبع مضمونه تصرف ألف معبود من بلاد خيتا وألف معبود من بلاد مصر فى مسكنه وأملاكه وخدمه ومن يتبع الكلام الذى على هذا اللوح سواء كان من بلاد خيتا أو من بلاد مصر أحبه ألف معبود من بلاد خيتا وألف معبود من بلاد مصر وأحيت بيته وأملاكه وأتباعه أيضا واذا هرب رجل أو اثنان أو ثلاثة من مصر وذهبوا الى أمير خيتا فعلى أمير خيتا أن لايقبلهم بل يأمر بارسالهم الى رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر وكل من أرسل الى رمسيس ميامون لايعاقب بذنبه ولا يبيد بيته ولا امرأته ولا أولاده ولا تقتل أمه ولا يضرب على عينه ولا على فه ولا على رجليه ولا تقام عليه أية تهمة جناية واذا هرب من بلاد خيتا رجل أو اثنان أو ثلاثة وذهبوا الى رمسيس ميامون ملك مصر الاكبر فعليه أن يأمر بارسالهم الى أمير خيتا وكل من أرسل اليه لايعاقب بذنبه ولا يبيد بيته ولا امرأته ولا أولاده ولا تقتل أمه ولا يضرب على عينه ولا على فمه ولا على رجليه ولا تقام عليه تهمة جناية انتهى بنصه

فلما تمت هذه المعاهدة بين الفريقين بقى كل منهما محافظا عليها ستا وأربعين سنة وفى هذه المدة حصلت الراحة التامة للرعية ووقع فيها المصاهرة بين رمسيس وأمير الحيثيين وذلك ان رمسيس تزوج بابنة هذا الامير وبعد المصاهرة بمدة دعا رمسيس صهره الى الحضور فى ديار مصر كما دلت على ذلك الكتابة الموجودة فى ورقة انسطاسى وحاصلها

ان رئيس الحيثيين الاكبر أرسل الى أمير (كاتى) أحد أمراء دولته قائلا له هيئ نفسك كى تذهب الى مصر حيث دعانا ملكها رمسيس لذلك ولا يسعنا مخالفته اذ لافرق بينه وبيننا وقد أحبته الناس لكونه يمنح الحياة لمن يشاء اه

وكان حضور أمير الحيثيين لزيارة رمسيس فى مدينته بعد مضى ثلاث وثلاثين سنة من حكمه ولتذكار سياحته نقش حاصل رحلته فى حجر ورسم عليه صورة نفسه وصورة ابنته التى تزوجها رمسيس وصورة رمسيس فتعجب المصريون من ذلك وقالوا انما أهل مصر صاروا قلبا واحدا مع أمير الحيثيين وهذا من الامور التى لم يسبق لها مثيل من عهد المعبود (رع) انتهى

قال أهل التاريخ ولم يكن له من غاية فى هذه الفتوحات العظيمة سوى حب الظفر والغنيمة وتذليل الاعداء وانقياد الامم لسطوته وخضوعهم لعزته وجبروته ولكن قد خانته الايام فانه مارجع الى تخت مملكته حتى هبت جميع تلك الممالك الى الخروج عليه ونهضت الى شق عصا الطاعة فلم يبق له منها الا بعض المدائن والبلاد القريبة وهذه أيضا لم تبق على الطاعة لملوك مصر بعد موت رمسيس الثانى المذكور الازهاء أربعة قرون ثم عصت وخرجت كغيرها ولما كف عن الغزوات والحروب وجه عنايته الى تزيين الهياكل وإتحافها بنفائس الغنائم

ثم صرف همته الى تشييد المبانى العجيبة وكان فى بنائه الهياكل يراعى معتقد الاهالى فى كل بلدة ومدينة وكان الذين أسرهم فى غزواته يقطعون الاحجار ويشيدون تلك الآثار وكان جل اهتمامه منصرفا الى تحسين المدينتين العظيمتين وهما منف دار الملك وطيبة دار الدين والعلوم وقد أنشأ الجسور والقناطر والترع والخلجان وسخر الاسرى فى ردم الاراضى المنخفضة التى كان يفسدها النيل وفى رواية أنه حوّل النيل الى مجراه الحالى ليصلح بذلك ماتلف من الاراضى المنخفضة قال بعض الكتاب ويقال انه لما رجع رمسيس الثانى المذكور من آخر غزواته الى ديار مصر خرج أخوه للقائه ومعه جماعة من خواصه وأظهر الفرح والسرور وقابله بمدينة تنيس فأحسن الملك فيه ظنه وأخلص له فى المودة فلما استقر بالملك المقام مع عائلته فى قصره الملوكى بمدينة تنيس أضرم أخوه النار فى القصر يريد إهلاك الملك وعائلته حرقا وأخو الملك هذا هو المسمى عند اليونان ﴿ دانوس المصرى ﴾ فلما أحس الملك بالحريق فرّ هاربا ونجا هو وعائلته من هذه المكيدة فخاف دانوس وهاجر الى بلاد اليونان ويقال انه أسس فيها القبائل المصرية وقد حكى بعض المؤرخين أن دانوس هذا هو نفس أرمايس أخو رمسيس الثانى وأنه ركب سفينة من مصر مع طائفة من المصريين وهاجر الى موره وعمر بلاد اليونان ومدنها وخالف ذلك بعض المؤرخين فقال إن دانوس هذا ليس من أبناء ملوك الدولة التاسعة عشرة ولا من إخوة رمسيس الثانى وانما هو من عائلة الملوك الرعاة المشاغبين للعائلة المصرية المتأصلة وانهم لما حاربوا أمراء الملوك الرعاة وأخرجوهم ومزقوا شملهم هاجروا تحت رئاسة دانوس المذكور وقيل انه من أبناء بنت ايناخوس المصرى الذى كان قد فرّ من مصر الى مدينة حور ومعه طائفة من عرب العمالقة فنزل وتزوّج منها وأعقب بنتا ولدت دانوس المذكور ثم هاجر ايناخوس الى بلاد اليونان وتولى ملك اقليم ارغوس فى بلاد مورة فلما انتقلت المملكة الى أولاده وأولاد أولاده وكان دانوس من ذرية بنته ارتحل الى مملكة ارغوس ليأخذ حقوقه ووراثته فى ممالك جده قالوا وهذا كله يدل دلالة واضحة على أن تمدن اليونان انتقل مع من هاجر اليها من ديار مصر فى تلك الازمان وان اليونان انما هى بنت مصر لامحالة

وطالت أيام ملك رمسيس فكانت ثلاثا وثلاثين سنة وقال آخرون بل سبعا وستين سنة وقيل ثمانا وستين سنة وأشهرا واستدلوا على ذلك بأنه لما تغلبت دولة فارس على بلاد مصر وخرجت الحكومة من يد ملوك مصر الاهلية وكان فى رواق الصور الملوكية بمدينة طيبة بالصعيد صورة رمسيس الثانى المذكور أراد داريوس ملك فارس أن يضع صورته فى هذا الرواق فوق صورة رمسيس الاكبر فغضب رئيس الكهنة المحافظ على تلك الصور من ذلك وقال للملك بغلظة لايجوز لأحد من الملوك أن يعلو على رمسيس الاكبر الا من حذا حذوه فى أعماله العظيمة فلم يغضب داريوس من كلامه وقال له لأجتهدن وأفعلن لمصر من المنافع مافعله هذا الملك العظيم ان عمرت عمر رمسيس حتى لا أكون دونه فى الشهرة ورفعة المقام

ورمسيس هذا هو الذى قسم مملكة مصر الى ست وثلاثين إيالة وأقام على كل إيالة نوابا لجمع العساكر وتجنيد الاجناد وهو الذى رسم صورة الخريطة وصوّر فيها صورة المدن التى افتتحها ليبين لاهل مصر عظم ملكه وكنه جبروته وكان فيه تيه وتعاظم فانه كان اذا ركب فى موكبه لزيارة المعابد أو التنزه يأتى ببعض الملوك والامراء والعظماء الذين أسرهم ويلبسهم ثيابهم الملوكية ثم يربطهم كالخيل أربعة أربعة ليجروا عربته وكان بعد رجوعه من هذا الموكب يجلسهم ويحسن اليهم وكان قد كف بصره فى آخر أيام حياته فجرع نفسه بعد ذلك بيده كأس الحمام وجسده اليوم محفوظ بدار الآثار المصرية وبموته تولى بعده ابنه المسمى منفطا الثانى (ويقال له أيضا منفتاح الاول)

(فى الملك منفطا الثانى)

(ابن رمسيس الاكبر)

تولى الملك بعد موت أبيه رمسيس الاكبر سنة خمسمائة وألف قبل الميلاد ويقال له أيضا فاران أو فرعان وفرعون وانما سمى منفطا لكون جده كان يسمى بذلك وكانت عادة ملوك مصر القدماء أن يلقب الملك منهم بلقب جده وله أبنية ومآثر عظيمة تدل على علو همته وفى أيامه خرج بنو اسرائيل من مصر مع موسى وهارون سنة أربع وخمسين وستمائة وألف قبل الميلاد بعد وقوع ماوقع من المعجزات على يد موسى كما جاء فى التوراة فهو على هذا فرعون الذى أغرقه الله سبحانه وتعالى فى بحر القلزم وقال بعض المؤرخين من أهل أوروبا ان خروج بنى إسرائيل وغرق فرعون كانا فى زمن رمسيس الثانى وزعم بعضهم ان هاتين الحادثتين كانتا فى زمن ابنه منفطا الاول والذى عليه معظم المؤرخين انهما فى زمن فرعون بن رمسيس الاكبر المسمى عندهم فرعان أو (ابوخوريس) وهو منفطا الثانى هذا قال مانيطون المؤرخ مات منفطا يعنى منفطا الثانى هذا عن ابنة اسمها (طوسير) وابن قاصر اسمه منفطا الثالث ويلقب (أوسيرخبرورع ميامون) فتزوجت هذه الابنة بعظيم من المصريين اسمه حفطا منفطا فكان يقال له أيضا فرعون تبعا لها وكان يحكم بالنيابة عنها اه ففسر أهل التاريخ أن زواج طوسير المذكورة بذلك العظيم الذى لم يكن من الدم الملوكى مع ان جدها سيزوستريس كان قد خلف عدة بنين يدل على حدوث حادث عظيم للغاية نجم عنه انقراض سائر أعضاء تلك العائلة الملوكية قالوا وذلك الحادث إنما هو غرق فرعون وسائر جنوده فى البحر * ولا بأس من أن نذكر هنا تفصيلا لقدوم بنى اسرائيل الى مصر وما جرى عليهم الى يوم خروجهم منها

على

على ماجاء فى التوراة وما قاله المفسرون فى ذلك تتميما للفائدة وان كان فيـه بعض الاسهاب والتطويل

اعلم ان أولاد يعقوب الذين جاؤا الى يوسف بمصر مع يعقوب أبيهم هم رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالى وجاد وأشير وقد تناسل من هؤلاء الاحد عشر وممن خرج من أصلابهم سبعون نفسا غير يوسف عليه السلام فلبثوا مع أبيهم بمصر ماشاء الله ثم مات يوسف وجميع اخوته وسائر ذلك الجيل وبقى من خرج من أصلابهم فتوالدوا ونموا وكثروا كثرة بالغة جـدا وامتـلأت أرض مصر منهم شرقا وغربا . فلما رأى فرعون كثرتهم ونماءهم (وهو رمسيس) خاف شر العاقبة وقال لقومه انظروا كيف نما بنو اسرائيل وكثروا وصاروا شعبا أعظم منا هلم نحتل لهم لئلا يكثروا فيخشى أنه اذا حدثت حرب ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا ويكونون لهم عونا علينا فجعلوا عليهم رؤساء تثقل عليهم وتسومهم الخسف ثم جعلوا يسخرونهم فى البناء ونقل الاحجار وحمل اللبن فابتنوا مدينتى (فيتوم) (ورعمسيس) وفيتوم هـذه هى المسماة فى الآثار باسم بيتوم (ورعمسيس مدينـة حصينة واقعة بين مصر وفلسطين) وكان أولئك الرؤساء لايألون جهدا فى تعذيبهم وايذائهم فقد وجد منقوشا على جدران هيكل طيبة الصغير من قول أولئك الرؤساء للعمال من بنى اسرائيل وذلك فى عصر توتوميس الثالث (هاهى العصا بيدنا فلا تكونوا متوانين) قال أصحاب التاريخ وقد اشتدت عليهم وطأة العذاب فى أيام رمسيس الثانى اذ لم يكن ثمة مايشغله عنهم بسبب المعاهدة التى تمت بينه وبين أمير الحيثيين بالكف عن الحرب والقتال فوجه عنايته الى بناء المعابد وانشاء العمارات الجسيمـة والابنية الضخمة بعمال من الاسرائيليين فكان فريق منهم للبناء وفريق للحرث وفريق للاعمال الدنيئه ومن لم يقدر على عمل شئ فعليه الجزية وقد وجد مكتوبا على ورقة البردى الموجودة الآن بمتحف لوندرة عاصمة الانجليز ماترجمته

ان جـلالة الملك رمسيس شـيد لنفسه مـدينة تدعى رعمسيس حصينة الموقع بين مصر وفلسطين مملوءة بالخيرات العظيمة ورسمها كرسم (أون) يعنى ارمنت وستبقى أكثر من منف وتشرق الشمس فى أفقها وتغرب فيها وتهجر الناس مواطنها لتسكنها فهيكل (امون) غربيها وهيكل (سوتخ) جنوبيها وهيكل (استرته) شرقيها والالهـة (بوتو) فى شمالها والمدينة بينهم كأنها أفق السماء وفيها (رمسيس) كأنه معبودها فهو ملك كالشمس بين الامراء لم تكن لمصر لذة الا به وهو مثـل (توم) من حيث حسـن الادارة كيف لا وقد خضعت له الارض اه

قالوا ولما أتم عمال الاسرائيليين بناء المدينة المذكورة فرح بها رمسيس فرحا عظيما وأولم فيها وليمة حضرها كاتب من المصريين اسمـه (بنيتا) فكتب فى ذلك الى رئيس له اسمه (أمنم أبت) يقول * قد دخلت مـدينة رعمسيس فوجدتها فى أحسن حال وهى جميلة ليس لها فى الحقيقة مثيل فى عمارات طيبة ولا فى جبل السلسلة الذى هو محل النعيم حيث

ترى حقولها مملوءة فى كل آن بالمغروس والمأكول وحيضانها مشحونة بالاسماك وغدرانها ترفرف عليها سائر أشكال الطيور المائية ومروجها مخضرة بالحشائش الأنيقة الى أن قال وميناها غاصة بالسفن والشوانى المشحونة بالخيرات الكثيرة من المأكولات على اختلاف أنواعها تأتى اليها فى كل يوم واذا نزل بها مقيم سرسره وانشرح صدره اذ لا رقيب فيها ولا معارض بل يستوى فيها الصغير والكبير الى أن قال * وفيها جوارى الملك الحسان واقفات على أبوابها والفرح يعم سائر أرجائها بلا مكدر لصفوه * عشت يارمسيس فى صحة وعافية * ومع ما كان فيه بنو اسرائيل من الذل والحيف كانوا فى نماء وازدياد عظيمين حتى خاف فرعون عاقبة أمرهم وحسب لهم ألف حساب وكان لنساء الاسرائيليين قابلتان احداهما اسمها شفرة وثانيتهما اسمها فوه فأرسل فرعون فى طلبهما فلما تمثلتا بين يديه قال لهما انظرا اذا جاء المخاض لاحدى العبرانيات ودعيت احدا كما اليها فان ولدت ذكرا فلتقتله فى الحال بلا مهل وان ولدت بنتا فلتبقها فلم تفعل القابلتان ذلك وخالفتا فرعون فيما أمر وأحس فرعون بذلك فأرسل فى طلبهما وسألهما فقالا انا لم نخالف لمولانا أمرا ولكن العبرانيات أشد وأقوى من المصريات ولذلك يلدن قبل أن تصل إحدانا إليهن فتركهما فرعون ونادى فى قومه أن اطرحوا كل ذكر ولدته عبرانية فى النهر فان ولدت بنتا فاستبقوها فتطاولت أيدى الناس الى العبرانيات وبالغوا فى ايذائهن وتنكيلهن واحتاطت بهن العيون والارصاد فكانت شدة عظيمة للغاية * واتفق فى هذا الحين أن تزوج رجل من بيت لاوى بابنة من سلالة لاوى فحملت ثم ولدت ذكرا فنظرت اليه فرأته جميلا حسن الصورة فخبأته ثلاثة أشهر ثم خافت أن ينفضح أمرها فأخذت له سفطا من البردى وطلته بالقار والحمرة ووضعت الصبى فيه وألقته فى النهر بين الحلفاء النابتة على حافة النيل وأوقفت أخته من بعيد لترى ماذا يحل به وبينما هى على هذه الحال اذ أقبلت ابنة فرعون فى وسط جواريها ووصيفاتها لتغتسل فى النهر وكان بعض جواريها على مقربة من النهر فنظرن السفط فى ذلك المكان فأخبرن سيدتهن بخبره فأمرت باستحضاره فأحضرنه ففتحته فرأت فيه الصبى يبكى فتأملت فى وجهه وقالت «هيه هو من أولاد العبرانيين» وخالج حبه فؤادها وعند ذلك تقدمت أخته الى ابنة فرعون وقالت هل تسمح سيدتى بأن أذهب وآتى لها بمرضعة ترضعه فقالت لها اذهبى فذهبت أخته وعادت ومعها أم الصبى فدفعت لها ابنة فرعون الصبى وقالت أرضعيه ولك أجرتك فأخذته وانطلقت فرحة مسرورة بنجاته وابتدأت ترضعه حتى كبر وترعرع فأتت به الى ابنة فرعون فاتخذته لها ولدا وسمته (أوزارسيف) ومعناه كما فسره أهل العلم من المتأخرين «موسى» وجاء فى التوراة أنها سمته «موسى» وقالت انى انتشلته من الماء وعنيت بتربيته وتهذيبه وتعليمه العلوم والفلسفة المصرية حتى نبغ

واتفق أن خرج موسى يوما الى حيث بنو اسرائيل يشتغلون فرآهم وهم يقاسون العذاب ألوانا والرؤساء تسوقهم الى العمل كالأنعام المسخرة ونظر فاذا مصرى يضرب عبرانيا ضربا شديدا

فشق عليه هـذا الامر جـدا وأغضبه ونظر يمنة ويسرة فلم ير أحـدا يخشاه فوكزه موسى فقضى عليـه وواراه فى الرمـل وهو لايظن ان أحـدا رآه قط وأصبح فخـرج واذا باثنـين يختصمان وكـان أحـدهـما شـديدا قـويا فكاد يبطش بالثانى فتقـدم اليـه موسى وقال له لماذا تضرب صاحبـك كف عنـه يرحمـك الله فقال له الرجـل ومن جعلك رئيسا وقاضيا علينا أتصر على قتلى كما قتلت المصرى بالامس وشاع خـبر قتـل المصرى ونقـلوه الى فـرعون فغضب وطلب موسى فـلم يجـده حيث خرج هـاربا من ذلك اليوم الى أرض (مـدين) ولما اشتد به التعب جلس عنـد بئر هنالك ليستريح وكـان رجـل مـدين المـدعو رعوئيل سبع بنات فأتين واسـتقين وملأن الاجران ليسقين غنم أبيهن فبينما هن على هذه الحـال اذ جاء بعض الرعاة وطردوهن وأخـذوا مافى الاجران من المـاء فكبر هـذا الامر على موسى واسـتعظمه وقام وطرد الرعاة واسترد الاجران وسـقى غـنم أبيهـن فلما عادت البنـات الى أبيهـن قال مابالكن قـد رجعـتن اليوم مسرعات فقلن رجـل مصرى عاوننا اليوم وأنقـذنا من أيدى الرعاة وسـقى لنـا الغـنم فقال رعوئيـل ويلكن ياقاسيات اذهـبن واسـتدعين الرجـل لنشكر له صنيعه فاتينبه فأكرم رعوئيل وفادته وأنزله مكانا رحبا وبالغ فى اكرامـه وقربه منـه ولبث موسى على هـذا الحـال أياما كثـيرة فزوجه رعوئيـل احدى بناته المسماة صفورة فرزقه الله منها بولد فسمـاه (جرشوم) قال لانى ولدته وأنا فى بلاد غريبة

وما زال موسى وزوجته عند أبيها رعوئيل حـتى مات فرعون الذى هو رمسيس الثانى وقد أخـذت الشدة من بنى اسرائيل مأخذهـا وارتفع صراخهم الى عنان السماء واتفق أن خرج موسى يوما يرعى غنم حميه على عادته فسار بهم على غير التفات الى ماوراء جبل (حوريب) وجلس هنالك قليلا وكان على مقربة منـه عليقة فنظر اليها واذا هى تتوقد نارا ولم تحترق فدنا من العليقة والخوف ملء فؤاده فسمع صوتا يناديه (موسى موسى) فقال لبيك فقال لاتقترب من هنا واخلع نعليـك لان الموضـع الذى أنت واقف به مقـدس واعلم أنى اله أبيـك واله ابراهـيم واله اسحاق واله يعقوب فاشتد الخوف بموسى وستر وجهه بيـديه فقال الصوت انى عالم بـذلة شعبى الذى بمصر وعالم بأوجاعهم وسأنقـذهم من تلك العبودية وأخرجهم من تلك الارض الى أرض واسعة تفيض لبنا وعسلا وسأسكنهم حيث يسكن الكنعانيون والحيثيون والاموريون والفرزيون والحويون واليبوسيون فاذهب الى فرعون وأخرج شـعبى من بلاده فقال موسى من أنا حـتى أذهب الى فرعون ومن أنا حتى أخرج شـعبك من أرض مصر قال * فاذا خرجت بشـعبى من أرض مصر تعبدون الله على هذا الجبـل وهذه تـكون لك علامة أنى مرسلك * فقال موسى السمع والطاعة فاذا أتيتهم وقلت لهم إله آبائكم أرسلنى اليكم وقالوا ماسمـه فماذا أقول فأجابه الصوت قـل لهـم هو (أهية شر أهية) وقد أرسلنى اليكم فاذا سمعوا قولك فادخـل أنت وشـيوخ بنى إسرائيـل على فرعون وقولوا له ان الله التقانا

وأمرنا بالدخول عليك لتطلق شعبه بني اسرائيل واني أعلم أن فرعون لايطلق شعبي ولا يسرحه فلذلك سأضرب مصر بكل عجائبي حتى تخرجوا * فقال موسى وكيف يصدّقني شعبك ويعمل بقولي *فقال له الصوت وما تلك بيمينك قال هي عصاى قال ألقها فألقاها فاذا هي حية تسعى فخاف موسى فقال له الصوت مدّ يدك وأمسك بذنبها فمدّ يده وأمسك به فعادت عصا فنادى الصوت ياموسى أدخل يدك في جيبك فأدخلها ثم أخرجها فاذا هي بيضاء مثل الثلج فقال له أدخلها ثانية فأدخلها ثم أخرجها فعادت كما كانت قال الصوت فان لم يصدّقوك بعد هاتين الآيتين فخذ ماء من النهر وصبه على الارض فيصير في الحال دما وسأشد أزرك بأخيك هرون وأكون لكما عونا ونصيرا

وانحدر موسى إلى مصر ومعه زوجته وأولاده وهرون أخوه وكان عمر موسى ثمانين سنة وعمر هرون ثلاثا وثمانين فلاقاهم بعض العبرانيين وفرحوا بقدمهم وسجدوا لله شكرا حيث نظر الى ضعفهم وماهم عليه من الذل والمسكنة وشاع الخبر بذلك فعم الفرح وبات موسى ومن معه وأصبحوا وقد دخل هو وأخوه هرون على فرعون وقالا له يقول لك اله إسرائيل أطلق شعبي ليعبدوني في البرية فتعجب فرعون من كلامهما وقال من أنتما ومن هو إلهكما الذى يطلب أن أطلق له بني اسرائيل عبيدى وعبيد شعبي اخسآ * ورسم للرؤساء والمسخرين بأن يشددوا على سائر العبرانيين ويضيقوا عليهم مااستطاعوا فشدّدوا وهدّدوا وساموهم الخسف فلما ضاق منهم الخناق اجتمع كبارهم ومدبرو أمرهم ووقفوا لفرعون في طريقه فلما دنا منهم صاحوا في وجهه وقالوا ارحم عبيدك ولا تحرقهم بنار غضبك فلم يلتفت اليهم فعادوا وهم في أسوإ حال واذا بموسى وهرون ينتظرانهم فكلموهما في الامر وبكوا وانتحبوا وقالوا لهما تضرعا الى الله كي يستجيب نداءنا ويرحم صراخنا فدخل موسى وهرون على فرعون وقالا له يقول الله اله ابراهيم واسحق ويعقوب ان أنت لم تطلق شعبه بني اسرائيل حاق بك وبجميع شعبك غضبه فزجرهما وقال ماالذى جئتما به من العجائب حتى أطلق عبيدى القائمين ببناء معابد آلهة شعبي وهيا كلهم فقال موسى لهرون خذ عصاى وألقها أمام فرعون ومن حوله من كبار دولته فألقاها فصارت حية تسعى فلم يحفل فرعون بما صنع موسى وهرون وأمر بالسحرة والعرّافين فحضروا فقال دونكم وما فعل هذا العبراني فطرح كل واحد عصاه فصارت حية تسعى فانقضت عليهن حية موسى وابتلعتهن جميعا فغضب فرعون وأمر باخراج موسى وهرون فاخرجوهما فعاد اليه موسى وأخوه ثانية وقالا يقول الرب انلم تطلق بني اسرائيل نضرب الارض والنهر فيتحوّل ماؤه وسائر مياه سواقيكم وآجامكم وكل مجتمعات مياهكم دما فيكون الدم في جميع أرض مصر حتى في الاخشاب والاحجار قالا ذلك وفعلاه بحضرة فرعون وكبار دولته وجماعة السحرة والعرافين فالتفت فرعون الى السحرة وقال وأنتم ماذا تقولون قالوا نفعل هاته الآية بعينها وفعلوها في الحال فاشتد عناد فرعون وقال لاأطلق قط ذلك الشعب النجس وكبر الامر عليه جدا وجاء الناس ليستقوا من النهر

فلم يقدروا والشدة تنتهه لحفر واحوالى النهر وأخذوا الماء فوجدوه دما فكانت شدة عظيمة و بعد سبعة أيام
دخل موسى وهرون على فرعون وكلماه فى اطلاق بنى اسرائيل فلم يلتفت اليهما فقالا له
يقول الله إسرائيل ان لم تطلق شعبي ليعبدنى فى البرية وأبيت ذلك فها أنا أضرب جميع قومك
بالضفادع فيفيض النيل ضفادع وتنبث فى الارض وتدخل بيتك ومخدع فراشك وتصعد
الى سريرك وتدخل سائر بيوت شعبك والى مخابزك ومعاجنك فقال فرعون لاسبيل الى ذلك
فأمر موسى هرون فمدّ يده الى النيل ففاض فى الحال ضفادع وانبثت على وجه الارض
فجاء العرافون وفعلوا كذلك واشتد ايذاء الضفادع بالناس فاستدعى فرعون موسى وهرون وقال لهما
اطلبا الى الهكما أن يرفع عنا ضفادعه فرفع موسى عينه الى السماء ونادى الله تعالى فماتت
جميعها باذن الله فجمعوها فكانت أكواما كثيرة لاتكاد تدخل تحت حصر وأنتنت وظن
فرعون أنه لم يبق من موجب لاطلاق بنى إسرائيل فجعل يحاول موسى وهرون و يطاولهما
فمدّ هرون يده بعصا موسى وضرب بها تراب الارض فصار كله بعوضا وعم كل أرض مصر
فجاء العرافون ليخرجوه بسحرهم فلم يقدروا واشتد البعوض بالناس والبهائم فكانت شدته
عظيمة جدا فلم ينكف فرعون عن عناده ولم يسرح بنى اسرائيل فغضب الله على فرعون
وضربه هو وقومه بضربات أخرى متتابعة هى الذباب وموت الماشية والقمل والبرد والجراد
والظلام الدامس مدة ثلاثة أيام ثم موت الابكار من ولد فرعون الجالس على كرسى عظمته حتى
بكر الجارية التى تطحن على الرحى حتى بكر البهائم أيضا فكانت هذه الضربة خاتمة ضربات
مصر فقام حينئذ المصريون قومة رجل واحد على فرعون ملكهم وقالوا له أطلق بنى اسرائيل
الساعة فأطلقهم فساروا مع موسى وهرون من مدينة رعميس نحو مدينة (سكوت) وهم زهاء
ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الاولاد ومعهم شئ كثير جدّا من الضأن والمعز والبقر
فكانت مدة مقامهم بمصر مائتين وثلاثين سنة * وقال موسى لبنى إسرائيل اذكروا أنكم
خارجون من أرض مصر من بيت الذل والعبودية فى شهر أبيب وأخذ موسى وهرون جثة
يوسف عليه السلام معهما ليدفناها فى أرض الموعد وسارا ببنى اسرائيل وهم جيش
عرمرم من سكوت الى (ايثام) ونزلوا فى طرف البرية أياما ثم رجع بهم موسى ونزلوا أمام فم
الحيروث بين مجدل والبحر امام بعل صهون * وندم فرعون على مافعل من اطلاق بنى إسرائيل
فنادى فى جنده وكبار قومه بالمسير خلفهم وارجاعهم وأمر فشدوا مركبته وجهزوا ستمائة
مركبة حربية وعدّة وافرة من مركبات النقل وساربها سيرا حثيثا جدا خلف بنى إسرائيل
حتى أدركهم عند فم الحيروث امام بعل صهيون عند البحر فلما رآهم بنو إسرائيل مقبلين
بخيلهم وعرباتهم فزعوا جدا وصرخوا الى الله تعالى وصاحوا فى وجه موسى وهرون وقالوا
ويلكما هلا يكون فى أرض مصر قبور ندفن فيها حتى أتيتما بنا الى هنا لنموت فى هذه البرية
فرفع موسى عينه الى السماء فسمع صوتا يقول * قل لبنى إسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت

عصاك وامدد يدك بها الى البحر وشقه فتنكشف اليابسة فاعبر البحر أنت وهم * ففعل وباتوا ليلتهم تلك وأصبحوا وكانت ريح شرقية طول الليل فيبس البحر وظهرت اليابسة فعبر بنو إسرائيل والماء سور لهم ذات اليمين وذات الشمال فتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم بسائر مركباتهم وخيلهم فلما تم عبور الاسرائيليين مدّ موسى عصاه الى البحر فانهال الماء على فرعون ومن معه من كبار قومه وجنوده ومركباته وأغرقهم جميعا وشاهد بنو إسرائيل أجسادهم طافية على وجه الماء فصاحوا جميعا صيحة الفرح وجعلوا يترنمون بهذه الكلمات * أرتل لله تعالى فانه قد تعظم . وقد طرح الفرس وراكبه في اليم . الله ربي قوتي ونشيدي قد صار خلاصي هو الهي سبحانه فأمجده إله أبي فأرفعه * وجعلوا يكثرون من مثل هذه الاغاني حتى ملأت أصواتهم البرية وأخذت مريم أخت هرون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها يضربن بالدفوف والكاسات ويرقصن ومريم تنشدهن شيأ من الحماسيات ثم ارتحل موسى بني إسرائيل من بحر سوف وخرجوا الى برية شور فساروا ثلاثة أيام ولم يجدوا ماء فانقلبوا على موسى وأخيه وقالوا قد جئتما بنا الى هنا فمن أين يا ترى نستقي وليس أمامنا الا تلك العين المرة فنظر موسى الى شجرة كانت على مقربة منهم وقال اطرحوا هذه الشجرة في العين فطرحوها فصار ماؤها عذبا زلالا ففرحوا واستقوا وساروا في طريقهم حتى نزلوا على «إيليم» وكان بها اثنتا عشرة عينا وسبعون نخلة فاستقوا واستراحوا أياما ثم ارتحلوا من «إيليم» فوصلوا الى برية «سين» الواقعة بين «إيليم» المذكورة «وسينا» في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني من خروجهم من أرض مصر فشق عليهم ذلك جدا وتذمروا على موسى وهرون وخاطبوهما بفحش القول وهذر الكلام وقالوا هل جئتما بنا الى هذا القفر لتقتلانا بالجوع والله قد كان خيرا لنا ان نخدم المصريين ونستعبدلهم ونحن جالسون عند معاجن الخبز وقدور اللحم فكبر هذا الامر على موسى ونادى ربه وبكى فقيل له إني منزل عليهم في الصباح خبزا من السماء فيخرجون ويلتقطون حاجة اليوم وفي المساء لحما فيأكلون ويستغفرون * فكان ذلك وساروا من هنالك الى «إرفيديم» فأعوزهم الماء فصاحوا في وجه موسى وهرون وقالوا ارجعا بنا الى أرض مصر فانه خير لنا أن نموت عبيدا لأهلها من أن نموت في هذه البرية عطشا فغضب موسى وقال ويلكم الى كم تغلطون في القول والى متى تعنفونني ونظر الى السماء وبكى فناداه الصوت أن خذ عصاك التي ضربت بها البحر وخذ معك جماعة من شيوخ بني اسرائيل وسر بهم الى حوريب واضرب الصخرة التي هنالك بعصاك تلك فينفجر منها الماء فسار موسى ومعه الشيوخ الى حوريب وضرب الصخرة بعصاه فانفجر منها الماء فاستقى بنو اسرائيل وسائر دوابهم وشكروا ودعوا ذلك المكان باسم «مسة ومريبة» ثم سار بهم موسى وهرون حتى جاؤا برية سينا وحطوا رحالهم أمام الجبل ونادى الصوت موسى وهرون أن اصعدا الى الجبل واقتحماه فصعدا فأنزل الله تعالى على موسى العشر كلمات شريعة يقضي بها ولبث موسى يصعد الى سينا وينحدر منه الى بني اسرائيل بوصايا الله تعالى وشريعته التي سنها لهم حتى ناداه الصوت يوما أن اصعد

ياموسى الى الجبل فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لشعبى بنى اسرائيل فقام موسى لساعته وودع شيوخ بنى اسرائيل وقال لهم إنى مستخلف فيكم هرون (وحور) فمن كانت له ظلامة فليتقدم اليهما وصعد الى الجبل فغشيه السحاب وكانت نار آكلة تتأجج فى وسط الجبل وبنو اسرائيل ينظرون الى ذلك وهم وجلون فأقام موسى فوق الجبل أربعين يوما وأربعين ليلة

ولما أبطأ موسى ولم ينزل هاج بنو اسرائيل وماجوا وملوا من المقام فى البرية فقاموا على هرون وصاحوا فى وجهه وقالوا قم واصنع لنا إلها يسير أمامنا فاننا مللنا المقام فى هذا المكان القفر أما موسى الذى أخرجنا من أرض مصر وجاء بنا الى هنا فلا ندرى مافعل الله به فوعدهم فملوا من الوعد وذهبوا الى السامرى فقال ائتونى بالذى عند نسائكم وبناتكم من الحلى فأصنع لكم منه الها فأتوه بجميع ماعند نسائهم وبناتهم من الذهب فصنع لهم عجلا على أحسن مايكون فلما نظروه صاحوا وقالوا (هذا الهكم يابنى اسرائيل الذى أخرجكم من أرض مصر) وبنى لهم مذبحا ونادى فيهم بأن تقربوا الى الهكم فى الغد بما شئتم ففرحوا وأكلوا وشربوا ليلتهم تلك وأصبحوا وقد اجتمعوا حول العجل يرقصون ويطربون ويغنون الاناشيد واذا بموسى قد انحدر من الجبل وألواح الشهادة فى يده فلما اقترب من المحلة وأبصر العجل والناس من حوله يرقصون ويغنون اشتد به الغيظ والحنق وألقى ألواح الشهادة الى الارض فانكسرت وانقض على العجل فنزعه وأوقد نارا عظيمة وطرح فيها العجل ثم حرقه ثم نسفه فى اليم نسفا وكان بنو إسرائيل يستقون منه وأكرههم على شربه جزاء مخالفتهم فشربوه وهم صاغرون وغضب الله على بنى اسرائيل ونادى الصوت ياموسى قل لهذا الشعب قاسى القلب انهم لايدخلون الارض المقدسة بل يلبثون أربعين سنة فى هذه البرية ويموتون جميعا فلا يدخلها الا أولادهم وأحفادهم فبكى موسى وتضرع الى الله تعالى أن يرحم شعبه بنى اسرائيل وان لايجازيه بحسب عمله فناداه الصوت ثانية قائلا وأنت ياموسى لاتدخلها أيضا أى لاتدخل تلك الارض بل تراها من بعيد ثم تموت فاشتد بكاء موسى وشاع الخبر بين القوم فبكوا بكاء مرا * ولكن قد نفذ القدر المقدور * وأقام بنو اسرائيل فى تلك البرية أربعين عاما حتى مات سائر من خرجوا مع موسى وهرون من أرض مصر ولم يبق منهم أحد وما أصابهم مما هو مذكور فى التوراة لاحاجة الى ايراده هنا

أما مؤرخو اليونان فانهم لم يأتوا على ذكر شئ مما جاءت به الكتب السماوية بشأن هذا الحادث وجميعهم يؤول انفلاق البحر لعبور بنى اسرائيل بحادثتى المد والجزر وينكرون غرق فرعون موسى ويقولون انه لم يكن من موجب لذلك أى لاضطهاد بنى اسرائيل الا انضمامهم مع من بقى من طوائف الملوك الرعاة وخلودهم الى شق عصا الطاعة فضرب ملوك مصر عليهم الاسترقاق والاستعباد كى لايستطيعوا مد يد المساعدة الى أهل الحجاز والشام الذين كانوا

كبرى الاغارة على ديار مصر(قلت) وهـذا القول بعيـد لان نزول بنى اسرائيل على أرض مصر كان بعدطرد طوائف الملوك الرعاة من البلاد وجلائهم عنها وظهور العائلة الثامنة عشرة المتأصلة قال مانيطون المؤرخ فى كتابه بعد كلام * وعاش يوسف بمدينة منف وتسلط على سائر البلاد فى أيام أعظم وأقدر فراعنة المملكة الجديدة يعنى طوطمس الذى تولى الملك بعد نفى الرعاة وممايدل على صحة ذلك ماجاء فى التوراة أيضا من قول يوسف لاخوته عند حضورهم اليه بمصر * يكون اذا دعاكم فرعون وقال ماصناعتكم أن تقولوا عبيدك أهل مواش منذ صبانا الى الآن نحن وآباؤنا جميعا لتسكنوا فى أرض جاسان لان كل راعى غنم رجس عند المصريين اه وقال بعض الكتاب أيضا * قـد دلت الآثار على ان السعاة وحملة الرسائل كانوا من الكنعانيين فاستغاثوا وابتهلوا الى الله تعالى فأرسـل اليهم موسى وأخاه هرون فذهب موسى الى فرعون بآيات مـذكورة فى التوراة فخاف فرعون وأطلق بنى اسرائيل فساروا من مـدينة ﴿ رعمسيس ﴾ حتى أتوا مدينة ﴿ سوكوت ﴾ وكانوا ستمائة ألف رجـل غـير الاطفال وسار معهم أيضا عدة كثيرة جـدا من الطوائف الاخر الذين كانوا فى أسر المصريين ومنهم الفينيقيون وقـد نزلوا ﴿ بارام ﴾ التى فى آخر الصحـراء وأمر الله تعالى موسى أن ينزل بهم امام فم خروث التى بين مجدل والبحر امام بعل صفون وأن يسير موسى امامهم قريبا من البحر الاحمر وينزل هناك ففـعل * وندم فرعون على اطـلاق بنى اسرائيل فجمع فرسانه وجنوده وتبعهم ليرجعهـم الى أرض مصر فأمر الله موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق وعبروا جميعا على اليابسة حتى صعدوا الى الشاطئ الثانى فأتبعهـم فرعون وجنوده فغطاهم الماء وغرقوا جميعا * ولما عبر موسى البحر سار باسباطه من طريق الصحراء بين مجدل والبحر فكان طريقهم على أطراف بلاد العرب شرقى بلاد مصر والبحر الاحمر ولم يمروا بأرض فلسطين شرقا خوفا من جنود الحيثيين أن تردهـم الى أرض مصر قياما بالعهد الذى كان بين ختاسار ملك الحيثيـين ﴿ ورمسيس ﴾ الاكبر ملك مصر وهو ردّ كل من أتى من رعايا أحدهـما الى بلاد الآخر * وتاه بنو اسرائيل فى البرية أربعـين سنة عقابا لهم على مخالفة وصايا الله تعالى كما جاءت به الكتب المقـدسة ولم يدخـل أرض كنعان أحـد منهم سوى يوشع بن نون كما أمره الله مع ان مسافـة الطريق فى البرية الى أرض كنعان ليست الاثنتى عشرة مرحلة ودخلها بعدهم أولادهم أما موسى فقد أراه الله سبحانه اياها من جبل ﴿ نبو ﴾ ثم مات ولم يعلم للآن مكان قبره

وقال يوسفوس المؤرخ غـير ذلك وقال آخرون ان خروج بنى اسرائيل كان فى أيام الملكة طوسير بنت الملك منفطة الثانى كما سيأتى بيانه فى محله

(فى الملكة طوسير بنت منفطة الثانى)

(وأخيها الملك منفطة الثالث)

(الملقب أيضا)

(أوسرخبرورع ميامون)

تولت هذه الملكة حكم البلاد بعد أبيها منفطة الثانى وكانت متزوجة بعظيم يسمى حفطا منفطة ويقال له أيضا فرعون تبعا لها وكانت ولايتها قبل أخيها لصغره ولذلك كان زوجها المذكور يدبر الملك بالنيابة عنها وطالت مدتها مع أخيها منفطة الثالث فكانت تسع عشرة سنة * قال بعض أصحاب التاريخ * وفى أيام الملكة طوسير كان خروج بنى اسرائيل من أرض مصر * وقال يوسفوس عن مانيتون الكاهن المصرى فى خروج بنى اسرائيل انه لما كان الملك امنوفيس * قال صاحب العقد الثمين ولعله منفطس * يحب أن يرى المعبودات تتجلى له كما كانت تتجلى على الملك (حوزيس) أحد أجداده سأل فى ذلك أحد المكاشفين ورغب اليه أن يعلمه كيف يصل الى هذه المرتبة فقال له انك لن ترى الهك عيانا حتى تطهر الديار من جميع المجذومين وأصحاب الدناسة فجمع (امنوفيس) الملك من هؤلاء ثمانين ألفا وهم من الاسرائيليين ووضعهم فى محاجر طرا وبينهم طائفة من الكهنة فأثار هؤلاء القوم غيظ المعبودات فخاف ذلك المكاشف شر العاقبة وكتب نبأ فى صك يقول فيه ان هؤلاء القوم * يريد اليهود * سيتعاهدون مع قوم آخرين ويملكون مصر مدة ثلاث عشرة سنة وبعد أن كتب ذلك قتل نفسه فلما علم الملك (امنوفيس) بمقالة ذلك المكاشف لم يلتفت اليها ونقل أصحاب الدناسة الى مدينة (أواريس) ليقيموا بها وكانت قد تخربت وتداعت الى السقوط من أيام العمالقة فلما سكنوها واستقر بهم المقام تألفت منهم طائفة فكان على رأسها مقدم دياناتهم المسمى أوزار سيف المقيم بالمطرية قال صاحب العقد الثمين * وقد فسره أهل العلم من الاوروباويين بموسى * فجعل لهم قوانين مخالفة للعوائد المصرية وأعدهم للحرب وتعاقد مع من بقى من العمالقة المتوطنين من أجيال بالشام فهاجموا مصر سوية وملكوها بغير قتال فعند ذلك تذكر الملك (امنوفيس) ماقاله ذلك المكاشف وخاف وجمع الاصنام وهرب بها الى بلاد الايتيوبيا ومعه جيشه وكثير من المصريين فعاث العمالقة واليهود فى البلاد وأفسدوا فى الارض وأساؤا الى أهلها وشددوا عليهم وضيقوا وحرقوا المدن والقرى ونهبوا المعابد وكسروا الاصنام وأكلوا الحيوانات التى كان المصريون يعبدونها وألزموا الكهنة

من المصريين بذبحها وتقطيعها والقائها فى الطرق وبينماهم على هذه الحال اذعاد ﴿ امنوفيس ﴾ من بلاد الايتيوبيا بجيش عظيم ورجع أيضا ابنه ﴿ رمسيس ﴾ بجيش آخر وهجموا على العمالقة واليهود فانتصروا عليهم وقتلوا منهم عدة كبيرة واقتفوا أثرهم حتى أدخلوهم أرض الشام اه

أما مؤرخو العرب فقد قالوا ان خروج بنى اسرائيل وغرق فرعون مصر كانا فى أيام هذه الملكة وقد سموها باسم ﴿ دلوكة بنت ذبا ﴾ وقد ذكر المقريزى فى خططه مانصه * قال ابن عبد الحكم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاحرار والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهن واحدة وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها ﴿ دلوكة بنت ذبا ﴾ وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت فى شرف منهن وموضع وهى يومئذ بنت مائة وستين سنة فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن قبلا يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وقد ذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت ان أبنى حصنا أحدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لانأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة فيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فيأتيهم الخبر من أى وجه كان فى ساعة واحدة فنظروا فى ذلك فنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه فى ستة أشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة فملكتهم ثلاثين سنة اه قلت فليتأمل

أما أخوها الملك منفطة الثالث فقد كان كثير التعبد للاصنام المصرية شديد الخضوع اليهم وله اغداقات كثيرة على الهياكل والمعابد وأهدى اليها تحفا كثيرة جدا وقد أنشأ هيكلا خصوصيا لمعبوده ﴿ أمون ﴾ فى هيكل الكرنك وعمل له قسيسو مدينة طيبة فى هذا الهيكل القاعدة الصغيرة التى هى بالحوش الاول تذكارا لاسمه قال صاحب العقد الثمين وكتبوا عليها ان ﴿ لوى ﴾ رئيس كهنة معبد ﴿ أمون ﴾ كان هو وابنه وخليفته محبين للملك ولكهنة ﴿ أمون ﴾ اه

وبنى لنفسه مقبرة عظيمة فى بيبان الملوك كتب عليها القسيسون انه حكم جميع بلاد مصر وساسها وقد حصل فى أيامه الخلل وكثرت الاختلافات الداخلية وفشت الاغراض وخرج عليه بعض الرعية وادعى بعضهم الرئاسة وانتحل لنفسه حقوق الكهونية والوراثة لملك مصر وكان ممن خرج رجل اسمه ﴿ امنجس ﴾ وادعى انه ابن ﴿ رمسيس ﴾ الاكبر وكان مولده فى مدينة ﴿ خب ﴾ وأخذ ينازع منفطة الثالث فى الامر ومازال حتى مات منفطة الثالث فكانت مدة حكمه بالاشتراك مع أخته ﴿ طوسير ﴾ مدة واحدة قدرها

على ماقاله أهل التاريخ تسع عشرة سنة وستة أشهر فلما مات تولى بعده ﴿ امنحس ﴾
المذكور وتسلق عرش الملك اختلاسا فحكم مصر وجميع ملحقاتها وأشاع ان المعبودة
﴿ ازيس ﴾ قد اختارته من مدينته ﴿خب﴾ التى هى من قسم ﴿أفرو وميتوبوليس﴾
وجعلته حاكما على الارض وكان متزوجا بامرأة تدعى ﴿ باكت أورنور ﴾ فلم يستقر به
المنصب حتى عم الخلل جميع البلاد وأقامت فيها الفوضى واشتدت و وردها الاجانب وتمكنوا
منها ورسخت قدمهم فى جوفها فعاملوا أهلها بالقسوة والجفاء والغلظة حتى كادت ترحل أهل
البلاد وتنزح الى غيرها من البلاد الاخرى ومازال الحال هكذا حتى مات ﴿ امنحس ﴾
المذكور ومحى عوته اسمه من جميع الهياكل والآثار لكونه ليس من بيت الملك وفى أيامه
ظهر ﴿ سبتاح ﴾ من بيت الملك القديم ونازع ﴿ امنحس ﴾ الملك أياما كثيرة ومازال
ينازعه حتى هم الى معاونة ﴿ سبتاح ﴾ المذكور الوزير ﴿ بابى ﴾ وانضمت اليه زوجة
﴿ سبتاح ﴾ المسماة ﴿ توسرت ﴾ فتم له ذلك وارتقى المنصب بعنايتهما

(فى الملك سبتاح)

لما كثرت الفتن والارهاصات الداخلية وعم الاختلال وانتشرت الفوضى فى البلاد
واستقل كل رئيس بحكم جهة مخصوصة نهض الوزير المسمى ﴿ بابى ﴾ واتحد مع
﴿ توسرت ﴾ زوجة ﴿سبتاح﴾ المذكور على تولية ﴿سبتاح﴾ ملكا على مصر فعملا
ومازالا يعملان حتى تم ﴿لسبتاح﴾ الامر واستقل بملك مصر قال صاحب العقد الثمين
وإذا قال هذا الوزير انى أزلت الباطل وأظهرت الحق لكونى أجلست الملك ﴿سبتاح﴾
على تخت والده اه ولما استقر به المنصب أقام وزيره المسمى ﴿سيتى﴾ حاكما على بلاد
﴿ كوش ﴾ وقلده أيضا مناصب أخرى عالية وأجله وقربه عنده زلفى ولم يقدر ﴿سبتاح﴾
المذكور على اعادة الراحة فى داخلية البلاد الى سابق مجراها ولاردع أهل البغى والفساد
والخوارج الذين ظهروا فى داخلية البلاد بل ظل الحال على ماهو عليه من الخلل والارتباك
حتى مات فبقيت مصر فى يد هؤلاء الخوارج زمنا طويلا لم يتكلم أصحاب التاريخ عنه بشئ
الى أن نهض من أمراء هذه العائلة ﴿ اريزوالفنديقى ﴾ واستقل بالملك فعاث وأفسد وقهر أهل البلاد
وأذلهم وأساءهم وطالت أيامه حتى ظهر آخر اسمه ﴿سيتنخت﴾ فقام على اريزوالفنديقى
المذكور وخلعه وطرده من البلاد واستقل هو بالملك قال صاحب العقد الثمين ويرى
اسم الملك ﴿رعمسو سبتاح﴾ منقوشا مرتين فى خانة ملوكية داخل الهيكل الذى شيدته
زوجته ﴿توسرت﴾ فالمرة الاولى تجده فى باب الهيكل والثانية فى داخل الهيكل المذكور
منزويا فى المكان الذى نقشت فيه زوجته اسمها وقد شيد لنفسه قبرا فى بيبان الملوك
كتب عليه أسماءه ولكنها محيت منه اه

(فى الملك سيتنخت)

لما استقر بالملك ((سيتنخت)) المنصب نهض الى قتال الاغراب الذين عاثوا فى البلاد وأفسدوها ومزقوا هيبتها فردعهم وأرغم من قام من أهل البلاد ينازعه الملك وأخضعه وسعى جهد الاستطاعة فى ارجاع الامور الى ما كانت عليه بعد أن اختل نظامها فى أيام الملك ((امنجس)) الى أيام ((سيتنخت)) هذا قال صاحب العقد الثمين ومما يؤيد صحة ما كان حاصلا من الاختلال والاضطراب فى مدة الملوك الثلاثة السابقين وهم ((امنجس)) ((وسيتاح)) ((وسيتنخت)) ماورد فى ورقة ((هاريس)) من النصوص المقولة على لسان رمسيس الثالث فى مبدإ حكمه حيث بين فيها حال تلك المدة الوخيمة بالالفاظ المعربة الآتية

(قال الملك رمسيس الثالث) المقدس الاكبر لأمراء ورؤساء البلاد والجنود والمشاة وجنود العربات الحربية والسردانيين ولكثير من العساكر الاجنبية وغيرهم من السكان المقيمين فى ديار مصر اسمعوا مقالتى فانى سأعلمكم بحسن سيرتى * لما صرت ملكا على البلاد وكانت أهل مصر منفية بالجهات الخارجة ولم يكن للمقيم فيها اعتبار ومضى على ذلك زمن طويل وتداولت الايام ومصر فى أيدى رؤساء أجنبية وكان أحدهم يقتل الآخر بدون مراعاة الشريف والحقير ثم بعد هذا الاختلال عدة ظهر ((الفنديقى اريزو)) أحد هؤلاء الرؤساء واختلس الملك لنفسه وألزم جميع الامم بدفع الجزية له وكانت رفقاؤه تنهب كل ما ادخره الناس لانفسهم وهكذا كانوا يفعلون وعاملوا المعبودات كالناس ومنعوا عنهم قرابينهم المعتادة ولكن المعبودات أصلحوا الامور وأوجدوا العدل فى المملكة وتكرموا بتحسين الحال وازالة الاهوال وجعلوا ((سيتنخت مرمايون)) ملكا على جميع المملكة وأجلسوه فوق التخت المنيف فكان اذا غضب يشبه ((ست)) واعتنى بكافة المملكة وقتل كل من ثبت عليه قتل نفس أو ذنب وبذلك طهر تخت مصر المنيف من أهل الجرائم وحكم أهلها فوق تخت الشمس ((توم)) المعبودة لهم واستقبلها بوجهه وكان يبنى الحائط على كل من لم يظهر لصاحبه الصحبة والاخوة ونظم المعابد وأعطى المعبودات مرتباتهم من القرابين حسب مربوط قوانينهم وأورثنى الحكم فى أرض مصر وجعلنى حاكما على جميع ملحقاتها لأقوم بأمر الامة التى التأمت ثانيا ثم توفى وظهر من دائرة نوره كالاجسام السماوية فعملوا له الرسوم المعتادة لدفن الاموات وشيعت جنازته فى النهر على سفينة ملوكية ثم وضعوه فى جدثه الازلى غربى طيبة وبعد ذلك جعلنى أبى ((أمون)) وأعظم المعبودات ((رع)) ((وبتاح)) ذوى السماحة ملكا على تخت والدى فتقلدت رتبته مع غاية المسرة وفرحت الناس وانشرحت مما حصل لهم من مزيد سرورهم وقروا عينا لما تطرونى ملكا على مصر حيث انى أشابه ((حور)) ملكها حين كان فوق تخت ((أزوريس)) وتتوجت بتاج ((أتف)) وبتاج

الثعبان وتزينت بالريشتين كالمعبود (تاتانن) وهكذا كان ارتقائى على تخت (حورمخى) وتزيني بملابس الفخار مثل (توم) اه بنصه

وبموت الملك (سيتنخت) هذا انقطعت مدة حكم الدولة التاسعة عشرة على ماقاله جماعة من الكتاب فانهم عدوه آخر ملوكها وبعضهم يقول غيرذلك فكانت مدة حكم هذه الدولة على المشهور من أقوال أصحاب التاريخ مائة وأربعا وسبعين سنة وقامت بعدها الدولة المكملة للعشرين وأولها الملك رمسيس الثالث ابن (سيتنخت) المذكور

(الفصل الثالث)

(فى ملوك الدولة المتممة للعشرين الطيبوية)

كان مبدأ ظهور هذه العائلة سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف قبل الميلاد أى سنة عشر وتسعمائة وألف قبل الهجرة وعدد ملوكها اثنا عشر ملكا وسنو ملكهم مائة وثمان وسبعون سنة وقيل غير ذلك وأول ملوكها من نسل ملوك العائلة التى قبلها قال أهل التاريخ وقد كان لفظ الدولة عند قدماء المصريين غير المعنى المعهود منها فى اصطلاح المتأخرين وانما كانت عندهم بمعنى آخر كالعصابة أوالفرع مثلا قالوا والعائلة هى التى تحكم مدة خاصة فى بلد خاصة حكومة متميزة وان لم تختلف السلالة ولاخرجت الحكومة عن السلسلة الملوكية وأول من ملك منهم رمسيس الثالث الآتى الكلام عليه

(فى الملك رمسيس الثالث)

(الملقب)

(رع أوسرماميامون)

كان أول ملوك هذه الدولة الملك رمسيس الثالث ويسمى رمسيس الميمون يعنى عبدشمس ويقال له أيضا سيطوس الاول وانما سمى باسم رمسيس الثالث تفاؤلا بهذا الاسم وافتخارا اذ أن رمسيس الاكبر جعل لهذا الاسم كبير اعتبار ومزيد افتخار وقد تلقب به من أتى بعده من الملوك حتى ان هذه الدولة أى المكملة للعشرين سميت بالدولة الرمسيسية ورمسيس الثالث هذا آخر مشاهير ملوك مصر وكان قبل موت والده (سيتنخت) شريكاله فى حكم

البلاد وتدبير أمورها فلما آل اليه الملك كبر اهتمامه بامور المملكة وحفظ حدودها وملحقاتها واعتنى بتنظيم داخليتها وكان شجاعا عالى الهمة محاربا ولم يستقر به المنصب حتى قامت عليه قائمة الحروب والفتن وخرج أهل البادية فهددوا معاقل إقليم مصر المعروف بالدلتا وأذلوا العملة الذين كانوا بطورسينا لاستخراج المعادن و زحف على ديار مصر طائفة عظيمة من الليبيين من جهة الشرق برآسة أربعة وهم (ديد ومشاكن وصمار وصا وعمار) وانضم اليهم طوائف (التهانو) (وتماحو) (وكالك) وقبائل أخرى ممن يجاورهم وقد ساروا من سهول صحراء ليبيا ومازالوا حتى احتلوا قسم مريوط وقسم صان ومصاب النيل الى فرعه الاكبر وانتشروا وشغلوا جزء الدلتا الغربى من مدينة (كريانا) الى آخر حدود مصر الشرقية ومنها الى ضواحى منف من الجهة القبلية فقام عليهم الملك رمسيس وقاتلهم قتالا شديدا مبتدئا باهل البادية فهزمهم وانتصر عليهم نصرا مبينا حتى أبادهم ولم يبق منهم الا القليل ثم طارد الليبيين الذين هم أهل برقة ومن معهم من بقية الطوائف فى السنة الخامسة من حكمه فهزمهم شر هزيمة فانحاز بعضهم اليه فادخلهم فى جيوشه المعدة للامداد وتتابعت نصراته عليهم حتى أدخلهم تحت الطاعة وأذلهم وكسر شوكتهم وأزال بأسهم

قال صاحب العقد الثمين وهذه الواقعة منقوشة فى خمسين سطرا على جدران مدينة (آبو) بطيبة تركنا من أولها ستة عشر سطرا لعدم فائدتها لنا ولنذكر ههنا من السطر السابع عشر الى آخرها نقلا عن (شباس) وهذا نصها

(الملك رمسيس الثالث) ذبح سكان بلاد السهول والجبال وأبادهم وأخذهم الى مصر أسارى متواضعين امام معبوداتها وأشبع الجائع بالمؤنة الوافرة التى غمر بها إقليمى الصعيد والبحيرة وبث الفرح فى أهل مملكته على الدوام كيف لاوهو الذى أجلسه المعبود (أمون) على تخت مصر وجعل غالب ماتطلع عليه الشمس فى قبضة يده ثم ان أهل آسية وبلاد (تهانو) اللصوص أهل الدناءة عصوا وفعلوا أفعالا قبيحة فى مصر وشنوا غارة العصيان عليها مدة الملوك السالفة ونهبوا أمتعة المعبودات وأموال الناس ولم يردعهم أحد مذ عصيانهم فلما ظهر هذا الشاب الهمام وثب عليهم كالاسد ذى المخلب القاتل وهجم عليهم كالمعبود (نهى) أعنى (هرمس) حتى أبطل كلامهم الذى هددوا به أهل مصر وأثبت كلامه عليهم وسرت الى جنوده قوة جنته فظهروا كالثيران المستعدة للهجوم على المعز وكانت خيالته تهجم عليهم كالصقر اذا انقض على الطيور الصغيرة ولهم زئير كالسباع الهائجة من الغيظ وكانت ضباطه شديدة البطش لاتقاوم كأنهم المعبود (رسب) ينظرون الالوف من الناس صغيرة كحدقة العين ولقد كانوا فى قوتهم مثل (مونت) الذى اسمه ميزان العدل يخافه جميع بلاد السهول والجبال وبعد ذلك اجتمع أيضا لقتاله (الليبيون ..... والمشواشيون) المعروفون قديما (بتماحو) واعتمد جنودهم على رأى

رؤسائهم

رؤسائهم المهيج لقلوبهم ووافق أفكارهم هذا الرأى فقالوا هلم بنا نسكر ونشبع من خمر الحمية الأنهم خابت آمالهم ولم ينالوا مقاصدهم لعدم استحسان هذا الرأى لدى المعبود «أمون» حيث لم يستجب دعاء رئيسهم لكونه معبودا محسنا عالما بالهدى والضلال سلطان المعبودات الذى أقام رمسيس رئيسا على مصر وجعل بيده القوة والنصر حتى صار بدعوات الامم له ملكا ذا دولة عظيمة بفطنة وذكاء كالمعبود «هرمس» ولما ظهر لهذا الملك ما كمن فى قلوب «تماحو» ذوى القلوب الصغيرة من سوء مقاصدهم تغلب عليهم فخضعوا لسيفه وتفصيل ذلك «انهم اجتمعوا» عند رئيسهم وأصروا على سلب بعض أراض من مصر فتعجب المصريون وقالوا كيف ينالونها مع كونهم لم يسمعوا قولا يشبه ذلك فى مدة الملوك السالفة فلما سمع الملك رمسيس كلام الاعداء هاج قلبه واضطرب وهم باستئصالهم بسيفه المنصور فرعبوا منه كالمعز اذا هجم عليها ثور ووطئها برجليه وضربها بقرنيه وزعزع الجبال واقتفى أثر من قرب اليه كيف لا وقد منحته المعبودات فى حضرتهم ما يليق به من القوة فكان اذا اخترقت جماعة حدوده هجم عليهم كالنار المحرقة اذا انتشرت فى الحشائش فيصيرون كالاوز المأخوذ من شبكة للتقطيع والشى ولذلك تساقط منه أولئك الاعداء عند هجومه عليهم رمما مضرجة بدمائها تساقطا هائلا ولم يمكنهم من شئ سوى مشاهدة ذنوبهم كبيرة بينهم كالجبال الشامخة بل جردوا فى الميدان من أسلحتهم وتراكمت على الارض أمواتهم بشهامة الملك المنصور صاحب السيف والقوة «رعمسس الثالث» المماثل «لونت» وأحضر معه من هذه الواقعة لمصر أيديا وأحاليل مقطوعة وأسرى لاتحصى مسلسلة فى الاغلال منقادة واجتمع فى هذا الوقت رؤساء هؤلاء الامم المأسورة لينظروا فضيحتهم أما الملك فقد سارت معه أعيان دولته الذين هم من درجة الثلاثين نحو المعبود «أمون رع» باسطين أيديهم الى السماء منادين نداء السرور مع امتلاء قلوبهم بمحبة الملك قائلين أيها المعبود قد وجب علينا مدح شهامة الملك رمسيس الذى حضرت لديه جميع رؤساء الدنيا وقلوبهم مرتجفة ومختطفة وغير مستقرة فى صدورهم شاخصين الى هذا الملك الشبيه «بتوم» ملك كسر فى حكمه أصلاب «تماحو» الذين زحفوا على حدود مصره ودمروا الارض وجعل قواد فرسانهم فرقا تحت تصرفه ولقبهم باسمه هذا ما حصل مع «تماحو» الذين بدؤا بالعدوان على مصر من غير أن يقفوا على حالها وجلبوا معهم المشواشيين كالسيل ورحلوا من وطنهم فهلكت مزارعهم وتلفت وشلت أعضاؤهم من الفزع وعجزت وصاروا يقولون لقد انقصمت فى بلاد مصر ظهورنا وأذل الى الابد ملكها نفوسنا والمصريون يقولون ياحسرة عليهم لانهم يرون رقصهم تبدل بذبح والمعبودة «سخت» المصرية فى أثرهم والفزع لاحق بهم فازداد عند ذلك تأسف الاعداء وقالوا هزمنا من غير مقاتلة فرسانهم لنا فى ميدان القتال فلا نمشى فى الطريق التى يمشى الناس فيها بل نخوض الماء حياء منهم ولقد ألم بنا الخراب من ملكهم اذ كان كالنار علينا كل مرة أراد قتالنا واختطفتنا رجاله حين قربنا اليهم ولم نجد

لناسبيلا الى النجاة منهم ولما أراد رئيسهم رمسيس الشبيه (بست) الهجوم علينا كالسبع ذى المخلب واتبعنا ليقتلنا اضطرنا الى القهقرى دائما والبعد عن مصره فأوجاعنا أعظم من الموت وسرت فينا النار فلا نزرع أبدا ولقد أراد رؤساؤنا (ديد - ومشاكن - ومرايو - وصماور - وصاوتمار) الذين كانوا أكبر المهيجين لنا مع الليبيين إضرام اللهيب فى مصر من أولها الى اخرها ولكن سخطت علينا المعبودات لانا نهبنا هياكلهم وأراضيهم فالتزمنا بالخضوع لسيف مصر ذى الرسالة العظمى ألبس هو الذى أعطته الشمس قوة النصر فشابهها وقت ظهوره واستنارت به البشر فهلم بنا نسد اليه احترامنا ونقبل الارض أمام حسام مصر المنصور (قال) وبهذا يتضح لك أن الليبيين انهزموا هم ومن معهم شر هزيمة وضربت عليهم بسبب عصيانهم الذلة والمسكنة وهذا حاصل ما تم فى الواقعة الاولى * وقد وقعت له واقعة ثانية كانت أكبر من الاولى وهى أنه لما سمع أهل آسية الصغرى والجزائر اليونانية بهذه الحرب الاخيرة هموا بالخروج عن طاعة رمسيس الثالث فشنوا الغارة عليه وهم (الدنائيون - والترسانيون والشكالاشيون - والتكرسيون) الذين خلفوا (الدردانيين) فى البطش والمنعة بين الامم التروانية وتعاهدوا على قتال هذا الملك وانضم اليهم (الليسيون - والفلستيون) وساروا حتى نزلوا ببلاد (خيتا - وكركيش - وكاتى - وآراد - وكدش) فنهبوها وأخذوا رجالها معهم ليستعينوا بهم على قتال المصريين ثم ساروا حتى نزلوا ببلاد الاموريين وأقاموا بها مدة ثم نزلوا على مصر كسيل العرم من طريق الدلتا فتقابلت جيوشهم وسفنهم الحربية بالمراكب والجيوش المصرية وكانت تنتظرهم بين مدينتى (رافيا - والطينة) بجانب برج رمسيس الثالث وامتلأت مصاب النيل بالسفن الحربية والمراكب المشحونة بعساكر الاعداء فشرع الفريقان فى القتال والطعان فكانت المشاة من المصريين تزأر كالسباع وعساكر عرباتهم تقاتل تحت قيادة رؤساء محنكين وضباط مدربين وخيولهم تضطرب أعضاؤها وتدوس الامم بسنابكها أما رمسيس فكان واقفا أمام جيشه كانه معبود الحرب (مونت) يقتل فى الاعداء ويجندلهم ويغرق سفنهم وأموالهم حتى هزمهم هو ورجاله شر هزيمة وانتصر عليهم نصرة تامة وعادت الراحة بعد ذلك واستتبت وعمت الطمأنينة أنحاء البلاد مدة طويلة فلما كانت السنة الحادية عشرة من هذه الواقعة عاد (الليبيون) الى شق عصا الطاعة مرة ثانية وزحفوا على ديار مصر ومعهم قبيلة (المشواشيين) وطوائف (سباته - وكبكاش) وبعض طوائف أخر وجيش من الجنود (الترسينية - والليسية) وأغاروا على مصر من جانبها الغربى وذلك فى شهر مسرى من السنة المذكورة وكان مقدم هذه الحملة (كابور) وابنه (مشاشال) فلما التقى الفريقان أعمل فيهم المصريون القتل وأبلوا فيهم بلاء حسنا وانتصروا عليهم انتصارا مبينا

وأرسل رمسيس الثالث طائفة من جنوده المظفرة الى جبل الطور لقتال أهل البادية الذين كانوا يغيرون على الحدود ومحلات المعادن فضربهم وأخضعهم وأدخلهم تحت الطاعة

فعلت

فعلت بعد ذلك كلمته وطار صيته واتسعت مهابته وانجلى عن أرض مصر جميع من كان بها من (السردانيين ـ والترسينيين ـ والليبيين ـ والفلسطينيين) بعد أن كانوا يأتون اليها مهاجرين من أوطانهم منذ خمسة أجيال ورحلوا الى قارة أوروبا (قال شباس) فاستوطن (الترسينيون) شمالى مصب نهر (الطبر) ونزل السردانيون بجزيرة سردينيا فسميت باسمهم ورحل الفلسطينيون الى الشام وأقاموا بساحل البحر بين يافا وسهول مصر بأرض كنعان وعاثوا فيها وحاكمها ملك مصر واستقرت طائفة المشواشيين الذين يسميهم مانيطون الحبر المصرى (ماكسير) فى الناحية الاخرى من الدلتا وأقطعهم رمسيس هناك أرضا وصارت رجالهم فى ليبيا وسواحل النيل جنودا تحت قيادة المصريين وامتازوا بالبسالة والاقدام والمثابرة على الحروب

قال بعض المؤرخين ولما خرج الملك رمسيس الثالث لقتال الاعداء أقام أخاه المسمى (ارمايس أو بتناور) حاكما متصرفا على مصر بالنيابة عنه بشرط أن لايلبس التاج الملوكى وأن يراعى حقوق زوجة أخيه رمسيس أم أولاده فبينما هو يقاتل اذ وردت اليه الاخبار من رئيس كهنة المصريين بان أخاه (ارمايس) لم يعمل بوصيته وأنه أقام راية العصيان واستبد بالملك فكر رمسيس راجعا الى مصر ودخل مدينة تنيس واستولى على سرير الملك ولبس التاج الملوكى فهرب (ارمايس) وهاجر الى بلاد اليونان واليونان يسمونه باسم (دانوس) وقال هيرودوتوس المؤرخ انه حين رجوعه أى رجوع رمسيس من غزوته جاء اليه أخوه (ارمايس) الذى كان حاكما على مصر بالنيابة عنه ودعاه هو وزوجته وأولاده الى الحضور فى وليمة أعدها له فى قصره بمدينة صان وتظاهر بتهنئته وأبدى له البشاشة والفرح فأحسن الملك فيه ظنه ولم يعتقد أن أخاه يظهر خلاف مايبطن والحقيقة أن أخاه أضمر له السوء والهلاك فلما استقر بالملك المقام أضرم أخوه النار فى القصر ولم يشعر الملك بذلك فلما أحس هو وعائلته بالحريق فروا هاربين ونجوا من هذه المكيدة

ولما صفا للملك رمسيس الحال نهض الى اصلاح العمارات فوسع معبد الكرنك وأصلح هيكل لقصر وغيره من عمارات الاقاليم البحرية وزاد فى قرابين المعبودات وفى الاحتفالات الدينية والمواسم والاعياد (قال صاحب العقد الثمين) ويرى على حيطان هيكل مدينة (آبو) ان الملك رمسيس هذا كان متزوجا بامرأة أجنبية من آسية أومن بلاد الحيثيين تدعى (هيمارو صات) وأبوها يدعى (هيبواتر وصات) رزقت من رمسيس باثنين وثلاثين ولدا منهم ثمانية عشر ذكرا وأربع عشرة أنثى وأكثر أسمائهم تلاشت ولم يبق منهم سوى العشرة الاول وهم

الامير رمسيس الاول وكان قائد المشاة فلما تولى الملك لقب برمسيس الرابع ثم الامير رمسيس الثانى ولما تولى الملك لقب برمسيس السادس والامير رمسيس الثالث ناظر الاصطبلات ولما تولى الملك لقب برمسيس السابع والامير رمسيس الرابع ناظر الاصطبلات ولما تولى الملك لقب برمسيس الثامن والامير براهيو ناميف أول قائد للعربات الحربية والامير منتحوحى خوبشفه

قائد الجيوش والامير رمسيس الخامس الملقب (عريتوم) كان رئيس الكهنة فى المطرية ثم صار ملكا والامير رمسيس السادس الملقب (بخاموس) رئيس كهنة معبد (بتاح سوكار) فى منف والامير رمسيس السابع الملقب (بأمون حى خوبشف) والامير رمسيس الثامن ولقبه (ميامون) اه

ومما تقدّم يستدل على أن الدولة الملوكية المتممة للعشرين كانت سعيدة الطالع وأن هذا الملك قد أعلى شأن المملكة المصرية ورقاها مراقى العز والرفاهية كما كانت فى القدم * ولما كانت السنة الثانية والثلاثون من حكمه اعتزل الاشغال وأشرك معه ابنه رمسيس الرابع فى الحكم الى أن مات بعد ذلك بقليل ودفن فى قبره الذى بناه فى بيبان الملوك فاستقل ابنه رمسيس الرابع بالملك وهو بكر أولاده وولى عهده وقائد جيوشه المشاة

(فى الملك رمسيس الرابع)

لما استقرّ به المنصب الملوكى وأخذ فى تدبير أمور الرعية قام عليه فى السنة الثانية من حكمه أهل آسية وخرجوا عن طاعته فركب عليهم وقاتلهم وأعادهم الى الطاعة صاغرين ثم عنى بالتجارة فسهل أسبابها وفتح لها طريقا مابين مصر وبلاد العرب من ناحية (قفط) وأصلح شؤن الرعية بسن القوانين وايجاد النظام ومال الى محبتهم فأحبوه كثيرا وأثرت البلاد فى أيامه وأخصبت وكان واسع السياسة ميالا الى توسيع حدود المملكة مولعا بابداع مايؤثر عنه وقد وسع معبد (خونسو) بطيبة وعمل رسوما بالحفر على حيطان وأعمدة معبد الكرنك ويقال ان مدّة حكمه كانت طويلة جدا ولم يذكرها أحد من الكتاب وقد مات فتولى الملك بعده أخوه رمسيس الخامس وهو الملقب (برع أوسرماس خبرزع)

(فى الملك رمسيس الخامس)

قد اختلف أصحاب التاريخ فى نسبة رمسيس الخامس هذا الى رمسيس الثالث فقال بعضهم انه لم يكن من ذرية رمسيس الثالث وقال بعضهم غير ذلك أما من قال انه لم يكن من ذرية رمسيس الثالث فقد نسب ارتقاءه سرير الملك وقبضه على زمام حكم البلاد بعد موت رمسيس الرابع ابن رمسيس الثالث الى الخديعة والغش وذلك أنه لما ظهر الاختلال فى داخلية البلاد وكثرت الدسائس فى آخر أيام الملك رمسيس الرابع المذكور ظهر هذا الملك بمظهر الخديعة واختلس الملك لنفسه ونقش اسمه على الآثار بعد اسم سلفه رمسيس الرابع وانتحل النسبة الى العصابة الملوكية فلما تولى بعده الملك رمسيس السادس محا اسمه

المكتوب

المكتوب بينه وبين أخيه رمسيس الرابع ونقش اسمه مكانه لاتصال سلسلة العائلة بدون فاصل أجنبي عن بيت الملك وبنى رمسيس الخامس المذكور له قبرا فى بيبان الملوك ظاهرا على ربوة فى آخر الوادى وعليه نقوش تدل على وقائع فلكية ورموز دينية مثل رسم فلك الشمس وما تقطعه فى اليوم والليلة ورسم عدد ساعات اليوم والليلة أيضا وجداول مطالع الكواكب وحلولها فى البروج وأحكام النجوم وتناسخ الارواح والنص على ثواب المحسن وعقاب المسيء وذكر الحروب التى وقعت فى أيامه ويقول بعض المؤرخين ان مدة حكم هذا الملك كانت عشرين سنة فلما مات تولى بعده رمسيس السادس

(فى الملك رمسيس السادس)

(الملقب)

(بنباميامون)

(وفى الملك رمسيس السابع ورمسيس الثامن وميامون مرتيوم ورمسيس التاسع)

لما استقر رمسيس السادس هذا المنصب الملوكى اهتم ببناء بيوت العبادة والهياكل العظيمة وكانت له عناية تامة بالمعبودات وعاداتها المقررة واستكشف فى أيامه المنجمون من المصريين نجم الشعرى اليمانية وبنوا على استكشافه حسابهم الفلكى فأمر برسم هذا النجم على مقبرته التى أنشأها فى بيبان الملوك وذلك فى سنة أربعين ومائتين وألف قبل الميلاد المسيحى كما قاله (بيوت) الفلكى الفرنساوى فى حسابه * قال بعض أصحاب التاريخ من اليونان وقد كان المصريون يحسبون سنتهم التوتية ثلثمائة وخمسة وستين يوما واستمروا على هذا الحساب الازمان الطوال ثم تبين لهم برصد الشعرى اليمانية اختلاف حسابهم ونقص سنتهم ربع يوم فبتكميل ربع يوم فى الحساب تكون السنة التوتية ثابتة على حالة واحدة ووجدوا الفرق بين السنة المختلفة والسنة الصحيحة فى كل مائة وعشرين سنة شهرا كاملا وبضم هذا الشهر وزيادته يتكون منه فى كل ألف وأربعمائة وستين سنة زيادة ثلثمائة وستين يوما سنة كاملة وهى الفرق بين السنين المختلفة والسنين الصحيحة فبكبس هذه السنة فى تلك المدة يوافق فى آخر الدور أول السنة الصحيحة لاول السنة المختلفة ويوافق طلوع الشعرى اليمانية فصار تصحيح السنة التوتية على هذا الوجه يسمى عند القدماء (بالدور الشعروى) قالوا ووجه هذا التصحيح أن الالف والاربعمائة والستين سنة المختلفة باضافة سنة الفرق عليها للتصحيح تكون ألفا وأربعمائة وستين سنة صحيحة وحينئذ يكون عدد دورهما بهذه الاضافة واحدا لان مقدار أيام كل منهما مساو لمقدار الآخر فى العدد فلذا صح التحرير والتصحيح لتوفيق السنين وكان تاريخ هذا التصحيح فى أواخر القرن العشرين قبل الميلاد المسيحى اه

قال صاحب العقد الثمين وقد وجد على صخرة ببلاد «(النوبة)» بجبل «(أنيب)» الذى على شاطئ النيل الايمن حذاء ابريم على بعد خمسين كيلومترا من أبى سنبل نقوش لرجل مصرى يدعى «(بنى بن حرونفر)» كان فى عصر هذا الملك يعنى رمسيس السادس رئيسا على اقليم «(واوا)» وحاصلها أن هذا الرجل أوقف لتمثال الملك رمسيس السادس أربع قطع من الارض الزراعية المجاور بعضها لمدينة هيكل الشمس بالدير وبعضها لمدينة «(أما)» المعروفة أيضا بابريم البالغة مساحتها ألفا وخمسمائة ذراع من ضرب خمسة عشر فى مائة وقطعة أخرى من الارض الطفلية غير مدرجة فى سجل الزراعة تبلغ مساحتها ألفا ومائتى ذراع حاصلة من ضرب أوبعة فى مائتين واثنين فى مائتين وانه أوقف غيطا فى أرض عالية تدعى «(رفتى)» وجعل زرعها معدّا لأكل الثور الذى يذبح كل سنة قربانا لتمثال الملك المذكور ويرى فى آخر هذه النقوش وصية معناها كل من تعدى على حدود هذه الاراضى التى أعرضنا عن ذكرها هنا لعدم فائدتها جازاه «(أمون)» جزاء مضاعفا وجازت المعبودة «(موت)» امرأته والمعبودة «(خونو)» أولاده ولحقه الجوع والظمأ والذل الى أن يهلك فى تلك الأرض اه ملخصا من تاريخ بروكش

وكان رمسيس السادس المذكور عظيم الشوكة كبير المهابة وقد تغلب على كثير من البلدان وعلى اقليم «(آهى)» وعلى بلاد الذهب المسماة «(اكينا)» وأخذ منها الجزية وبسط حكمه على بلاد الزنوج وأقام عليها الولاة والحكام لجباية الاموال ومات فتولى الملك بعده الملك رمسيس السابع الملقب بـ«(رع أوسرماميامون استبن رع)» قال أهل التاريخ وهو أخو الملك رمسيس السادس ولم يعلم من تاريخ حياته وأعماله شئ يذكر ولا المدة التى حكمها ومات فتولى الملك بعده رمسيس الثامن الملقب بـ«(رع أوسرماخون امن)» قالوا وهو أخو رمسيس السادس أيضا ويظن انه حكم مع أخيه رمسيس السابع فكانت مدة حكمهما واحدة ولم يعلم لهما شئ من أخبارهما ولا آثارهما أيضا ويموت هذا أيضا حكم بعدهما الملك «(ميامون مرتيوم)» ثم رمسيس التاسع وهو «(سبتاح)» الملقب بـ«(سخعن ميامون)» قال أهل التاريخ ولم يعلم من سيرتهما شئ يذكر وماتا فتولى الملك بعدهما الملك رمسيس العاشر الملقب بـ«(نفر كاوورع استبن رع)» الذى سيأتى ذكر أخباره بعد

(فى الملك رمسيس العاشر)

«(الملقب)»

بـ(نفر كاوورع استبن رع)

كان لهذا الملك آثار كثيرة بالقرنة والكاب وقد وجد له دفتران محفوظان بمدينة لندن

عاصمة

عاصمة الانكليز أحدهما فيه حساب السنة الثانية من حكمه والثانى فيه حساب سبع عشرة سنة من أول ستة عشر امشير سنة واحد الى أحد عشر امشير سنة سبع عشرة من حكمه وله بعض عمارات أخرى مهمة ونقوش من هذا القبيل * قال صاحب العقد الثمين ومنها النقوش التى على حيطان هيكل «امون رع» بطيبة الدالة على علو شأن الكهنة فى عصره وعلى بعض ملحوظات تاريخية ومحصلها أن رؤساء كهنة امون بطيبة أخذوا من عهد رمسيس الثالث فى الظهور ونفوذ الكلمة شيأ فشيأ مع كل ملك الى أن آل ملك مصر بعد انقراض هذه العائلة يعنى الرمسيسية الى «حرحور» الذى هو سادس الكهنة المذكورين الذين هم «روى ـ وروما ـ ومرى بست ـ ورمسيس نخت ـ وأمون حتب ـ وحرحور» المذكور

ومما اشتهروا به فى أيام هذا الملك أن «أمون حتب» لما تولى رياسة الكهانة على معبد «امون رع» الموجود بطيبة بعد موت أبيه «رمسونخت» تحبب كثيرا الى الملك وتداخل فى أمور الحكومة حتى وكل الملك لعهدته تجديد عمارة الهياكل وغيرها من الاشغال الجليلة التى كانت من وظائف الملوك ومدحه بخطبة عظيمة بعد أن كان المدح من الكهنة للملوك فكان ذلك باعثا على تقدم هؤلاء الكهنة وتداخلهم فى أمور الحكومة وتقربهم الى السدة الملوكية كما يشهد بذلك صريح النقوش المكتوبة على الحائط الشرقى من هيكل طيبة ونصها ان «أمون حتب» ولى العهد قام بدل أبيه «رمسونخت» رئيسا على كهنة «امون رع» سلطان المعبودات بطيبة اهـ فكان انتحال لقب ولى العهد لنفسه تمهيدا لتنفيذ ما قد وطن النفس على عمله وهو أخذ الحكم لنفسه أو لمن يأتى من الكهنة بعده ولذا تعدى على عمل الملوك فقال

انى لما وجدت هذا البيت المقدس المعد من قديم الزمان لكهنة «امون رع» آل الى الدمار أردت أن أصلح ما فيه كما فعل «أوسرتسن الاول» فى أيامه فشرعت فى بنائه وجددته بعمل جيد وصناعة متقنة وقويت حيطانه من جميع جهاتها وأتممت بناءه وصنعت أعمدته وأمسكتها بحجارة كبيرة من أسفلها وأعلاها بعمل متقن وصنعت له بابا كبيرا بمصراعين من خشب السنط بقفل محكم وأتممت سوره الكبير المطل على جهة «محى» من الحجر وبنيت فيه بيتا جديدا عاليا ليكون مسكنا لكل رئيس على كهنته ونضدت هذا الباب الكبير بخشب السنط وجعلت مفاتيحه من النحاس الاحمر وطليت التماثيل بالذهب النقى والفضة وبنيت فيه بابا كبيرا بالحجر يفتح الى بحيرة المعبد من الجهة القبلية لأخذ الماء منها لغسل المعبد وأحطت جميع المعبد بسور ثم نصبت الاحجار الشامخة المنقوشة على بابه الكبير وركبت مصاريع الابواب المتخذة من خشب السنط ونصبت أمامها تمثالا من حجر النحت الكبير وذهنت دائرة النقوش باللون الاحمر وكتبت عليها اسم الملك وبنيت خزانة للاموال فى الارض داخل القاعة الكبيرة أما الاعمدة الكبيرة فصنعتها من الحجر والابواب من خشب السنط الملون وبنيت أيضا حجرة للملك وأنشأت خلف الكيلار محلا من حجر لوضع أدوات المعبد فيه

وجعلت أبوابه ومصاريعها من خشب السنط ونصبت فى الحوش الاول الكبير تماثيل لكل رئيس من كهنة ﴿ أمون رع ﴾ وأنشأت بساتين كالبساتين التى على بحيرة معبد ﴿ اشر ﴾ فى الكرنك وغرست فيها الاشجار الى أن قال أفضل سيدى ﴿ أمون رع ﴾ سلطان المعبودات وأعترف له بالعظمة والحكمة والقوة وأطلب منه للملك ولنفسى الحياة والصحة والعافية وطول البقاء اه

فلما تم بناء الهيكل المذكور على ما وصفه رسم الملك لمن حوله من الامراء والوزراء بان يعطوه العطايا العظيمة جزاء مافعله من الذهب والفضة فلما كان اليوم التاسع عشر من هاتور من السنة العاشرة من حكم رمسيس العاشر المذكور حضر ﴿ أمون حتب ﴾ فى الحوش الاول من معبد ﴿ أمون رع ﴾ وحضر أمراء الملك وهم ﴿ أمون حتب ﴾ مستشار الملك وأمين خزائنه ﴿ وتس أمون ﴾ مستشار الملك ﴿ ونفركا أم بيامون ﴾ كاتب الملك وترجمانه ومستشاره فلما انتظم محفلهم حضر الملك وألقى مقالة مدح فيها ﴿ أمون حتب ﴾ وهى

دعوت ﴿ مونتو ﴾ معبود الحرب و ﴿ أمون رع ﴾ و ﴿ تحوت ﴾ صاحب الكلام القدسى ومعبودات السماء والارض أن يكونوا شهداء علىّ وأشهدت نفسى وأنا رمسيس العاشر ملك مصر الاكبر وأشهدت أولاد وأحباب المعبودات على أن يكون التوزيع والتمتع بمنافع أشغال الاهالى فيما يختص بمعبد ﴿ أمون رع ﴾ سلطان المعبودات تحت نظارتك وتعطى لك الارادات كافة وأن تستلم الضرائب وتتكفل بادارة خزائن الاموال ومخازن المأكولات وشون الغلال التابعة لمعبد ﴿ امون رع ﴾ سلطان المعبودات لتكون على أحسن حالة وعلى ذلك أكافئك أيها التابع العظيم الممتاز وأكافئك بهذه الوظائف لتقوى بها على مافيه الاصلاح ولماشاهدت فعلك تعجبت منه وأصدرت أمرى بالانعام عليك بالذهب والفضة وغيرهما مكافأة لك وأنطت بذلك أمين خزانتى والمستشارين ﴿ نس امون ـ ونفركا أم بيامون ﴾

فعند ذلك قام المستشاران ووضعا فى عنق ﴿ أمون حتب ﴾ عقدا من ذهب وحلياه بأنواع الحلى كما يشاهد ذلك على صورته المرسومة فى الحجر بمعبد أمون فى الكرنك اه

ومن هذا الحين أخذت شوكة ﴿ أمون حتب ﴾ رئيس الكهنة المذكور فى العظم واتسعت كلمته وعلت وتمكن من الملك وأرباب دولته وتداخل فى جميع أمور المملكة حتى آلت حكومة البلاد وانتقلت الى عقبه كما سيأتى بيانه فى محله ان شاء الله تعالى

ولما مات الملك رمسيس العاشر المذكور تولى بعده الملك رمسيس الحادى عشر وهو الملقب برع أوسرما ﴿ استبن رع ﴾

(فى الملك رمسيس الحادى عشر)

كان هذا الملك عظيم الكلمة واسع المهابة امتد حكمه على بلاد الايتيوبيا وجميع بلاد

سوريا

سوريا ولم يستدل له على شئ من الآثار سوى ماوجد منقوشا على حجر مستخرج من هيكل ﴿ خونسو ﴾ وهو موجود بالخزانة الملوكية بمدينة باريس عاصمة الفرنسيس وحاصل ماعلى الحجر المذكور انه بينما كان هذا الملك فى الجزيرة بين دجلة والفرات التى كانت من ملحقات الديار المصرية فى ذلك الحين وفد عليه جميع ملوك الامم الخاضعة لسلطانه وقدموا له الجزية المضروبة عليهم من الذهب والحجارة الكريمة والعطريات اللطيفة من محصول بلاد العرب وكان ممن أرسل الجزية اليه ملك ﴿ بختانا ﴾ أرسلها مع ابنته وكانت جميلة فلما رآها الملك أحبها ومال قلبه اليها فتزوجها وسماها من هذا الحين ﴿ نفرورع ﴾ ورجع بها الى ديار مصر وعمل لها الولائم والافراح ولما كان اليوم الثانى والعشرون من أبيب سنة خمس عشرة من حكمه سار الى مدينة طيبة التى هى تخت الملك يومئذ لزيارة ﴿ أمون رع ﴾ يوم عيده البهى بطيبة الجنوبية فبينما هو هنالك اذ دخل عليه أحد حجابه وأخبره بأن بالباب رسولا وفد من قبل صهره ملك ﴿ بختانا ﴾ ومعه هدية عظيمة برسم الملكة فأمر به فتمثل بين يديه وقال السلام عليك ياشمس الامم نسألك العيش فى كنفك ثم تذلل وقال انى أتيت اليك أيها الملك العظيم لاخبرك عن ﴿ بنت رشت ﴾ شقيقة الملكة ﴿ نفرورع ﴾ فانه قد أصابها مرض فى جسمها فأتيت أسألك ارسال طبيب ينظر فى شأنها فلما سمع الملك مقاله أمر بالاطباء والروحانيين فتمثلوا بين يديه فقال لهم قد دعوتكم لتختاروا من بينكم رجلا ماهرا حاذقا فاتوه بكاتب الملك واسمه ﴿ تحوت أم حب ﴾ فرسم له بالمسير مع الرسول الى بلاد ﴿ بختانا ﴾ فلما وصل الى المدينة التى فيها ﴿ بنت رشت ﴾ وجدها ممسوسة بجنى ورأى نفسه غير كفء لدفعه عنها وأخبر ملك بختانا بذلك فأرسل الملك المذكور الى ملك مصر يقول أيها الملك العظيم والسيد المفخم تكرم علينا ثانيا بارسال معبود مع كاهنه الى بلادنا لاخراج ذلك الجنى وكان وصول هذا الطلب الى مصر فى غرة بؤنة سنة ست وعشرين الموافق يوم عيد ﴿ أمون ﴾ وكان الملك يومئذ فى مدينة طيبة فقام من ساعته ودخل على ﴿ خونسو ﴾ معبود طيبة الثابت فى كماله وقال له أيها السيد العظيم قد جئت اليك من أجل بنت أمير بختانا ثم أمر الملك فأنزلوا المعبود ﴿ خونسو ﴾ وكاهنه فى سفينة كبيرة وهيأ لهما خمسا من السفن وكثيرا من الخيول والعربات لتسير على يمينه ويساره عند مروره فى بلاد بختانا فلما وصل ذلك المعبود الى المدينة التى فيها بنت ﴿ رشت ﴾ من تلك البلاد بعد مضى سنة وخمسة أشهر جاء ملك بختانا لمقابلته ومعه قومه وامرأته وألقى نفسه على الارض وتقدم اليه وقال لقد جئت الى بلادنا وأفرحتنا بامر صهرنا ميامون رمسيس ملك مصر ثم أتوا بالمعبود الى المكان الذى كانت فيه ﴿ بنت رشت ﴾ فسرت كرامة المعبود فيها حتى برئت من مرضها ونطق الجنى الذى كان عليها أمامه قائلا أهلا وسهلا بالمعبود الكبير مزيل الاذى عن بلاد بختانا هى لك وأهلها جميعا عبيدك وأنا أيضا عبدك فسأعود من حيث أتيت لينشرح صدرك باتمام الغرض الذى دعيت اليه غير انى أرجو منك أن تأمر بأن يعملوا لى فى يوم واحد مهرجانا من قبل ملك بختانا

فأشار كاهن المعبودات الى ملك بختانا أن اعمل قربانا عظيما لهذا الجنى وعند تلاوة العزيمة على الجنى المذكور كان ملك بختانا واقفا مع قومه وجلا فعمل الملك القربان وأولم ﴿ لخونسو ﴾ وللجنى وليمة عظيمة ثم ذهب الجنى الى حيث أمره المعبود ﴿ خونسو ﴾ الحاذق ففرح ملك بختانا وقومه فرحا شديدا وقال فى نفسه يجب أن أبقى هذا المعبود فى بلادى وأعوقه عن الرجوع الى ديار مصر فمكث فى بلاد بختانا ثلاث سنين وتسعة أشهر وبينما الملك نائم فى سريره اذ رأى أن المعبود قد خرج من ناووسه العظيم كأنه باشق من ذهب قد بسط أجنحته وطار الى مصر فاستيقظ فوجد نفسه مريضا فقال لكاهن ﴿ خونسو ﴾ ان المعبود يريد أن يفارقنا ويذهب الى مصر وأمر فوضعوه على عربته وأطلق سبيله وأعطاه كثيرا من أنواع الهدايا العظيمة فلما وصل سالما الى طيبة توجه الى معبد ﴿ خونسو ﴾ ورفع اليه أنواع الهدايا الثمينة التى أهداها اليه ملك بختانا فلم يأخذ منها شيأ وبعد ذلك رجع ﴿ خونسو ﴾ الحاذق الى معبده فى اليوم الثالث عشر من امشير سنة ثلاث وثلاثين من حكم الملك رمسيس ميامون مانح الحياة ومخلد الذكر انتهى باختصار

ولما مات رمسيس الحادى عشر هذا تولى الملك بعده رمسيس الثانى عشر وهو الملقب ﴿ رع من ماستبن بتاح ﴾

(فى الملك رمسيس الثانى عشر)

لما تولى الملك رمسيس الثانى عشر هذا زين مدينة طيبة بالمبانى العظيمة فى بيوت المعابد وغيرها من بقية الآثار وزين معبد ﴿ خونسو ﴾ فى المدينة المذكورة بكثير من التماثيل الصغيرة كما زين مقابر العائلة الرمسيسية وقد وجد ماريت باشا مدير دار التحف المصرية فى سنة ست وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية حجرا فى شونة الزيب بالعرابة المدفونة فحوى ماهو منقوش عليه أن رمسيس هذا طال حكمه سبعا وعشرين سنة قالوا وخط هذه النقوش يضاهى تقريبا الخط المكتوب على الورقة القديمة المحفوظة الآن فى متحف تورينو بايطاليا المؤرخة فى اليوم الخامس والعشرين من كيهك من حكم الملك المذكور وحاصل مانقله منها بروكش فى فهرست تاريخه ان هذا الملك أصدر أمرا الى ﴿ بيانخاس ﴾ حاكم الايتيوبيا ورئيس الامم الاجنبية التابعة للدولة المصرية يقول فيه سيصل اليك مرسومى المتضمن لما فى الجواب المعطى للرئيس ﴿ يانى ﴾ مستشارى الذى سافر بأوامرى فبوصول هذا الامر اليك اشترك معه فى انجازها بالحسنى لانه هو المكلف فى الاصل بأدائها وعليك أن تلاحظ توابيت المعبودة وتضعها فى سفينة وأن تأتى بها معه الى المكان الذى أعد لنصب التماثيل فيه مع احضار الاحجار النفيسة لتسليمها للصناع واحذر من التأخير فى انجاز هذه المطلوبات والا خلعتك وعاملتك

على

على مقتضى مايصل الينا من أخبارك . قالوا فان صح أن هذه الورقة محررة فى عصر هذا الملك كان حكمه ممتدا الى بلاد الحبشة غيرأنه كان ضعيف القوة قليل البطش ولم يزل كذلك حتى توفى وتولى بعده الملك رمسيس الثالث عشر الملقب «برع خبرما استبن رع»

(فى الملك رمسيس الثالث عشر)

قد كان هذا الملك خامد الهمة ضعيف العزيمة ذابل الشوكة وكان المتولى فى أيامه على رئاسة كهنة «أمون رع» سلطان المعبودات الكاهن «حرحور» وهو سادس العائلة التى تقدم ذكر اسم كل منهم فى محله فلما رأى «حرحور» المذكور من ضعف عزيمة رمسيس الثالث عشر تطاول الى الاعمال السياسية وتداخل فى أمور البلاد وأحكامها وضم اليه قومه وأخذ فى مخاصمة الملك وعائلته وتظاهر بالعداء فاختل نظام الدولة وتفرقت كلمة أهل البلاد وزالت سطوة الحكومة وانحطت شوكتها وخرجت جملة بلاد عن حيازتها فضاقت حدودها وأحاطها من جميع الجهات أعداء أشد قوة منها واقتدارا ومازالت تسير القهقرى حتى انتزعها «حرحور» رئيس الكهنة المذكور من رمسيس الثالث عشر وزال الملك عن الدولة المتممة للعشرين التى آخرها رمسيس الثالث عشر المذكور وقامت بعدها الدولة الحادية والعشرون وأولها «حرحور» رئيس الكهنة وهو من مدينة طيبة

(الفصل الرابع)

«فى ملوك الدولة الحادية والعشرين التنيسية»

كان ابتداء ظهور هذه العائلة سنة عشر ومائة وألف قبل الميلاد أى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وألف قبل الهجرة وعدد ملوكها أربعة وقال العلامة ماسبرو بل هم سبعة نقلا عن الآثار ورتبهم على الترتيب الآتى الكاهن «حرحور» والكاهن «بعنخى» والكاهن «بينوزم» الاول والملك «بينوزم الثانى» والكاهن «مزاحرتى» والملك «منخوبريرى» والكاهن «بينوزم الثالث» ولكنه لم يجزم بصحة هذا الترتيب حتى تنكشف له حقائق مافى الآثار ومع أن هذا الترتيب المنقول عن الآثار يكاد يكون فى حكم الثابت المحقق فلم يأتنا أصحاب التاريخ الا بأخبار ثلاثة منهم ليس الا وذكر بعضهم أسماء الاربعة الاخرون ذكر أخبارهم وقال ان مدة ملكهم جميعا كانت مائة وثلاثين سنة وان أصل هذه العائلة من مدينة تنيس التى هى صان شرقية وكانت هذه المدينة من أعظم

مدن الديار المصرية هواء وتربة وأتقنها نظاما وترتيبا وفيها كثير من البساتين والكروم والنخيل والمزارع الواسعة والاشجار العظيمة والخلجان الكثيرة والترع التى يجرى فيها الماء صيفا وشتاء ثم يصب فى البحر الملح من جميع جهاتها وكانت هـذه العائلة فى عصر سيدنا سليمان وأبيه داود عليهما السلام ويقال ان سيدنا سليمان تزوج بنت أحد فراعنتها وأمهرها مدينة غزة * وأول ملوك هذه العائلة الكاهن حرحور وهو أحد الثلاثة الذين جاء أهل التاريخ على ذكر أخبارهم تفصيلا

(فى الكلام على الكاهن حرحور)

قـد كان هـذا الكاهن فى أول أمره خاضعا معترفا بالتابعيـة للملك رمسيس الثانى عشر فلما تولى الملك رمسيس الثالث عشر وأحس بضعف شوكتـه خرج عن طاعته واتخـذ لنفسـه الالقاب الملوكيـة فسمى نفسـه أول كاهن «(لامون)» * وولى العهد * وحامل المروحة على يمين الملك * وقائد الجيش فى الاقاليم القبلية والبحرية * وأمين خزائن الارض كيوسف بن يعقوب عليهما السلام * وكان رمسيس الثالث عشر لايلتفت الى ذلك ولا يفكر فى المآل فكبرت كلمة «(حرحور)» وانضم اليه جميع الكهنة وخرج على رمسيس الثالث عشر ونزع منه ملك البلاد واستولى على الاقاليم القبلية والبحرية وتصرف فى جميع الامور ورسم نفسه على جدران هيكل «(خونسو)» «(وسيتى)» معبودة «(انبو)» تقدم له التاج الاحمر الخاص بالاقليم القبلى * والمعبود «(حور)» يقـدم له التاج الابيض الخاص بملك الاقليم البحرى * قال صاحب العقد الثمين * وكتب على هذا الهيكل يعنى هيكل «(خونسو)» مامعناه إنى وسعت مصر وأتت الىّ رؤساء «(روتنو)» خاشعين لسطوتى الى غـير ذلك من عبارات المدح اه قال المؤرخون ولم يكن شئ من ذلك البتة فقد كانت البلاد فى غاية الاختلال والضـعف ولم تقو على رد ماخرج من البـلاد الاجنبيـة وقـد منعتها الشام من الوصول الى حدودها ولم يبق فى وسعها غير الدفاع لا الفتوح كما كان فى الايام السابقة وقد جمع حرحور الكاهن المـذكور من بقى من العائلة الرمسيسية ونفاهم الى الواحات الكبرى تشفيا وانتقاما وهم رمسيس الرابع عشر ورمسيس الخامس عشر ورمسيس السادس عشر * قالوا * وكان رمسيس السادس عشر المذكور متزوجا بابنة ملك آسـية المدعو «(بلاشارنس)» فرزق منها بولدين وبنت وهم الامير «(صيحور أوف عنخ)» والاميرة «(صى أن نوب أوص عنخ)» «(والنمروذ)» الذى تولى قيادة الجيوش المصرية على عهـد حرحور وهو المعروف «(بنمروذ الخليل ابراهيم عليه السلام)» ولما مات حرحور المذكور تولى الملك بعده ابنه «(بعنخى)»

(فى الكاهن بعنخى)

قد كان بعنخى الكاهن المذكور ضعيف الشوكة قليل التدبير والسياسة فلما رأى أهل البلاد منه ذلك نهضوا الى الثورة وهب من بقى من العائلة الرمسيسية الى إثارة الخواطر وتحريض الاهالى على الخروج فاختل نظام الحكومة وساء تدبير بعنخى الكاهن فلم يتمكن من نقش اسمه بين أسماء الملوك وظهر رمسيس السادس عشر فى أيامه واستعان بصهره ملك آسية المدعو (بلاشارنس) فسير الى مصر طائفة من أهل الشام وكان من أمرهم فى ذلك العهد ماسيذكر فى محلوومات بعنخى المذكور قبل أن تصل اليه النجدة من صهره ولم يأت عملا يذكر فلما مات تولى بعده ابنه (بينوزم) الاول الملقب (خع خبرع استبن أمن)

(فى الكاهن بينوزم الاول)

(الملقب)

(بخع خبرع استبن أمن)

تولى بينوزم الملك بعد أبيه فى خلال القلاقل والاضطرابات وظلت الدسائس قائمة الى السنة الخامسة والعشرين من حكمه فاشتدت الفتنة وقامت على ساق بين الاقليمين القبلى والبحرى بسبب ابعاد العائلة الرمسيسية الى الواحات وعلا لهيبها فلم يقدر (بينوزم) الكاهن على إطفائها لاشتغاله بدفع اغارة أهل الشام الذين كانوا أتوا لنجدة رمسيس السادس عشر صهر ملكهم فأرسل ابنه المدعو منخبررع الى مدينة طيبة لارجاع الامور الى سابق مجراها واطفاء نيران الفتنة فسار اليها وما زال بها حتى سكنت الفتنة وزالت فلبث بطيبة وأقام نفسه رئيسا على كهنة (أمون رع) معبودها بدل أبيه (بينوزم) واستقدم من بقى من الرمسيسيين من الواحات * قال صاحب العقد الثمين * وهذه القصة هى المنقوشة على حيطان هيكل (خونسو) بطيبة وحاصلها

أنه فى السنة الخامسة والعشرين أتى (منخبر رع) ابن الملك بينوزم رئيس الكهنة وقائد الجيش بقوة عظيمة الى الوجه القبلى ووطد الراحة فى البلاد وقمع البغاة واقتص منهم بما يناسبهم وأعاد النظام الى حالته الاصلية ثم توجه الى مدينة طيبة فرح الفؤاد فاستقبله أهلها بمدائح التهانى و بعد ذلك أخرجوا تمثال (أمون رع) فى محفل عظيم لمكافأة (منخبررع)

على صنعه بحضرته فأمر أمون بجلوس ﴿ منخبر رع ﴾ على كرسى والده ﴿ بينوزم ﴾ وجعله رئيس كهنته وقائد جيوش الوجـه القبلى والبحرى فصنع ﴿ منخبر رع ﴾ فى نظـير ذلك خيرات عظيمة وفى أول يوم من سنةست وعشرين الموافق لمولد ﴿ ازيس ﴾ وموسم ﴿ أمون رع ﴾ أخرجوا أمون هذا فى موكب عظيم ووضعوه أمام باب القاعة الكبرى من معبـده فدخل عليه ﴿ منخبر رع ﴾ وتضرع اليـه بأدعية كثيرة وقرب اليه قربانا عظيما ثم قال له أيها السيد العظيم لقد كثرت الشكوى من غضبك على الناس المنفيين فى الواحات فأبتهل اليك أيها المعبود المصور لكل موجود ويامخرج الغذاء للمعبودات والموجودات ويانور الشمس فى النهار وضـياء القمر فى الليل يامن يسرى فى السماء بسلام دون وقوف واهمال انظر الى أولئك الذين نفيتهم بامرك واشف مرضاهم وارأف بهم لانهـم أممك العديدة فهل يستطيع أحـد أن يسكن غضبك لو غضبت على شئ أنت الشـعاع المنير استجب دعوتى واعف فى هذا اليوم عن الخدم الذين نفيتهم فى الواحات ليعودوا الى مصر

فاستجاب دعاءه ثم طلب منـه ثانيا ان لاينفى أحـد من أهـل مصر الى تلك الجهات البعيدة فأجاب سؤله أيضا ثم طلب منـه ثالثا أن يصرح بكتابة أمره هذا على حجر لنشره فى البـلاد فقبل المعبود طلبه وبعـد ذلك قال ﴿ منخبر رع ﴾ لقـد فرحت كثيرا بتمام قصدى الذى ستحسن به بين الخلق سيرتى فأنا عبـدك النائب عنك فى مدينتك من صغرى أنت صورتنى وأظهرتنى فى الوجود لسرور خالقـك فأعطنى عيشة هنية فى خدمتك وقدساووقاية من عـذابك وأرشدنى الى طريقك واهدنى سبيلك وحبب قلبى فى بيتـك العظيم ولا تحرمنى من فضـلك * الى غـير ذلك من العبارات المألوفة لديهم ثم طلب فى آخر هـذه النقوش من معبوده أمون أن يبيد ويميت كل ذى سعى فى الفساد فأجابه المعبود الى ذلك اه

وأما الملك ﴿ بينوزم ﴾ فانه بينما كان مرابطا فى الحـدود لدفع العـدو عن البـلاد اذ قدم نمروذ ملك أشور بجيش عظيم جدّا يريد التملك على ديار مصر وضمها الى مملكته لا الى معاونة الرمسيسيين اصهاره فقاتل الملك ﴿ بينوزم ﴾ وعساكره وانتصر عليـه نصرا مبينا ونزع الملك منه وأدخل مصر تحت حكمه وتصرف فى البلاد تصرف الفاتح وما زال بينوزم منزويا حتى مات فـدفنته أمه المسماة ﴿ مهتن أوسخ ﴾ فى مقـبرة بالعرابة المدفونة ورتبت لقبره المرتبات المعتادة فى أعياد الاموات والخـدم والحشم وزال الملك من كهنة طيبة بزوال الكاهن ﴿ بينوزم ﴾ وتولى نمروذ على البـلاد * قال بعض المؤرخين وكان عدد ملوك هـذه الدولة أعنى دولة الكهنة الحادية والعشرين سبعة ملوك وكانت مدة حكمهم جميعا مائة وثلاثين سنة وأصلهم من مدينة تنيس التى يسميها بعضهم أيضا ﴿ صان ﴾ وهى أعظم مدن مصر وكانت ذات جنات ونخيـل وبها المجارى العظيمـة لرى أرضها صـيفا وشتاء كما تقدّم لك القول * قال صاحب العـقد الثمين قدحصل خـلاف بين بروكش وما سپرو فى شأن هذه العائلة فـذهب بروكش اتباعا لنص بعض الآثار الى أن رؤساء الكهنة نزعـوا الملك من

الرمسيسية ونفوهم الى الواحات ثم حصلت مصاهرة بين الرمسيسية وملوك الدولة الأشورية فأدى جميع ذلك الى تفرق الكلمة الاهلية ووقوع مصر فى يد ملوك الدولة الأشورية * وذهب ماسبرو الى أنه لما أراد رؤساء الكهنة حصر الملك فيهم عارضهم سكان الوجه البحرى وأقاموا (سمنتو) ملكا عليهم فنفى الكهنة الى بلاد الايتيوبيا الا أنه بالنظر لضعفه وتفرق الكلمة الاهلية لجأ هو ومن كان معه من الملوك الى جيرانهم فكان ذلك سببا لزوال الملك منهم وسقوط مصر فى أيدى ملوك الدولة الاشورية قال وأما مايتعلق بالتنيسيين وهم أهل صان فقال ماسبرو انه لما أراد (حرحور) حصر الملك فيه وفى عائلته عارضه فى ذلك سكان الوجه البحرى مع أهل صان وأقاموا (سمتو ميامون) ملكا عليهم فجعل مركز حكمه بمدينة صان وتبعه فى ذلك خلفاؤه الذين اعتبرهم مانيتون ملوكا أصليين لهذه العائلة الى أن قال ولضعف هؤلاء الملوك * أعنى بهم ملوك الدولة الحادية والعشرين المذكورة * كان أهل طيبة يطيعونهم وقتا دون وقت وكذلك الايتيوبيون خرجوا عن طاعتهم واستقلوا تحت حكم كاهن من رؤساء كهنة أمون وعصتهم أيضا بعض بلادهم فالتجؤا الى بعض الملوك المجاورة لهم واحتموا فيهم واختلطوا بهم فزوجوا أولادهم بنات ملوك الاسرائيليين وأخذوا من بناتهم لاولادهم فكان هذا سببا لنزع مصر من أيديهم واستيلاء النمروذ المتقدم ذكره عليها * قال صاحب العقد الثمين * بين بروكش كيفية تداخل الاجانب فى بلاد مصر الذى أدى الى نزعها من ملوكها فقال ان ملوك مصر اعتادت من قديم الزمان على تكملة ماينقص من جيوشهم من أسارى الحرب وتغالوا فى ذلك حتى زعم ملوك العائلة الثانية عشرة أنهم نقلوا أهل الشمال الى الجنوب وأهل الجنوب الى الشمال وأنهم أسسوا لهم فى وادى النيل طوائف عديدة * ولما خرجت ملوك العمالقة من أرض مصر فى عصر العائلة الثانية عشرة * قلت لعلها الثامنة عشرة كما يؤيد ذلك ماجاء فى التورات بقى غالب قومهم فى شرق الدلتا وحازوا بعض امتيازات ميزتهم عن المصريين وأطلق عليهم اسم (بى أمو) أى (باميت) وتحصلوا أيضا من المصريين على وظائف مهمة كالكهانة ونحوها فأدى ذلك الى ادخال معبوداتهم فى الديانة المصرية فاحترمها المصريون وبنوا لها معابد فى منف قال ولما تعاهد رمسيس الثانى مع الحيثيين كان ذلك سببا أيضا لسريان اللغة السامية فى بلاد مصر فتعلمها غالب المصريين والليبيين وحصل من ذلك تغيير وتحريف فى اللغة المصرية القديمة فاستعملوا (كريات) بدل (نوت) أى مدينة (وترعا) بدل (را) أى باب وحرفوا كثيرا من الكلمات فقالوا (خبوشا) وشانبشاو وبدل (خبش) (وشنس) أى باب ومصباح وفضلا عن تغيير اللغة وتداخل الاجانب فى بلادهم شيأ فشيأ استقلت قبيلة من الليبيين بنفسها غربى الدلتا فى أرض هناك استحوذت عليها من المصريين فأدى جميع ذلك الى أن صارت مصر غنيمة للاجانب فى آخر هذه العائلة اه هذا وقد كان النمروذ من نسل (بياى) ويقال له (بواى) أو (بوبوايى) الشامى الاصل

الشهير الذى قدم الى مصر أثناء ملك العائلة المتممة للعشرين وأقام ببسطة أو بضواحيها ونمت ذريته بها فزوج ابنه الخامس (ششنق) بأميرة من بيت الملك تدعى (مهتن أوسخ) فولدت له هذا النمروذ الذى تلقب رئيس الكهنة وقائد المشواشيين ثم ولد للنمروذ ولد سماه ششنق على اسم أبيه فتولى ششنق هذا ملك مصر بعد موت ميامون سيبونخع الثانى آخر ملوك التنيسية من هذه العائلة فكان هو المؤسس للعائلة الثانية والعشرين

(الفصل الخامس)

(فى ملوك الدولة الثانية والعشرين)

قال أصحاب التاريخ كان سرير ملك هذه الدولة مدينة بسطة باقليم الشرقية ومحلها الآن تل بسطة القريب من مدينة الزقازيق على بعد بعض فراسخ وعدد ملوكها تسعة وسنو ملكهم مائة وسبعون سنة قالوا والغالب أن ملوكها لم يكن منهم من الغزاة وأصحاب الفتوحات الا القليل ويظهر أيضا انه كان لهم مصاهرة أو قرابة أو حب واختلاط بالاجانب لتقارب أسمائهم باسماء ملوك الاكراد والعراقيين ولم تكن جنودهم الخاصة بحراسة أجسادهم من المصريين المتأصلين ولا من المستوطنين بل كانوا من المغاربة وكان أول ملوك هذه العائلة البسطية حسب ترتيب الآثار الملك ششنق الذى سيأتى الكلام عليه وكان مبدأ ظهور هذه العائلة سنة ثمانين وتسعمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وستمائة وألف قبل الهجرة

(فى الملك ششنق الاول)

هو رأس هذه الدولة الثانية والعشرين وتسمى أيضا بالدولة البسطية نسبة الى مدينة بسطة التى كانت تخت حكمها ويلقب هذا الملك (برع ونرخپراستپنرع) تملك نحو سنة تسعين وتسعمائة قبل الميلاد على مارواه جماعة المؤرخين وثمانين وتسعمائة على رواية مانيطون والثانى أقرب الى الصواب ويسمى فى التوراة شيشاق وهو الذى لجأ اليه يوربعام ملك اسرائيل مستغيثا به فنهض الى نجدته وقصد أورشليم بألف ومائتى مركبة وستين ألف فارس وقاتل رحبعام بن سليمان ملك يهوذا وكان فى جيوشه قوم من السود والحبشان فافتتح مدن يهوذا عنوة ونهب خزائن بيت المقدس وخزائن بيت الملك وأخذ تروس الذهب التى عملها سليمان عليه السلام ثم عاد الى مصر ظافرا غانما ونقش تاريخ هذه الواقعة على جدران

هيكل الكرنك العظيم وكتب عليه ﴿ يهوذا ملكى ﴾ يعنى مملكة يهوذا فى قبضة يده وقد عنى كثيرا ببناء المعابد وقطع الاحجار من جبل السلسلة لعمارة هيكل الشمس وكان أكبر أولاده المسمى ﴿ آووبوت ﴾ رئيس الكهنة ﴿ أمون رع ﴾ وقائد جيوش الصعيد فوكل لعهدته جلب الاحجار للعمارات الكثيرة فقام بذلك خير قيام وأقام الملك ششنق الى أن مات فى أحد فصول الصيف وتولى بعده ثانى أولاده المدعو ﴿ ارسرخان ﴾ وهو الملقب ﴿ برع خم خبر استبن رع ﴾ فكانت مدة حكم ششنق المذكور اثنين وعشرين سنة وفى رواية احدى وعشرين سنة

(فى الملك ارسرخان الاول)

تولى ارسرخان الملك بعد أبيه ششنق رغما عن معارضات أخيه ﴿ آووبوت ﴾ اذ قام ينازعه ويزعم انه أحق بالملك لانه أكبر أولاد ششنق واشتد النزاع بينهما وطال الجدال ثم استتب الامر ﴿ لارسرخان ﴾ فارتقى سرير الملك وقبض على زمام البلاد وعلت كلمته وهو المذكور فى التوراة باسم زاراح الحبشى وقد حارب مملكة يهوذا بعشرات آلاف من النفوس وثلثمائة عربة حربية فسار ملك يهوذا لملاقاته واصطفت جنود الفريقين فى وادى ﴿ صعد ﴾ فوقع الرعب فى قلوب جند مصر فولوا الأدبار جميعا وانتصرت عليهم جند يهوذا نصرا مبينا فلم يعد ارسرخان الى محاربتهم ثانية ومات وتولى الملك بعده ابنه ﴿ تاكاوت ﴾ الاول الملقب ﴿ برع خبر استبن أمن نترحق أون ﴾ فكانت مدة ملك ارسرخان خمس عشرة سنة

(فى الملك تاكلوت الاول)

لم يقف أصحاب التاريخ لهذا الملك على شئ من الاخبار أو الآثار ولم يعلموا شيأ عنه وغاية ماأمكنهم الوصول الى معرفته من أخباره أنه كان متزوجا بامرأة تدعى ﴿ كابوس ﴾ فولدت له صبيا سماه ﴿ أورسرخان الثانى ﴾ فلما مات ﴿ تاكاوت ﴾ المذكور قام بالامر بعده ابنه ﴿ أرسرخان ﴾ الثانى ولقب ﴿ برع أوسرما استبن أمن ﴾

(فى الملك ارسرخان الثانى)

تولى ارسرخان الملك بعد أبيه تاكلوت ولم يعلم له من المآثر التاريخية سوى أنه فى السنة الثالثة والعشرين من حكمه مات العجل المسمى ﴿ ابيس ﴾ وهو معبود المصريين الاعظم قال المؤرخون

وكان هذا الملك متزوجا بامرأتين احداهما تدعى ﴿ كراما ﴾ والثانية تدعى ﴿ موت آووت عنخس ﴾ فولدت له الاولى ولدا سماه ﴿ ششنق ﴾ باسم جده فلما بلغ اشده ولاه رئاسة كهنة ﴿ بتاح ﴾ معبود مدينة منف وورث عنه اخوته من أمه هذه الوظيفة من بعده وولدت له الثانية ولدا اسماه ﴿ نمروذششنق ﴾ باسم جده أيضا ولما بلغ اشده ولاه رئاسة الجيش ونظارة كهنة المعبود ﴿ خنوم ﴾ فى مدينة اهناس وخلفه اخوته لامه فى وظيفة الكهانة ثم انتقل من اهناس وصار حاكما على الوجه القبلى ورئيسا على كهنة أمون بطيبة ولما مات ﴿ ارسرخان ﴾ الثانى المذكور تولى الملك بعده ابنه ششنق الثانى الملقب ﴿ برع سخم خبراستبن امن ﴾

(فى الملك ششنق الثانى)

قال علماء التاريخ لم يوجد لهذا الملك من المآثر شئ يذكر وقد انقطعت بعده سلسلة العصبة الوارثة من بيت الملك ولذلك لما مات ارتقى على سرير الملك بعده رجل اسمه ﴿ تاكاوت ﴾ وتاكاوت هذا كان زوج الاميرة ﴿ مموت كروما مأأمن موت أم حعت ﴾ أخت النمروذ بن ارسرخان الثانى وكان رئيسا على كهنة أمون طيبة وقائد الجيوش المصرية وقد رزق من زوجته هذه بولد سماه ﴿ أوسورخون ﴾ وجعله رئيسا على كهنة ﴿ أمون رع ﴾

(فى الملك تاكلوت الثانى)

(الملقب)

(برع خرخپراستبن رع)

لم يكن تاكاوت هذا من سلالة بيت الملك وكأنه لم يتقرب الى هذا المنصب الا بسبب تزوجه بالاميرة ﴿ مموت كروما مأأمن موت أم حعت ﴾ أخت النمروذ بن اوسورخون الثانى وفى أيامه زحف على مصر الايتيوبيون من الجنوب والاشوريون من الشمال وهددوها فخرج أهل الشام وغيرها من ملحقات مصر عن حكمها وانكمش ملوكها الاصليون فى مدائن الاقاليم البحرية وصاروا كالولاة وهم ثلاثة ملوك ﴿ شيشاق الثالث وبيماى وشيشاق الرابع ﴾ قالوا وفى أيامهم جزئت مصر الى ولايات صغيرة وكان على كل ولاية رئيس من الليبيين تحت حكمهم واشتغل هؤلاء الملوك بجمع الخراج وادارة الامور الداخلية ولم يلتفتوا الى ما كان الرؤساء المذكورون يفعلونه من الاستبداد بالاحكام والتشديد على الرعية ولم يأخذوا حذرهم منهم

ولا من الاجانب الذين استوطنوا البلاد بسبب ضعف الحكومة وانحطاط قدرها فعظمت شوكة أولئك الحكام وتجاوزت فعالهم الحدود وكانت تساعدهم على ذلك طوائف الجند من الليبيين الذين دخلوا فى خدمة الحكومة المصرية وطمعوا بأنظارهم الى الوظائف العالية واختلسوا الألقاب الملوكية خلاف الملوك الاصليون وانزووا أولا فى مدينة بسطة ثم هاجروا منها فرارا من أعدائهم الى مدينة منف واتخذوها مقرا لهم وقامت الفوضى فى البلاد وتكاثر الخروج والعصيان فكانوا فى شاغل مستمر بدفاع الاعداء من الاشوريين والايتيوبيين ومازالوا على هذه الحال من الضعف والانحطاط حتى مات ﴿شيشاق الرابع﴾ الذى هو آخرهم وانتزعت الملك من بعده طائفة أخرى من التنيسيين وهم المعروفون بالعائلة الثالثة والعشرين فكانت مدة حكم العائلة الثانية والعشرين المذكورة ستا وستين سنة وقيل أكثر من ذلك

(الفصل السادس)

﴿فى ملوك الدولة الثالثة والعشرين التنيسية﴾

كان مبدأ ظهور هذه العائلة سنة عشر وثمانمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وألف قبل الهجرة وعدد ملوكها أربعة ومدة ملكهم تسع وثمانون سنة وكان مركزها فى تنيس وهى المعروفة الآن بصان فى اقليم الشرقية وهؤلاء الملوك الاربعة هم ﴿بدوسابست﴾ ﴿وأوسورخون الثالث﴾ ﴿وبساموت﴾ ﴿وDت﴾ ولم يكن من سبب لدخول مصر فى حكم هذه العائلة سوى ضعف شوكة شيشاق الرابع الذى هو آخر ملوك الدولة الثانية والعشرين وخروج الاقليم القبلى عن طاعته وانسلاخ الكثير من ملحقات مصر كالشام وغيرها عن حكومته وانزوائه فى مدينة منف واستقلاله بحكم الاقليم البحرى الى أن مات وظهر بعد موته التنيسيون فاستولوا على الاقليم البحرى أولا وأول ملوكهم ﴿بدوسابست﴾ الذى يسميه مانيطون المؤرخ ﴿بتوباستيس﴾ فجعل هذا الملك قاعدة مملكته مدينة بسطة ولما استقر به الملك أخذ فى تقوية مملكته وما زال حتى نزع طيبة من أيدى الايتيوبيين وضمها الى ملكه فعظمت شوكته وهابه أبناء جنسه وغيرهم وطالت أيامه فحكم أربعين سنة لم يغفل فيها عن أعدائه ولم يخفض لهم جناحا ثم مات فقام بالامر بعده ﴿أوسورخون الثالث﴾ فجعل مقره طيبة وتنيس وحافظ على مملكته من الاعداء وبالغ فى ذلك ومات بعد أن حكم تسع سنين فقام بالامر بعده ﴿بساموت﴾ الملقب ﴿أوسرد ع استبن بتاح بموت﴾ وجعل تخت مملكته مدينة منف واتبع طريق أسلافه

فى اليقظة والمحافظة على مملكته ومات بعد أن حكم عشر سنين ثم قام بالامر بعده (دت) وهو آخر ملوك هذه العائلة فحكم احدى وثلاثين سنة حسب ماقاله مانيطون * قال بعض المؤرخين * وكان عصر هذه الدولة عصر محن وإحن وانقسمت فى أيامها مصر الى عشرين ولاية فكانت كل ولاية تشتمل على عدة بلاد وجملة أقسام وعليها أمير مخصوص واستمرت على هذه الحال مدة الى أن ظهر جماعة من صا الحجر بالاقليم البحرى فنهضوا الى نزع الحكومة من أيدى هؤلاء الرؤساء وقد كانوا أضعفوها بسوء تدبيرهم وما زالوا حتى تم لهم الامر ثم أرادوا أن يؤسسوا عائلة جديدة تقوم بحكم البلاد وتدبير سياستها فعاكسهم الدهر أياما وقام لمعارضتهم أولئك الرؤساء ثم لم يلبثوا ان عجزوا عن مقاومة الصاويين وأعيتهم الحيلة فى أمرهم فاستعانوا بالايتيوبيين فطمع الايتيوبيون فى حكومة البلاد واستولوا على الاقليم القبلى وقاموا على الصاويين يريدون إرجاعهم عن عزمهم فلم يقدروا واستمرت الحال بين الفريقين على ماهى عليه الى أن ظهر رجل اسمه (تفنخت) فركب على طائفة الايتيوبيين وردعهم وأسكن الفتنة ولم يلبث أن ظهروا عليه وهزموه شر هزيمة فعاد الى مصالحتهم والاتفاق معهم على توليته حكم البلاد تحت امرتهم فولوه فأسس الملك للعائلة الرابعة والعشرين وكان هو رأسها وعدد ملوكها خمسة كما سيأتى بيانهم

(الفصل السابع)

(فى ملوك الدولة الرابعة والعشرين الصاوية)

كان مبدأ ظهور هذه الدولة سنة احدى وعشرين وسبعمائة قبل الميلاد أى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وألف قبل الهجرة وكان تحت حكمها مدينة صا الحجر التى كانت من أشهر مدن الديار المصرية فى ذلك الحين ولذلك كانت تعرف بالدولة الصاوية وقيل ولم يملك منها سوى ملك واحد أو اثنين أو خمسة وهو أصح على مارواه مانيطون المؤرخ وسنو ملكهم ست وقيل احدى وعشرون سنة وقيل أربع وأربعون ولم يذكر أصحاب التاريخ سوى مآثر اثنين منهم وهما (تفنخت) الذى يقال له أيضا (تخناتس) رأس هذه العائلة وابنه الملك (باكوريس) الملقب (بوح كارع) وتركوا أخبار الثلاثة الاخر لاتفاق وقائعهم مع وقائع وأخبار الملوك الايتيوبيين وهم ملوك الدولة الخامسة والعشرين السودانية الذين تغلبوا على بلاد مصر ونزعوا حكمها من يد الدولة الصاوية هذه

(فى

(فى الملك تفنخت)

(الذى يسمى أيضا)

(تخناتس)

ذكرنا فيما تقدم ان مصر الى ذلك الحين كانت منقسمة الى عشرين ولاية صغيرة وكان على كل ولاية منها ملك أو أمير مستقل بحكمها ولكنه يخشى اغارة جاره على ولايته ولذلك كان بعضهم لبعض عدوّا فحصن كل أمير ولايته وأكثر فيها من القلاع والحصون والرجال ومعدات القتال وكان أكثر جندهم من المشواشيين وغيرهم من الاجانب وقد ملؤا أرض مصر من الحصون والمعاقل على الآكام وضفاف النيل والجزر والبحيرات وغير ذلك وكان الملك (تفنخت) هذا حاكما على مدينة (نتر) التى يقال لها باللغة القبطية (منوتى) المجاورة لمدينة (كانوب) على بحر رشيد فتاقت نفسه الى الملك وطمعت فيه فركب بقومه لقتال أقرب الولايات اليه وما زال حتى انتصر على ملكها فى عدة مواقع ولما كثرت جموعه واشتد أزره بهم قام لقتال بقية الملوك وقاموا لقتاله فاشتدت الحرب بينهم وكادوا يوقفونه عند حده ثم صارت بينهم سجالا الى أن قويت شوكته فتغلب عليهم وظفر بهم وأخذ منهم قسم صا الحجر وقسم اتريب وقسم ليبيا وقسم منف ولم يتعرض للتنيسيين الذين هم بقية عائلة الملوك التنيسية الحاكمين على جميع البلاد شرقى الدلتا ثم سار بجيوشه الى الصعيد فأذعن له بعض أمرائه بالرضا والتسليم وبعضهم بالقهر والغلبة وما زال حتى وصل قسم ارمنت واستولى عليه وضرب الضرائب على قسم اهناس الجنوبية وكانت هذه الاصقاع تابعة (لبعنخى) ملك الايتيوبيا فلما بلغ (بعنخى) خبر زحف (تفنخت) المذكور ركب لقتاله واقتتل الفريقان قتالا شديدا للغاية فانتصر (بعنخى) ملك الايتيوبيا على (تفنخت) نصرا مبينا * قال صاحب العقد الثمين * ونقش ذلك على حجر وجد بجبل برقل ونقل منه الى متحف بولاق وهذا نص نقوشه التى ترجمها ده روجه

(فى غرة توت) سنة احدى وعشرين من حكم ملك الوجه القبلى والبحرى (بعنخى) ميامون خلد ذكره صدر أمر منه بما نصه اسمعوا مافعلته زيادة عن أجدادى أنا الملك المخرج من سلالة مقدسة النائب عن المعبود (توم) اشتهرت بأنى ملك منذ خروجى من ظلمة الاحشاء واحترمنى الامراء . . . وميزتنى والدتى بسيما الملك من صغرى أنا المقدس الطيب محبوب المعبودات ابن الشمس (بعنخى ميامون) لما بلغنى أن (تفنخت) أمير الجنوب الحاكم الاكبر فى مدينة (نتر) تملك على . . . (قسم اكسوئيتس) وعلى مدينة (حعب . . .) وعلى

مدينة ﴿عين﴾ وعلى مدينة ﴿بنوب﴾ المسماة باليونانية ﴿مومنفيتس﴾ وعلى مدينة ﴿منف﴾ واستولى على جهة الغرب من أول بلاد البحيرات أعنى ﴿بوتو﴾ الى الحدود الفاصلة بين الصعيد والبحيرة وسار نحو الجنوب بجيش جرار واجتمع معه سكان الاقليمين وأطاعته الامراء وأعيان البلاد وصاروا تحت رجليه أذلة كالكلاب ولم يغلق دونه حصن فى الاقسام الجنوبية وسلمت له مدينة ﴿ميدوم﴾ ﴿وبيسخم خبررع﴾ ﴿والبهنسة﴾ ﴿ونكاناش﴾ وباقى المدن التى فى الجهة الغربية خوفا منه ورجع الى أقسام الجهة الشرقية ففتحت له البلاد وهى ﴿حابنو﴾ ﴿وتايوحاى﴾ ﴿واطفيح﴾ وزحف متقدما الى أن حاصر مدينة اهناس الجنوبية حصارا تاما من كل جهة ومنع الناس عن الدخول فيها والخروج منها واستمر فى قتالها حتى غلبها وأبقى الامراء الذين اعترفوا له بالسيادة فى أقسامهم وأباح لهم الحكم على البلاد كما كانوا وعظموه بما يستحقه لذكاء عقله فانشرح فؤاده قال ﴿بعنخى﴾ وكانت تأتينى الرسل كل يوم من قبل الامراء وقواد الجيوش سائلة عن سبب سكوتى وعدم مدافعتى عن بلاد وأقسام الوجه القبلى ومخبرة لى بأن ﴿تفنخت﴾ أخذها ولم يعارضه أحد وان النمروذ رئيس الاشمونين وأمير ﴿حاور﴾ أى ﴿مجالوبوليس﴾ هدم حصون ﴿نفروس﴾ ودمر المدينة مخافة أن يأخذها ﴿تفنخت﴾ ثم التجأ الى مدينة أخرى فاقتفى ﴿تفنخت﴾ أثره فاضطر الى الخروج عن حزبى والانضمام اليه وصار من جملة رعاياه وأعطاه قسم اهناس الجنوبية وكافأه وغمره بجميع ماتمناه من الخيرات. فعند ذلك أرسلت الى قوادى وضباط عساكرى الذين كانوا فى مصر بطيبة وهم ﴿بورم﴾ ﴿ولامرسكانى﴾ وغيرهم من بقية ضباطى المقيمين بالجهات المصرية أن يستعدوا لقتاله ويسلبوا رجاله ومواشيه وسفنه التى فى النيل ويمنعوا العمال عن الخروج الى الغيطان والزراع عن الزرع ويحاصروا مدينة ارمنت ويهجموا عليها هجوما متواليا فذهبوا الى حيث أمرتهم وأمددتهم بجنود أرسلتها اليهم ونصحتهم بنصائح عديدة قبل توجههم الى القتال بقولى لاتهجموا أثناء الليل هجوم المتلاعبين بل اهجموا متى رأيتم انه أعد جيوشه وخيوله للمسير اليكم واذا قيل لكم انه جمع مشاته وخيالته فى مدينة أخرى فاثبتوا فى مكانكم الى أن تأتى اليكم جنوده وقاتلوهم واهجموا عليه متى قيل لكم انه نزل بجيوشه فى اية مدينة وانضم اليه الرجال الذين أحضرهم لاعانته من رؤساء التهانيين وعساكر الوجه البحرى أو متى نظم هيئة القتال على النمط القديم لاننا لانعلم مايريده من تشكيل عساكره المشاة وفرسانه الكماة واذا اشتبكت الحرب فاعلموا أن ﴿امون﴾ هو المعبود الذى أرسلنا اليهم واذا وصلتم الى قسم ﴿أوس﴾ امام مدينة طيبة فانزلوا فى النيل وطهروا أنفسكم منه والبسوا ملابس الاعياد فى ساحل ﴿تب﴾ وضعوا عنكم القسى والسهام ولا يتعرض رئيس منكم الى ﴿أمون﴾ صاحب الشجاعة اذ بدونه لايكون لفارسكم قوة لانه يجبر الذراع الكسير ويفنى العدد الكثير وينصر الواحد على الالوف واغتسلوا فى مياه معابده واسجدوا له وقولوا

ثبت أفئدتنا على الحق لنحارب فى ظل سيفك لان المقاتلين الذين ترسلهم يبددون الالوف فعند ذلك تواضعوا امامى قائلين اسمك سيفنا وعلمك مرشد لجيوشنا وخبزك فى جسمنا حيثما ذهب ومشروباتك تطفئ ظمأنا وشجاعتك سلاحنا والنصر مقرون باسمك وحاشا أن يثبت جيش رئيسه معتد باغ فمن يشابهك أيها الملك المنصور الفعال بنفسك الآمر بالحرب وبعد ذلك انحدروا فى النيل الى أن وصلوا طيبة ففعلوا كل ما أوصاهم به ملكهم ثم زحفوا منها منحدرين أيضا فى النيل فقابلتهم سفن حربية سائرة الى الجنوب مشحونة من الوجه البحرى بالملاحين والجنود والضباط الماهرين المدربين وكان مجيئهم لمحاربة جيش الملك ﴿بعنخى﴾ فحاربهم رجال الملك المذكور وقتلوا منهم جما غفيرا وأسروا باقى عساكرهم وسفنهم وأرسلوهم أحياء الى محل اقامة الملك ﴿بعنخى﴾ ثم ساروا قاصدين مدينة اهناس الجنوبية لمحاربة أهلها فبلغ أمرهم الى أمراء مركز الصعيد وهم النمروذ والملك ﴿وابوت﴾ ﴿وششنق﴾ ملك المشواشيين بمدينة أبى صير ﴿وتنا مناوف عنخ﴾ ملك المشواشيين الاكبر بمدينة تمى الامديد وابنه البكرى قائد الجيوش فى ﴿باوت ابرحو﴾ ﴿وبوكوتفى﴾ ولى العهد وجنوده وابنه البكرى ﴿نس نقدى﴾ رئيس المشواشيين فى قسم اتريب وجميع الامراء المتوجين بريشة الوجه البحرى ﴿وأوسوركون﴾ أمير مدينة بسطة ومدينة ﴿رعنفر﴾ وجميع أعيان ورؤساء وحكام الاقسام الغربية والشرقية والبلاد الوسطى وكانوا كلهم متفقين على رأى واحد وهو اتباع ﴿تفنخت﴾ رئيس الوجه القبلى الاكبر الحاكم على أقسام الوجه البحرى كاهن المعبودة ﴿نيت﴾ سيدة صا الحجر وكاهن ﴿بتاح﴾ فقدمت عليهم رجال ﴿بعنخى﴾ وأوقعوا بهم القتل الشديد وأخذوا سفنهم من النيل ومن بقى منهم عبر النهر وأقام جهة الغرب فى محل يدعى ﴿بابيك﴾ وفى صباح اليوم الثانى من تلك الواقعة اجتاز جيش ﴿بعنخى﴾ النيل مقتفيا أثرهم فادركهم واختلطت الجنود بالجنود وقتلوا كثيرا من رجالهم وخيولهم وحصل للباقين منهم رعب شديد فهربوا الى الوجه البحرى منهزمين شر هزيمة قال المترجم ولم نقف على خسائرهم لكسر حصل فى الحجر قال ولما سمع النمروذ ان جنود الملك ﴿بعنخى﴾ شارعة فى أخذ بلدة ارمنت جمع من كان معه من رجاله وخيوله ورجع اليها وتحصن بها وكانت وقتئذ جيوش ﴿بعنخى﴾ مصطفة على النهر بساحل قسم ارمنت فبلغهم رجوع النمروذ الى بلده فحاصروها من جهاتها الاربع ومنعوا الناس من الدخول اليها والخروج منها وأرسلوا مكتوبا الى الملك ﴿بعنخى ميامون﴾ يحتوى على أسماء من قتلوه من الاعداء فعند تلاوته اغتاظ وتلون كالنمر وقال لئن تركوا باقى جيوش الوجه البحرى أحياء أومكنوا أحدا منهم من الهرب لمقابلة فرقته ولم يقتلوهم جميعا وقت هزيمتهم فبحياتى وبحق المعبود ﴿رع﴾ وبحق أبى ﴿أمون﴾ لأقاتلن بنفسى وأهدمن جميع ما حصنه أهل الوجه البحرى وأحرمنهم نزول القتال ولكن يلزمنى قبل ذلك أن أعمل موسم رأس السنة بجبل برقل وأقدم القربان لابى ﴿أمون﴾ يوم موسمه العظيم الذى يتجلى فيه

بالظهور عند حلول السنة الجديدة وأتوجه الى طيبة لمشاهدته هناك فى موسمه العظيم وأخرج صورته فيها ليلة موسمه الجليل الطيبى الذى قرره له المعبود «رع» من قديم الزمان ثم أرجعه الى معبده وأجلسه على تخته ثانى يوم هاتور المعد لدخوله فى المعبد وبعد ذلك أذيق الوجه البحرى طعم سطواتى ولما بلغ عساكره الذين كانوا بعصرانه غضب عليهم توجهوا لقتال مدينة «واب» فى قسم «أوكسرنحوس» فأخذوها كموجة الماء المتطايرة وأرسلوا يخبرون ملكهم بذلك فلم يسكن غضبه ثم هجموا على «تهنى» وكانت مدينة حصينة فوجدوها غاصة برجال الوجه البحرى فعملوا متاريس حولها وهدموا أسوارها وأوقعوا القتل فى أهلها ولم يعلم مقدار من قتل منهم الا انه كان فى زمرة القتلى ابن «تفنخت» أمير المشواشيين فأرسلوا يخبرون الملك بذلك فلم يسكن غضبه فهجموا على «حينو» وفتحوا أبوابها ودخلوا فيها وأرسلوا يبشرونه بذلك فلم يسكن غضبه أيضا فلما كان اليوم التاسع من شهر توت أتى «بعنخى» من بلاده الى طيبة وعمل فيها موسم «أمون» السنوى المعتاد ثم توجه منها الى ارمنت وخرج من مقعد سفينته ووضع النير على خيوله وركب عرباته فانتشر الفزع منه فى قلوب الناس الى أقصى بلاد آسية ثم برز للقتال وهجم على الاعداء وزأر عليهم كالاسد وقال لهم اذا ثابرتم على القتال أخرتم أوامرى بالعفو عنكم وان عزمتم على العصيان أذقت الوجه البحرى فزعاتى فلم يسمعوا قوله فهزمتهم فرسانه شر هزيمة ووضع معسكره فى الجهة القبلية الغربية من أرمنت وأخذ فى الهجوم عليها كل يوم وعمل متاريس من تراب لتحجب عنهم مايأتى من أسوارها ووضع سلالم للارتقاء اليها ففوقت عليها الرماة سهامهم والقى فيها الملقون أحجارهم واستمروا على قتال أهلها مدة ثلاثة أيام حتى فسد هواؤها وحرم أهلها استنشاق الهواء فسلمت أرمنت عند ذلك مستغيثة بالملك وخرج منها رسل النمروذ حاملين من الاشياء العظيمة مايسر الناظر كالذهب والحجارة النفيسة وأقمشة البسوس قائلين لقد ظهر الملك وتاج الثعبان على رأسه وغيظه مكظوم ولم نلبث الا أياما حتى أطعنا تاجه فأرسل النمروذ امرأته بنت الملك «مستنتح» لترجو زوجات الملك «بعنخى» وجواريه وبناته وأخواته «فى العفو عنهم» فسجدت أمام زوجات الملك فى القصر قائلة أيتها الزوجات وبنات الملك وأخواته أغثننى وسكن غضب الملك صاحب القصر فما أكبر سطوته وماأعظم عدالته

سقط من الاصل خمسة عشر سطرا لكسر حصل فى الحجر

قال الراوى فقال «بعنخى» للنمروذ لقد سددت طريق الحياة على نفسك فقال النمروذ لو كنت صعدت نحو السماء كالسهم لادركتنى وكيف لاوقد غلبت بلاد الجنوب وأطاعتك بلاد الشمال فهل لنا أن نستظل بظلك فقد أفنى بأسك جميع رجالى ـ سطر ساقط من الاصل ـ فلاأب يرى مع ابنه حتى امتلأت البلاد بالاطفال ثم تواضع امام جلالة الملك وقال لقد جعلتنى سطوتك فى هذا الحال فأنا أحد عبيدك الذين يدفعون الجزية لخزينتك فاحسب جزياتهم وأنا أعطيك أكثر منهم ثم بادر بتقديم الفضة والذهب واللازورد والزبرجد والحديد

والاحجار النفيسة المتنوعة بمقدار وافر حتى ملأ خزينة الملك بجزيته وأحضر حصانا بيده اليمنى وآلة موسيقية مصوغة من الذهب واللازورد بيده اليسرى فخرج الملك عند ذلك من قصره وتوجه الى معبد «(هرمس)» سيد أرمنت والى هيكل المعبودات الثمانية المسمى باسمهم فأظهر له جنود قسم أرمنت الفرح وقال له الكهنة ماأعظم الملك «(بعنخى)» سلالة الشمس لقد جئت فى مدينتك فنرجوك ياحامى حوزة أرمنت أن تعمل لنا عيدا احتفاء بقدومك فتوجه عند ذلك الى المدينة ودخل قصر النمروذ وطاف على جميع حجراته وعاين الخزينة والمخازن وأمر باحضار زوجات وبنات النمروذ فأتين متواضعات لجلالته حسبما تعلم النساء من شؤن التواضع الا أن الملك أعرض بوجهه عنهن ثم توجه الى اصطبل الخيول وبيت المهارى فرأى أنهم كانوا تاركيها من غير أكل فأقسم بحياته وحق «(رع)» الذى يمنحه أنفاس الحياة الجديدة قائلا ان مجاعة خيولى أقبح ذنب فى الذنوب التى فعلتها أيها النمروذ فقال النمروذ لاتغير قلبك بالغضب سأخبر أيها السيد الخدم بغيظك المتسبب عن مجاعة خيولك فقال «(بعنخى)» هل كنت تظن انك تنسى ظل وجهى المقدس وانهم يفرون من قوتى ولو كان انسان غير معلوم عندى وفعل مثل ذلك لما سامحته أما يعلمون انى مذ ظلمة الاحشاء خرجت من بيضة مقدسة ومنحنى المعبود جوهره فكان جسمى من جسمه فلا أفعل شيأ دونه فهو الذى يرشد أعمالى * ثم وهب أموال أرمنت ومافى مخازنها الخزينة وأملاك «(أمون رع)» ساكن طيبة ثم جاءه ملك اهناس المدعو «(بنابسط)» بهدايا من ذهب وفضة وأحجار نفيسة ونجائب من خيول اصطبله وسجد امامه قائلا السلام عليك أيها الملك الحاكم المنصور النور الذى يبطش بالثيران لقد كنت فى مكان سحيق تغشانى الظلمة وقد أضاء لى النور بعد الظلمات ولم أجد يوم الشدة من يساعدنى فى القتال سوالئ أنت المنصور الذى أبدت الظلمات عنى أنا عبدك ولك جميع ماأملكه وتدفع أهل اهناس الجزية لك فانظر كيف وضعنا تمثال «(حورمخى)» فوق تماثيل الكواكب وكانت منزلتك عندنا كمنزلته وكما لم ينتقص قدره كذا لم ينتقص قدرك أنت الملك «(بعنخى)» مخلد الذكر ثم توجه الى «(أين)» الى مكان يسمى «(روهن)» فوجد مدينة «(براخم خبرع)» أسوارها مرتفعة وأبوابها مغلقة وكانت ممتلئة بابطال الوجه البحرى فأرسل يقول لهم أيها المقيمون فى الموت الضعفاء المحقرون أنتم أيها المقيمون فى الموت لئن تأخرتم عن فتح المدينة لترون مايحل بكم من القتل ولو كان يشق على فلا تغلقوا عليكم الأبواب التى افتحها لنجاتكم من ضيق هذا اليوم ولا تفضلوا الموت وتكرهوا الحياة بين الناس . . . . فأرسلوا يقولون له حيث ان ظل المعبود على رأسك وانابن «(نوت)» أعانك بيده وكل مارغبته كان مقضيا لك فى وقته ما كأنه الا صادر من فم معبود وكيف لا وأنت ابن معبود كما نرى ذلك من أفعالك فالمدينة وأسوارها طوع يدك وأذن لنا بالدخول والخروج فأذن لهم بماتمنوه فخرجوا ومعهم ابن «(تفنخت)» رئيس المشواشيين ودخلت جنود «(بعنخى)» المدينة ولم يقتلوا أحدا من الناس الذين كانوا

بها وأرسل فى الحال «(بعنخى)» أمناء خزائنه ليختموا خزائن صكوك تلك المدينة ثم أحصى بنفسه مافى خزائنها وأشوانها وتطوع به لقرابين أبيه «(أمون)» ثم توجه الى مدينة «(ماريتوم)» مسكن «(سوكارى)» صاحب النور فوجدها مغلقة الابواب ولما وصل اليها اضطربت قلوب أهاليها مما حصل لهم من الرعب والفزع الذى أخرس ألسنتهم فأرسل يقول لهم اختاروا أحد أمرين اما ان تفتحوا الابواب فتنجوا بحياتكم والا فتموتون لانى لا آمر عدينة مقفلة ففتحوا له أبواب المدينة فى الحال ودخلها وقدم قربانا الى «(منهى)» فى مدينة «(شات)» وحصر الخزينة والاشوان وأعدها لقرابين «(أمون)» ثم توجه الى مدينة «(تاوى)» فوجد أسوارها مقفلة وحصونها مملوءة بابطال الصعيد ولكنهم فتحوا أبوابها له وتواضعوا امامه قائلين ان أباك أورثك السيادة على الاقليمين فستملكهما وتكون السيد الحاكم على الدنيا ولما مر الملك بالمدينة قدم لمعبوداتها قربانا عظيما من ثيران وعجول واوز ومن جميع الاشياء العظيمة وحصر خزائنها وأضافها الى خزائنه ووهب مافيها لقرابين «(أمون)» ولما قرب من منف أرسل يقول لسكانها لاتغلقوا أبوابكم ولاتحاربوا أيها الناس القاطنون فى المدينة لانى سأدخل وأخرج بدون اساءة أحد كالمعبود «(شو)» الذى كان موجودا فى القرون الاولى وان لم تتعرضوا لى فانى أتقرب بقربان «(لبتاح)» ولمعبودات منف وأودى فى معبد «(شيتى)» الصلاة «(لسكارى)» وأشاهد «(بتاح)» وأذهب بسلام وأرأف بمنف وتنجوا من كل غائلة تبكى أولادكم واعتبروا بسكان الوجه القبلى فانه لم يقتل منهم أحد سوى الذين أغضبوا المعبود ولم يصب العقاب الا من طغى فلم يسمعوا لقوله وأغلقوا أبوابهم دونه وأخرجوا منهم عساكر تقاتل فرقة من رجاله مؤلفة من شغالة ورؤساء عمارة وملاحين وكان ذلك على ساحل منف*أما ما كان من أمر «(تفنخت)» أمير صاالحجر فانه أتى الى منف أثناء الليل وقال مرارا لجنوده وملاحيه وجميع قواده وكانوا ثمانمائة ألف رجل انمنف صارت مستقرأعظم جنود الوجه البحرى والاشوان غاصة بالشعير والقمح وأنواع الحبوب وجميع عدد الاشغال . . . والسورمبنى والطابية الكبيرة محكمة حسب قوانين الحرب والنهر محيط بشرقى المدينة ولا يجد العدو نقطة للهجوم منها عليكم وأنتم تعلمون أن مراعينا مملوءة بالمواشى وخزائنى غاصة بأنواع الفضة والذهب والنحاس والملبوسات والعطريات والعسل فسأذهب وأعطى جميع ذلك لامراء الوجه البحرى وأفتح لهم أقسامهم فدافعوا عن أنفسكم الى ان أعود اليكم فلما تم قوله ركب جواده لكونه أسرع من عربته وذهب الى الوجه البحرى خائفا من الملك «(بعنخى)» ولما كان اليوم الثانى صباحا قرب الملك «(بعنخى)» من منف ورسا على جهتها الشمالية فوجد الماء مرتفعا الى أسوارها والسفن راسية على سواحلها وتأملها فرآها محصنة منيعة لها سور مرتفع قد بنى جديدا واستحكامات قوية ولم يجد فيها منفذا للهجوم عليها فتداولت فى شأنها رجاله عما تقتضيه أصول الحرب وقالوا ان الهجوم عليها أولى . . . ولكن نرى جنودها مستعدة فاستحسنوا رأيا آخر وقالوا نجمع كثبانا

مساوية لارتفاع سورها ونضع عليها سلالم ونصب حولها السوارى وعروق الخشب الطويلة ونضع فى محيطها متاريس من تراب للتمكن منها وبعد رفع الارض بارتفاع سورها نجد لنا سبيلا للاستيلاء عليها ولكن تلون ملكهم ﴿ بعنخى ﴾ تلون النمر وقال وحياتى وحق المعبود ﴿ رع ﴾ وأبى ﴿ أمون ﴾ أنا أعلم ان ماحصل فى هذه المدينة من تحصين وغيره هو بأمر ﴿ أمون ﴾ أما سمعتم كلام سكان الوجه القبلى الذين فتحوا ﴿ لأمون ﴾ الطريق رغم أنفهم لكونهم لم يذكروه فى قلوبهم ولم يعرفوا قدر أوامره فخذلهم ليبين لهم قوته ويريهم هيبته فسآخذ هذه المدينة كريح عاصف بأمر ﴿ أمون ﴾ وفى الحال أمر قواده بتقريب سفنه ومراكبه وجنوده ليهجم على منف من جهة الساحل فأحضروا امتثالا لأوامره جميع السفن والرواميس ومراكب النقل التى يمكنها المرسى على سواحل منف وربطوا مقدمات السفن فى بيوت المدينة ولم يشعر أحد بهم ولم ينزعج طفل من أطفالهم ثم أتى الملك ليسير السفن بنفسه وأمر رجاله بالهجوم على المدينة والاحداق بسورها والدخول فى بيوتها من النهر وقال لهم اذا تسور أحدكم سورها فلا يقف فى محله ولا تقاتلوا الرؤساء الذين يستسلمون لكم لان هذا مذموم لاسيما وقد حاصرنا الآن الوجه القبلى وقربنا من الوجه البحرى وصرنا فى وسط الاقليمين وبهذا التدبير أخذ منف كريح عاصف وقتل منها خلقا كثيرا وأحضر بين يديه أسراها ولما كان اليوم الثانى من هذه الواقعة أرسل جماعة يحافظون على المعابد ثم توجه بنفسه الى هيكل معبودات منف وقدم لهم قربانا من المشروبات وطهر المدينة بالنطرون والبخور وأرجع الكهنة إلى أماكنهم ثم توجه الى معبد ﴿ بتاح ﴾ وتطهر ببابه وعمل مهرجان المملكة ولما دخل فى المعبد قدم لابيه ﴿ بتاح رسبتيف ﴾ قربانا عظيما من ثيران وعجول واوز وغير ذلك من الاشياء النفيسة ثم دخل قصرها الملوكى وبلغه ان جميع البلاد التى فى ضواحى منف وهى ﴿ حريبسديمى ﴾ ﴿ وبثيناقوعسع ﴾ ﴿ وبيوخن نيو ﴾ ﴿ وتاوحيبى ﴾ فتحت أبوابها وهربت رجالها ولم يعلموا أين المفر ثم ان الملك ﴿ وابوت ﴾ وأمير المشواشيين ﴿ موكانشو ﴾ والامير ﴿ بتيسيس ﴾ وجميع رؤساء الوجه البحرى أتوا بجزيتهم راجين أن يؤذن لهم باجتلاء أنوار الملك ﴿ بعنخى ﴾ وبعد ذلك تطوع الملك ﴿ بعنخى ﴾ بخزينة وأشوان منف لقربانات ﴿ أمون ﴾ ﴿ وبتاح ﴾ وباقى معبودات ﴿ حكابتاح ﴾ وفى اليوم الثانى توجه الى الجهة الشرقية وتقرب الى ﴿ توم ﴾ فى مدينة ﴿ حزاو ﴾ والى معبوداتها فى هيا كلهم والى معبودات مدينة ﴿ اماح ﴾ بقربان من ثيران وعجول وإوز راجيا أن يمنحوه السعادة ثم توجه نحو المطرية من جهة ﴿ خر ﴾ وقصد طريق المعبود ﴿ سب ﴾ من جهة ﴿ خر ﴾ ومر بالمعسكر الذى كان فى جنوبى مدينة ﴿ مرتى ﴾ وقدم قربانا لمعبوداتها وتطهر فى المنبع الرطب وغسل وجهه من ماء ﴿ نو ﴾ حيثما تغسل الشمس وجهها ثم مر نحو ﴿ شيوكامان ﴾ وتقرب للشمس وقت شروقها بقربان من ثيران بيض وابن وعطريات وبخور

وغير ذلك من أنواع الاخشاب ذات الرائحة الذكية ثم قصد معبد الشمس ودخله وصلى فيه مرتين وطلب له الكاهن الاكبر من المعبود أن يهزم أعداءه وبعد ذلك صلى الملك صلاة الباب* قال المترجم وهى صلاة مخصوصة عندهم* وكسا الضريح وتبخر بالبخور وتقرب للمعبود بمشروب وأحضر له أزهار «الحبنبن» وهى المزروعة فى المعبد ليستخرج له منها العطر ثم ارتقى على الدرجات نحو الشباك الكبير لينظر الشمس فى ضريحها واختلى وحده ورفع المتراس وفتح الأبواب ونظر الشمس فى ضريحها وعظم السفينة المقدسة المعلقة فى مقام «رع ويوم» ثم أقفل الابواب ووضع عليها طين ابليز وختم فوقه بالختم الملوكى وقال الكاهن انى وضعت ختما فلا يجوز لاى ملك من الملوك أتى هنا أن يدخل فى هذا المحل فتواضع امامه الكهنة قائلين سيبقى هذا الختم محفوظا مباركا ولا يحصل له أدنى ضرر أيها الملك الحاكم محب المطرية ثم استعد بعد ذلك للدخول فى معبد «توم» وأدى فيه صلوات «انتا» لابيه «توم خبرع» سيد المطرية وفى أثناء ذلك أتى «اسربون» الى المطرية ليجتلى أنوار الملك «بعنخى» ولما كان اليوم الثانى توجه الملك «بعنخى» الى الساحل الذى فيه سفنه وسار منه الى ساحل قسم اتريب وضرب خيمته فى جنوب مدينة «كهانى» التى كانت فى الجهة الشرقية من هذا القسم فأتاه ملوك ورؤساء الوجه البحرى وجميع الامراء والاعيان المتازين بوضع الريش والظلل على رؤسهم ومعهم أمراء وأولاد ملوك الوجه القبلى والبحرى والجهات الوسطى ليشاهدوا أنوار جلالته وبعد مثولهم بين يديه تواضع الامير «بتيسيس» لعظمته وقال شرف أيها الملك قسم اتريب حفظتك المعبودة «خونت» لترى المعبود «خنتى خانى» أى «حور» وقدم له فى معبده قربانا من ثيران وعجول واوز وادخل قصرى وافتح خزائنى وتصرف فى جميع مايكون لابى وسأعطيك من النفائس فوق ماترغب من الذهب والزبرجد ومن الخيول أعظم مافى اصطبلاتى فتوجه الملك أولا الى معبد «خنتى خانى» سيد مدينة «كامور» وتقرب اليه بثيران وعجول واوز ثم توجه الى قصر الامير «بتيسيس» فقدم اليه هذا الامير فضة وذهبا ولازوردا وزبرجدا وغير ذلك من الملابس الملوكية والسرر المغطاة بالاقمشة الرفيعة ومقدارا عظيما من عطر «انتا» وزيتا طيبا فى أوعية وخيلا وأفراسا من أعظم خيول اصطبلاته وحلف الامير «بتيسيس» امام ملوك ورؤساء الوجه البحرى قائلا ان كل من خبأ خيوله وأخفى شيأ مما علكه فلا بد من موته والحاقه بأبيه وقد حذرتكم لتمتنعوا من اخفاء شئ من أموالكم وان كنتم تعلمون أنى لم أظهر شيأ مما أملكه فأخبروا الملك عما أخفيته فى بيتى ان كان ذهبا أو فضة أو أحجارا نفيسة أو أوانى أو أساور أو عقود ذهب أو عقودا مرصعة بالحجارة النفيسة أو حليا أو تيجانا أو حلقانا أو زينة ملوكية أو من أوان من ذهب للغسل أو حجارة نفيسة سوى ماقدمته اليه من الاقمشة والملابس والنفائس التى فى قصرى وعلمت أنها تعجبه وأرجوك أيها الملك أن تمر باصطبلى وتختار ماوافقك من الخيول فقبل ذلك الملك منه وأمضاه

ثم

ثم قال له الملوك والرؤساء نحن أيضا نذهب الى مدننا ونفتح خزائننا وننتخب منها مايعجبك ونأتى لك بها وبأعظم مافى اصطبلاتنا من نجائب الخيل فأجابهم الى ذلك وانصرفوا وكانوا أربعة عشر ملكا وهم ﴿اساركون﴾ ملك مدينتى ﴿بسطة ورع نفر﴾ ﴿ووابوت﴾ ملك مدينتى ﴿تنترينو وتاعان﴾ ﴿وتاتامن اف عنخ﴾ رئيس مدينتى ﴿تمى الامديدوتاارع﴾ وابنه الكبير ﴿وعنخ حور﴾ رئيس العساكر فى ﴿پاوت ابيرحح﴾ ﴿وموكانشو﴾ رئيس ﴿سبنوتس﴾ ﴿وپاحپى﴾ ﴿وسمهود﴾ ﴿وبتنف﴾ رئيس المشواشيين الاكبر فى جهتى ﴿بسوبتى﴾ ﴿وابن سوبتى حز﴾ ﴿وبحو﴾ رئيس المشواشيين الاكبر فى قسم أبى صير ﴿وناسنا كاتى﴾ رئيس المشواشيين الاكبر فى قسم ﴿حسب﴾ ولعله قسم ﴿كربوتيتس﴾ ﴿ونخت حورناسنو﴾ رئيس المشواشيين الاكبر فى قسم ﴿باور﴾ ﴿ونبتا ار﴾ رئيس المشواشيين ﴿وپنتاوخن﴾ رئيس المشواشيين وكاهن ﴿حور﴾ سيد مدينة ﴿سخم ستوحارستمو﴾ ﴿وحوربسا﴾ رئيس قسمى ﴿پاسخت بنت سا﴾ ﴿وپاسخت نبرا حساوى﴾ ﴿وتخيو﴾ رئيس ﴿خنتينفر﴾ ﴿وپابس﴾ رئيس ﴿خراووبحالى﴾ قال الراوى ثم أتوا بهداياهم العظيمة وكانت . . . من ذهب وفضة وسرر مغطاة بالاقمشة الرفيعة وعطر فى أوعية وغير ذلك من الهدايا العظيمة كالخيول ونحوها ولما أتوا قالوا للملك ﴿بعنخى﴾ ان رئيس مدينة ﴿مسى﴾ أغلق سورها خوفا منك وأحرق خزانته وتهيأ للقتال على النهر وملأ مدينته بالجنود . . . فعند ذلك أرسل الملك فرسانه لينظروا ماذا حصل من عدو الأمير ﴿بتيسيس﴾ فرجعوا اليه قائلين نحن قتلنا جميع الرجال الذين وجدناهم فى تلك المدينة فأعطى الملك أرضها للامير ﴿بتيسيس﴾ ولما بلغ هذا الخبر ﴿تفنخت﴾ رئيس المشواشيين أرسل ﴿لبعنخى﴾ رسولا يقول له اكظم غيظك فانى وجل من رؤيتك لعدم مقاومتى نار حربك وامتلأ قلبى بفزعك لانك كمعبود الجنوب ﴿نبتى﴾ وكمعبود الشمال ﴿مونت﴾ الموصوف بالثور المنصور ان أردت شيأ لم يعارضك أحد فيه انا الآن وصلت جزائر البحر خشية من سطوتك ومن توبيخك المؤلم وتعنيفك الموجع أما يسكن خاطرك بما حصل لى منك ألا ترى انى صرت الآن حقيرا فلا توقعنى فى شرك ذنبى لان دقة الميزان تظهر الفروق الصغيرة فاسألك أن تضاعفها لى بالعفو منك واعلم أنك إن بذرت بذورا حصدت محصولها عند حلول وقتها ولا تخلع الساق حينما يكون مكللا بالازهار ولقد أوقعت الرعب فى قلبى وسرى فزعك فى سائر أعضائى حتى صرت لاأستقر لحظة فى حانة المشروبات ولا أتناول سوى الخبز اذا اشتد جوعى والماء اذا اشتد ظمئى ومذ بلغك اسمى بالعصيان ألم بجسمى الفزع وتصدع رأسى وخلقت ثيابى وقد التجأت الآن لحى المعبودة ﴿نيت﴾ فأتنى وانظر بوجهك نحوى وان جحدت ذنبى أفلا يعفو السيد عن خادمه وخذ لخزانتك جميع ماأملكه من ذهب وحجارة نفيسة وأجود مافى خيلى المعدة بعددها وأتمنى عليك قدوم رسول من عندك ليزيل الرعب من قلبى وأذهب معه عند المعبود

وأحلف يمينا أمامه بعدم العود فارسل الملك اليه ((بتامنستو)) الكاهن الاكبر ومعه ((بوارما)) رئيس الجيوش فاعطاهما ((تفنخت)) فضة وذهبا وملابس وحجارة نفيسة متنوعة ثم توجه معهما عند المعبود وتاب اليه وحلف يمينا مقدسة بانه لايخالف أوامر الملك ولا يتعدى أقواله ولايسىء رئيسا من غير رضاه وأن يفعل طبق كلامه ويمتثل أمره فرضى الملك بذلك منه وفى الحال جاءه البشير يقول له إن مدينة ((نترحالنبو)) فتحت أبوابها ومدينة ((أفروديتو بوليس)) أذعنت لطاعتك ولايوجد قسم من أقسام الجنوب والشمال والغرب والشرق مغلقا دون جلالتك وأن الاقاليم الوسطى تواضعت خوفا منك وأتاك أهلها باموالهم واعترفوا أنهم رعيتك ولما كان اليوم الثانى صباحا أتى ملكا الوجه القبلى وملكا الوجه البحرى وتاج الثعبان مضىء على جباههم ومعهم رؤساء الوجه البحرى ليقدموا تحيتهم للملك ((بعنخى)) ويتشرفوا بلقائه وكانت فرائصهم ترتعد كفرائص النساء فلم يؤذن لهم بالدخول لدى الملك لانهم كانوا مدنسين باكل السمك المحرم أكله فى محل الملوك وانما أذن فقط للنمروذ بالدخول فى قصر الملك لكونه طاهرا لم يأكل السمك المنهى عنه وأما الباقون فانهم لبثوا وقوفا على الاقدام من غير أن يؤذن لهم بالدخول وبعد ذلك أراد الملك ((بعنخى)) الرحيل الى بلاده فشحن سفنه بما أهدى اليه من الذهب والنحاس والملابس والخيرات الواردة اليه من الوجه البحرى ومن الشام ومن بلاد العرب وسار فى النيل وقلبه مسرور وأهل مملكته مستبشرون به من الغرب الى الشرق فكانوا يستقبلونه مظهرين السرور وكان كلما حل فى جهة رفع أهلها أصواتهم بالفرح قائلين أيها الملك المنصور ((بعنخى)) لقد أتيت وحكمت الوجه البحرى وصيرت رجاله أذلة كالنساء وحل الفرح فى قلب أمك التى ولدتك فصرت شهما وأعطاك ((أمون)) جوهره فبشرى لك أيتها البقرة التى ولدت ثورا كان له على ممر الدهور ذكر مخلد وملك مؤبد ألا وهو الملك المحب لقسم طيبة انتهى

وجعل الملك ((بعنخى)) مصر تابعة لمملكته وأبقى لرؤسائها مالهم من الامتياز وجعل ((تفنخت)) ملكا عليهم بالاصالة بعد ان كان رئيسا على الجيوش المصرية فاستقر ((تفنخت)) بمدينة صا الحجر مقر حكومته الاصلية ورجع ((بعنخى)) الى مقره بمدينة ((نبتا)) ونقل اليها تخت الملك من طيبة ومنف بعد ان أرجع الاحوال فى مصر الى سابق مجراها ولم يمض عليه بعد رجوعه الى ((نبتا)) الاقليل حتى أدركه الموت فورثه فى الملك أمير اسمه ((كاتشا)) لم يكن من بيت الملك وانما كان متزوجا بابنة كاهن مصرى من العائلة الملوكية قيل ولما انتقل الى ((كاتشا)) المذكور الملك من عائلة ((بعنخى)) قام عليه أهل مصر وخرجوا عن طاعته فسحب جيوشه من الاقليم البحرى ومن مصر الوسطى وانحاز الى بلاد السودان وفى هذه الاثناء مات أيضا الملك ((تفنخت)) فقام بالامر بعده ابنه المسمى ((باكوريس)) الملقب ((بوح كارع))

(فى الملك باكوريس)

ولما استقر « (باكوريس) » على كرسى الملك حذا حذو والده « (تفنخت) » وحارب أمراء الوجه البحرى و ولاة الاحكام فيه ونزع منهم مصر الوسطى والاقاليم البحرية وجعل مصر كلها تحت حكمه واستقل بملكها وكان عاقلا مدبرا ذا رأى ثاقب وخبرة بالامور قاضيا متشرعا وفى خلال هذه المدة مات « (كاتشا) » الذى قام بالامر بعد « (بعنخى) » عن ولدين أحدهما اسمه « (سباقون) » وثانيهما اسمه « (امريتس) » فتولى سباقون بعد أبيه ولما علم بما فعله « (باكوريس) » ملك مصر سار لقتاله وكان « (باكوريس) » المذكور مبغضا من جميع الامراء المصريين لتغلبه عليهم ونزع حكم البلاد منهم فلما علموا بقدوم « (سباقون) » انضموا اليه وعاونوه على قتاله كما عاونوا « (بعنخى) » على قتال « (تفنخت) » فوقع « (باكوريس) » فى قبضة « (سباقون) » فى مدينة صا الحجر فأمر بالقائه حيا فى لهيب النار فمات وكانت مدة حكمه سبع سنين على مارواه مانيطون المؤرخ وزال بموته الملك من العائلة الصاوية وانتقل الى الدولة الايتيوبية ونزح من بقى من العائلة الصاوية المذكورة الى اقليم الدلتا وتفرقوا فيها وقد أخذت أملاكهم وابثوا باقليم الدلتا يتربصون خروج الايتيوبيين من مصر خمسين سنة كما رواه هيرودوتس المؤرخ اليونانى « (قال بعضهم) » وقد كان السبب فى استيلاء ملوك السودان على مصر تغيير الاحوال واختلاف كلمة ملوك الدولة الرابعة والعشرين وبغض بعضهم لبعض واشتداد المنازعات وقيام الفتنة فى داخلية البلاد فعمت الرزايا والمحن وكثرت الخطوب والاحن وزادت الانقلابات والدسائس فى الاقاليم القبلية والبحرية وقالت التوراة فى هذا الصدد مانصه ان ملوك تنيس صاروا لاعقول لهم وملوك منف ضلوا وأضلوا قومهم فقضينا أن نعطى مصر لملك جبار يتولى أمرها ويدبر شأنها * ففسر الاحبار الملك الجبار بالملك « (سباقون) » السودانى وهو رأس الدولة السودانية التى تولت ملك مصر وهو الملقب نفر كارع الآتى ذكره بعد

(الفصل الثامن)

« (فى الدولة الخامسة والعشرين السودانية) »

كان مبدأ ظهور هذه الدولة سنة خمس عشرة وسبعمائة قبل الميلاد أى سنة سبع

وثلاثين وثلثمائة وألف قبل الهجرة وعدد من ملك منها أربعة وسنو ملكهم خمسون سنة وقيل ثلاث وخمسون وأول ملوكها الملك سباقون

(فى الملك سباقون)

قد كان ابتداء ملك سباقون هذا نحو سنة خمس عشرة وسبعمائة قبل الميلاد أى سنة سبع وثلاثين وألف قبل الهجرة بعد تغلبه على الملك باكوريس واحراقه إياه وظفره بمملكة مصر فاتسع نطاق سلطته الى البحر الابيض وتكنى بكنى الملوك المصرية وتلقب بألقابهم الفرعونية وسار فى الرعية سيرا حسنا فدبر أمور البلاد أحسن تدبير وبث روح العدل بين أهلها وأبقى كل أمير واليا على اقليمه تحت سلطانه وملاحظة أمناء من أبناء جنسه وقد نظم الجسور وأصلح القناطر والترع والخلجان ورمم المبانى النافعة واصطنع المصانع العظيمة وبذل الجهد فى تعمير مدينة بسطة ورمم ماتهدم من مدينة منف وأعاد نقوشها الى رونقها القديم وأصلح مدينة طيبة عاصمة الوجه القبلى وكان «سباقون» المذكور اذ ذاك تحت تصرف شقيقته الملكة (أمن ريتس) وأصلح بعض المعابد والهيا كل ويقال انه أول من أبطل العقوبة بالقتل من قوانين البلاد فاحبه الناس ومالت اليه قلوب الرعية وعلت كلمته وبعد صيته فاستتبت الراحة فى داخلية البلاد ورفل أهلها فى حلل الرفاهية وثار فى أيامه ملك أشور على الفنيقيين والاسرائيليين وأهل فلسطين وأقلقهم بغزواته المتتابعة وكان الاشوريون أهل شدة وبأس وصبر على الحروب فاتحدت الممالك الثلاث على أن تتعاهد مع ملك مصر وتحالفه على الذب والدفاع ليخلصوا من جور الاشوريين وتقدم اليه هوشع ملك اسرائيل فى ذلك وأرسل اليه هدايا ورغب اليه فى معاقدتهم على قتال شلمناصر ملك أشور فعاقدهم سباقون على ذلك طمعا فى ضم بلادهم الى مملكته كما فعل أسلافه وأخذ الهدايا فى مقام الجزية * فلما علم شلمناصر ملك اشور بذلك احتال على هوشع ملك اسرائيل وما زال به حتى أسره وفاجأ قومه وركب عليهم فأخذهم جميعا أسرى وألزمهم الطاعة فاعترفوا له بها ثم سار شلمناصر الى مدينة سامرية وحاصرها وضيق حصارها ولكنه مات قبل فتحها وهو آخر بيت السلطنة الاشورية * فلما مات اجتمع أعيان دولته واتفقوا على اقامة «سرخون» كبير قواد الجند ملكا عليهم وبايعوه بالملك فلما استقر به المنصب شدد فى حصار سامرية حتى فتحها وزحف بجيشه على بلاد فلسطين وحارب ملكها «يهو بيد» وقتله فلما علم سباقون بذلك خاف وسار بعسكره الى الشام وانضم الى «حانون» ملك غزة وكان حليفه فالتقى هنالك بجنود ملك اشور فى مدينة «رافيا» فانتشبت الحرب بين الفريقين فانهزمت الجنود المصرية والجنود الشامية ووقع «حانون» ملك غزة فى قبضة «سرخون»

ملك أشور وهرب سباقون ملك مصر وهام فى القفار فضل عن الطريق فلقيه أحد الرعاة فدله على الطريق وسار معه من فلسطين الى أرض مصر فزالت بهزيمته فى هذه المرة هيبته وعصاه أهل الوجه البحرى وخرج أمراؤه عن طاعته وطردوا من كانوا فيه من السودانيين وأخرجوهم الى طيبة واستقلت حينئذ مدن صان وبسطة واهناس وكان ممن بقى من أقارب الملك ﴿ باكوريس ﴾ آخر ملوك الدولة الرابعة والعشرين الصاوية رجل اسمه ﴿ اسطيفانيتس ﴾ فلما رأى خروج هذه المدن واستقلالها عمد لارجاعها الى ما كانت عليه ونادى لنفسه بالملك فتم له ذلك وتكنى بكنى الفراعنة وأرسل الى ﴿ سرخون ﴾ ملك اشور يبشره بهزيمة عدوّه ﴿ سباقون ﴾ وفراره الى الصعيد ويخبره برجوع حكم الاقاليم البحرية الى أصحابه من المصريين أما ﴿ سباقون ﴾ فانه لما استعصى عليه اخضاع الوجه البحرى فرّ الى الصعيد ثم مات بعد قليل فقام بالامر بعده ابنه ﴿ سيخون ﴾ الملقب ﴿ بدكورع ﴾ وتولى ملك الايتيوبيا والاقاليم القبلية

(فى الملك سيخون)

﴿ ويقال له أيضا ﴾

(شباناق)

﴿ قال أوبرت المؤرخ ﴾ بعد كلام ولقد كانت العائلة الصاوية قبل جلوس هذا الملك فى نزاع واختلاف مع العائلة الصانية باسباب ملك الاقاليم البحرية ورغبة كل منهما فى الاستيلاء عليه فلما آل اليه الملك عقد النية على الانتقام منهما جزاء مافعلاه بأبيه سباقون فجيش الجيوش وأعد معدّات الحرب وأكثر منها وازداد همة وإقداما بتفرق الكلمة بين المصريين ثم ركب عليهم وقاتلهم وأنشب نار الحرب فيهم فظهر عليهم وبسط يده على جميع الديار المصرية وحكمها ولكنه لم يلبث بعد هذه النصرة حتى ظهر عليه ﴿ طهراق ﴾ الملقب ﴿ نفرتوم خورع ﴾ وقتله وتولى الملك بعده

(فى الملك طهراق)

﴿ ويقال له أيضا ﴾

(تاراقوس)

هو ثالث ملوك الدولة السودانية الخامسة والعشرين وكان رجلا محاربا ظافرا ذا شوكة وبأس

ولما استقر به المنصب ركب على العصاة والخوارج فبدد شملهم ونزع مدينة منف (من اسطيفانيتس) ملكها وكبير العائلة الصاوية قالوا واستقدم أمه من السودان فقدمت فلقبها بالحاكمة أم الاقاليمين القبلى والبحرى وسيدة الامم . كقول العلامة ده روجه . وتحرك ملك أشور لقتاله فزحف بالاشوريين على مصر من ناحية الطينة وقاتل طهراق قتالا عنيفا حتى هزمه فتقهقر بعسكره الى مدينة (نبتا) تخت الابتيوبيا فتبعه ملك أشور بجيوشه وأخذ منه منف وطيبة ونهب مافى هياكلها من الامتعة وأسر كهنتها وبعث بما ناله منها الى بلاد أشور وأمر بوضع بعضها فى هياكلها لتكون شاهدة على نصرته على ملك مصر واستقر فى بلاد مصر وجعل ينظر فى اصلاح مافسد من أحوالها وما اختل من أعمالها وأعاد أمراءها العشرين الى مراكزهم وأرجع اليهم امتيازاتهم وضرب عليهم الجزية وجعلهم يتصرفون فى ولاياتهم كما كانوا وأقام من بينهم الامير (نخاو الاول) رئيسا عليهم وكان (اسطيفانيتس) فى هذا الحين قد مات وترك ابنا اسمه (نخبشو) فتولى حكم إقليم صا الحجر بعد أبيه تحت راية ملوك السودان وكان (نخبشو) المذكور ساحرا وفلكيا كبيرا على مارواه (غاليان) ولكنه كان قليل الهيبة فأقام حاكما على الاقليم المذكور حتى مات وخلفه (نخاو) الاول فترأس على أمراء البلاد وحكم تحت سلطة الملوك السودانيين مدة من الزمان حتى تغلب ملك أشور على (طهراق) فانحلت تابعية (نخاو) واستبد بالامر وكان (نخاو) المذكور ذا غيرة ونشاط وحمية فلما انفرد بالحكم أخذ فى تتميم ما كان قد شرع فيه أسلافه منذ مائة سنة من اصلاح شؤن البلاد وتوحيد حكومتها وتحالف مع ملك أشور ليحفظ لنفسه الرئاسة على أمراء مصر واسترجع لحكمه مدينة منف ولما تم لملك أشور الامر ومهد الاحوال فى الديار المصرية أراد الرجوع الى وطنه فحصن مصر ووضع فى قلاعها نفرا من عسكره للذب عن البلاد من غائلة السودانيين اذ كان فى عزمه الرجوع لقتالهم وادخالهم تحت الطاعة ثم سار الى نينوى ليعيد لها رونقها وفخرها القديم وكان قد دوخ مصر وأذلها وأهان عاصمتها طيبة الشهيرة كما فعل (توتوميس) الثالث (وامنوفيس) الثانى بمدينة نينوى منذ تسعة قرون

ونقل صاحب العقد الثمين عن أوبرت المؤرخ فقال انه لما وصل ملك أشور الى نهر الكلب نقش على صخرة هناك بالقرب من الحجر الذى نصبه رمسيس الثانى شاهدا على نصرته نقوشا كثيرة بين فيها فتكه بالمصريين والسودانيين ونسب لنفسه السلطنة عليهما ولما كانت سنة تسع وستين وستمائة قبل الميلاد أصيب بمرض شديد منعه عن الدفاع فعاد حينئذ (طهراق) الى مصر وهزم أهل أشور فى منف وخلص المدينة منهم بعد ان حاصرها حصارا شديدا فبلغ أمره أشور أخا الدين وكان قد أحس بالعجز عن القيام بواجب مملكته فتنازل عن الملك لابنه البكرى أشور بانبال ثم سكن بابل ومات فيها بعد ذلك بقليل فقام أشور بانبال باحياء الملك وسار الى مصر لمحاربة الابتيوبيين وضم اليه عساكر الاشوريين الذين كانوا بمصر ودخل فى الوجه

البحري فلم يعارضه أحد وجال فى البلاد الى ان تقابل بالجيوش السودانية بجوار مدينة «(كاربانيت)» وتغلب على ملكهم «(طهراق)» وأخرج جيوشه من منف وطيبة فخلت بهما عساكره ومكثت فيهما مدة من الزمان وبعد انتهاء الحرب أرجع الحكم الى الامراء العشرين ثانيا وأصلح الاحوال كما كانت عليه منذ خمس سنين فى زمن أشور أخى الدين وظن بعد ذلك أن لا يعود الاشوريون الى الحرب فعاد الى وطنه الا أنه لم يصادف ظنه محله اذ بوصوله الى نينوى نشر «(طهراق)» لواء العصيان وعزم هذه المرة على الانتقام من المصريين لمساعدتهم أهل أشور عليه فهابه المصريون وأرسلوا له رسلا ليعقدوا معه معاهدة سرية مقتضاها مساعدتهم له على رجوع ملك مصر اليه فبلغ أمر هذه المعاهدة ولاة أشور الحاكمين فى مصر فبادروا بالقبض على رؤساء العصاة وهم «(سادلوداري)» رئيس اقليم تنيس «(وباكرور)» رئيس اقليم «(باسوربتى)» «(ونخاو)» رئيس اقليم صا الحجر وأرسلوهم فى الاغلال الى نينوى وحيث كان أول من عصى من الاقاليم البحرية هو اقليم صا الحجر «(ومندس)» «(وتنيس)» نهبهم ولاة أشور ليكونوا عبرة لغيرهم ولكن لم يستطع هؤلاء الولاة صد الملك «(طهراق)» حيث لم يكن لهم قبل بجنوده فرجعوا القهقرى امامه واسترجع طهراق للملكه مدينة طيبة ومنف وأبطل منهما عبادة العجل «(ابيس)» الذى عكف المصريون على عبادته حديثا ثم أخذ فى تهديد الوجه البحرى فلما بلغ ذلك ملك أشور أراد أن يحسن المعاملة مع أمراء مصر المأسورين عنده ليكونوا أعوانا له على عدوه «(طهراق)» فطلب «(نيخاو)» وخلع عليه خلعة الشرف وأعطاه سيفا غمده من ذهب وعربة وخيولا وبغالا ولكن لم يستصوب أن يرئسه على اقليم صا الحجر بل جعل ابنه «(بسامتيك)» الكبير حاكما على قسم اتريب ورخص له فى الرحيل الى مصر فعاد «(نيخاو)» ولم يجد فيها «(طهراق)» حيث كان قد هاجرها وتوجه الى بلاده لرؤيا رآها فى المنام كما رواه هيرودوتس وكان قد حكم مصر عشرين سنة والايتيوبيا خمسين سنة وباخلائه الوجه البحرى احتله أهل أشور ودخلوا منف بدون قتال ولكنهم لم يتجاسروا على الجولان فى الجهات القبلية خشية من الايتيوبيين وولى على مصر ثانى مرة أمراءها الاصليين فخلفه صهره «(أوردأمن)» وأعلن لنفسه بالسلطنة فيها على طيبة وجمع قوة وشرع فى مهاجمة أهل أشور حتى ظهر عليهم امام منف فدخلوا فيها وأغلقوا عليهم أبوابها فلما طال عليهم الحصار سلموا أنفسهم اليه ووقع «(نيخاو)» فى قبضته فقتله ونجا منه «(بسامتيك)» بن «(نيخاو)» حيث فر هاربا الى الشام كما رواه هيرودوتس ولما طال الامر بهذه الحالة على ملك أشور عزم على قطع دابر الايتيوبيين من مصر وأمر رجاله بالانتقام منهم فظهروا على «(أوردأمن)» وهرب الى طيبة مؤملا أن يجيش فيها جيشا ويأخذ منهم بثاره فخاب منه الامل اذ كانوا فى أثره ولم يمكنوه من طيبة ولا من تجنيد الجنود فيها فانحاز فى «(كبكيت)» بالايتيوبيا ونهب الاشوريون طيبة وكانت آخذة فى إصلاح ما دمر منها مدة الملك أشور أخى الدين سنة اثنتين وسبعين وستمائة قبل

البلاد وأسروا رجالها ونساءها وسلبوا أموالها من ذهب وفضة وحجارة نفيسة وجميع ما كان ادخره «(منتوحع)» فى معابدها من أقمشة فاخرة ونحوها وأخذوا أيضا مسلتين نصبوهما فى نينوى حسب مارواه «(ابن مرسلين)» وأرجعوا مصر الى الحالة الاشورية التى كانت عليها فحكمها العشرون أميرا ثالث مرة وهم الذين كانوا متولين أمرها منذ ست أو سبع سنين وترأس عليهم هذه المرة «(بسامتيك)» ولكنه لم يصل الى درجة والده «(بخناو)»

وأما «(أورد أمن)» فانه لجأ الى بلاد الاتيوبيا ولم يرجع وبقيت مصر تابعة للملكة أشور مدة من الدهر كما رواه أوبرت الى ان رأى أشور بانبال ان التملك عليها يحتاج لكبير مشقة فتركها وتنازل عن سيادته فيها فآلت من بعده الى «(نوات ميامون)» ملك الايتيوبيا بعد ان استقلت بنفسها حينا من الدهر

(فى الملك نوات ميامون)

(الملقب)

(بيكارع)

«(قال أصحاب التاريخ)» لم يتنازل ملك أشور عن سيادته على مصر الا لاضمحلال دولته وضعف شوكته وخروج مصر عن طاعته فحكمت نفسها مدة فلما رأى ملك الايتيوبيا خروج مصر عن طاعته واستقلالها فاجأها وأغار عليها وأدخل المصريين تحت حكمه وتحرير الخبر أنه لما مات «(أورد أمن)» ملك الايتيوبيا قام بالامر بعده ابنه «(نوات ميامون)» المذكور وكان حازما قوى البطش فرأى فى منامه انه سيملك اقليمى مصر القبلى والبحرى ففرح بهذه الرؤيا واستبشر بها وأخذ فى اعداد الجند ومعدات القتال وهاجم الوجه القبلى بجيش ضخم فلم ير من أهله مخالفة وكانت طائفة من الايتيوبيين قد أقامت بطيبة وأسست فيها حزبا قويا جدا وكذلك فى ضواحيها وحازت لنفسها رتبة الكهانة فى معبد «(أمون)» فأمدوا الملك «(نوات)» المذكور عندما هم بالاغارة على مصر وساعدوه ومهدوا له الموانع والعقبات فكان لذلك استيلاؤه على الوجه القبلى بغير مقاومة ولا منازعة وبعد ان رسخت قدمه فى الوجه القبلى سار لقتال الوجه البحرى فركب أمراؤه لقتاله أيضا فحاربهم وردهم خاسئين فانحازوا الى القلاع والحصون ولم يبرزوا لقتاله وقد طال انتظاره فمل وعاد الى منف على غير هدى من أمره واجتمع الامراء المذكورون وتشاوروا فى الامر فأشار كبيرهم وصاحب الرأى

فيهم

فيهم المدعو «(بكرور)» بوجوب الطاعة الى «(نوات)» وان لايخالفوا له امرا فوافقوه وساروا إلى لقاء «(نوات)» بمدينة منف وقدموا له الطاعة ففرح بذلك فرحا عظيما وتم له الامر قال صاحب العقد الثمين ونقش هذه القصة على حجر وجده مريت باشا فى اطلال مدينة «(نبتا)» بجبل برقل سنة ثلاث وستين وثمانمائة وألف ميلادية وهو محفوظ الآن بمتحف بولاق وهذا تعريبه بديباجته

(الديباجة)

ظهر الملك العظيم «(نوات ميامون)» يوم ولايته كالمعبود «(توم)» وحكم العالم فكان ملكا عظيما حائزا للسيادة على الدنيا بأسرها ذا ذراع منصور وعزم مشهور أول مبارز فى القتال ومحارب ذى قوة كالمعبود «(مونت)» فى الصيال وكان شجاعا كالاسد المهول فطنا «(كهمشرت)» أى هرمس المشهور ذا أبهة فى سياحته بالبحر لنوال المقصود سائدا على كل أرض وحدود كيف لا وقد ملك مصر بدون قتال ولا معارضة له من أمراء وأبطال ملك الوجه القبلى والبحرى «(بيكارع)» سلالة الشمس «(نوات ميامون)» محبوب «(أمون)» ساكن «(نبتا)»

(القصة)

«(فى السنة الاولى من حكمه)» رأى فى المنام أثناء الليل ثعبانين أحدهما على يمينه والآخر على يساره فلما استيقظ ولم يجدهما طلب من المعبرين تأويل هذه الرؤيا فقالوا له انك ستملك الوجه القبلى والوجه البحرى ويضىء على رأسك تاجاهما وتدخل مصر تحت يدك طولا وعرضا ويكون «(أمون)» مساعدا لك دون غيره فى هذا الأمر فارتقى هذه السنة على كرسى الملك ثم خرج من محله كالاسد إذا انطلق من أجمته وصحبه كثير من الخلق فقال لهم أحق رؤياى فأنال المرام أم هى أضغاث أحلام رأيتها فى المنام ثم توجه الى «(نبتا)» عاصمة الايتيوبيا وقتئذ فلم يعارضه أحد عند دخوله فيها وتمتع بمشاهدة معبودها «(أمون)» فوق جبله المقدس وأحضر له الازهار وأخرجه من محله وتقرب إليه بقربان يليق به وهو ستة وثلاثون ثوراوأربعون كأسا من المشروبات وتطوع له بمائة حمار ثم سار إلى مصر فى النيل بعد أن تضرع كثيرا لهذا المعبود ذى الاسم المكنون زيادة عن غيره من المعبودات ولما قرب من جزيرة أسوان عبر النيل وتوجه إليها ودخل هيكل «(خنوم رع)» معبود الشلالات وأخرج تمثاله وتقرب إليه بقربان كما تقرب بالخبز والمشروبات لمعبودات منبعى النيل ثم انحدر من عطفة النيل هناك وتوجه إلى مدينة «(خفت جنبس)» بقسم طيبة التابعة «(لامون)»

وتوجه منها إلى مدينة طيبة ودخل هيكل معبودها (أمون رع) فقابله الكهنة والخدم وكالوه بأزهار هذا المعبود ذى الاسم المكنون فانشرح صدره لاسيما لدى مشاهدته المعبد ثم أخرج تمثال (أمون رع) وعمل له موسما كبيرا فى جميع أرجاء البلد وبعد ذلك سافر فى النيل إلى الوجه البحرى فقابله سكان الشاطئ الشرقى والغربى مظهرين الفرح والسرور قائلين توجه مصحوبا بالسلامة فى ذاتك الأمن وفى جوهرك حياة الاقليمين توجه لتصلح الهياكل التى دمرت وتقيم تماثيل المعبودات كما كانت وتصرف لهم المرتبات وتبعث الرحمات الى الاموات وترجع كل كاهن الى محله لاحياء شعائر الدين . هذا ما كان من أمر الحزب المطيع له وأما حزب العصاة الذين كانوا يريدون قتاله فتبدل بغضهم له خوفا منه وخرجوا عليه بجرد ماقرب من منف وحاربوه فأحدث فيهم مذبحة كبيرة لايعلم فيها عدد القتلى واستولى على منف ثم زار معبد (بتاح رستيف) وتقرب الى (بتاح سوكر) بقربان وتعبد الى المعبودة (سوخت) الشهيرة بالمحبة وانشرح صدره مما فعلته المعبودات من مساعدته رعاية لمعبوده (أمون) ساكن (نبتا) وأمر بتوسيع معبد (بتاح) وأنشأ فيه ايوانا جديدا ولم يكن قبل فيه ايوان فبناه بحجر غشاه بالذهب وكساه بخشب الصنط وملأه بالبخور المحضر من بلاد العرب واتخذ أبوابه من النحاس الاحمر اللامع وطرازه من الحديد وبنى خلفه محلا لحلب حيوانات المعبد وكانت مائة وستة عشر رأسا من المعز وكثيرا من العجول المطلقة خلف أمهاتها وبعد أن أتم ذلك توجه لمحاربة أمراء الوجه البحرى فالتجؤا الى أسوارهم وتركوا له الجهات فانتظر مبارزتهم مدة من الايام فلم يبرز أحد لقتاله فعاد الى منف واستقر بقصره هنالك وعزم على أن يرسل فرسانه فى طلبهم الا أنه قبل توجه فرسانه أخبره حجابه بأنهم أتوا الى الجهة التى كان ينتظرهم فيها فسأل ماذا يطلبون هل أتونى محاربين أم طائعين رجاء نجاتهم فسألهم الحجاب فقالوا بل أتينا طائعين لمولانا الملك فقال الملك وجب على شكر (أمون) معبود طيبة العظيم فى جبله الكريم على كل من آمن به الحفيظ لكل من أحبه معطى القوة لكل من اتبع سبيله وأطاع أمره المرشد لكل من سلك طريقه وهو الذى أرانى فى الليل مانظرته فى النهار ثم قال ــ ان مايريده الامراء لايمكن انجازه الآن فقالوا له انهم وقوف بالباب فخرج من قصره وكانوا مؤمنين بالشمس المنيرة فى أفقها فلما رأوه خروا على جباههم احتراما لهيئته فقال لقد تحقق ماأخبرنى به المعبود وتأكد نفاذ أمره الموعود فسأفعل ماأمرنى به ولى عبرة فى ذلك بما حصل لى الآن حيث تحقق لى وقوع ماأمر به وتأكد عندى ان الشمس المعبودة تحبنى وان (أمون) جعلنى مباركا وكيف لا وانى تربصت هذا الامر حتى تحقق لى وقوعه فأنا كخادم يسعى فى مصالح سيده وعلى الخادم أن يعلم مايليق بمولاه وليس لى أن أتعرض لطلب مايعدنى به بل ينبغى أن أتربص لما سيقع لعل عنايته تسعدنى وتسعفنى فقال الامراء نسأل هذا المعبود الذى نصحك أول الامر أن يكون

مرشدا لك ودليلا وأن يجرى الخير على يدك وأن لايكذبك فيما تقوله فأنت ملكنا وسيدنا وبعد ذلك قام ﴿ بكرور ﴾ ولى العهد وأمير مدينة ﴿ بسانبو ﴾ مخاطبا للملك بقوله

انك تميت وتحيى من تريد بدون أن يلومك أحد فتبعه الرؤساء جميعا قائلين هل لنا أن نستنشق منك أيها الملك نسيم الحياة اذلا معيشة لاحد من دونه فنحن نروم أن نخدم ﴿ أمون ﴾ كتوابعك حسبما تمنيت يوم تسلطنك فلما سمع الملك كلامهم انشرح فؤاده وأعطاهم خبزا ومشروبات وخيرات كثيرة وأبقاهم عنده عدة أيام وهو يغمرهم بالعطايا والاحسان مع كثرتهم ثم قالوا فيم الاقامة هنا ألم تتم مقاصد سيدنا وحاكمنا فقال لهم الملك لماذا تعجلون بالرحيل فقالوا يلزمنا الرجوع الى بلادنا لنقوم بواجبات رعايانا وعبيدنا فأذن لهم بالذهاب الى بلادهم والتمتع بمعيشتهم ثم أتاه سكان البلاد القبلية والبحرية مقدمين له الجزية والخيرات من الصعيد والبحيرة وبذا اطمأن قلب الملك ﴿ بيكارع ﴾ سلالة الشمس ﴿ نوات ميامون ﴾ سلطان الوجه القبلي والبحرى دام بصحة وعافية وحياة مرضية ودام ملكه الى الابد اه

ومات الملك ﴿ نوات ميامون ﴾ بعد ان حكم ثلاث سنين وبموته زالت الدولة الخامسة والعشرون وقامت بعدها الدولة السادسة والعشرون

(الفصل التاسع)

﴿ فى الدولة السادسة والعشرين الصاوية ﴾

﴿ قال أصحاب التاريخ ﴾ قد حصلت فترة بين مدة ملك الدولة الخامسة والعشرين وهذه الدولة التى هى السادسة والعشرون عبارة عن خمس عشرة سنة كانت فيها حكومة البلاد حكومة جمهورية التزامية قالوا وبيان ذلك انه لما أحس أمراء البلاد المصرية بما ألم بالبلاد من الذل والعار والانحطاط والبوار بسبب بسط يد الاغراب عليها واستعظامهم البقاء تحت سلطنة الدولة السودانية مع ما بذلته هذه الدولة من مزيد العناية بأحوال الرعية وتحسين حالة البلاد بالعمائر العظيمة والمنافع الجليلة قاموا وعقدوا معاهدة بينهم على انقاذ البلاد من أيدى هؤلاء الطامعين واتحدوا قلبا وقالبا وقاتلوا الدولة السودانية قتالا عنيفا أياما كثيرة حتى أجلوها عن البلاد ثم تقاسموا بينهم الملك فصارت بين اثنى عشر حاكما من أمراء المدن المتعاهدين كل أمير يحكم مدينة اقليم ويحكم ذلك الاقليم بتمامه فسميت هذه الحكومة بالمقاسمة الاثنى عشرية فكانت عبارة عن جمهورية التزامية كما تقدم القول وكان من هؤلاء الامراء أمير اسمه ﴿ بسامتيك ﴾ صاحب مدينة صا الحجر فتاقت نفسه الى الاستقلال بالملك والاستبداد بالعظمة فقام وقاتل الامراء وطال القتال بينهم كثيرا حتى خاص البلاد من

أيديهم واستولى عليها واستبد بحكمها فصارت بعد ذلك مملكة واحدة قالوا وقد استعان بسماتيك هذا على نزع الحكومة من أيدى هؤلاء الامراء بطائفة من جنود اليونان المتطوعة فقد حكى هيرودوتس المؤرخ واقعة تملك بسامتيك على مصر واستبداده بحكمها على وجه غريب فقال ان بعض الكهنة كان قد أنبأ هؤلاء الامراء المتعاهدين انه سيأتى يوم يتقربون فيه جميعا بالشراب الى المعبود «بتاح» فيشرب أحدهم شرابه فى قدح من حديد فمن شرب فى هذه الكاس تولى ملك البلاد المصرية بأسره قال وكانوا يشربون شرابهم فى أقداح من ذهب فبينما كان هؤلاء الامراء الاثنا عشر مجتمعين للتنادم على الشراب تقربا الى المعبود «بتاح» ولم تكن أقداح الذهب الموضوعة بينهم الا احد عشر قدحا لسهو حصل من الكاهن الموكل بتقديمها فبقى أحدهم وهو الامير «بسامتيك» بدون قدح فنزع مغفره من رأسه وكان من حديد فشرب به الشراب فتذكر رفقاؤه ما أنبأ به الكاهن وتنبهوا لذلك فأكرهوه على أن يهاجر الى بعض اجمات الوجه البحرى خشية أن يستبد بالملك دونهم فأقام بتلك الاصقاع منفيا وبينما هو كذلك استقدم اليه أحد الكهان وسأله عما سيقع له فبشره بأنه سيأتى يوم يستبد فيه وحده بحكم البلاد وأن ينصره على أعدائه رجال من حديد يقدمون عليه من جهات البحر الابيض فاتفق أنه رسا على سواحل مصر جماعة أصحاب صيال من ملاحى اليونان مسلحين باسلحة من حديد وطلعوا الى البر على مقربة من منازل «بسامتيك» يريدون النهب والسلب فلما علم «بسامتيك» بنزولهم فطن لأمرهم وتذكر بشرى الكاهن له فبادر اليهم ورحب بهم وأكرم نزلهم ووعدهم بالانعام فعاهدوه وحالفهم على أن ينصروه وحالفوه ودخلوا فى خدمته فقام بهم على الامراء وشن الغارة عليهم وانحاز اليه أيضا حزب من أهل البلاد فتلاقى جند الفريقين واقتتلوا فظفر «بسامتيك» بهم وخلعهم من مناصبهم واستبد بالملك وحده فكان هو مبدأ العائلة الصاوية السادسة والعشرين وبه عاد الى مصر مجدها الأول وشوكتها القديمة وطمحت الى الغزوات والفتوحات الجسيمة فنالت من توسيع دائرة ملكها بعد الضعف ماشاءت وقد حقق بعض أهل الاستكشافات الجديدة أن الدولة الاثنى عشرية أقامت متحالفة خمس عشرة سنة ويظهر لبعض المؤرخين أن ملوك الدولة السادسة والعشرين المذكورة بل والامراء الاثنى عشرية أيضا هم من نسل الامراء الاغراب وأنهم من مغاربة برقة وأنه قد جعلهم كثير من المؤرخين من أبناء أمراء مصر المتأصلين ولكنهم مع ذلك كانوا من الشهرة وعلو الهمة بمكان اذ أورثوا البلاد السعادة والرفاهية مدة مائة سنة وثمان وثمانين سنة بما فعلوه من إحياء العلوم والفنون والصنائع وبناء الهياكل القديمة بعد اندراسها وتجديد المعابد العظيمة وغير ذلك من الاعمال الجسيمة التى أحدثوها بمدينة صا الحجر تخت ملكهم «قال بعض كتاب الاخبار» ولم تزل بقايا تلك الأعمال الى الآن تدل على عظم تلك المدينة التى كان حولها مالا يحصى من الحدائق والبساتين والطيور المغردة والوحوش المستانسة والأنهار المطردة والرياض المونقة والقصور المرتفعة مالا يدخل تحت الوصف وبظهور «بسامتيك»

المذكور

المذكور ظهرت الدولة السادسة والعشرون فكان مبدأ ظهورها سنة خمس وستين وستمائة قبل الميلاد أى سنة سبع وثمانين ومائتين وألف قبل الهجرة ومدة حكمها مائة سنة وثمان وثلاثون سنة وعدد ملوكها تسعة وقيل ستة وسيأتى ذكر مآثر كل منهم بعد

(فى الملك پسامتيك الاول)

﴿ تولى پسامتيك المذكور ﴾ الملك مستقلا سنة خمس وستين وستمائة قبل الميلاد المسيحى أى سنة سبع وثمانين ومائتين وألف قبل الهجرة المحمدية وكان رجلا حازما محمود السيرة محبا للعلوم والفنون والصنائع فلما استقر به المنصب وسع ملكه بالفتوحات ففتح الاقاليم القبلية بدون قتال واتصل بالشلال الاول وتزوج بالاميرة ﴿ شابنت تب ﴾ بنت الملكة ﴿ أمن ريتس ﴾ التى كانت حاكمة على الاقاليم القبلية ليحفظ لنفسه ولذريته من بعده الملك حسب الرسوم القديمة اذ كان لايعتبر الملك ملكا حقيقيا الا اذا كان متأصلا أو متزوجا من بيت الملك كما تقدم الكلام على ذلك فى محله وكانت مصر فى سلطنته قد مات أكثر رجالها وتولاها الخراب باسباب حروبها المتتابعة مع الاشوريين والايتيوبيين فقد حاصر الاشوريون مدينة منف ونهبوها ودمروا مدينة طيبة وأحرقوها مرتين وخربوا أكثر المدن والبلاد العظيمة فاشتغل المصريون بقتال الاعداء والدفاع عن الوطن وتركوا النظر فى المنافع العمومية فطمت الترع وسدت الطرق التى عنى سابقون الملك بفتحها واندرست معالم تلك الاعمال النافعة أو كادت وزالت بهجتها فعمد ﴿ پسامتيك ﴾ الملك الى أحياء البلاد واعادة رونقها القديم فاصلح الترع وسهل الطرق وأعاد الامن والراحة الى سابق مجراهما وبث العلوم والصنائع بين الرعية وعمر بيوت العبادة وبنى واجهات معبد ﴿ پتاح ﴾ فى مدينة منف من الجهتين الشرقية والقبلية وأنشأ فيها طرقات على عمد عديدة وبنى القاعة الكبرى التى كان يعلف فيها الثور ﴿ ابيس ﴾ وأصلح ماتهدم فى معبد الكرنك وحث الناس على اكتساب العلوم والمعارف وشدد عزائم أمرائه وكبار دولته على ذلك فاتقنت فى أيامه صناعة النقش والتصوير والرسم والتمثيل وجعت التماثيل بين التناسب والاعتدال وتساوت فيها الاعضاء من حيث التناسب وقد كانت فى عصر ملوك منف والملك رمسيس الثانى تصنع إما عريضة وإما كبيرة غير متناسبة الاعضاء وأحسن سياسته مع بقية الممالك وشيد حصون البلاد وحصن قلاعها وأنشأ المعاقل فى مضايق طريق الشام من الجهة الشرقية وفى ضواحى بحيرة المنزلة من الجهة الغربية وفى الشلال الاول من الجهة القبلية اذ كان للمصريين أعداء ثلاثة لاينكفون عن شن الغارة عليهم واختلاس الفرص المناسبة للظفر بهم وهم الاشوريون من شمالها والايتيوبيون من جنوبها ومملكة القيروان التى استحدثها اليونان على شمالها أيضا وقد نزلت بها طوائف من مغاربة ليبيا وحصن مدينة ﴿ دفنه ﴾ القريبة من قلعة ﴿ تسال ﴾ لمنع اغارة الاشوريين ووضع فى

جزيرة ﴿ أسوان ﴾ ﴿ ومريا ﴾ مرابطين لمنع اغارة مغاربة برقة والسودان كما رواه هيرودوتس ﴿ قال ليبسيوس ﴾ فلما أتم هذه الحصون والمعاقل انتقل من حالة الدفاع الى حالة الهجوم فغزا النوبة واستظهر عليها ولم يعلم تفصيل هذه الواقعة غير أن جنود اليونان الذين استأجرهم لهذه الغزوة نقشوا اسمه وأسماء قواد جنوده على جدران التماثيل الموجودة في معبد ﴿ أبي سنبل ﴾ اه ويقول المصريون انهم دخلوا ﴿ قرقيش ﴾ التى على مقربة من الشلال الثانى وأدخلوها تحت حكم مصر وسماها اليونان بعد ذلك ﴿ دوديكاشين ﴾ أى اثنى عشر شينا وذلك لان المسافة الواقعة بينها من الجهة الجنوبية وبين جزيرة أسوان هى اثنا عشر شينا يعنى ثلاثين مرحلة ثم سار بجنوده أيضا يريد فتح الشام فقاتل أهل فلسطين وملكها وأخذ مدينة ﴿ اشدود ﴾ احدى مدائن الكنعانيين ولم يتوغل فى داخلية البلاد بعد هذه الغزوات

قال هيرودوتس المؤرخ وبعد هذه الفتوحات حلت بمصر مصيبة عظيمة وداهية جسيمة وذلك ان ﴿ بسامتيك ﴾ المذكور سلك مسالك أسلافه الفراعنة من تقريب الغرباء اليه وتوطينهم فى بلاده فرغب فى مصر الاغراب وأتوها من كل صوب وحدب ووفد اليه كثير من اليونان والكاريين فاكرم نزلهم وأقطعهم أرضا على سواحل بحر الطينة ﴿ قال استرابون ﴾ وفى ذلك الوقت جاء الى مصر أيضا أقوام من الميليزيين فى ثلاثين سفينة فرسوا بها على سواحل رشيد ونزلوا هناك وأنشؤا فى ذلك الموقع العظيم معسكرا كبيرا للغاية وأقاموا لهم أحكاما مخصوصة سموها بالمعسكرى ﴿ الميليزى ﴾ وانحاز اليهم أيضا آخرون من الاغراب النزلاء فكثروا ونموا وقويت شوكتهم وأرسل لهم ﴿ بسامتيك ﴾ الملك بعض الغلمان من المصريين ليعلموهم اللغة اليونانية ليترجموا منها مايحتاج اليه الحال باللغة المصرية فتخرج الكثير من هؤلاء الغلمان واتسع بسبب ذلك نطاق التجارة فنهضوا الى تأسيس مدرسة فى الاقليم البحرى لتعليم الشبان فن الترجمة وظن بسامتيك الملك انه باختلاط قومه بأمة برعت فى الصناعة تنبث فيهم باسباب هذا الاختلاط روح البراعة فيصيرون مع تمادى الوقت بارعين كرجال تلك الامة ولكنه لم يصب ظنه المرمى الصحيح اذ كان الغرباء يسعون منذ قرنين فى تكدير راحة البلاد وايرادها موارد البوار وقد كره المصريون لذلك مخالطتهم ولا سيما مخالطة اليونان الذين أتوا الى مصر فى ذلك الحين وما قبله بقليل * قال بعض المؤرخين * وربما كان للمصريين بعض الميل الى الامم التى كانوا يعرفونها قديما كالفنيقيين والاسرائيليين والاشوريين ولكنهم لايحبون من حدث عليهم من نزلاء اليونان

ولما استقر اليونان بمصر شاهدوا من المصريين التمدن والفلاح فاولعوا بمصر ومالوا الى ديانتها وعلومها فأرادوا أن يذهبوا بعبادتهم مذهب عبادة مصر وأن يخالطوا عائلاتهم الشهيرة بالعائلات الملوكية المصرية فشبهوا معبودهم ﴿ أثينه ﴾ بمعبود المصريين (نيت) الذى بصا الحجر

كما رواه ديودور الصقلى قال هيرودوتس المؤرخ وأكثروا من تلك التشبيهات حتى ملؤا كتبهم منها وأدخلوا أطفالهم المدارس المصرية ليتعلموا فيها العلوم والحكمة فمن تخرج عليها من مشاهير اليونان (سولون) (وفيساغورس) (وأدوكس) (وأفلاطون) ومع ذلك فقد كان المصريون ينظرون اليهم بعين المقت ويعتبرونهم أمة نجسة فكانوا يجتنبون معاشرتهم كى لاينجسوا منهم بل كانت العامة من المصريين لاتأكل ولا تشرب مع اليونان ولاتستعمل سكاكينهم ولا طناجرهم وكان أصحاب المظاهر يعتبرونهم كطفل جاهل شب بين عائلة أصلها متوحش فكانوا يخفون هذه الكراهة ثم ظهرت بعد ذلك للعيان اذ كثر ميل الملك (بسامتيك) اليهم أى الى اليونان والى الكاريين احدى طوائفهم فكان يعطيهم الرتب العالية ويقربهم منه لمساعدتهم اياه على قهر أعدائه كما تقدم القول واتخذ له منهم حراسا وألف منهم جناح الجيش الايمن الذى هو علامة الشرف والنصرة وأقام منهم المرابطين بعد أن كان المحافظون على البلاد من المصريين والمشواشيين وقد اختصوا بها من قديم الزمان فلما رأوا هذا كله ولا سيما نزع المحافظة على البلاد من أيديهم وبقاء عساكر اليونان المحافظين على (مريا) (ودفنه) وجزيرة أسوان بدون تغيير ولا انتقال من مراكزهم مدة ثلاث سنين خلافا للنظام المتبع فى ذلك هاجوا وماجوا وعزموا على ترك الاوطان فاجتمعوا وتشاوروا فى الامر فاستقر رأيهم على أن الرحيل وترك الاهل والوطن خير من الخروج وشق عصا الطاعة فاجتمع منهم نحو المائتين وأربعين ألفا وكلهم شاكو السلاح وساروا قاصدين بلاد الايتيوبيا ولم يصل خبرهم الى (بسامتيك) الملك الا بعد خروجهم من مصر فسار فى إثرهم فى عدة كثيرة من قومه حتى لحقهم وأخذ يلاطفهم ويستعطفهم أن لايتركوا معبودات بلادهم ولا يفارقوا أهلهم وولدهم فقال له أحدهم لاحاجة لنا بك الآن فاننا نرزق بنساء واولاد فى أى أرض كنا وساروا فى طريقهم فرجع بسامتيك على عقبه وما زالوا حتى دخلوا بلاد الايتيوبيا فتلقاهم ملكها بالترحيب وأكرم نزلهم واتخذهم له جندا ثم انزلهم بين النيل الابيض والنيل الازرق فنشأت منهم أمة عظيمة شديدة البأس اشتهرت بطائفة (الاسماخ) أى حجاب ميسرة الملك كما رواه هيرودوتس ثم سماهم السياحون من اليونان (أتوموليس وسمبرتيس) فبقى هذا الاسم مشهورا بهم الى القرن الاول من الميلاد

وقد عاد بسامتيك الملك فندم على فعله حيث رأى ان المحافظة على بلاده أمست فى قبضة الاجانب من اليونان بعد أن كانت فى أيدى أهلها وشق عليه الامر جدا ولكن هيهات أن يرد مافات فجعل يشتغل بتنظيم جيش جديد من أبناء البلاد وأنشأ سفنا للحرب وغير ذلك من وسائل الدفاع الى أن مات كما رواه هيرودوتس سنة احدى عشرة وستمائة قبل الميلاد ودفن فى مدينة صالحجر فقام بالامر بعده ابنه (نيخاوس) الثانى المعروف بفرعون الاعرج وكانت مدة حكم بسامتيك نحو أربع وخمسين سنة

(فى الملك نيخاوس الثانى)

﴿المعروف﴾
(بفرعون الاعرج)

تولى الملك بعد موت أبيه ﴿بسامتيك﴾ وكان كأبيه له عناية واهتمام بتحسين أحوال الرعية وتوسيع دائرة التجارة وكان ميالا الى الغزو والفتوح واتساع المملكة ونفوذ الكلمة فاهتم بالعساكر والاجناد الذين نظمهم أبوه وأكثر من إنشاء السفن الحربية وفتح على الشام أبواب الحرب وما زالت جنوده تقاتل حتى هزمت جنود الشام وتغلبت على كثير من المدائن وتملك عليها من البر والبحر وقتل ملكها ﴿يوشيا﴾ فى مجدل المذكورة فى التوراة باسم مجدو فبايع أهل الشام ولده يهويا حاز فقاتله ﴿نيخاوس﴾ وظفر به وخلعه وذلك عند رجوعه من غزوة بابل وولى مكانه أخاه ﴿الياقيم﴾ وضرب الخراج على شعب يهوذا فى كل عام مائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب وجاء بيهويا حاز الى مصر أسيرا وبقى بها الى أن مات وفى أيام ﴿الياقيم﴾ هذا تولى بختنصر الاول ملكا على بابل فجهز الجيوش وأكثر من معدات الحرب وزحف على أورشليم وملكها واسترد ما كان قد أخذه ﴿نيخاوس﴾ فرعون مصر من بلاده فانقطع بذلك حكم فرعون عن أورشليم وخسر ما كان اكتسبه من الممالك والمدن فى آسية وعقد مهادنة مع ﴿بختنصر﴾ وقد كان ﴿بختنصر﴾ على عزم مهاجمة مصر وأخذها عنوة وعاد فى نفر قليل الى بابل من طريق صحراء العرب كما رواه بيروس

قال بعض المؤرخين ولما عاد الملك ﴿نيخاوس﴾ الى مصر لم يسكن غضبه على ملك بابل وقومه الاشوريين ولم يهدأ له بال فجيش جيشا عظيما وأعد كثيرا من سفن الحرب وعمد الى اثارة الفتن بين الاشوريين ودس الى ﴿الياقيم﴾ ملك يهوذا أن يخرج على ملك الاشوريين وكان ﴿الياقيم﴾ يبغض ملك اشور وينقم عليه لتسلطه على مملكة يهوذا فأطاع لذلك ﴿نيخاوس﴾ وعصى ﴿بختنصر﴾ وخرج عن طاعته فسار اليه ﴿بختنصر﴾ فى جيش عظيم وحاربه حتى استظهر عليه وضرب عليه الجزية فعاد ﴿نيخاوس﴾ وحرضه على الخروج ثانية فعصى ونكث عهده مع ﴿بختنصر﴾ فأرسل اليه ﴿بختنصر﴾ قائدا من قواده ومعه عساكر بنى ﴿أمون﴾ ﴿ومواب﴾ فحاصروا أورشليم وشددوا عليها الحصار وفى أثناء ذلك مات ﴿الياقيم﴾ فقام بالامر بعده ابنه وحضر ﴿بختنصر﴾ الى أورشليم وأمر فشددوا عليها الحصار حتى استسلمت فخرب بيت المقدس وأخذ مافيه من الخزائن والتحف وكذلك مافى خزائن ملك يهوذا * قال مانيطون * ومع ذلك فقد مات ﴿نيخاوس﴾ المذكور بعد هذه الغزوات بسنتين ولم يبلغ المراد بأخذ بلاد الشام

وكان «(نيخاوس)» المذكور ذا عناية شديدة بتدبير داخلية مملكته وتحسين أحوال رعيته وتوسيع نطاق التجارة فتواتر فى أيامه الاختلاط بالاجانب واتسعت فروع المعاملات كما تقدم القول فخطر على باله أن يصل بحر القلزم بالبحر الابيض الرومى بواسطة قطع برزخ السويس بترعة موصلة الى النيل على امتداد أربع مراحل بحرية عرضها يسع سفينتين متحاذيتين ومبدأ هذه الترعة من مدينة بسطة وآخرها بركة التمساح التى كانت تسمى قديما بالبحيرة المرة حيث كان بحر القلزم يومئذ فشرع فى هذا العمل الجسيم وجدّ فيه وبالغ فى الاجتهاد فمات فيه من العمال مائة وعشرون ألفا على ماحكاه هيرودوتس المؤرخ فأوقف «(نيخاوس)» العمل نظرا لما أخبره به بعض الكهان من ان حظ الانتفاع بهذا المشروع الخطير لايكون الا لدولة أجنبية قال «(ارسطاطاليس)» انما ترك «(نيخاوس)» وغيره من الفراعنة هذا العمل بعد ان ابتدؤا فيه لما أعلمهم المهندسون بأن سطح البحر الاحمر أعلى من أرض مصر فلذلك لم يتمه العمل الا الى بركة التمساح قال بعض المؤرخين وقد شرع دارا الاكبر ملك فارس فى فتح هذا البرزخ ولكنه عاد فأوقف العمل خوفا من غرق البلاد بسبب ارتفاع سطح البحر الاحمر عن أرض مصر ثم أتى الملوك البطالسة من بعد فتمموه وأوصلوه الى بحر القلزم واستعانوا على حفظ الاراضى المصرية من التلف بأبواب وأقفال وربايات فسهلت باحداثه أسباب النقل وراجت التجارة ولكنه لم يلبث ان طم وبقى كذلك الى دخول عمرو بن العاص مصر بجيوش المسلمين فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بفتحه ثم سد فى زمن المنصور الدوانقى العباسى قلت وقد فتحه ديلسبس الفرنساوى على عهد الخديو إسمعيل وصار حظ الانتفاع به لدولة أجنبية هى دولة الانجليز — كما قاله الكاهن المصرى

ولم يقعد الكف عن فتح البرزخ المذكور للملك «(نيخاوس)» همة ولا أضعف له عزيمة بل تاقت نفسه الى معرفة محيط قطعة افريقية والوقوف على مسالكها البحرية وكان أهل صور وقرطاجة قد استكشفوا سواحلها ورأوا فى بعض بلدانها كثيرا من الذهب والعاج والاخشاب النفيسة والخيرات العظيمة ولكنهم لم يأتوا منها بشئ لما بين الأمتين من البغضاء والشحناء وقد حرموها على أنفسهم ومنعوا غيرهم من الوصول اليها فأرسل «(نيخاوس)» طائفة من ملاحى «(الفنيقيين)» بسفنهم الى تلك البلدان فطافوا حول افريقية فى ثلاث سنين وكان مسيرهم من البحر الاحمر ومنه الى المحيط الهندى ثم الى المحيط الاطلانطيقى حتى بلغوا بوغاز جبل طارق فعبروا منه الى البحر الابيض وساروا حتى وصلوا الى مصر وحرروا بالدقة ماظهر لهم من الاماكن والمسافات فعلمت سواحل افريقية وما حولها من البحار على وجه صحيح ولكن لم يلبث علمها حتى غاب عن العقول وتناساه الناس وكأنه لم يكن شيأ مذكورا

«(ومات نيخاوس)» الملك بعد ان حكم سبع عشرة سنة كما رواه مانيطون الكاهن وقال

هيرودوتس بل ست عشرة سنة والاول أصح وأشهر فقام بالامر بعده ابنه «(بسامتيك)» الثانى الملقب بـ«(سنفرابرع)»

(فى الملك پسامتيك الثـانى)

«(تولى الملك بعد أبيـه)» ولم يستقر به المنصب حتى قام عليـه ملك الايتيوپيا فسار لقتاله فى سنة احدى وتسعين وخمسمائة قبل الميلاد وغزاه وظفر به ومات عند رجوعه من الغزو فى نحو السنة السادسة لملكه ولم يعلم من سيرته شئ سوى انه وجد حجر فى مقبرة العجل «(ابيس)» بسقارة يستفاد منه ان هذا العجل ولد فى السابع من بؤنه سنة ست عشرة من حكم الملك «(نيخاوس)» الثانى ودخل معبد «(پتاح)» فى التاسع من أبيب من السـنة الاولى من حكم الملك «(بسامتيـك)» الثانى ومات فى الثانى عشر من برمودة سـنة اثنتى عشرة من حكم هـذا الملك قال صاحب العقد الثمين ومن هـذا يتبين ان مدة حياة العجل المذكور كانت سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام ويستدل منه أيضا بوجه التحقيق على مدة حكم نيخاوس الثانى وبوجه التقريب على مدة حكم بسامتيك الثانى اه

ولما مات بسامتيك الثانى قام بالامر بعده ابنه «(وح أبرع)» الملقب «(بحعع أبرع)»

(فى الملك وح أبرع)

«(ويقال له أيضا)»

(فرعون حفرع)

قـد ذكر هـذا الملك فى التوراة باسم حفرى وان «(صـدقيا)» ملك يهوذا استنجـد به على بختنصر ملك فارس وكان أرمياء النبى فى هـذا الحـين حيـا وقد أنذر صدقيا بخراب مملكة فلسـطين ووقوع اسرائيـل فى الأسران لم يطع ملك بابل ويخضع اليـه فـلم يلتفت صدقيا لقول أرمياء النبى وقد عميت بصيرته وخرج عن طاعة ملك فارس وجاهره بالعصيـان وامتنع من أداء الجـزية وتحالف مع «(وح ابرع)» هـذا على قتـال ملك فارس فسار «(وح ابرع)» لنجدة صـدقيا بالشام فى جيش عظيم وقامت الحرب بينهما وبين ملك فارس فلما التـقى الجمعان وبرزت جنود فارس وقـع الرعب فى قـلوب العسـاكر المصرية وفشـلوا فاستظهرت عليهم عسـاكر بابل وهزمتهم شر هزيمة ثم ركب «(بختنصر)» بجيوشه على اسرائيل وغزا بلادهم وقبض على صدقيا ملكهم وأولاده وأمر بهم فقتلوا بين يدى أبيهم صدقيا وفقأ

عينى صدقيا فهاجر كثير من اليهود الى أرض مصر فاستقبلهم ﴿ وح ابرع ﴾ وأقطعهم أرضا بقرب ﴿ دفنه ﴾ فانتشروا فى ﴿ مجدل ﴾ ﴿ ومنف ﴾ وسكن بعضهم بصعيد مصر فلما ظفر ﴿ بختنصر ﴾ باليهود وخلص من حروبه بآسية سار نحو مصر يريد الانتقام من ملكها لمحالفته صدقيا ملك اسرائيل وقد كان يطمع فى الاستيلاء عليها حيث أخبره أرمياء النبى بالغلبة عليها وادخالها تحت حكمه

قال المؤرخ يوسفوس وقد أغار ﴿ بختنصر ﴾ على مصر وقاتل الملك ﴿ وح ابرع ﴾ وقتله وخرب مصر وأقام عليها واليا من قبله ثم عاد الى وطنه وأخذ معه جميع اليهود الذين استوطنوا بمصر قلت ولم يعول أصحاب التاريخ على ماقاله هذا المؤرخ اذ هو مخالف لما نقله هيرودوتس فقد قال ان المصريين يقولون بأن الهزيمة وقعت على عساكر بابل وان سفن الملك ﴿ وح ابرع ﴾ كانت مدت بملاحين من اليونان فضربت السفن التى كانت فى خدمة البابليين فى تلك الغزوة وان العساكر المصرية رفعت الحصار عن مدينة صيدا والتجأ أهل الشام الى التسليم بغير قتال فدخلت حينئذ سواحل الشام تحت سلطتهم رغم أنف ﴿ بختنصر ﴾ واحتلت الجنود المصرية جهة يقال لها ﴿ جبل ﴾ وشيدوا فيها معبدا استكشفت آثاره حديثا كما رواه ﴿ رينان ﴾ فلما تم النصر للملك ﴿ وح ابرع ﴾ داخله الغرور وتعاظم وتكبر وادعى انه أكبر أسلافه سطوة وأوسعهم كلمة قال هيرودوتس ولكنه لم يلبث فى الراحة طويلا حتى استنجده سكان سواحل ليبيا على قبائل اليونانيين القاطنين فى القيروان فخاف أن يرسل لنجدتهم جنودا يونانية من الذين كانوا فى خدمته لانهم من أبناء جلدتهم فأرسل لهم فريقا من المصريين فلما التقى الفريقان عند ﴿ إيرانه ﴾ اقتتلا فكانت الغلبة على المصريين وانهزموا شر هزيمة ومن بقى منهم كر راجعا الى مصر فقامت الفتنة عند ذلك على الملك ﴿ وح ابرع ﴾ وخرجت عليه جنوده المصرية وقامت أيضا طوائف الكهنة على الملك اذ ظنوا انه انما أرسلهم الى ليبيا لهلاك من لايحبه واتسع نطاق الفتنة وعمت جميع البلاد وارتفع لهيبها وكان ممن قلده الملك ﴿ وح ابرع ﴾ قيادة بعض الجنود المصرية رجل من العامة اسمه ﴿ أحمس ﴾ وكان فطنا لبيبا مدبرا وأصله من مدينة ﴿ سيوف ﴾ قرية بجوار صا الحجر فأرسله الملك ﴿ وح ابرع ﴾ الى العصاة ليردهم عن عصيانهم فسار اليهم ووقف بينهم خطيبا وأطال النصح وشدد فى القول فبينما هو كذلك اذ تقدم نحوه أحد الجند العصاة ووضع على رأسه مغفرا وصاح بأعلى صوته ﴿ قد رضيناك لنا ملكا ﴾ فلم يمتنع ﴿ احمس ﴾ من قبول ذلك واجتمعوا تحت كلمته فسار بهم لقتال الملك ﴿ وح ابرع ﴾ ولم يكن مع الملك المذكور الا الجنود الاجنبية التى كانت فى خدمته وهى زهاء ثلاثين ألفا فالتقى الفريقان عند مدينة صا الحجر واقتتلا فانهزمت جنود الملك ﴿ وح ابرع ﴾ ووقع هو فى قبضة احمس فحبسه احمس فى مقره الذى كان يسكنه قبل وقوعه فى الاسر وأحسن معاملته وأظهر له غاية الملاطفة وحفظ ناموسه

(قال هيرودوتس) فتشفى جنود مصر بما حصل لهذا الملك من الضيم والذل بالعزل والحبس لما كانوا عليه من الحنق والغيظ فأكرهوا الملك (أموزيس) الذى هو احمس خصمه على أن يسلمه اليهم فسلمه فقتلوه خنقا فى الحال اه

وبموته خلا المنصب الملوكى (لاحمس) المذكور فاستقر به وسمى باسم (اموزيس) ولقب نفسه بـ(خنوم ابرع) وهو الآتى ذكره بعد

(فى الملك أموزيس)

(ويسمى أيضا)
(احمس الثانى)

لما جلس هذا الملك على سرير الملك لم تحفل به الرعية ولم تحترمه العساكر والاحبار لانه لم يكن ذا حسب رفيع ولا نسب عريق قيل ولما علم بما خطر فى بعض النفوس من احتقار صفته وخسة أصله وأحس بما وراء ذلك جمع محفلا كبيرا وعمل فيه باناء من ذهب كان يستعمل فى كثير من الامور العادية بين أيدى السادة والعبيد ثم صار تمثالا معبودا موقرا مهيبا فعظم من هذا اليوم محله فى النفوس وصار مرعى الحرمة والناموس قال هيرودوتس وتزوج (أموزيس) بحفيدة الملك (بسامتيك) الاول المسماة (عنخناس نفرت حت) وكان قد اصطفاها من العائلة الملوكية ليؤسس لنسله منها عائلة ذات حق فى تاج الملك فولدت له ولدا سماه (بسامتيك الثالث) باسم جده وقام بتدبير المملكة خير قيام فحافظ على نفوذ مصر وسلطتها على فنيقيا وأخضع لحكمه جزيرة قبرص وأحسن السياسة مع الدول المعادية لمملكة مصر وأزال عنهم الوحشة فانكفوا عن الاغارة وكان يخشى كثيرا من ملك فارس فلما قامت الحرب بين الملك المذكور وبين الليديين استعمل الحيادة ولم يظهر ميلا لاحد الفريقين ولكنه مع ذلك لم يسلم من شرهما فقد أخذوا منه فنيقيا فلم يعارض خوفا مما وراء ذلك بل زاد فى حسن السياسة مع (كيروش) ملك فارس والتزم جانب المسالمة ليحافظ على بلاده من غائلته فصفا له بذلك الوقت وتمتع بالراحة خمسا وعشرين سنة نظر فيها الى أوجه الاصلاح وموارد الثروة فوسع الترع وأصلح الخلجان وأنشأ الجسور واعتنى بأمر الزراعة والتجارة فاتسع نطاقهما وأثرت البلاد وعادت الى مجدها القديم فبالغ المؤرخون فى أيام هذا الملك حتى هيرودوتس حيث جعلها أعظم من أيام سواه من الملوك وان مصر لم تخصب فى أيام غيره كخصبها فى أيامه الهنية ولم يفض النيل على مصر بالخيرات فى مثل أيامه ولا صارت قبله كما فى عهده مربعة غنية حتى قيل ان مدنها بلغت فى عهده عشرين ألف مدينة عامرة والغالب أن الكفور والقرى كانت معدودة منها وكانت هذه زاهية زاهرة كالمدن

وقد

وقد أخبره بذلك الكهنة الذين كانوا يحبون المغالاة والاطراء فى المدح خصوصا فى أيام تظاهر الفرس

وقد زاد البلاد اثراء فى أيام هذا الملك اختلاط الاجانب بأهلها للاتجار لاسيما طوائف اليونان فانهم كانوا فى ذلك الوقت أصحاب جدّ واجتهاد فى التجارة فضلا عن الصناعة مما نقلوه عن المصريين بالاختلاط فمال اليهم الملك «(أموزيس)» وأحبهم وزاد فى مساعدتهم وتزوج بنت رجل يونانى اسمه «(اركيزيلاوس)» وأهدى الى مدنهم الهدايا النفيسة من التحف المصرية فأرسل الى مدينة القيروان تمثال زوجته «(لاديكة)» ابنة «(اركيزيلاوس)» وتمثال المعبودة «(نيت)» مغشيين بالذهب غشاء جميلا وبعث أيضا الى طائفة الفينيقيين المعروفة باسم «(ليندوس)» تمثالين من حجر وزردية من كتان والى «(يونون سامين)» تمثالين من خشب رآهما هيرودوتس بنفسه وأكثر من الاحسان الى اليونان وبالغ فى الترحيب بهم حتى نموا وكثروا وبلغوا مائتى ألف نسمة على ماروواه «(ليترون)» فأنزلهم جميعا فى مدينة «(نقراطيس)» التى قيل ان محلها الآن بندر فوّة وقيل انه كوم نكراش وقد جعل محلها محمود باشا الفلكى بالاستظهار «(نقرهة)» بالقرب من دمنهور البحيرة لقرائن أثرية دلته على ذلك وقد أباح الملك لهؤلاء الاجانب أن يتمسكوا بأصول ديانتهم وأقطعهم أراضى مخصوصة ليبنوا فيها معابدهم وهيا كلهم ومذابحهم على اختلاف طوائفهم وأديانهم فلما كثروا فى مدينة نقراطيس اختطوا حولها مدنا وكفوروا ودوّنوا لهم قانونا مخصوصا كان من أحكامه أن كل من يستوطن بينهم من التجار أو غيرهم يجب عليه الانقياد لاحكام قانونهم فان لم يقبل ذلك أكرهوه على الرحيل عنهم فيرخص له أموزيس الملك بالاستيطان فى أية بلد شاء من مملكته قال هيرودوتس ولما اتسعت دائرة التجارة اتخذ تجار اليونان لهم وكلاء من أبناء جلدتهم وبعثوا بهم الى الجهات التى تمر منها القوافل فكان بعض الميليزيين فى العرابة المدفونة وبعض الساميين فى الواحات الكبرى وكان وجود هؤلاء الاجانب لايخل بشرفهم ولا يقلل من اعتبارهم اذ كانوا تجارا وعليهم مدار حركة البلاد

وعاقد «(أموزيس)» مملكة أثينا وعاهدها ووطد عروة المودّة معها وكان فى أيامه «(كيروش)» ملك فارس لاينكف عن التجهيزات الحربية والاستعداد للقتال عند سنوح الفرص فلما مات «(كيروش)» وخلفه ابنه «(كمبيز)» على كرسى المملكة وعلم بما هو عليه «(أموزيس)» من الضعف والانكماش صار يترقب وقوعه فى الزلل وينتحل لاضرام نار الحرب معه أسبابا ويعظم صغائر الامور واختلفت روايات أصحاب التاريخ عن تعللات «(كمبيز)» المذكور وأبسوها أشكالا وألوانا فقال هيرودوتس ان «(كمبيز)» المذكور طلب أن يتزوج بابنة «(احمس)» ظنا منه أن أباها لايقبل ذلك فيحاربه فأحس احمس بهذه الحيلة وأرسل له ابنة الملك «(وح ابرع)» فلما دخل بها كمبيز ناداها بابنة «(احمس)» فقالت أنا لست بابنته فحقد «(كمبيز)» عليه ذلك وغزا مصر وقال هيرودوتس أيضا ان سبب غزو العجم مصر طمعهم فى

ثروتها وما فيها من الخيرات وقد كان للمصريين فى ذلك الوقت أسوار وحصون ومعاقل فى الصحراء والاباطح وكان بين حدود الشام وخان يونس وبحيرة «(سربونيس)» الضاربة فيها مقدّمات الجيوش المصرية فى ذلك الحين مسافة شاسعة قلما يقطعها الجيش فى ثلاثة أيام ومع أن صحراء العرب لم تكن يومئذ فى اتساعها الآن المترتب على تخريب الاشوريين والكلدانيين لبلادها وتركها للعرب الرحالة فنهبوها حتى دمرت وصارت بلقعا غير أن كمبيز كان يخاف على عساكره من التيه فيها فتحير فى أمره فقيض الله له رجلا يونانيا اسمه «(فانيس)» وفد عليه من ديار مصر وكان قائد جيش فيها فأعلمه «(فانيس)» المذكور بحقيقة تلك البلاد ودله على الطريق فاشتدّت عزيمة «(قبيز)» وتقوّت أطماعه وعقد عهدا مع مشايخ قبائل العرب الذين كانت لهم اليد على الطريق الموصلة الى مصر ليرخصوا له بالمرور منها ويأتوا لجيوشه بالماء على ظهور نوقهم ثم سار بجيوشه وما زالت حتى حلت أمام الطينة فبلغهم ان «(احمس)» قدمات وان ولده «(بسامتيك)» الثالث خلفه على سرير الملك اه

وكان لهذا الملك أعمال مهمة فقد أصلح الكرنك جميعه وقطع الاحجار من محاجر طرا وأسوان ورمم غير الكرنك من المبانى العظيمة بطيبة التى كانت زوجته مقيمة فيها وكانت الحوادث والاحن قد خربت الاقاليم البحرية فوجه عنايته الى تعميرها فأصلح منف وبنى فيها معبدا «(لأزيس)» اندرست آثاره الآن وقد شاهده هيرودوتس المؤرخ فقال انه لم ير أكبر ولا أعظم منه فى ديار مصر ونصب «(أموزيس)» المذكور أيضا أمام معبد «(بتاح)» بمنف عمودا طوله خمس وسبعون قدما وبنى فى صا الحجر مداخل لمعبد «(نيت)» يقدمها صفوف من تماثيل أبى الهول على هيئة منتظمة ونصب أمام تلك المداخل مسلتين كبيرتين وصنع لذلك المعبد خلوة من الصوان الاحمر المقتطع من محاجر أسوان فنقلها ألفا ملاح من أسوان الى صا الحجر فى ثلاث سنين وطول الخلوة المذكورة من الخارج أحد عشر مترا وعرضها سبعة أمتار وثمانية وثلاثون سنتيمترا وارتفاعها أربعة عشر مترا ووزنها وهى خالية خمسمائة ألف كيلوجرام وقد وضعها خارج المعبد لضخامتها ويقال ان سبب وضعها هناك هو أن المهندس المكلف بنقلها حين وضعها خارج المعبد أخذ يئن مما عاناه من المشاق فى نقلها فسمعه «(أموزيس)» وهو على هذا الحال فأمر بابقائها فى محلها * وقال هيرودوتس ان عدم وضعها فى المعبد ناشئ عن هلاك أحد العمال تحتها * وقد كان «(لأموزيس)» المذكور مراسلات مع الملوك الاجانب وقد روى لنا التاريخ مراسلة منه مع ملك جزيرة «(صيصام)» التى يقال لها «(سيموس)» ينصحه فيها بنصيحة خيرية اقتضاها الحال ويقول له لا تأمن صروف الزمان بل استعد لنوائب الحدثان واقمع النفس بالزهد فى الدنيا عن اتباع هواها واعصها ولا تبلغها بالتشهى مناها * قيل فبمجرد وصول هذه النصيحة الى الملك المذكور وكان بأصبعه خاتم جوهر نفيس لا يؤثر عليه شيأ من زينة الحياة الدنيا ألقاه فى اليم

وعزم على الزهد فابتلع الخاتم حوت ثم اتفق أن هذا الحوت وقع فى يد أحد الصيادين وكان حوتا عظيما فقدمه لطباخ الملك المذكور فوجد الطباخ فى جوف الحوت خاتم سيده فأعطاه اليه فعلم الملك عند ذلك أن الاشياء سعود ونحوس * وكان له أيضا مراسلات مع (سولون) حكيم اليونان ومع ذلك فقد كان لايحرم نفسه من حظوظها ويوفيها ملاذها وقال ذات يوم لبعض أخصائه أما علمتم أن القوس لاتوتر الاعند الحاجة وترخى متى فرغ القصد منها وهكذا الانسان اذا اشتغل بجد فى أمر ما فعليه أن يعطى نفسه الراحة ويبلغها من الحظ ماتستروح به وتستريح اليه لانها ان استدامت على الجد داخلتها الحماقة والغفلة واستعدت للوساوس والجنون وصارت غير قابلة لادراك الامور اهـ ومات (أموزيس) بعد أن حكم خمسا وثلاثين سنة على مارواه بعض أصحاب التاريخ وقال مانيطون بل أربعا وأربعين وخلفه ابنه (پسامتيك) الثالث الملقب بـ(رع عنخ كان)

(فى الملك پسامتيك الثالث)

لم يستقر المنصب بپسامتيك هذا حتى جاءت جيوش ملك فارس الى أرض مصر ووقفت أمام الطينة تريد القتال فسار اليهم پسامتيك فى عدة كثيرة من الجيوش المصرية واليونانية الذين فى خدمته وعسكروا أمام العدو وكان (فانيس) اليونانى الذى فر من مصر وذهب الى ملك فارس وهون عليه قتال المصريين قد ترك أولاده بمصر فأحضرهم المصريون الى معسكرهم وذبحوهم بين الصفين وأبوهم ينظر اليهم ويتقطع قلبه حسرة عليهم ووضعوا دمهم فى اناء ثم مزجوه بخمر وشربوه تشفيا وانتقاما من (فانيس) المذكور على فعله وهجموا بعد ذلك هجوما شديدا على جيوش (كمبيز) فحملت عليهم الفرس أيضا والتقى الصفان والتحم الجيشان وكان الملك (كمبيز) قد وضع فى مقدمة جيوشه كثيرا من السنانير والبزاة وغيرهما من الحيوانات التى يجلها المصريون فلم يجسروا على القتال ولم يرموا سهامهم على عدوهم خوفا من أن تصيب تلك الحيوانات المقدسة عندهم فرجعوا القهقرى ولم يثبت منهم فى صفوف القتال سوى العساكر اليونانية والكارية واشتد القتال بينهم وحمى الوطيس فقتل من الفريقين عدد كثير ثم ظفرت الفرس باليونان والكاريين وتمت لهم الغلبة فانهزموا الى منف فأرسل لهم (كمبيز) رجلا من قومه يطلب منهم أن يستسلموا فركب الرسول سفينة يونانية من سفن (مدلين) وسار الى منف فلما وصل اليها ورآه أهلها خرجوا اليه من القلاع زمرا وقبضوا عليه وكسروا السفينة قطعا وذبحوا من كان بها مع الرسول أيضا فلما علم (كمبيز) بما فعله المصريون غضب جدا وجاء الى منف وأحاط بها وحاصرها وضيق عليها حتى أخذها عنوة وقبض على ولد الملك (پسامتيك) وقتله وقتل معه عدة من أكابر المصريين فخضعت البلاد بعد هذه الواقعة لملك فارس (قال بعض أهل التاريخ) ولما استسلمت منف

أمر الملك ﴿كمبيز﴾ باحضار أولاد ﴿بسامتيك﴾ وبنتـه ومرورهم أمامـه بثياب الرق والعبودية ثم طلب أيضا أولادأ كابر المصريين الذين حكم عليهم بالقتل ليمروا أمامه قبل قتلهم وكان الملك بسامتيك واقفا ينظر الى الجميع مع الثبات والصبر ولم يشفق بهم ﴿كمبيز﴾ وفى هـذه الاثناء مر بـ﴿بسامتيك﴾ أحـد ندمائه بلباس الرق فلما رآه ﴿بسامتيك﴾ على هذا الحال تضجر تضجر الآسف الحزين وضرب بيده على جبهته فتعجب ﴿كمبيز﴾ من ذلك وسأله عن سبب ثباته أوّلا مع نظره الى بنيه ثم تضجره وضربه على جبهته عنـد نظره الى نديمه فقال ان البكاء فى جنب مصائبى قليـل واعلم ياابن ﴿كيروش﴾ انه اذا تجرّد الرجـل عن مفاخره وحلت به الخطوب وأحاطت به الكروب ولحقه الجوع والهرم استحق الحزن والبكاء عليه قالوا فلما سمع ﴿كيريزوس﴾ أحد قوّاد العجم هذا الكلام بكى وبكى أيضا ﴿كمبيز﴾ الملك وكثير من العجم وحن قلب كمبيز وأخذته الشفقة عليه فعامله معاملة الملوك وكاد يرجع اليه تخت الملك ويجعله تابعا لحكومته ولكن علم بعد ذلك أن ﴿بسامتيك﴾ المذكور يغرى الناس على الخروج عليه فأمر به فقتلوه فزالت بموته الدولة السادسـة والعشرون وانقرضت دولة الفراعنـة وزال ملكها وكانت مدة حكمه كما رواه مانيطون المؤرخ سـتة أشهر بحيث لايكاد يعرف له فيها أمر ولا نهى وكانت مـدة حكم الدولة السادسـة والعشرين المذكورة ﴿مائة سنة وثمانيا وثلاثين سنة﴾

ولما تم الامر للملك كمبيز ومهـدت له الاحوال سلم ادارة البـلاد بعد قتـله بسامتيك الى ﴿ايرندس﴾ الفارسى فصارت من هذا الحين تابعة لدولة فارس خاضعة لأحكامها وخيمت عليها شيأ فشـيأ عناكب الذل والهوان وقام السـفه والجهل بين أهلها مقام الرشـد والتمدن وذبلت نضارة علومهـا ومعارفها وكادت تبور صنائعها لتوالى المظالم والمحن وتراكم الخطوب والفتن وتصرف الهيئة الحاكمة فى الرعية تصرف السيد فى عبيده أو التاجر فى سلعته وتم ما أوحى الله تعالى به الى حزقيل النبى عند سبى بابل وخراب أورشليم حيث قال ﴿قال الله تعالى لايكـون بعـد رئيس من أرض مصر وألقى الرعب فى أرض مصر﴾ قلت ومن أصدق من الله قيلا وسيأتى بيـان هـذا فى محله ان شاء الله * وقد رأينا قبـل الكلام على دولة الفرس وما كان فى أيامهـا أن نذكر هنا شيأ من ترتيب مملكة مصر فى القـدم وفى أقسامها ومعبوداتها وفى سـياستها وأخـلاق أهلها وعوائدهـم وفى كيفيـة اقامـة الحدود والعقوبات عندهم وفى تمدنهم وصنائعهم وأعيادهم ومواسمهم وأحكامهم وشرائعهـم تتميما للفائدة وقدجعلنا ذلك فصولا على الترتيب الآتى بعد

(فصـــــل)

﴿فى ترتيب مملكة مصر فى القـدم وفى اقسامها ومعبوداتهـا﴾

كانت تنقسم ديار مصر على عهد الفراعنة الى قسمين عظيمين اشتهرت بهما وهما الاقاليم

القبلية

القبلية والاقاليم البحرية وكانت الحدود الفاصلة بين هذين القسمين مدينة دهشور قال أصحاب التاريخ ثم انهم قسموا الاقاليم القبلية الى اثنين وعشرين قسما والبحرية الى عشرين قسما وكان القسم يعرف فى لغتهم باسم «حتب» وكان لكل قسم من هذه الاقسام حاكم وادارة مخصوصة وحدود فاصلة من الحجارة المطرزة بالكتابة وتحت للحكم وهو مقر الجند والكهنة والديانة المتبعة فى ذلك القسم

قال صاحب العقد الثمين وأقسام الوجه القبلى المعروف باسم «پتوريميس» هى

أولا — «تاخونت الفنتين» وقاعدته مدينة «أب» وتعرف الآن بجزيرة أسوان وأشهر مدنه جزيرة أنس الوجود ومعنى «أب» الفيل وسميت بذلك لانه كان يباع فيها سن الفيل وكان فيها معسكر وسور ومقياس للنيل وهو الموجود الآن بها ولهذا القسم معبودان — أحدهما «خنوم» ويرسم بصورة كبش ومعناه مصور الكائنات — والآخر «سبت» أى النجمة المعروفة بالشعرى اليمانية وكان فى جزيرة أسوان عدة معابد وهيا كل فاخرة انطمست آثارها ولم يبق منها سوى بعض حجارة مكتوب عليها مافيه تذكرة بهذه المعابد والبيوت المقدسة وبجوار مدينة اسوان جبل الصوّان الاحمر المسمى قديما «دودوشر»

والثانى — «ادبوابولينو بوليتس مغنا» وقاعدته مدينة «دب» وتعرف الآن بادفو وكان فيها معبد عظيم لمعبود هذا القسم المسمى «حور» أى العظيم ورسمه على هيئة الباشق وهو الذى تسميه اليونان «اپولون» ويوجد تجاه مدينة ادفو فى الجانب الغربى من النيل بئر ماء حفرها الملك «سيتى الاول» وتسمى عندهم «تاخنوم» ومعناه البئر ولم تزل باقية الى الآن بقرية تدعى «ردسيا» وهى أوّل محطة للقوافل التجارية التى كانت تمر على الصحراء الى البحر الاحمر وأشهر مدن هذا القسم «خنو» أى جبل السلسلة وكان مركزا للعلوم والمعارف فى تلك الازمان

والثالث — «ترلاتوپوليتس» وقاعدته مدينة «نخب» أعنى القرية المعروفة الآن «بالكاب» الموضوعة على الجانب الغربى من النيل وهى أحد الحصون القديمة وكانت الارض المجاورة لها شهيرة بمعادن الملح وموضع هذا القسم الشاطئ الغربى من النيل وكان كل من حكم هذا القسم يلقب بابن الملك «نخب» ولا يكون الا من عائلة ملوكية وأشهر مدنه «حابك» أعنى الكوم الاحمر وكانت سكانه تحترم المعبودة «نخب» ورسمها على شكل عقاب له وجه آدمى وعلى رأسه تاج يسمونه «اتف» وهى معبودة خصوصية لهذا القسم وعمومية للاقاليم الجنوبية وكان أكل السمك فى هذا القسم منهيا عنه وفيه مدن شهيرة منها «سينى» أى اسنا وكان فيها معبد عظيم لم تزل تشاهد آثاره الى الآن

الرابع — «اسديوسپوليتس» وقاعدته مدينة «نو» أو «نوامون» أى مدينة طيبة ويقال لها ثيبة وطيوة وكانت أكبر مدائن الديار المصرية وأشهرها ولم يزل يشاهد فيها الى الآن من المعابد والآثار مايوجب تعجب الناظرين واستغراب المتفرجين ويستدل على حدودها

القديمة بالكرنك ولوقصر والقرنة ومدينة ﴿ ابو ﴾ الشهيرة قديما بالمبانى الفاخرة وكانت دار اقامة لعدة ملوك متناوبة بعد مدينة منف واستمرت تختا للديار المصرية نحو ألفى سنة ولهذا القسم معبودان الاول ﴿ امون رع ﴾ وسمى بهذا الاسم فى عصر العائلة الحادية عشرة وهو معبود خصوصى لهذا القسم وعمومى لكافة مصر ومعنى ﴿ امون رع ﴾ الشمس الخفية التى لاتدركها الابصار عند مغيبها وهو رمز للمعبود المنظم للكون ومرتبته فى المعبودات بعد ﴿ بتاح ﴾ منشئ الكائنات والثانى ﴿ مونت ﴾ ويقال له ﴿ مونثو ﴾ أو ﴿ منت ﴾ وهو معبود عمومى لهذا القسم وخصوصى لاشهر مدنه المسماة الآن أرمنت وصورته على شكل انسان له رأس باشق عليها قرص الشمس وريشتان مستقيمتان قابض بيده اليمنى على المدية المسماة ﴿ خوبش ﴾ اشارة الى كونه اله الحرب ورب الشجاعة ويوجد غربى مدينة القرنة مقابر للفراعنة المعروفة الآن ببيبان الملوك وهذا المكان مشهور باعظم القبور الاثرية التى يهرع لمشاهدتها السياحون فى كل سنة

الخامس ــ ﴿ قوبطى قوبطيتس ﴾ وقاعدته مدينة ﴿ قبطى ﴾ أى قفط وموضعها على جانب النيل الشرقى ومعبودها ﴿ خم ﴾ ورسمه على هيئة رجل واقف رافع ذراعه الايمن اشارة الى كونه يبذر التقاوى ويده اليسرى مستترة مع جسمه بالقشة ملتف بها وعلى رأسه ريشتان طويلتان وقضيبه منتصب دلالة على القوة الموجودة للتناسل والزروع وكان يعمل له عند وفور المحصولات الزراعية وجودتها موسم عظيم بالكيفية المرسومة على آثار مدينة ﴿ ابو ﴾ وكانت تمتد من تلك المدينة طريق للقوافل التجارية فتمر بالصحراء من جهة القصير الى أن تتصل بالبحر الاحمر وكان فى جنوب قفط مدينتان تعرفان الآن بشنهور وقوص الشهيرة قديما باسم ﴿ كوسى ﴾

السادس ــ ﴿ تام تنتريتس ﴾ وقاعدته مدينة ﴿ تنترر ﴾ وتعرف الآن بدندره وموضعها على شاطئ النيل الغربى وكان أهل هذا القسم يحترمون الكوكب المسمى ﴿ حاتحوم ﴾ أى الشعرى اليمانية ويحرمون على أنفسهم أكل العسل والسمك كما كان أهل القسم الثالث يحرمون على أنفسهم أكل السمك

السابع ــ ﴿ سوسخم ديوسبوليتس ﴾ وقاعدته ﴿ حا ﴾ وهى مدينة ﴿ هو ﴾ الآن ومعبودها ﴿ نبتا ونفر حتب ﴾ وموضعها على جانب النيل الغربى وقد اشتهرت قديما هى والقسم التابع لها بخصوبة الارض ونضارة البساتين

الثامن ــ ﴿ ابزو ثينيتس ﴾ وكانت قاعدته فى الاول مدينة ﴿ تينى ﴾ أعنى طينة وهى مسقط رأس الملك ﴿ منا ﴾ ثم صارت قاعدته بعد دمارها مدينة ﴿ ابدو ﴾ أى العرابة المدفونة وكان أهل تلك الجهة يحترمون المعبود ﴿ انحور ﴾ ومعناه الذى بيده مقاليد السماء والارض ورسمه على هيئة صبى متوج بتاج فوقه أربع ريشات وبيده حبل وكانت مدينة العرابة المدفونة ذات شهرة عظيمة بسبب المقبرة التى كانوا يعتقدون أن معبودهم ﴿ ازوريس ﴾

مدفون

مدفون فيها ولذا كانوا يأتون اليها فى كل عام زائرين و يتمنون الدفن فى تلك البقعة المقدسة عندهم ولم يزل يشاهد فيها الى يومنا هذا باطراف الصحراء عدة مقابر فاخرة

التاسع ـ ﴿خم بانوبوليتس﴾ وقاعدته مدينة ﴿بنجم﴾ أى اخميم وهى موضوعة على جانب النيل الشرقى ومعبودها ﴿خم﴾ السابق ذكره الذى من صفاته أيضا انه منزه عما توصف به سائر الذوات وكان لاهل اخميم شهرة عظيمة بالمهارة فى فن صناعة الاقمشة ونحت الحجارة

العاشر ـ ﴿وص افروديتو بوليتس﴾ وقاعدته الاولى ﴿دبو﴾ أعنى مدينة النعال وهى المعروفة الآن بقرية ﴿ادفه﴾ على الجانب الغربى من النيل بحرى سوهاج وكان أهلها يعبدون ﴿حور﴾ أى العلى وقاعدته الثانية ﴿دوكا﴾ أى ﴿قاو﴾ ومعبودها ﴿ست﴾ أى الشيطان وكان لهذا القسم شهرة عظيمة بمعادن الحجارة النفيسة التى كانت تستخرج من الجبال المجاورة له بالجانب الشرقى من نهر النيل

الحادى عشر ـ ﴿سما هبسليتس﴾ وقاعدته مدينة ﴿شس حتب﴾ ويستدل عليها بالقرية المعروفة الآن باسم ﴿شطف﴾ وكانت مستودع الاسرار الدينية ومعبودها ﴿خنوم﴾ أى منشئ الكائنات وبارئها

الثانى عشر ـ ﴿دوف أنتيوبوليتس الشمالى﴾ وقاعدته مدينة ﴿نونت بك﴾ ويستدل على محلها بقاو الكبيرة ومعبود انها ﴿حور ومتى أى أزيس﴾

الثالث عشر ـ ﴿أتف خونت ليكوبوليتس﴾ وقاعدته مدينة ﴿سيوط﴾ أى أسيوط ومعبودها ﴿أبماتن﴾ أى الحافظ على جميع ما فى الجهة الجنوبية من الاموات والسبل وهو على شكل ابن آوى وجثته مدفونة فى الجهة الغربية من أسيوط وكان أهل هذا القسم يحترمون أيضا المعبود ﴿حاتحور﴾ يعنى الشعرى اليمانية

الرابع عشر ﴿انف بحو الفروديتوبوليتس﴾ وقاعدته مدينة قوص ومعناها مدينة الرخام الابيض ويستدل عليها الآن بقرية قوصنيه وكان للرخام الذى يستخرج من مقاطع تلك المدينة شهرة عظيمة عند الاقدمين وكان أهل تلك الجهة يحترمون المعبودة ﴿معا﴾ ويرسمونها جالسة ملتفة بأقمشة وعلى رأسها علامة بالهيروغليفية تدل على العدالة ونطق هذه العلامة ﴿معا﴾ و يعتقدون أن هذه المعبودة تقدم الاموات الى محضر الحكم يوم القيامة

الخامس عشر ﴿آن هرموبوليتس﴾ وقاعدته ﴿سنو﴾ يعنى الاشمونين ومعبوده ﴿تحوت﴾ يعنى ﴿هرمس﴾ ومعناه رب الحكمة

السادس عشر ﴿مح هبونن﴾ وقاعدته مدينة ﴿هبون﴾ ويستدل عليها الآن بقرية انصنا ومعبودها ﴿حور﴾ يعنى العظيم وكانت بلدة شهيرة ويشهد لذلك آثار المعابد والخلوات التى كانت معدة للجنائز فى الجبال القريبة منها وأشهر مدنها ﴿سات﴾ يعنى بنى حسان ﴿وثانويل﴾ يعنى الكوم الاحمر

السابع عشر «(انوميسينوپوليتس)» وقاعدته مدينة «(كاسا)» وتعرف الآن باسم قلوصنه ومعبودها «(أنوب)» وهو ابن آوى وأشهر مدنها سملوط

الثامن عشر «(سبوت اكسير تحيتوس الشمالى)» وقاعدته مدينة «(حاسوتن)» ومعبوده «(أنوب)»

التاسع عشر «(وسب اكسير تحيتوس الجنوبى)» وقاعدته «(عاص)» يعنى البهنسة ومعبوده «(ست)» يعنى الشيطان

العشرون «(أم ادخونت هيرا قليوبوليس)» وقاعدته «(خينتو)» يعنى اهناس المدينة وله معبودان هما «(خانوم)» و «(حورشف)» أى القادر وأشهر مدنه مدينة بوص

الحادى والعشرون «(أبحوا رسينونيتش)» وقاعدته مدينة «(صخور)» ومعبودها «(خنوم)» يعنى مصور الكائنات وأشهر مدنه «(بى سبك)» يعنى الفيوم وكانت تعرف أيضا باسم «(بسيومع)» يعنى مدينة اليم

الثانى والعشرون «(تباحوا حزوديتوپوليتس)» وقاعدته «(تباح)» يعنى اطفيح ومعبوده «(حاتحور)» أى الشعرى اليمانية وآخر حدوده من الجهة البحرية مدينة دهشور وهى الفاصلة بين الوجه القبلى والبحرى كما تقدم

(فى الكلام على أقسام الوجه البحرى)

«(المسمى قديما)»

(يتومحيت)

أول هذه الاقسام «(انبوحز منفيتس)» وقاعدته مدينة «(منفر)» يعنى المكان العظيم أو المينا العظيمة وتعرف عند مؤرخى العرب باسم منف وهى منحصرة فيما بين البدرشين وميت رهينة ومديرية الجيزة ولها معبودان الاول «(بتاح)» يعنى الفتاح ويلقبه القدماء بالمبرئ منظم الكون ويرسمونه على الآثار تارة متوجا بتاج الجعران واطئا بأرجله تمساحا اشارة الى الانقلاب والتغيير وتارة على شكل موميا مطلقة اليدين يشيرون بذلك الى استحالة الروح بعد خروجها من الجسد الى نور يصعد الى السماء ينضم الى نور الشمس والثانى المعبودة «(سخت)» يعنى حرارة الشمس المهلكة ويقال انها منوطة بعقاب الخاطئين فى النار ورسمها على شكل آدمى له وجه سبع وعلى رأسه الشمس وكان يوجد أمام الكرنك يعنى أمام المعبد جملة من تماثيل هذه المعبودات موضوعة صفين بانتظام ونقل بعضها الآن الى متحف فرنسا ويوجد وراء منف اهرام لعدة ملوك من الطبقة الاولى وكانت منف قاعدة للملك مدة سبعين قرنا وحدها القبلى شنباب والغربى بحر يوسف والشرقى النيل

والبحرى الجيزة وكان فيها قصور ومبان فاخرة بقيت عامرة الى عصر اليونان و يوجد بقربها على الشاطئ الشرقى من النيل محاجر طرا وتعرف قديما باسم «طرويا» وكان يستخرج منها الحجارة لبناء الهيا كل وغيرها

الثانى «اعاليتو بوليتس» وقاعدته مدينة «سخم» المسماة الآن وسيم وهى على الجانب الايسر من فرع رشيد ومعنى «سخم» المكان المنزه عن شوائب التدنيس ومعبود هذا القسم «حور» أى الاعلى الفخيم

الثالث «امنت» و يقال لها «ليبيا» أو «ماريدس» أو «مومنفيتس» وقاعدته مدينة «نى نونت حى» يعنى مدينة الثور «ابيس» وموضعه جهة مريوط ومعبوده «ستى»

الرابع «سبيريس منيتانتس» وقاعدته مدينة «صقع» يعنى «كانوب» وموضعها بجوار أبى قير على الجانب الايمن من فرع رشيد وكان أهل هذا القسم يحترمون المعبود «آمون رع» والمعبودة «نيت»

الخامس «سابى محت سايتس» وقاعدته مدينة «صا» يعنى صا الحجر وكانت مدينة شهيرة فيها هيكل فاخر مؤسس لعبادة المعبود «تحوت» يعنى رب الحكمة ولهذا القسم معبودة تسمى «بست»

السادس «كاسيت اكسوتيس» وله قاعدتان الاولى «سخاوة» ومعناها سخاوهى الموجودة بمديرية الغربية وكانت مدينة عظيمة اجتهدت فى عمارتها العائلة الرابعة عشرة واتخذتها تختا لها مدة من الزمن ومعبودها «أمون» والثانية «عنت عرى حوس» يعنى مدينة السبع الكاسر كناية عن «أمون»

السابع «امنت متليتس» وموضعه بين مديريتى الغربية والبحيرة وله قاعدتان الاولى مدينة «سنتينفر» يعنى مدينة مسيل والثانية مدينة العطف المسماة قديما «دبت» وكان أهل هذا القسم يحترمون المعبود «حور» والمعبودة «ازيس» ويرسمونها على شكل امرأة جالسة فوق رأسها كرسى

الثامن «ابوت سنروتيس» وموضعه فى مديرية الدقهلية بجوار بركة المنزلة وقاعدته مدينة «سوكوت» المذكورة فى التوراة بهذا الاسم ومعبودها «توم» ومعناه الشمس وقت غروبها ورسمه على شكل آدمى متوج بتاج يسمى «بشنت» وكان فيها قصر للملك «منفتاح» وقلعة حصينة بالقرب من مدينة «رمسيس» المعروفة قديما باسم «پيتوم» وكانت هذه القلعة مفتاح الديار المصرية فى العصر القديم

التاسع «آتى بوصيريتس» يعنى قسم أبى صير وقاعدته مدينة «بى اسرتب دو» يعنى مدينة أبى صير ومعبوده «ازوريس» وهو المقدس الذى يحكم فى أحوال الارواح ويصحب الانسان بعد موته فيهديه الى أقدام الرب الاعلى و يوصف بفاعل الخير

العاشر «(كا كم اتريتس)» يعنى اتريب فى مديرية القليوبيـة على الشاطئ الشرقى من فرع دمياط ويستدل عليه بتل اتريب وقاعدته مدينة «(حاتحوراب)» يعنى مدينة الارض الوسطى ومعبودها «(حور)» يعنى العلى ولقبه «(خنتى حتى)» وكان له معبد عظيم فى مدينة «(حتى)» القديمة

الحادى عشر «(كاجبس كباسيتس)» وقاعدته مدينة «(كاحبس)» يعنى شباس وكان سكان هذا القسم يعبدون الشيطان «(ست)»

الثانى عشر «(كانب تيتوس)» وقاعدته «(سب نوتر)» يعنى مدينة سمنود ومعبوده «(انحور)» المسمى عند اليونان «(مارس)»

الثالث عشر «(حق آن هيلوبوليس)» وقاعدته مدينة «(آن)» يعنى المطرية وكانت دار علوم ومعارف وفيها معبد للشمس ومسلتان احداهما مسلة الملك «(أوسرتسن الاول)» القائمة الآن هنالك على ساقها وهى تدل على باب المعبد المذكور ولم يزل يشاهد فى تلك المدينة مافيه تذكرة بمبانيها الفاخرة ولهذا القسم معبودان الاول «(حورمخو)» يعنى الشمس وقت الشروق والغروب والثانى المعبودة «(يوزاس)»

الرابع عشر «(خونت ابدت تانيس)» وقاعدته مدينة «(صعن)» يعنى صان وكانت مدينة شهيرة لاسيما فى عصر «(رمسيس الثانى)» الذى شيدها وسماها باسمه وفيها أظهر موسى عليه السلام المعجزات لفرعون «(منفتاح)» الاول لاطلاق بنى اسرائيل من مصر فأذن لهم بالرحيل فخرجوا من تلك المدينة بعد اجتماعهم فيها وساروا الى «(سوكوت)» حيث أمرهم الله وكان لهذا القسم معبودان الاول «(حور)» يعنى العظيم الفخيم والثانى المعبودة «(حونت أبوت)»

الخامس عشر «(بحىع هرموبوليتس)» وقاعدته «(بى تحوت)» وتسميها اليونان «(هرموبوليس)» يعنى اشمون الرمان ومعبوده «(تحوت)» يعنى كوكب المريخ

السادس عشر «(خامندسيوس)» وقاعدته «(بى بى نب دد)» ومعناه «(مندس)» يعنى قرية تمى الامديد وله معبودان الاول «(بى نب دد)» وتسميه اليونان «(منـدس)» والثانية المعبودة «(حاميت)»

السابع عشر «(سمهود ديوسبوليتس)» وقاعدته مدينة «(باخن أمون)» المعروفة عند اليونان باسم «(باخنامونيس)» ومعبوده «(أمون رع)» والالهة موت

الثامن عشر «(أم خونت بوبوتتس)» وقاعدته مدينة «(بى بست)» أعنى مدينة بسطة ويستدل على محلها الآن بتل بسطة ومعبودها الالهة «(بست)» المعروفة عند اليونان باسم «(ديانا)» ولعلها دميانا التى تزورها الاقباط فى كل عام

التاسع عشر «(امحت بوتيسكوس بثنوتس)» وقاعدته مدينة «(بيوتو)» أى كوم الرمان ويعرف عند اليونان باسم «(بوتو)» وهو اسم لمعبود هذا القسم أيضا

العشرون ﴿سبت عربيا﴾ وقاعدته مدينة ﴿باقوسيم﴾ المعروفة عند اليونان باسم ﴿فقوسة﴾ ويستدل على موضعها بالقرية المسماة الآن فقوس ومعبوده ﴿ست﴾ أى الشعرى اليمانية قال وهذه الاقسام متفق عليها فى عصر الفراعنة والبطالسة

(فصــــل)

﴿فيما كانت عليه سياسة البلاد وفى اقامة القضاة وفى الدعاوى والاحكام﴾

ولما عرفت الامة المصرية ان لابد من رابطة وثقى لاانفصام لها بين الراعى والرعيـة والرئيس والمرؤس وتحققت ان الحكومة الملكية التى تكون عـلى مثال ما كانت هى عليـه الى ذلك الحين لاتقوى أركانها ولا ينجح لها عمل الا بالشورى قامت بتعضيد ملكها وأمـدته بالمال والرجال وضمت الى ديوانه جماعة العلماء والحكماء وأصحاب الرأى فكان أمناء الدين فى ذلك الحين فى صدر الهيئة الحاكمة يرتبون ديوان الملك داخـلا وخارجا ويشاركونه فى جميع أموره وعليهم معتمده واليهم المرجع فى فض المشكلات فاذا مات حكموا عليـه بأنه كان فى أيامه من أهل السـعادة أوالشقاء وأنفذوا عليه الحكم * وتحرير الخبر أنه اذا مات الملك وانتشر خبر نعيه مزق النـاس ثيابهـم وأغلق الكهنـة أبواب المعابد والهيا كل ومنعوا من تقـريب القربان وامتنعوا من عمل المواسم والاعياد واستمروا على هذا الحال من الحزن اثنين وسـبعين يوما اجلالا لمنصـبه وكانت فى خلال هـذه المدة تنتشر جموع النـاس من الذكور والاناث مرتين فى كل يوم فى الشوارع والحارات للندب وانشاء المراثى فكانت هذه المدة عندهم مأتما حافلا يحزن فيـه الخاص والعام فاذا انقضت هذه الايام وضعت جثة الملك محنطة مصبرة فى دهليز المقبرة ثم بحثوا عن جميع مافعـله من خير أوشر بحضرة الالوف المؤلفة من الناس على اختلاف درجاتهم وأخذ كل يعدد محاسن الملك ومساويه ويذكر ماحسن من سيرته وماقبح ثم يطلب حكم الجهور فان حكم بدفنه دفن بهذا الاحترام على مقتضى مقامـه الملوكى والاحرم وجرد عما يجب له من واجب التعظيم

ولم يكن للاهالى ولالعامة الناس قط تداخل مع الملك فى حكم البلاد الافى هذا الامر ومع أن هـذه المداخـلة ليست الابالامر الهين لاسيما بعـد الموت قد كانت نتيجتها من أهم النتائج وأكبرها وأشـدها تأثيرا على بيت الملك وقـد حرم من الدفن كثير من الفراعنة لقبح سيرتهم فخاف خلفاؤهم العاقبة وأجهدوا النفس فى اصلاح العمل وسلوك مسالك العدل فرارا من هول هذا العقاب وكان المصريون فيما عداهـذه الحالة يخدمون ملوكهم ويقدمون لهم واجب الطاعة بقدر الاستطاعة حتى كانوا يعبدونهم كعبادتهم الآلهة اذ كانوا يعتقدون ان من قدرله فى عالم الغيب منصب الملوكية ووفق للعدل بين صنوف الرعية فهو بشر فى مظهر الالوهية

وكانت ملوك المصريين تختار من بين أمناء الدين والكهنة فى محفل من المبعوثين من كل إقليم نوابا وعليهم فى المداولات الاعتماد فكانوا يجتمعون فى البرية التى بين ميت رهينة والفيوم فتشكل منهم جمعية عمومية تنعقد فى الحوادث المهمة كالصلح والحرب وتجديد التراتيب وتغيير الدولة عند خلو المنصب الملوكى وغير ذلك من الامور الخطيرة * ولم يكن من شأن الملوك يومئذ مباشرة دعاوى الخلق ولا الحكم بأنفسهم فى الوقائع بل كانت المحاكم محلا للاقضية والاحكام فكان القضاة والحكام يخرجون من مدينة منف وعين شمس بالاقاليم البحرية ومدينة ابو بالاقاليم القبلية وكانت كل مدينة من هذه المدن ترسل عشرة من القضاة لاجراء الاحكام فيجتمع من المدن الثلاث ثلاثون قاضيا لمجلس القضاء وكان للقضاة الثلاثين المذكورين الحق فى نصب قاض منهم رئيسا عليهم وبعد نصبه يكملون عدة الثلاثين من مدينة القضاة العشرة الذين اختير منهم ذلك الواحد * وكانت نفقاتهم من خزينة الحكومة ومرتبات رئيسهم من بيت المال * وكانت لاتقام الدعاوى فى مجلس القضاء الا بالكتابة ولايسمع التداعى أو التخاصم بالمشافهة والمخاطبة مخافة ان تنجذب قلوب القضاة من سماع كلام أحد الخصمين وتستميل قلوبهم فصاحته أو عذوبة ألفاظه اذربما ترتب على ذلك الانحراف فى الاحكام فلذلك كان يكتب المدعى شكواه أولا ويبين مقدار مايلتمس الاعتياض به فى نظير ماخسره أو ماحصل له من الاساءة فيعطى للمدعى عليه صورة ما كتبه خصمه ليعلم ماقاله فيرى كلام خصمه ويناقضه بماشاء ثم يجوز أن يعطى جواب المدعى عليه للمدعى عساه أن يجيب عنه وكذلك يجوز أن يعطى للمدعى عليه بعد ذلك فاذا فرغت المناقشات وجب على مجلس القضاة بعد البحث فى القضية أن يحكم فيها بما يظهر له فيكتب الحكم أيضا ويختمه رئيس القضاة على وجه عجيب وذلك ان الرئيس له سلسلة من ذهب معلق فى عنقه فيه صورة من الجوهر عليها تمثال الحق فعند افتتاح المذاكرة لابد من تعليق الصورة فى عنقه فاذا صدر الحكم من المجلس صدق عليه الرئيس بختمه بصورة الحق ووجهها صوب أحد الخصمين الحاضرين بالمجلس حين الختم علامة على انه ظهر له الحق فعمل به وأنفذه وبقيت الحال على ذلك الى زمن البطالسة أيضا * وقد عثر أهل العلوم الاثرية على شقة من البردى وهى موجودة بمتحف مدينة تورينو من أعمال ايطاليا مكتوب عليها باللغة اليونانية ملخص دعوى نظرت بالمحكمة الكبرى بمدينة طيبة وكانت بين أحد المصريين وأحد اليونانيين وتعريب مافيها * تقدمت هذه الدعوى الى محكمة طيبة عاصمة المملكة المشمولة برئاسة «هيركليد» حكمدار الخفر السلطانى وحاكم قسم الضواحى ورئيس جباة الاموال بالقسم ومعه كل من «بوليمون هركليد» الجباز و «ابونيوس هرموجين» صديق الملك بعينه و «بانكرات» ضابط من الدرجة الثانية و «بانسكوس» من أهالى مصر الخ قضاة بالمحكمة المذكورة

(الموضوع)

(الموضوع)

انه فى الثانى والعشرين من شهر اتير يعنى (هاتور) سنة أربع وعشرين من حكم بطلميوس أويرجيطه أى (الرحيم) طلب (هرماس) بن بطلميوس حكمدار نقطة امبو الحربية خصمه المدعو (هوروس) بن (أرسيازى) المصرى ومعه فلان * وفلان * الخ الجميع صناعتهم مباشرة تحنيط الاموات للحضور امام هذه المحكمة لان المذكور اغتصب منزله الكائن بمدينة طيبة المحدود من بحرى * الخ * وبعد ماسكنه فى غيبته وأخذ يباشر صنعته به وأبى الخروج منه وان (هرماس) المدعى طلب المدعى عليه وهو (هوروس) جملة مرات للحضور امام المحاكم الاخرى لاجل حصوله على حقه لم يفد ذلك شيأ وان المدعى عليه كان يستعمل المراوغة والحيل كما ان المدعى كان مجبورا على عدم مباشرة الدعوى لاقامتها بمحل وظيفته الى ان نظرت أخيرا بهذه المحكمة للحكم فيها نهائيا

قال الراوى لهذه الحكاية أما وجه التمليك للمنزل فمذكور فى عمودين ونصف من الورقة المشار اليها * وذكر بعد ذلك أقوال المحامين عن الخصمين وهما (فيلوكليس) النائب عن المدعى و (دنسيون) النائب عن المدعى عليه * قال وملخص ذلك * ان كل واحد منهما كان يبرهن بالاوراق والحجج والعقود والتواريخ المثبتة لصحة تمليكه المنزل متمسكا بنصوص بنود القانون العامى والمدنى وأخذ (فيلوكليس) يزدرى بجمعية المحنطين للاموات مستظهرا بالقوانين والاوامر السلطانية الصريحة المانعة لمباشرة هذه الصنعة بقرب المساجد أما (دينون) فكان يدافع عن جمعية المحنطين ويذكر حالتها الطبيعية وشدة الحاجة اليها وأنها بمكان عظيم فى الهيئة الاجتماعية وشرح نصوصها القانونية وبالغ فى الشرح والتعبير وفند مدعيات خصمه وشدد النكير على (فيلوكليس) اليونانى لانتهاكه حرمة القواعد المقدسة المرعية عند جميع المحاكم على اختلاف درجاتها * وكان فى خلال هذا الدفاع يقول ان موكله يمتلك تلك الدار من أعوام كثيرة وجعل يعددها ثم عطف فى أثناء المرافعة على بعض مواضيع أثنى فيها على حسن الادارة وعلى الكثير من القضاة وما لهم من شرف الوظيفة وعلى الترتيبات النظامية الجارية بالقطر المصرى وذكر أحوالا أخرى لاتخلو عن الفائدة التاريخية * قال الراوى ثم صدر الحكم فى العمود التاسع من الورقة المذكورة برفض دعوى المدعى اليونانى واحقية (هوروس) المصرى بتلك الدار لثبوت وضع يده اهـ * قلت وطريقة هذه المرافعة لاتختلف فى شئ عما هو جار بالمحاكم الآن فرحم الله تلك الايام ماأعدلها

(فصل)

(فى كيفية الحدود والعقوبات عندهم)

كانت للمصريين أحكام غريبة دونت فى كتب شرائعهم وذلك كعقاب الحانث فى يمينه بقتله * قالوا * وسر ذلك ان الحانث يرتكب كبيرتين أولاهما كونه حلف كاذبا وخان معبوده بسبب حلفه به كذبا وثانيتهما لانه غش الناس وخدعهم بيمينه الفاجرة ليصدقوه فأوقعهم فى تصديق الكذب *ومن أحكامهم ان من رأى فى طريقه من يقتل انسانا أو يصول عليه ولم يغثه من القتل أو الصيال مع قدرته على ذلك فجزاؤه القتل فاذا كان لايقدر على اغاثته بنفسه وانما يتمكن من طلب الاغاثة بغيره وجب عليه أن يطلب اغاثته من القادر عليها فاذا قصر فى ذلك قتل أيضا وكذلك اذا علم أحد بقتل آخر وجب عليه التبليغ لاولى الامر فان لم يفعل فجزاؤه القتل * قالوا * لان وجوده كعدمه * ومنها ان الخائن الذى يبلغ الاعداء أسرار الحكومة ويطلعهم على عوراتها جزاؤه قطع لسانه وكذلك من يصطنع النقود الزيف أو يطفف المكاييل والموازين أو يزور فى الاختام والمكاتيب والحجج فجزاؤه قطع يده

قلت ولعل قول الراوى (وكذلك من يصطنع النقود الزيف الخ) فيه زيادة عن الاصل حيث اجتمعت كلمة أهل التاريخ على ان النقود لم تستعمل بديار مصر الا فى أيام الدولة السابعة والعشرين الفارسية ويدل على صحة ذلك ماقاله هرودوتس المؤرخ من ان دارا بن (هستاسب) هو أول من ضرب نقود الذهب وبالغ فى تصفيتها وان دارا المذكور حكم بالقتل (على ارياندیس) عامله بمصر حين علم بأنه ضرب نقودا من الفضة اهـ

قال أهل التاريخ وقد كانت النقود المتداولة قبل دارا المذكور اصطلاحية على أشكال مختلفة كالضفادع والحلقات والثيران والعجول الصغيرة المصوغة من الذهب والفضة والمعادن الاخرى مرقوما عليها قيمتها ووزنها وعيارها فكانوا يقومون بها السلع والبضائع ويقال هذا يعادل حلقتين من الذهب أومن الفضة وهذا بثلاث ضفادع أو أربعة ثيران مثلا وكانت جزية الامم الخاضعة لمصر كلها من حلقات الذهب أو الفضة تقبضها منهم بالوزن

وكانت الاحكام على النساء أيضا غاية فى الشدّة وبالنسبة لهن كذلك فان من ثبت عليه أنه اغتصب امرأة حرة غير رقيقة بالزنا فجزاؤه قطع آلته قالوا لان فى هذا الذنب ثلاث كبائر الاولى التعدى على امرأة بهتك عرضها الثانية السعى خلف إفساد الاخلاق السليمة والعوائد فى الهيئة الاجتماعية الثالثة مايترتب على ذلك من اختلاط الانساب فاذا زنى بها برضاها فجزاؤه جلده ألف جلدة وجزاء المرأة قطع أنفها لتشويه خلقتها حتى ينقطع ميل الرجال اليها ولا ينفذ الحكم على الحبالى منهن الا بعد الوضع ومن أحكامهم ان الدين

المدعى به لايثبت على المدين اذا حلف على رؤس الاشهاد ان ذمته بريئة من ذلك الدين وان الدائن لايستحق فى ذمته شيأ ووجه ذلك ان اليمين أقوى مالم يثبت الدائن عليه دينه بسندات ومن أحكامهم أيضا ان الربح عندهم فى أى شئ كان فى البيع والشراء لايتجاوز رأس المال والا عدّ من الغبن الفاحش وان من كان عليه دين فأملاكه كافلة لذلك الدين وضامنة له وأما ذات المدين يعنى شخصه فليس لمدينه عليه ولاية قالوا وسر ذلك ان ذات المدين مملوكة للهيئة الحاكمة بحيث تطلبها فى كل وقت وفى كل حال سواء كان ذلك فى زمن الصلح أو زمن الحرب فلذلك كان لايجوز القبض على أحد من الاهالى ولاحبسه فى الامور الخصوصية كالدين ونحوه ويحكم بقطع عين مطفف الكيل والميزان ومقلد ختم السلطان أو ختم أحد الناس ومزور الخطوط ومغير مواضيع الدعاوى الرسمية * ويحكم بالعذاب ثم بالحرق ومن قتل أحد أبويه عمدا أحرق حيا ومن قتل ابنه أو ابنته يحكم عليه بأن يعانق جثة المقتول ثلاثة أيام بلياليها قال هيرودتس وبقى الحكم بالقتل معمولا به الى عهد الملك سباقون الجبشى أحد ملوك العائلة الخامسة والعشرين فأبطله واستبدله بالاشغال الشاقة فى حفر الترع واقامة الجسور ونحو ذلك من المنافع العمومية قال ومن مآثر الملك ((مايس)) أحد ملوك العائلة السادسة والعشرين انه فرض على كل مصرى أن يثبت اسمه بالكتابة فى آخر كل سنة بمحكمة الجهة الداخل فى دائرة اختصاصها ويبين مهنته ووسائل معيشته وتكسبه فان لم يفعل ذلك أوظهر انه يأكل من طريق الحرام والسحت حكم عليه بالقتل

(فصـــــل)

((فى تمدن المصريين وفى صنائعهم وعقائدهم وبعض عوائدهم))

اعلم أن دلائل الآثار وما جاء به التاريخ المصرى القديم والحديث أثبت ما كان عليه أجدادنا المصريون من المعارف وما وصلوا اليه من درجات المدنية وما حازوه من الفنون العقلية والفلسفية والطبية والكيماوية وكيف تقدّموا وبرعوا ونالوا الاسبقية فى علم الهيئة والنجوم والهندسة لاسيما فن الطب الذى اتقنوه اتقانا غريبا جدّا اذ كان الطبيب عندهم لايتفرغ الا لمعالجة مرض واحد من الامراض فيتقنه غاية الاتقان قال بعض الكتاب وقد وجد كتاب محرر فى فن الطب من عهد الملك ((خوفو)) وكتابان آخران أحدهما من عصر الملك ((منكورع)) كله تذاكر طبية وثانيهما كان قد وجد فى عصر الملك ((سيتى)) فتممه الملك ((سندا)) ثم نقلت هذه النسخ فى مدة العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ولنفاستها تداولتها مدارسهم وحفظت فى مكتبة ((امحت)) التى بقيت الى عهد اليونان وكان حكماء اليونان يستنبطون منها العلاج قال هيرودوتس المؤرخ وكان قدماء

المصريين يعتنون بصحة أجسامهم زيادة عن غيرهم من الناس فكانوا كل شهر وثلاثة أيام يتعاطون مقيئات وشربا لتنظيف أجوافهم لانهم كانوا يعتقدون ان أمراض الانسان تنشأ عن المأكولات* قال وإن الطب كان مقسما عندهم الى أقسام متباينة بمعنى ان كل طبيب كان يشتغل بنوع مخصوص من الامراض ولهذا كان حكماؤهم كثيرين اه

وقد برعوا فى عمليات التصبير ووصلوا فيه الى درجة لم يتأت لاحد من بعدهم الوصول اليها ومع ذلك فقد كانوا لايميلون الى البحث فى علم التشريح ولا التفنن فيه لاعتقادهم ان الجسم إذاشرح يكون مشوه الخلقة عند بعثه ولذا كانوا يبغضون كل من كان سببا فى تشريح جثة موتاهم حتى ان المصبر الذى كان من وظيفته عمل الفتحات اللازمة لعملية التحنيط كان عرضة للعن والكراهة وكان اذا عمل الفتحات المذكورة فى الجثة خرج مسرعا فيلحقه الحاضرون ويرجونه بالحجارة وكان الاطباء لهذا السبب يعالجون المرضى حسبما كانت تقضى به الشريعة عندهم فان خالفوا ذلك أخطؤا وخاطروا بأنفسهم واذا مات المريض حال معالجته حكم على طبيبه بحكم القتل* وقد ورد فى الرسالة القديمة المحفوظة بخزانة التحف ببرلين عدة مسائل مهمة تتعلق بحياة الجسم الانسانى عندهم وتعريب بعض مافى تلك الرسالة

ان للرأس اثنين وثلاثين وعاء توصل النفس الى داخله ثم يسرى منه هذا النفس الى جميع أعضاء الجسم ويوجد أيضا فى الصدر وعاآن يوصلان الحرارة الى الشرج ووعاآن فى القمحدوة واثنان فى قة الرأس واثنان فى القفا واثنان فى الاجفان واثنان فى الاذن اليمنى ومثلهما فى اليسرى لحصول التنفس واثنان فى الخياشيم اه والنفس هو مايتنشقه الانسان من الاهوية فيدخل فى الاوردة والشرايين ويمتزج بجميع الدم الذى به حركة الانسان وعند موته ينقطع النفس بخروج الروح وتبطل حركة الدم فيموت الانسان* وذكر أيضا فى الرسائل الطبية القديمة أسماء بعض الامراض كالرمد والدوالى والقرح والحمرة والديدان والصرع ونحو ذلك وفيها أيضا باب مخصوص لبعض معالجات نافعة للحمل والولادة وورد فى رسالة قديمة محفوظة بانتكخانة برلين بعض علامات لتشخيص الامراض التى هى أهم كل شئ للحكيم من ذلك تشخيص نوع من الالتهاب تعريبه

أن يحس الانسان بألم فى البطن وبضعف فى الابهر وبالتهاب فى القلب ويشتد ضرب النبض وتثقل الملابس عليه بحيث لايدفئه كثيرها وتلتهب بطنه عند قضاء الحاجة ويشتد ظموءه فى الليل ويتغير معه طعم المأكل فيكون كرجل أكل جميزا ويخدل جسمه كما يخدل جسم الانسان المريض اه وعلاج ذلك منصوص فيها على أربعة أنواع إما أن يعالج بالمراهم أو باللبخ أو بالجرع أو بالحقن حسب الطباع فمن هذه الاربعة مايتركب من خمسين نوعا منها ماهو من النباتات والاشجار كالعوسج والذرة ومنها ماهو من المواد المعدنية مثل كبريتات النحاس والملح وملح البارود اه وكان بعض علماء الطب يدخلون فى تركيب المراهم المزيلة للالتهاب اللحم والقلب والكبد والمرارة والدم السائل والجاف لبعض الحيوانات لاسيما الشعر

وقرن الايل فكانوا كثيرامايستعملونهما فى تركيب بعض المراهم النافعة لمعالجة الالتهاب وكانت أجزاء كل دواء تسحق على حدتها ثم تغلى وتصفى بخرقة وتمزج بعد ذلك بالماء القراح النقى أو بسوائل كغلى الشعير ولبن البقر والمعزوزيت الزيتون النقى وغير ذلك كبول الانسان والحيوان ثم تحلى بالعسل ويتعاطى منها المريض وهى ساخنة فى الصباح والمساء * اما الصرع المعروف عند العوام بالعفريت فكانت معالجته على نوعين اما بالرقية أو بالطب والاولى عبارة عن عزائم كانوا يقرؤنها على المريض فيخرج منه الصرع وسنذكر هنا نص العزيمة المكتوبة فى الرسالة المحفوظة بالانتكخانة الانكليزية بمدينة الليد وتعريبها

((أيها الجنى الساكن فى فلان بن فلان المسمى أبولك بضراب الرؤس قد محى ولعن اسمك الى الابد لانه جالب للموت اه وتكرر هذه المقالة أربع مرات فان كانت هذه العزيمة لاتزيل الصرع أتى الطبيب بعزيمة أخرى لازالته فاذا زال من المريض اجتهد الطبيب فى معالجة الجسم بالادوية لدفع ماحصل للمريض من الهزال بذلك الصرع وبهذا تعلم ان الرقية اشتهرت عند قدماء المصريين بازالة المرض الخفى كما ان الطب اشتهر عندهم أيضا بازالة المرض الظاهرى

وكانت درجة العلوم عندهم عظيمة جدا وذات أهمية كبرى قال لبسيوس وجدت نقوشا قديمة على جدار مقبرة من مقابر قدماء المصريين بجوار اهرام الجيزة مضمونها أن صاحب هذه المقبرة كان ناظرا على الكتبخانة الملوكية فى مبدا العائلة الثانية اه وماذاك الالعنايتهم الكثيرة بكتب العلوم حتى جعلوا لها خزانة وناظرا قال بعضهم ومن هذه الكتب ما كان محررا فى مدة العائلات الثلاث الاول ومنها ما كان مؤلفا فى عهد الملك ((منا)) ومنها ما كان قبله مما يتعلق بالديانات خاصة ومايتعلق بالهندسة والطب وعلم الفلك وعلم التاريخ المشتمل على قصص الملوك وما حصل فى مدتهم من الوقائع والحوادث المهمة وعلى مدة كل ملك وتاريخ حياته وكان فى الخزانة المذكورة كتب فلسفية وأدب و بعض كتب خرافات وغير ذلك ولم يتيسر للناس من ذلك الا شئ قليل من علم الفلسفة والتاريخ

وكان مااستكشفوه من علم الفلك كما رواه العلامة لبسيوس عبارة عن بعض النجوم السيارة التى هى المشترى والمريخ وزحل والزهرة وعطارد وبعض نجوم ثوابت قال دهروجة وكانوا يشبهون الارض بالكواكب ويقولون انها تنتقل كالمريخ والمشترى وذهب شاباس الى ان الشمس مركز الجميع وأنها تسير سيرا عوميا وتسبح فى السماء مع النجوم السيارة وان السماء لجة ماء تحيط بالارض من جميع جهاتها وتركز على الجو فهو لها كالاساس المتين كما جاء ذلك أيضا فى ورقة برلين الاثرية ويدل على ذلك أيضا مايشاهد على الآثار من رسم السماء على هيئة الماء وفيها تسبح الكواكب والنجوم على اشكال بشرية وحيوانية كل منها فى سفينة خلف الشمس وتشاهد فيها أيضا النجوم الثوابت على هيئة مصابيح منتشرة فى القبة السماوية وكان القدرة الالهية توقدها كل مساء لتضىء الارض أثناء الليل

وجعلوا فى مبدا هذه الهيئة النجوم التى كانوا يعبدونها وغيرها مما لايمكن مقارنة أسمائها القديمة بالاسماء الحالية كما تشاهد مرسومة فى الرصدخانات القديمة الموجودة بدندرة وصان ومنف والمطرية

وكانوا يهتمون كل سنة بعمل تقاويم سنوية يبينون فيها ظهور وغروب الكواكب ولم تزل آثارها باقية وأشهر هذه الكواكب الشعرى اليمانية حيث كان ظهورها علامة على مبدا فيضان النيل وعلى رأس السنة المصرية ولذا اتخذوها أساسا للتقويم قالوا وكيفية تقويمهم انهم قسموا السنة الى اثنى عشر شهرا كالجارى عند القبط الى الآن وقسموا الشهور الى ثلاثين يوما فتكون السنة ثلثمائة وستين يوما ثم قسموا هذه الشهور الى ثلاثة فصول كل فصل منها أربعة شهور فالاول فصل فيضان النيل والثانى فصل التخضير والثالث فصل الحصيد ثم قسموا أيضا كل شهر الى ثلاثة أقسام وجعلوا كل قسم عشرة أيام وقسموا الليل والنهار الى اثنتى عشرة ساعة وعلى هذا الحساب زادت سنتهم خمسة أيام وربعا فنشأ عن ذلك عدم موافقة الفصول لمنازل القمر فاضطروا الى رصد الشمس ثانيا واستقر رأيهم على اضافة خمسة أيام لكل سنة سموها بأيام النسىء ومع ذلك لايزال يرى فرق بين السنة البسيطة والكبيسة لان عدد السنة البسيطة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وعدد الكبيسة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فصارت السنة الكبيسة تزيد كل أربع سنين يوما واحدا سماه الكهنة بيوم الشعرى اليمانية وكانوا يجعلون لها مواسم وأعيادا فى معبد (شنسوحور) بمدينة منف وأما علم الرياضة فلم يهتد الى شئ من كتبه وانما دل بناء الاهرام الشامخة وتشييد العمارات المتسعة والمقابر المتقنة على ان فن الهندسة كان متقدما جدا وان المصريين كانوا يعرفون مقاييس الاجسام وجر الاثقال حتى أمكن المهندسين منهم ان يبتنوا تلك الاهرام الجسيمة والبرابى العظيمة الموجودة بسقارة وغيرها على شكل غريب وصنع عجيب وقد وجدت بعد بناء الاهرام بألفى سنة رسالة فى الهندسة أظهرت حقيقة ما كان عليه هذا الفن فى عصر العائلة التاسعة عشرة

وكانت لهم اليد الطولى فى صناعة الذهب والفضة وإعمال أشكال الحلى النفيسة وهم الذين اخترعوا آلات الحرث وصنعوا الزجاج بألوان مختلفة وكان لهم اتصال مع بلاد الهند والصين بواسطة بلاد العرب فكانوا يرسلون الى تلك الجهات ماراج عندهم من الحبوب والمواشى والفخار والزجاج ويستبدلونها بالعطر والبهار والياقوت وغير ذلك من النفائس والاصناف العزيزة عندهم

ومن عوائدهم أنه اذا أراد انسان اقتراض مبلغ من المال يجوز له ان يقترض ويرهن فى نظير ذلك أى فى نظير دينه جثة أبيه المدفونة فيكون قبر أبى المدين تحت يد الدائن الى وقت استحقاق الدين فاذا لم يوف المدين دينه ومات حرم من دفنه فى مقابر والديه وتحرم أولاده أيضا مالم يوفوا دين والدهم

ومن عوائدهم ان الولائم التى يتخـذها الاغنياء يحضرون فيها بعد الطعام فى غير المكان المعدّله نعشا مرسوما عليه صورة من الخشب جيدة الصنعة على هيئة جثة الميت ينظر اليها جميع الندماء عند الشراب والطعام ويفرج بعضهم بعضا عليها بالمناوبة فيقول بعضهم للبعض انظر الى هـذه الجثـة التى سنكون مثلها بعـد الموت فاشربوا ياهؤلاء هنيأ وتمتعوا بدنيا كم قليلا

ومن عوائدهم احترام الفتيان للشيوخ فاذا قابل الفتى شيخا فى طريقه تأخر عنـه فى السير واذا قدم شيخ على مجلس فيه فتيان قاموا اجـلالا لشيخوخته واذا تقابل المصرى مع اخوانه فى موضع ولزم التسليم على من لقيـه انحنى للآخر وجثا على ركبتيـه وقبل كل منهما يد صاحبه

ومن عوائدهم انهم كانوا لايجالسون الاجانب ولايأكلون معهم شيأ ويبغضونهم بغضا شـديدا وكانوا اذا مات أحـد أشرافهم مرغ نساء بيته وأولات قرباه الوجوه بالوحل وقرعن صـدورهن وطفن بالمدينـة صارخات باكيات قلت وهـذه العادة باقيـة كما هى الى يومنا هـذا * وهكذا يفعل الرجال أيضا ثم يأتون بالجثـة الى المحنطين وبعد التحنيط ينعقد مجلس القضاء على الميت فيأتون بالجثة امام عرش القضاة فان كان الميت من أهل الصـلاح والتقوى ووجد من شهد بذلك صدر الحكم بدفنه مكرما وان كان ذميما دفن على خلاف اللائق ولو كان من أعظم الاشراف أوملكا من الملوك وقـد تقدّم الكلام على ذلك فى محله

وكانوا اذا حنطوا الجثة أخرجوا دماغ القحف من المنخرين وأخرجوا الامعاء الا القلب والكليتين من ثقب فى الخاصرة ثم يغسلونها بخمر النخل ويردونها الى أجوافها ويملؤن الرأس وأجواف الامعاء بالمر والقرفة وكل نوع من الأطياب والعطور ويدهنون الجسد بالزيوت العطرية مدة ثلاثين يوما ثم يوضع فى ماء النطرون مدة أربعين يوما ثم يلف بلفائف مغموسة بالمرمدهونة من الخارج بماء الصمغ للوقاية من الهواء ثم يوضع فى تابوت من الخشب أو الحجر ويسلم لاهله فاما ان يبقوه فى بيوتهم واما أن يدفنوه وكان أجدادنا يلبسون الثياب من الكتان ولها طراز وفوقها برانس من الصوف الابيض ولكنهم كانوا لايلبسون تلك البرانس فى المعابد والهيا كل ولا يكفنون بها موتاهـم بل يقتصرون على الملابس الكتان لان ديانتهم كانت تحرم عليهـم ذلك

ومع انهم كانوا كثيرى الآلهة والمعبودات فقد كانوا أمـة موحدة تعرف الله سبحانه وتعالى وتعبده حق عبادته كما يؤخذ من كلام (بورفير) المؤرخ وغيره من المتأخرين وقال هيرودوتس ان أهل طيبة كانوا لايعبـدون الاالله وكانوا يقولون انه هو الاول والآخر الحى الابدى الذى لايزول ولايحول وروى (جامبليك) أنه سمع باذنيه من كهنة المصريين أنفسهم أنهم يعبدون إلها واحدا وهو خالق السموات والارض رب كل شئ المالك لكل شئ والخالق لكل شئ الازلى الذى لاموجـد له المنزه عن المباضـعة الذى لا تراه العيون يعـلم ماتكن السرائر

وتخفيه الصدور وهو الفعال لما يريد الموجد لكل شئ والموجود فى كل شئ قال أما ماتراه من كثرة المعبودات وتعدد الالهة فكلها رمز يرجع الى وحدانيته وذاته العلية قال المؤرخ ﴿ شمبليون ﴾ وقد استنتجنا مما هو منقوش على الآثار صحة ماروواه المؤرخ ﴿ جامبليك ﴾ وماذكره غيره من المتأخرين من أن الامة المصرية كانت أمة موحدة فى عباداتها الله سبحانه وتعالى غير أنهم كانوا يظهرون صفاته العلية مشخصة فى بعض المحسوسات وأنهم لما تغلغلوا فى سبل التوحيد وقطعوا آخر مرحلة علموا أن الروح أبدية واعتقدوا بصحة الحساب والعقاب قال وعندى أنه لايعتد بما قاله بعض أهل التاريخ من الاغراب الذين تطفلوا على محافل المصريين فنقلوا من أخبار عباداتهم ومعبوداتهم كلاما اكتفوا فى نقله بالظاهر دون الحقيقة لجهلهم بعادات المصريين ولغتهم ومبلغ علمهم بالديانة الصحيحة

ومن المقرر على ماروواه بعض المحققين أن موسى النبى عليه السلام لما أخذته ابنة فرعون أبقته فى دار أبيها حتى ترعرع ثم أدخلته احدى مدارس الكهنة ويغلب أنها مدرسة عين شمس فتعلم الحكمة وتخرج على كبار كهنة المصريين وتعلم منهم اسم الله المكنون الذى كانوا يصونونه عن غيرهم من العامة ولذلك قال بعض الكتاب ان لفظة ﴿ أدوناى ﴾ العبرانية التى قالها موسى عليه السلام ومعناها ﴿ الله ﴾ هى مشتقة من لفظة ﴿ ادن ﴾ أو ﴿ آتن ﴾ المصرية ومعناها عند عامة المصريين الشمس وأما عند الكهنة والخواص فعناها ﴿ الله القادر ﴾ قالوا وقد وجد على بعض الاوراق مايدل على أنهم موحدون من ذلك ان الله واحد لاشريك له وهو خالق كل شئ * ومنها الله فرد أزلى كان قبل كل شئ ويبقى بعد كل شئ لابداية له ولانهاية وقس على هذه العبارة ماماثلها

وقال العلامة سيرو نقلا عن بعض المحققين من أهل التاريخ إن من يتأمل فيما بقى من الآثار القديمة بديار مصر وينظر الى ماهو منقوش على اللوحات الدينية الموجودة بالهياكل وما هو مسطور أيضا على البردى هالته كثرة تلك الآلهة المصورة عليها وأدهشه أمرها جدا لان الانسان لايقع نظره الاعلى صور تماثيل مختلفة الهياكل والاشكال قد طأطأت لها رؤس كبار ملوكهم وأحبار كهنتهم فيخيل له أن ديار مصر انما كانت مأهولة بهذه الآلهة وان المصريين انما خلقوا لعبادتها وقد كان السبب فى ذلك أن المصريين أمة مخلصة فى العبادة إما بالفطرة وإما بالاكتساب فكانوا يرون ان الله تعالى فى كل مكان فهامت لذلك قلوبهم فى محبته واشتغلت أفكارهم به ولهجت ألسنتهم بذكره وملؤا كتبهم بمحاسن أفعاله وكانوا يقولون انه واحد لاشريك له كامل فى ذاته وأفعاله موصوف بالعلم والفهم لاتحيط به الظنون ولا يدخل تحت التكييف والكم قائم بالوحدانية فى ذاته لاتغيره الازمان فهو الذى ملأت قدرته جميع العوالم وهو الاصل والفرع لكل شئ وكلاهما واحد ثم عددوا صفاته العلية وميزوها بالاسماء واشتقوا منها نعوتا شخصوها فى المحسوسات وفى كل شئ نافع وجميعها يرجع اليه ولاجل التمييز بينها جعلوا لكل اسم تمثالا فانتشرت هى وما اشتق منها حتى ملأت المدن

والبلاد

والبلاد فجعلوا لكل ناحية معبودات وميزوها بها لعدم الالتباس فنشأ من ذلك جملة معبودات متباينة فى الشكل مختلفة فى الهيئة منها الحيوان والطير والاسماك والحشرات وجعلوا لكل واحدة وظيفة خاصة ترجع الى صفاته قال من ذلك معبودهم ﴿ أمون ﴾ وهذا عندهم هو الله الذى ينبعث منه كل شئ ويعطى للعقل نور القوة لادراك الخفايا ومنها ﴿ بتاح ﴾ وهو فى معتقدهم الذى أتقن كل شئ ومنها ﴿ أوزيريس ﴾ وهو الله الرحيم فاعل الخير * وعلى ذلك يكون ﴿ أمون ﴾ و﴿ بتاح ﴾ ﴿ وأوزيريس ﴾ أسماء لصفات مترادفة ترجع اليه تعالى اه

قال بركش باشا وقد حصروا صفات الله تعالى العلية فى سائر الاشياء النافعة كالثور والشمس مثلا وغيرهما وعبدوه أى عبدوا هذه المنفعة لانه مصدرها وأصلها وكانت الكهنة تعرف حقيقة ذلك جيدا ولاتقصد فى عبادتها الاوجه الله تعالى

أما العامة فقد كانوا على خلاف ذلك فانهم مع توالى الاعصار صاروا يعبدون تلك الاشياء لذاتها ولجهلهم بالحقيقة كانوا يتقربون اليها زلفى وفشت فيهم هذه الزندقة قال وقد دل على ذلك ماروا بعض أهل التاريخ عن بعض الاسفار المصرية القديمة المنسوبة الى هرمس الهرامسة يعنى هرمس المثلث ماصورته * يامصر يامصر يأتى عليك يوم يتغير فيه دينك القديم ويتبدل منهاجك القويم فتعم ربوعك الضلالات وتنبث فى أرجائك الخرافات وتحل عبادة الاوثان محل عبادة الواحد الديان وتطفئ نار الشرك والالحاد نور الهدى والرشاد وتنحصر أخبارك فى بعض أحجارك اه وقال ماريت باشا اتفقت كلمة الجم الغفير من متقدمى أهل التاريخ على ان المصريين كانوا يعبدون الله وحده ولكننا مع الأسف لم نجد لذلك شاهدا على الآثار حتى كنا ننزل قولهم منزلة اليقين اذ الشك فى قولهم هذا آخذ كل يوم فى الازدياد اه وكان لملوكهم عناية كبرى ببناء المساجد والهيا كل وبذل النفيس فى تزيينها بالنقوش الفاخرة والرسوم الظاهرة والالوان المختلفة وكانوا يقطعونها الاقطاعات الواسعة ويرصدون عليها الارصادات الكثيرة تقربا للآلهة وتخليدا لذكرهم وذكر أيام ملكهم وكانوا جميعا على اختلاف طبقاتهم شديدى العناية بتربية سائر أنواع الماشية والطيور اذ كان عليها مدار ثروتهم وخصوصا أرباب الزراعة منهم فكانوا يهتمون بشأنها ويحسنون تربيتها ويستخدمون لعلاجها الاطباء والبياطرة والخدم وكانوا يقيمون لكل نوع منها كالمعز والاوز والضأن رعاة مخصوصين ولكل طائفة من أولئك الرعاة رئيس مسؤل عنها وكانوا يبالغون فى حسن تربيتها لاسيما الثيران فان عنايتهم بها كانت أشد لكثير نظر التفاخرهم بنطاحها وتحسين نوعها وكان رئيس الرعاة هو المكلف بتمرينها على النطاح وكان من عادة أولئك الرعاة وكبارهم أنهم اذا جاؤا الى ساداتهم ليخاطبوهم فى أمر ما وقفوا امامهم بخضوع وخشوع وهم واضعون يدهم اليمنى على كتفهم الايسر علامة على الطاعة وكمال الامتثال أما يدهم اليسرى فرسلة تشير باحترام وكانت تربية هذه السوائم المختلفة فى الاقاليم البحرية أكثر منها فى الاقاليم القبلية لاتساع أرضهم

وكثرة الكلا عندهم * قال صاحب الاثر الجليل * وقد وجدت لوحة فى احدى المقابر بجوار الاهرام عليها رسم صورة صاحب القبر كأنه على قيد الحياة واقفا يتفقد أحوال ماشيته وهو متمنطق ومتقلد بشريط عريض ينزل من كتفه الايسر الى خاصرته اليمنى وبيده عكاز طويل وفوق رأسه راية من القماش المزدوج يحملها خادم ليقيه حر الشمس وبجواره بعض صغار ابناء آوى وفى عنقه قلادة أو عقد وامامه خدم أو رعاة تسوق أنواع الحيوانات وفوق كل فريق منها رقم واضح به كميته وفى مقدمة الجميع قطيع من الحمير يتقدمها جحش وعددها ثمانمائة وستون وعلى كتف الراعى عكاز عليه جلد حمار مات فى الغيط ليطلع سيده على صحة موته ثم يتلو ذلك قطيع من الغنم بقدر تسعمائة وأربعة وسبعين رأسا وخلفه راع يحمل فى يده سلة بها رأس حيوان بلا قرون يظهر من حالها انها رأس ذئب ثم يتلوه سرب من البقر وعدده ثمانمائة وأربعة وثلاثون ثورا ثم مائتان وعشرون مابين عجل وبقرة ثم يتبعه قطيع من المعز وعدده ألفان ومائتان وأربعة وثلاثون قال ووجد على حجر فى مقبرة أخرى لاحد أغنياء مصر الوسطى ان عدد حميره كان يبلغ ألفا وثلثمائة وأربعة وبقره ثمانمائة وثلاثين والغالب ان بقر الملك كان من أجود الانواع واكتشف بعضهم فى مقبرة لاحد وجوه مدينة منف صورة خدم وحشم يقدمون قربانا الى الميت (وهو سيدهم) من محصول أرضه ونتاج ماشيته مثل التمر والتين والعجول والاوز والغزال والفاكهة والازهار ومنهم من يقود ثيرانا عظيمة الجرم منها الابيض والاحمر والاسود وفى أعناقها قلائد بها زينة على شكل نبات البشنين ومنها اثنان من لونين مختلفين موسومان على فخذهما الايسر بسمتين مربعتين سوداوين مكتوب فى احداهما (المنزل الملوكى نمرة ٤٣) وفى الآخر (المنزل الملوكى نمرة ٨٦) قال الراوى وربما كان هذا الرقم يدل على عدد الثيران التى كانت من نوع كل ثور عليه هذه الوسمة اه

وكان من عادتهم انهم يرسمون رب العائلة واقفا متكئا على عصا طويلة علامة على الحكم والتصرف فى منزله وعائلته * وكانوا يحبون اللعب بالشطرنج والكرة والضامة والمصارعة وكانت المصارعة عندهم مفروضة على سائر الجنود من المشاة وأصحاب العربات وهى عندهم عبارة عن تمرينات ومنازلة مختلفة النوع والشكل فترى المصارعين منهم تارة فى هيئة الهجوم أو الدفاع وتارة فى هيئة الكر والفر يتناوبان ذلك بالدور والترتيب فينهزم المغلوب ثم يعود غالبا ويستعمل كل منهما ضروب المخاتلة والمراوغة وهما عاريان ليس على بدنهما الا منطقة عريضة تستر سوأتهما

وكانت تربية العساكر عندهم تستلزم الايام الطوال وكان يدخل فى تمريناتهم أيضا سائر القواد وكبار الجند فكانوا يتعلمون قواعد الحرب وأركانه وأسباب الهجوم والدفاع ومقارعة العدو وكان سائر أولاد العسكر يتعلمون كآبائهم ويتمرنون فى حداثة سنهم على الحركات

العسكرية والسبب فى ذلك انهم هم الوارثون لآبائهم القائمون بحماية الوطن من بعدهم وكان لايجوز لاى انسان منهم أن يشتغل بحرفة أخرى مادامت فيه قوة على حمل السلاح

وكانت الاسلحة المستعملة عندهم القسى والرماح والمزاريق والنشاب والحراب والحسام والخنجر والسيف والنصل والدبوس والشاطور والبالطة والسكين والدرق والزرد والدروع والمغفر وكان نظام معسكرهم لايختلف كثيرا عن النظام المتبع فى دول هذا الزمان فكان متقنا منظما مرتبا ترتيبا عسكريا وفيه مضارب الجند ومواقف العربات وبيوت المرضى والمرضين والاطباء ومحضرى العقاقير وأمرائهم والنقالات والاسرة وأصحاب الحملة ودواب النقل من الخيل والحمير والمكلفين بحمل جرار الماء وكانت جندهم تنقسم الى فيالق مسماة بأسماء معبوداتهم فكان منها فيلق ((بتاح)) وفيلق ((امون)) وفيلق ((ازوريس)) ونحو ذلك فاذا باشروا الحرب برا كأن يكون العدو قد جاءهم من طريق البر قاتل الملك فى وسط الجيش وهو على ظهر عربته كآحاد القواد وان باشروا الحرب بحرا اصطفت سفن المصريين امام سفن العدو بقرب الساحل فتجرى وتتحرك بواسطة الشراع والمجاذيف وتصطف عساكر الرماة على الساحل مددا للسفن ويرمى الجميع بالنبل والنشاب على سفن وشوانى العدو والملك واقف على قدميه فى وسط العساكر البرية يدبر حركة القتال ويقوى عزائم الجنود حتى يتم لهم الظفر بالعدو وربما اقتفوا أثره وحرقوا حصونه وقلاعه وهدموا أسوار مدنه أوعاقدوه على الهدنة أو الصلح وغير ذلك مما هو جار الآن على السواء ثم يعودون بعد النصر الى الوطن فيسيرون فرقا فرقا والملك فوق عربته يقود خيلها بنفسه وهى مطقمة بأجل زينة لها مجللة بأحسن مايكون والاسرى امامه وهم مكبلون بالحديد والضباط تحمل المظلات على رأسه فاذا دخل المدينة واقترب من المسجد ترجل ودخل وأثنى على معبوداته ثم يتوجه الى مقره ويعين يوما للتبريك فتأتى اليه الوفود من أرجاء المملكة فيجتمعون فى قصره ثم يخرج بهم الى المعبد وأمامهم أصحاب البوق والنفير والشبابة والطبول والمغنون والمرتلون ويتلوهم أهل الملك وأقاربه ثم الكهنة وكبار الدولة وعظماؤها ثم ولى عهد الملك ويمشى امام الملك وهو حامل للبخور ثم الملك فى هودجه المحلى بأنواع الزينة يحمله اثنا عشر ضابطا من كبار القواد وعلى رأس كل واحد ريشة من ريش النعام وتمشى أولاد الكهنة حول الهودج وهم حاملون قضيب الملك وقوسه وجميع سلاحه والشارات والرتب الملوكى ثم يتلوهم باقى الامراء والكهنة وكبار الجند وحول الجميع فرقة من المشاة تمشى على شكل حلقة لتمنع الناس من العبث بنظام المشهد فاذا دنا من المسجد ترجل فتقابله الكهنة على شكل مخصوص من التجلة والتكريم فيدخل ويتعبد ماشاء ثم يعود الى مقره فى موكبه كما حضر وكان لكل عائلة فى مثل هذه المحافل العمومية نظام وترتيب على ما يناسب الزمان والمكان

وقد اجتمعت كلمة بعض أصحاب التاريخ على أن الجيش المصرى لم يكن به عساكر من الفرسان وبنوا قولهم هذا على أنهم لم يعثروا على شئ من ذلك البتة لا فى الآثار ولا

فى اللوحات الحربية ومع أنهم كانوا من الفروسية ومعرفة ركوب الخيل بمكان عظيم لكنهم لم يدخلوا ذلك فى جيوشهم * قال صاحب الاثر الجليل والدليل على ذلك يعنى على معرفة المصريين للفروسية انه وجد فى كثير من النصوص الاثرية صورة فارس يركض جواده ونجاب يعدو مسرعا بفرسه وهو قابض على قراطيس من ورق أو مكاتيب ليسلمها فى محل لزومها ووجد أيضا صورة أجنبى يعدو بفرسه وهو بلا سرج فرارا من الموت اه وأيد هذا المذهب العلامة شمليون فيجاك حيث قال ماعلمنا انه كان لمصر فرسان وأن الغرض من الفرسان المذكورة فى التوراة هسم راكبو العربات لاراكبو الخيل وان التوراة ذكرت فى موضع آخر ان فرعون غرق فى البحر بخيله وعرباته وفرسانه أى المقاتلة الذين كانوا عليها قال ويؤيد صحة ماقلناه من خلو الجيش المصرى من الجند الفرسان كيفية تربية العساكر وتمرينها المنقوش على الآثار وجميعها مشاة ولم نر للفرسان فيها أثرا اه

وكانت الجندية عندهم معدودة فى الطبقة الثانية بعد الكهنة وكان الملك هو قائد قواد الجند وعليه تعيين الرؤساء لسائر الفرق من أولاده وأقاربه أو من أولاد ذوى البيوتات وأعاظم العائلات بشرط مراعاة الكفاءة والاهلية وكان الغزاة من ملوكهم الميالون الى الفتح يقودون الجيوش بأنفسهم الى حيث يطوحهم القتال وعليهم تدبيرها فى الحل والترحال وكان الملك منهم يقف فى ساحة الحرب على ظهر عربته كآحاد الجند وهو شاك سلاحه وحوله جند الحرس الخاص وكبار الضباط وهم يقذفون سهامهم على العدو ويضربون بأسلحتهم ما استطاعوا وقد شوهد على الآثار ان كثيرا من هؤلاء الملوك كان يقتنص الاسود وهى صغيرة ويربيها حتى تصير داجنة فكانوا يسيرونها امام عربة الملك عند الخروج للحرب فكانت تقاتل وتبلى فى العدو بلاء حسنا

(فصـــل)

(فى أعيادهم ومواسمهم)

وكان المصريون من ذوى البراعة فى علم التقويم ولهم أعياد ومواسم معدودة يقدمون فيها للآلهة من الذبائح والقرابين شيأ كثيرا * قال صاحب العقد الثمين وكانت مواسمهم منقسمة الى أربعة أقسام القسم الاول فى أعياد السنة وفيه ثلاثة أعياد العيد الاول عيد رأس السنة والثانى عيد السنة الكبيرة أى الكبيسة والثالث عيد السنة الصغيرة أى البسيطة * والقسم الثانى فى أعياد الشهور وفيه عيدان الاول عيد الحر الكبير وكان يعمل فى غرة أمشير الثانى عيد الحر الاصغر وكان يعمل فى غرة برمهات * والقسم الثالث فى أعياد الايام وفيه عشرة أعياد عيد غرة الشهر وثانيه ورابعه وخامسه وثامنه وخامس عشره وسابع عشره وتاسع عشريه وثلاثيه

من كل شهر وعيد أيام النسىء الخمسة * والقسم الرابع وفيه تسعة أعياد خصوصية * الاول عيد ظهور الشعرى اليمانية فى غرة توت * الثانى عيد (والئ) وكان يعمل فى السابع عشر والثامن عشر من كل شهر * الثالث عيد المعبود (تحوت) أى هرمس وكان يعمل فى التاسع عشر من توت * الرابع عيد السفر فى النيل * الخامس عيد أوّل زيادة النيل وهو الشهير الآن بموسم النقطة * السادس عيد السفينة (ثبت) السابع العيد الكبير * الثامن العيد الطيب وكان يعمل فوق الجبل * التاسع عيد (عماشع) أى عيد الرمل الكبير اهـ

قال هيرودوتس المؤرخ وكانت أعياد ومواسم المصريين تعمل فى مدن متفرقة بالبلاد البحرية والقبلية من مصر مثل مدينة بسطة وصا الحجر والمطرية (وبوتو) التى من آثارها الآن تلال موجودة فى ساحل البحر المالح مما يلى بحيرة البرلس ومدينة (بابريمس) التى لم يعلم الآن لها محل وكانت تلك المواسم والاعياد دينية وسياسية يحضرها الملك أو من ينوب عنه من عائلته والملكة وخلق كثير من الناس وأكبرها يعمل على رأس كل ثلاثين سنة مرة وكان لمن تقع هذه الاعياد فى زمنه من الفراعنة الفخر العظيم والصيت البعيد

قيل وكان يصدر من المصريين فى هذه الأعياد كثير من الفحش والفجور وكانت الاعياد المذكورة مرتبطة بأوقات الزراعة فى كل سنة وأوّل أعيادهم كان عند شروق كوكب الشعرى اليمانية فى أشعة الشمس وميقاته غرة توت وهو أول شهورهم وكانوا يذبحون فيه واحدة من السمان قربانا لمعبودتهم (ازيس) ويخرج الكاهن من معبد مدينة (أبو) فى هيا كل مقدسة محمولة على هوادج على أعناق جماعة من الكهنة يختلف عددهم من اثنى عشر الى ستة عشر بالنسبة الى ثقل الهيكل وهكذا فى باقى المواسم وبعد مضى أيام من هذا الشهر كان يعمل موسم (تحوت) الشهير (بهرمس) ولذلك كان يسمى هذا الشهر باسمه وكان من عوائدهم فى هذا الموسم أكل التين وشرب العسل ويقال بعد أكله (ماأحلى الحق)

ومن أعيادهم عيد كان يعمل فى السادس من بابه وهو عيد حمل (ازيس) بمولودها (هاربوخرات) يشيرون بذلك الى وضع بذور الزرع فى الارض بعد انحدار ماء النيل عنها وفى هذا الموسم كان يعمل طلسم فى عنق تمثال (ازيس) يسمونه (كلمة الحق) وفى الثامن عشر من هذا الشهر موسم (أمون رع) فى مدينة باريس وكان من عادتهم فيه أن الكاهن فى الليلة المتقدمة عليه يأخذ الهيكل أى هيكل قديسهم ويضعه فى برزخ مذهب بموضع مقدّس لهم قريب من المعبد وفى الغد يقربون القرابين وبعد الفراغ منها عند زوال الشمس يقوم بعض الكهنة عند الهيكل ويقف الباقون عند باب المعبد وبأيديهم العصىّ والمساوق لمنع دخول الهيكل فى المعبد فاذا جاء حاملو الهيكل وجدوا باب المعبد مقفلا فيقع بينهم وبين من به من الكهنة وغيرهم مضاربة وقتال

كبير ويجرح فيه كثير من الناس ويسيل دمهم ولا ينكفون عن القتال حتى يدخل الهيكل فى المعبد ويستقر فى مكانه وزعم الكهنة أنه لم يكن يحصل ضرر لاحد من تلك الجروح وكان المصريون يشيرون بهذه الاحوال الى أن «(حور)» بن «(ازيس)» أراد الدخول على أمه ليزنى بها فمنعه حراسها من مرامه بجمع أحبابه وأصحابه وقاتل حتى غلبهم ونال مرامه وسر ذلك هو أن حرارة الشمس المعبر عنها «(بازيس)» دخلت فى جوف الارض لتخصبها وفى الثامن والعشرين من هذا الشهر كانوا يعملون أيضا موسم عصا الشمس ويعنون بها تقدمها فى العمر ونقص حرارتها وضعف قوتها ولذلك جعلوها كأنها احتاجت الى عصا تتوكأ عليها ويعدون فى هذا الموسم موكبا تحمل فيه صورة عجلة صغيرة يطوفون بها حول المعبد سبع مرات اشارة الى أن «(ازيس)» تبحث عن جثة زوجها «(ازوريس)» بعد أن قتلته «(تيفون)» وهى الريح الجنوبية

وفى السابع والعشرين من هاتور كان يعمل فى المدن المعروفة الآن باسم بوصير عيد وقوع «(ازوريس)» فى قبضة «(تيفون)» عدوه والقاء الثانى الاول فى النهر ولذا كان هذا اليوم عندهم معدودا من أيام النحوس وفيه يكون ماء النيل قد انحسر عن أرض الزراعة وانحصر فى مجراه بين ضفتيه

وكانت مدة هذا الموسم أربعة أيام يدور فيها المصريون بثور قرونه مذهبة وعلى ظهره قطعة قماش من القطن أو الكتان مصبوغة باللون الاسود مشيرين بالثور الى «(ازيس)» وبقطعة القماش الى مصر لان لونها بعد انحسار النيل عنها يكون أسود وكانوا بعد هذا الموسم يظهرون الحزن والكدر لنقص النيل ولغلبة الرياح الجنوبية المكنى عنها «(بتيفون)» على الرياح الشمالية فى ذلك الوقت ولقصر النهار بطول الليل ولتجرد الارض عن الخضرة وكان الحزن فى هذا الموسم عموميا عند النساء والرجال لحزن «(ازيس)» على زوجها «(ازوريس)» وكانوا يكثرون فيه من الصلاة والصيام وتقريب القرابين من فحول البقر وكان من عادتهم أن لا يؤخذ من هذه القرابين بعد ذبحها الا الجلد والامعاء والفخذان والكتفان والرقبة ولحم الكفل وماعدا ذلك من الجثة يملأ بالدقيق والعسل والتين والعقاقير الطيبة الرائحة ويحرق بالنار ويزيدونه اشتعالا بصب كثير من الزيت عليه وفى ذلك الوقت تكثر النساء من الصياح والنوح والبكاء والعويل ويلطمن وجوههن وصدورهن ويقطعن شعورهن وبعد ذلك يأكل الناس ما أخذوا من لحوم القرابين وكانوا يعملون فى هذا الموسم وغيره من بقية المواسم أعمالا منكرة منها أن يجرح الرجال بعضهم بعضا جروحا بالغة وتشديخ النساء أفخاذهن بحجارة حادة حتى يسيل الدم من هذه الجروح اظهارا لشدة الحزن والجزع قال بعض الكتاب وقد أبطلت جميع هذه العادات قبل خروج بنى اسرائيل من أرض مصر

وفى الثالث والعشرين كان موسم دفن «(ازوريس)» يشيرون بذلك الى انحباس

النيل

النيل فى مجراه مبدأ زراعة الخريف وفى اليوم الاول من شهر كيهك كان يعمل موسم عظيم فى مدينة اسنا لقديسهم بها ومن رسومهم فى هــذا الموسم أن يظهروا جميع أوانى المعبــد والحلى ويتقربوا بالخبز والنبيــذ وغيره من المشروبات وبالاوز وفحول البقر وبسائر المزروعات على اختلافها وفى اليوم التاسع من شهر طوبة كان موسم رجوع ﴿ ازيس ﴾ من بلاد فلســطين وكانت القرابين فيه من فطير فوقه صورة فرس البحر مسلسلة فى القيود وفى هذا اليوم خاصة كــان يرخص لاهــل مدينة عين شمس التى هى المطرية بأكل لحم التمساح وبعد هذا الموسم بأيام كان يعمل موسم تعويض مذاكير ﴿ ازوريس ﴾ بمثلها من الخشب والغالب أنهم كانوا يشيرون بذلك الى غرس الاشجار فانه يكون بعد هبوط النيل

وفى التاسع عشر من هذا الشهر كانوا يتخذون بمدينة صا الحجر عيدا كبيرا مشهورا بالوقدة التى كانت تعمل فيه وكانوا يشيرون بها الى زوال الظلمة التى عمت الارض بموت ﴿ أزوريس ﴾ فكانت الكهنة يذهبون بحرا فى الليــل صوب النيــل فى موكب عظيم به خلق كثــير حاملين هيكل ﴿ ازوريس ﴾ مزينا بأنواع الزينــة والحلى وفيــه قدح صغير من الذهب يملؤنه من النيل فى وقت معــين وعنــد ذلك يقول الكاهن وجميع الحاضرين بصوت عال هاهو جسد ﴿ ازوريس ﴾ قد عثرنا به فكأنهم كانوا يشــيرون بذلك الى رجوع الشمس وكان يتخذ كل واحد منهــم صورة هلال يصنعها من الطين المعجون بماء النيل المعطر ببعض الاشياء الذكية وفى شهر أمشير كان عيد مشاهدة ﴿ ازيس ﴾ ﴿ لأزوريس ﴾ يشيرون بذلك الى ظهور المحصولات الصيفية على وجه الارض وكان لهم فى شهر برموده أعياد أخر * أولها عيد تطهير ﴿ ازيس ﴾ قبل البذر * ثانيها عيد الخصب ووقته سادس عشر هذا الشهر وكانت تجعل فيه بهيكل ﴿ ازوريس ﴾ مــذاكير مصنوعة من الخشب أو غــيره على صورة أعضاء التناسل للانسان وفى الغــد من اليوم المذكور عيــد دخول ﴿ ازوريس ﴾ فى القمر يعنون بذلك اجتماع الشمس والقمر عنــد الاعتدال * ثالثها موسم ولادة ﴿ حور ﴾ فى الثامن عشر من هذا الشهر * رابعها موسم قديستهم ﴿ نبت ﴾ فى مدينة ﴿ بوبست ﴾ وهو موسم شهير ولعله هو الذى يعمل الآن فى جهة البرية للقديسة دميانة وكان لهم فى شهر بؤنة عيد يتقربون فيه بفطير مرسوم عليه صورة حمار مسلسل يشــيرون بذلك الى تغلب ﴿ ازوريس ﴾ على ﴿ تيفون ﴾ أى الى ابتــداء النيل فى الزيادة ويزعمون أن تلك الزيادة ناشــئة عما سكبته ﴿ ازيس ﴾ من الدموع وقت بكائها على ﴿ ازوريس ﴾ زوجها قال هــيرودوتس وهــذا الموسم هو موسم مولد الشمس الذى كان يعمــل فى مدينة عــين شمس لان الانقلاب الصيفى يحصــل فى هــذا الآن وهو عبارة عن ابتداء الشمس فى النزول بعد انتهائها فى الصعود وقد حافظ قبط مصر على عادة الاحتفال بليــلة النقطة التى تكون فى الليــلة الثانية عشرة من هذا الشهر * وكان لهــم موسم فى شهــر مسرى لمولد ﴿ هربوخرات ﴾ ويعرف عندهم بموسم السكوت واشارته حلقــة صــغيرة كانت توضع على الفم ولعل هذا العيد هو عيد وفاء النيل

وكانوا يتقربون فيه بكلاب شقر كما كان الرومان واليونان يتقربون بها ثانى يوم مسرى الى كوكب الشعرى اه

ولنرجع الى الكلام على ملوك الدولة السابعة والعشرين وهى دولة الفرس التى قامت بعد انقراض دولة الفراعنة كما تقدم التنبيه على ذلك ونأتى على أخبار كل ملك منها ومن قام بعدها على الترتيب فنقول

(الكتاب الثانى)

(فيمن تغلب على مصر بعد الطبقات الثلاث المتقدمة)

(الباب الاول)

(وفيه فصول)

(الفصل الاول)

(فى العائلة السابعة والعشرين الفارسية الاولى وفى الملك كمبيز بن كورش رأس هذه العائلة)

قد أجمع أصحاب التاريخ على أن كمبيز هذا هو ابن كورش وكورش رجل خرج والتفت عليه جموع من أخلاط آسية الغربية لاظهور لهم ولا ديانة فاجتاز بهم نهر (الرس) هائما على وجهه فكان لايدرى أين يتوجه ثم انضمت اليهم قبائل من أمثالهم من البلاد المجاورة لحدود بلادهم وساروا جهة الشمال الغربى من آسية تحت قيادة كورش المذكور وهو كسرى الاوّل من ملوك الفرس لايصدّهم فى طريقهم أحد ولايعارضهم معارض وكان مع كورش أيضا طوائف من المجوس وضابط من أمراء الفرس يدبر أمر تلك الجموع وكانت الطائفة المقدّمة على غيرها من هذه الجموع طائفة الفرس فعبر كورش بهذا الجيش العظيم نهرى الفرات ودجلة وجعل معسكره فى اقليمى خوزستان والعراق واستولى على خورست وبابل المدينتين العظيمتين ثم تغلب على بلاد الشام بغير ممانع وضرب الجزية على ملكها وجعل على أهل الشام الفرض والمغارم فى نظير الترخيص لهم باستدامة التجارة مع بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات وصارت الشام بذلك إيالة تابعة لمملكة كورش المذكور ثم بعث بجنوده لغزو بلاد مصر فلم يتم له الامر ومات يوم كانت جنوده مشرفة على الاستيلاء على مصر فتولى الملك بعده ابنه قمبشاش المسمى أيضا كمبيز وسار على سيرة أبيه فى الحكم والاغارة والفتوحات التى كان أبوه بدأ بها قبل موته فركب على بلاد مصر فى جموعه وحاربها وفتحها عنوة كما تقدم بيان ذلك فى أيام الملك (ابسامتيك الثالث) وسمى نفسه (بختنصر الثانى) قال بعض الكتاب ولعل هذا معنى قول المؤرخين ان

(بختنصر

(بختنصر) خرب ديار مصر مع أن بختنصر الجبار الذى هو ملك الموصل لم يحكم مصر ولا أتى اليها

أما السبب الذى دفع بجنود الفرس الى الاغارة على مصر فهو أنه لما كانت هـذه الأمة قد اتخذت فى أيام كورش الحروب والاغارات ديدنا لها كانت تجوب البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فى طلب الغنائم والمكاسب شأن الامم المتبربرة والشعوب المتوحشة وكانت ديار مصر فى ذلك الحين مشهورة بالغـنى والثروة التى لامزيد عليها قصـد كمبيز المذكور أن يتغلب عليها وساق جيوش أبيـه الجرارة الذين هم من أخلاط اليونان وغيرهم ممن كان يتبع أباه فى الحل والترحال ولكنه لما كان يخشى من معاكسـة قبائل العرب النازلين فى الطريق الموصلة الى مصر عمـد الى محالفتهـم وسار الى مصر من جهـة الفرما حيث كان ملك مصر نازلا بعساكره لصـدّه عن الوصول الى داخلية البـلاد فلما التقى الجمعان هجم كمبيز على ملك مصر وجنوده فهزمه وهرب ملك مصر حتى لحق مدينة منف فأرسـل له كمبيز سفراء يخاطبونه فى شأن تسليم البلاد وكف القتال فقتلهم فسار كمبيز لقتاله وطالت الحرب أياما ثم سلم ملك مصر لخصمه بعـد أن فارقه أتباعه ومن هـذا الحين انتقل ملك مصر من أيدى أهلها الى قبضـة الفرس وقام السفه والجهل مقام الرشد والتمدن وكان هذا مبدأ الدولة السابعة والعشرين

ولما استقر بكمبيز منصب ملك مصر عمد الى مسايرة أكابرها وأعيانها وميزهم بعـلامات الامتياز استجلابا لهم واتخذ لنفسـه الالقاب الفرعونية ليوهم الناس أنه من نسل العائلات المصرية وبالغ فى التزلف وسار الى صاالحجر التى دفن فيها (اموزيس) ونبش قبره وأخرج جثته ومثل بها تمثيـلا قبيحا بأن ضربها بالمناخيس حتى تمزقت وتفرقت أجزاؤها ثم أحرقها بالنار وأوهم الناس أنه انما فعل ذلك لاغتصاب (أموزيس) المذكور الملك حالة كونه ليس من بيت الملك قال هيرودوتس وهذا سبب ظاهرى أما الحقيقـة فان (أموزيس) كان قد أساء كمبيز فى حروبه فتشفى بما فعـله فى جثته ولعدم اطلاع النـاس عليه فى ذلك أكرم (لاديكه) زوجة (أموزيس) المذكور وأحسن معاملتها وبعث بها الى أهلها ثم أمر بعد ذلك ببناء معبـد (نيت) الذى بمدينة صاالحجر لتعسـكر جنوده فيه وأصلح جميع ما دمره وخربه فى حروبه وقرّب منه أمناء الدين المصرى ليتعلم منهم ما اشتهروا به من العـلوم والحكمة وتلقى من الكاهن (اوزاخوسن) الاسرار اللاهوتية الخاصـة (بازوريس) كما رواه ده روجه وعزم على أن يجعل مصر حصـنا يسـتعين به على غزو افريقيـة وأكثر فيها من الاستعدادات فهابه المصريون واستؤصلت جرثومة التعصب والتحزب من البلاد واستتبت فيها الراحة وكان لغزوه مصر وفتحها عنوة أثر مخيف عنـد سائر الامم المجاورين لها فجاء الليبيون وقدّموا له الطاعة ودفعوا له الجزية وأهـدوا اليه الهـدايا والتحف العظيمة لتوطيـد علائق السلم والمحبة بينه وبينهم واقتـدى بهم فى ذلك القورينيون (سكان مدينـة قورين ببـلاد العرب) وصفا له الزمان وعلت كلمتـه وذاع صيته فعزم على غزو القرطاجيين سكان مدينة قرطاجـه والامونيين سكان واحات امون بالجبال القريبـة من ديار مصر والاثيوبيين وهـم

الكوش قال هيرودوتس فأرسل الى قرطاجه عمارة بحرية عظيمة فلم تنجح وعادت خاسرة وذلك لان رجال تلك العمارة كانوا من الفنيقيين فوقع بينهم الخلاف لان الصوريين هم الذين عمروا مدائن قرطاجه فكان بين القرطاجيين والصوريين علاقة القرابة فامتنعوا من محاربتهم وعادت العمارة بغير طائل ثم أرسل فى الغزوة الثانية التى هى مع سكان واحات سيوى خمسين ألفا من جنوده لفتح تلك الاصقاع واستعباد أهلها وتمهيد الطريق لجيوشه وهدم هيكل المشترى القائم بها وهو هيكل «آمون» الذى كانت تحج اليه الناس وسار مع جيشه هذا الأدلاء يرشدونه نخانوه وأضلوه عن الطريق حتى نفدت منه الميرة ونفقت الخيل والجمال وضل الجيش فى الصحارى وهبت عليه رياح السموم فأهلكت الجنود عن آخرهم ولم ينج منهم أحد وكانت هذه الغزوة قبل غزوة السودان ثم سار ببقية جيشه الى النوبة فلما وصل الى خمس الطريق نزل بجيشه القحط والمخمصة اذ لم يكن عندهم من الزاد ما يكفى فكانوا يأكلون دواب الحمل فلما فرغت كانوا يتغذون عما يصادفهم فى طريقهم من الاعشاب والحشائش الرديئة فلما توغلوا فى القفار صار يأكل بعضهم بعضا بالاقتراع من كل عشرة واحدا ممن تقع عليه القرعة فكان هذا الامر أشد عليهم هولا من الجوع ولم تكن هذه الاهوال لتردع كمبيز عن غيه ولكنه خاف على نفسه وارتد على عقبيه خاسئا ومع ما كانت عليه عساكره من الجوع والمخمصة وأكل بعضهم بعضا كان هو يتلذذ على مائدته بما تحبه نفسه من أنواع المآكل والمشارب وما زالوا على هذا الحال حتى قفلوا راجعين الى مدينة طيبة فى أسوء حال فلما دخل المدينة المذكورة أمر بها كلها فسلبت العساكر ما فيها من الزينة والامتعة والذخائر من الذهب والفضة وغير ذلك وقد كانت مملوأة بالنفائس والاشياء الثمينة

قال صاحب العقد الثمين — والغزوة الثالثة كانت مع أهل الاتيوبيا وقبل الكلام عليها يلزمنا أولا أن نصف حال الاتيوبيا وما كانت عليه بلادها فى تلك المدة وذلك أنه منذ هزيمة الملك «نوات مياممون» كانت مملكة الاتيوبيا قد قطعت العلاقات بينها وبين ممالك آسية فلما حاربها بسماتيك الاول والثانى قطعت أيضا علاقاتها مع مصر وحافظت على استقلالها وكانت ولاياتها التى بين الشلال الاول والثانى الشهيرة قديما بكثرة العدد والعمران قد لحقها الخراب والدمار وصارت أشبه شئ بالصحارى والقفار وصارت مدنها التى شيدها ملوك العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أطلالا وأى أطلال وأوشكت هيا كلها أن تعلوها الرمال وأما الجهة التى بعد الشلال الثانى فكانت أخذت فى الظهور والارتقاء وكانت منقسمة الى اقليمين كمصر وكانت مدينة «بينونى» «ودنقلة» فى الجهات العليا منها ومدينة «نبتا» فوق جبل بركل ومدينة «تكاسى» فى مجمع النيل عند الخرطوم وكان فيها أيضا نهر «استابوراس» الشهير الآن باسم «تكاسى» ثم مدينة «مروه» المسماة قديما «بروه» وبعد مروه هذه مملكة «الواح» تمتد على سواحل البحرين الازرق والابيض حتى تصل الى سهل سنار الاكبر وكان فى حدودها الجنوبية طائفة «الاسماخ» وأصلهم من المصريين الذين هاجروا اليها فى عصر بسامتيك الاول وكان بين درفور وجبال الحبشة والبحر الاحمر قبائل ما بين متمدنة ومتبربرة

بعضها من بنى الاسود وبعضها من أفريقة وبعضها من ((بنى سام)) بآسية وكانت طائفة ((الرهريشا)) قاطنــة جنوبى ((مروه)) بين البحر الازرق ونهر ((تكاسى)) وطائفــة ((المادى)) بين نهر ((تكاسى)) وسلسلة الجبال المارة بسواحل البحر الاحمر وكانت مطامع ملوك الاتيوبيا تسوقهم الى محاربة تلك الجهات لوجهين الاوّل عدم وجود صعوبات فيها مانعة لهــم الثانى كثرة غنائمها حتى قيــل ان اثنين من ملوك الاتيوبيا المعاصرين لكمبــيزوهما ((حورسياتف)) و ((نستوسنن)) أخضعا غالب هذه القبائل وأقمعا كل من أظهر المقاومــة والثبات أمامهما قال مريت باشا وكانت بلاد الاتيوبيا مملكة شورويه فاذا أراد أهلها انتخاب ملك يعملون فى معبــد ((أمون)) بمدينــة ((نبتا)) مجلسا يجتمع فيــه الكهنة والنوّاب الذين تنتخبهــم القضاة وبعض العلماء والعساكر والضــباط فاذا انعقد المجلس دخلت الاخوة الذين هم من العائلة الملوكية فى معبد ((أمون)) المذكور ووقفوا أمام هــذا المعبود المشير بأصبعه اشارة اتفاقيــة الى الانسان الذى يريد الكهنة انتخابه من العائلة الملوكية لتوليته الملك ومتى تم الانتخاب واستقرّ الرأى على واحد جعــلوه ملكا عليهم وبقى مدّة حياته تحت سلطة الكهنة بحيث لايمكنه اعلان حرب أواجراء شئ مهمّ فى حكومته الا اذا استأذن المعبود ((أمون)) وكهنته فان عصى أوأراد الاستبداد أمرت الكهنة بقتــله ولامناص من انفاذ ماأمروابه وكما كان هــذا القانون مشدّدا على الملك كان أيضا مشدّدا على الرعيــة فلو خالف أحد الرعية رأى الكهنة أوغير أدنى شئ من الشعائر الدينية اعتبروا هذا التغيير بدعة ســيئة وحكموا على صاحبه بالقتــل * وقد اتفق فى آخر القرن السابع أن بعض الكهنــة أبدع فى شعائر الدين المصرية القــديمة بدعا سيئة منها اباحــة أكل لحم القربان نيأ وهى عادة بنى الاســود فتوجه الملك الحاكم حينئذ الى معبد ((أمون)) ((نبتا)) وحكم بطرد من أبدع شيأ فى الديانة وأحرق ماوجــد من آثار تلك البدع السيئة فعلى هــذا الامر خرج أصحاب المذهب الجديد من بلادهم الى جهات متباعدة واتخذوا لهم فيها مساكن وتمكنوا من نشرهذا المذهب كل التمكن لان رؤساء الديانة المصرية كانوا وقتئذ فى غاية الضعف بحيث لايمكنهم ردعهم ولذلك استمروا ناهجين هذا المنهج حتى ظهر السيد المسيح وبقيت هذه العادة الى الآن عند بعض الحبشان فهم يأكلون اللحم النئ ويسمونه ((بريندة))

ولما انقطعت العــلاقات بين الاتيوبيا ومصر واستبدّت الاتيوبيا بأعمالها توفرت فيهــا أسباب الثروة وصار لها اسم شهير وصيت كبير بين أمم البحر الابيض المتوسط فامتدت مطامع الملك كمبيز الى فتحها فأرسل اليها سفراء من وادى الكنوز يحسنون لغة الاتيوبيا وكان رجال الاتيوبيا حسان الخلقــة طوال القامة غلاظا شــدادا أذكياء معروفين بعلوالهمة والشجاعة وكان مما يزيدهم بسطة فى الجسم تدبيرهم للمطاعم والمشارب فلهذا كانوا أطول الناس أعمارا وكثيرا ما كان يعيش الانسان منهــم مائة وعشرين ســنة قال هيرودوتس وكانت فى بلادهم عين ماء يرتوون منها تنعش أبدانهم ومروج مخضرة يانعة فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وكان

الذهب في بلادهم كثيرا جدا حتى انهم كانوا يستعملونه في الاشياء الدنيئة كالسلاسل التي يسحبون بها الاسرى وكان النحاس نادرا ومرغوبا عندهم فدخل سفراء كمبيز بلادهم بصفة عيون وجواسيس ليرودوا البلاد ويستكشفوا أحوالها فعرف أهل الاتيوبيا منهم ذلك ولكنهم رحبوا بهم وعاملوهم أحسن المعاملة ولم يظهروا الحذر منهم ولا الاحتراس وكان مع هؤلاء الرسل هدايا لملك الاتيوبيا من المصنوعات الذهبية والحلل الارجوانية وكثير من العطريات وأنبذة التمر فاعجبهم من هذه الهدية الشراب وسر به الملك وأمر فاحضروا له قوسه فأوترها بحضرة سفراء كمبيز ثم قال للسفراء أود أن لا يأتي ملككم لحربنا الا وهو على بينة من عدد جندنا وأحب أن لا يقدم عليها قبل أن يرى نفسه أو أحدا من قومه قادرا على أن يوتر هذه القوس بالسرعة التي رأيتموها مني الآن فاذا أعياه الامر ومال الى علاج ذلك حينا من الدهر فليحمد معبوده حيث لم يرزق الاتيوبيين الطمع في الزحف على بلاد فارس وأخذ ملكهم

فلما نقل السفراء لكمبيز هذا الكلام غضب وسار الى بلاد الاتيوبيا (وهي النوبة) ليغزوها فأصاب جنده ما أصابهم كما تقدم فعاد الى مدينة طيبة فلما دخل المدينة أمر العساكر بانتهاب ما فيها من الهيا كل كما تقدم أيضا ثم سار الى مدينة منف فاتفق وصوله اليها في وقت كانوا يعملون في هيا كلها موسما مشهورا لوجود العجل (ابيس) فظن أنهم شامتون بهزيمته فقتل جميع من كان في تلك الهيا كل من الكهنة وأمراء الاديان وأرباب الحل والعقد وقد أطنب المؤرخون في وقائع جبروته وبالغوا ومما يحكى عنه أنه سأل يوما أحد وزرائه المسمى (أبربساسية) بقوله ما الذي يقوله الرعايا في شأني وما الذي يذكرونه من مناقبي وأخبار عدلي في هذه الايام فقال هم يصفونك أيها الملك بكل وصف حميد ورأى سديد ويرون أنه لا مثلبة فيك الا الانهماك على الشراب ولولاها لكنت منزها عن جميع العيوب فقال كمبيز هم يعتقدون اذن أني أغيب عن الصواب وقت تعاطي الشراب قال نعم فنقم عليه كمبيز ذلك وأمر باحضار الشراب بين يديه ووقف السقاة أمامه وكبيرهم ابن (أبربساسية) فأخذ كمبيز يشرب حتى صار كالزق المنفوخ ثم التفت الى ابن (أبربساسية) وقال له قف يا غلام منتصبا وضع يسارك على رأسك فوقف الغلام وكان صبيا جميلا جدا فالتفت كمبيز الى (أبربساسية) أبي الغلام وقال أتذكر ما قلته قال نعم قال سآتي لك بالبرهان الآن على أن الخمرة لا تفعل بي ما نقلته عن الرعية وها أنا مفوق سهمي لأصيب فؤاد ولدك هذا فان أصبت المرمى فلا سلطان للخمرة على عقلي مهما أكثرت منها وان أخطأته صح ما يقول الناس عني ثم سدد سهمه صوب فؤاد الغلام فصاده بأحد السهام وأمر به فشقوا بطنه ليرى أبوه محل السهم من فؤاد ولده ثم قال لابيه هل وفق أحد قبلي لمثل هذه الاصابة فقال لا وهي من دلائل البراعة والنجابة ويحكى عن هذا الملك شيء كثير جدا من أمثال ذلك حتى يقال انه كان يتسلى بقتل رعاياه من العجم ذبحا كذبح الغنم وقيل انه غضب على بعض أعيان مملكة فارس فأمر باثني عشر منهم فدفنوهم أحياء وأهالوا عليهم التراب ولما طال مكثه بديار مصر خرج عامله

على

على فارس عن طاعته وأثار الفتنة وولى أخاه ملكا على العجم ادعاءمنه بانه ﴿ اسمرديوس ﴾ أخو كمبيز وقد كان أشبه الناس به فأطاعه الفرس وملكوه عليهم اعتقادا منهم بانه ابن كورش وأرسلوا الدعاة للمبايعة فى جميع الجهات وسمى فى كتب التاريخ ﴿ باسمردوس ﴾ المجوسى وقيل انه انما سمى بالمجوسى لظهور المدعو ﴿ زدرشت ﴾ بدين المجوسية فى أيامه وقد كان المجوس يعتقدون نبوة ﴿ زدرشت ﴾ المذكور وبعضهم يجعل ظهور ﴿ زدرشت ﴾ قبل كورش

وكان كمبيز فى وقت ظهور الفتنة ببلاد فارس قد خرج من أرض مصر ونزل على الشام فبينماهو هنالك اذ حضر داعى العجم يدعو أهلها لمبايعة ﴿ اسمرديوس ﴾ ملكا على فارس فلما سمع كمبيز بذلك اغتم غما شديدا ونادى فى عسكره بالرحيل الى بلاد فارس وأسرع هو الى جواده فبينما هو يركب اندلق سيفه من غمده فجرحه فى فخذه وألزمه الفراش فمات بعد أيام قلائل وهذه رواية هيرودوتس وقال ﴿ بهيستون ﴾ بل قتل نفسه عمدا ولم يترك أولادا ولاأوصى لاحد بالملك من بعده ولم يذكر جماعة المؤرخين لهذا الملك شيأ من المناقب سوى أنهم قالوا ان أحد قضاته المسمى ﴿ سيزمناس ﴾ ارتشى فى بعض الوقائع ليحكم بغير الحق فعلم كمبيز بذلك فقتله سلخا وأمر بجلده ففرشوه على منبر القضاء وولى ابنه مكانه وذكرما حاق بأبيه ونهاه عن الرشوة وقيل ان ماحكى عنه من مثل هذه الامور غير صحيح وانما هو من نقل هيرودوتس المؤرخ عن كهنة المصريين وهم أعداء له فكانوا يختلقون عليه مالايخفى من الاكاذيب فنقلها هيرودوتس عنهم كما تلقاها

وكان كمبيز لدى مسيره من مصر الى الشام أناب عنه فى حكم البلاد رجلا اسمه ﴿ اريانديس ﴾ فلما استقرت به العمالة أخذ يعمل على تعزيز كلمته وتاقت نفسه الى الاستبداد بالحكم والخروج عن طاعة مملكة فارس فلم يفلح وذلك أنه بعد أن قام ﴿ اسمرديوس ﴾ ملكا على فارس ثلاث سنين انكشف أمره واتضح لاهل البلاد كذبه واغتصابه للملك فقاموا عليه وقتلوه وولوا مكانه ﴿ دارا ﴾ فلما استقر بدارا المنصب وعلم بما يفعله ﴿ اريانديس ﴾ المذكور بمصر خلعه وأبعده عن البلاد

(فى الملك دارا الاول)

تولى الملك فى سنة تسع عشرة وخمسمائة قبل الميلاد أى سنة احدى وأربعين ومائة وألف قبل الهجرة ونودى له باسم دارا الاول فلما استقر به المنصب أخذ فى تدبير أمور المملكة وترتيبها على أحسن نظام وقد كانت بلغت فى أيام كورش وكمبيز مبلغا عظيما من الشهرة والاتساع ولم تكن أيامهما كافية للغزو وترتيب أمور المملكة فجاء ﴿ دارا ﴾ هذا بأحسن التدبير وأتم التنظيم وقسم المملكة جميعها الى عشرين ايالة وقيل ثلاث وعشرين ثم تزايد عدد هذه

الايالات بتزايد الفتوحات حتى بلغت احدى وثلاثين فضرب عليها الخراج من مال وعروض فكان ماضربه من المال بالعملة الحالية ستة وعشرين ألف ألف وخمسمائة وأربعين ألف جنيه وضرب لذلك سكة سماها الدارية وأما العروض التى قررها على تلك الايالات فقد كانت كثيرة جدا فكانت مصر تعطى منها غلالا تكفى لمؤنة الاثنى عشر ألف جندى المرابطين فيها وكان الميديون يقدمون فى كل سنة مائة ألف خروف وأربعة آلاف بغلة وثلاثة آلاف حصان ويقدم الارمن ثلاثين ألف مهر والبابليون خمسمائة غلام من الخصيان وسكان سيسليا ثلثمائة وستة وستين حصانا قيل ولذلك كانت تسميه الفرس بالنقاد لانه كان يعرف من أين يأتى الكسب كما كانوا يلقبون كمبيز بالمتملك وكورش بالاب وكانت مصر السادسة من ايالاته وقال بعضهم بل الثالثة وقد جعلها « دارا » مع قسم النوبة وإقليم القيروان وإقليم برقة ايالة واحدة وعمالة واحدة وصيرها فى الرتبة بعد بابل والموصل اللتين هما الايالة التاسعة من ايالات فارس وأكثر جميع الايالات خراجا وقدذهب بعض أصحاب التاريخ الى أن النوبة لم تكن فى هذا العهد ملحقة بمصر ولم تدفع خراجا لمملكة فارس بل كانت انفصلت عنها عند تغلب الفرس على مصر وانه لايعلم من تاريخ الفرس شئ يدل على انهم كانوا يملكون شيأ من البلاد بعد جزيرة أسوان مما يلى الجنوب وانما كانت مملكة الايتيوبيا المصافية لمصر تبعث بشئ من المال الى الفرس اعانة لمصر وتبرعا ليس الا وكانت هذه الاعانة عبارة عن مدين من الذهب الخالص ومائة قضيب من الآبنوس وخمس جوار نوبيات واحدى وعشرين سن فيل فى كل سنة قالوا وقد دلت الآثار على ان الايتيوبيين كانوا يدفعون مثل هذا القدر فى كل عام الى الملك رمسيس الاكبر ولسلفه وخلفه * وكان دارا المذكور شديد الباس صعب المراس فمنع جميع الفرس الذين كانوا معه بديار مصر أن يدينوا بديانة المصريين وأمرهم أن يحافظوا على عبادة النار وحرم عليهم الكتابة بالقلم المصرى القديم ونهاهم عن أن يتداول بينهم هذا اللسان وطلب منهم أن يحافظوا على لغتهم حتى أوشكت أن تكون الشائعة الاستعمال فى مصر وكانت كتابة الفرس المجوسية المقدسة عندهم مأخوذة من لغة الكلدانيين الذين هم السريانيون وهم أهل بابل ثم تلقاها عنهم أهل اذربيجان ثم انتقلت الى فارس فلما تغلب الفرس على مصر بقيت فى مصر آثار من هذه اللغة يعنى من كتابتها

قال ده روجه ولما دخلت مصر فى حوزة دارا أحسن معاملة أهلها ليذهب عنهم ما كمن فى صدورهم من الحنق والغيظ المتسبب عن سوء تصرف كمبيز واضطهاده اياهم وعسفه بهم فاحترم الديانة وأصلح المعابد الخربة وعفا عن القسوس الذين أساءهم كمبيز اه وقال هيرودوتس وقبل أن يبارح دارا مصر زار معبد « بتاح » ومهد طرق التجارة وشرع فى ايصال النيل بالبحر الاحمر بواسطة ترعة احتفرها ولذلك يوجد فى كثير من المواضع ببرزخ السويس القديم كثير من الاحجار القديمة المكتوبة باسم الملك « دارا » ولما اتصل البحران وردت التجارة من الهند الى الثغور المصرية بالبحر الابيض المتوسط وفتح أيضا طريق فقط الموصل الى البحر الاحمر

وطريق أسيوط الممتد الى العرابة المدفونة ومنها الى أسوان فعاد الى مصر رونقها القديم وغناها الواسع وراجت تجارتها رواجا عظيما واتسع نطاق معاملاتها

وكانت دولة فارس لينة الجانب فى حكم الواحات وغيرها مما جاور مصر رجاء اتساع نطاق التجارة وتعميمها فى سائر الاقاليم الخاضعة لحكمها فكانت تجبى المحصولات من الغلال المفروضة على الاقاليم المسكونة بعساكرها مع غاية اللين والرفق بقدر كفاية عسكرها ولا تتعرض لبيت مال الامة بضر ولا تأخذ منه الا ما لزم لتعميم المنافع وتسهيل الطرق الواقعة مابين مصر والحجاز والقصير وغيرها قالوا وقد وجد مايدل على ذلك منقوشا على الصخور ومع ذلك فقد كان المصريون لايرضون بحكم الاجانب لهم وكانوا يراقبون الفرص للخروج عن طاعة دولة فارس الى أن قامت الفتنة فى العراق وخرج أهلها على (دارا) وقومه واشتغل (دارا) بقتالهم فخرج أهل مصر وشقوا عصا الطاعة وطردوا عساكر الفرس المرابطين وولوا عليهم (خبيش) ملكا وذلك سنة ست وثمانين وأربعمائة قبل الميلاد وفى السنة الخامسة والثلاثين من حكم (دارا) أى قبل موته بسنة واحدة هم بارجاعهم الى طاعته فحالت بينه وبين ذلك زيادة النيل وفيضانه ومات (دارا) قبل أن يبلغ منها وطرا وذلك سنة خمس وثمانين وأربعمائة قبل الميلاد أى سنة سبع ومائة وألف قبل الهجرة وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وكان له قبل جلوسه على سرير الملك ثلاثة بنين من زوجته المسماة (ارتابازانس) بنت (غوبرياس) وكان على عزم جعل أكبرهم ملكا من بعده فعلمه فنون الحرب ودربه على القتال معه فى غزوة التتار ولكن لما عصت مصر وأراد دارا أن يعين من يرث الملك بعده من أولاده أشارت عليه زوجته الثانية أن يولى (شيارش) أكبر أولادها ففعل ذلك وصار ولى عهده * أما (خبيش) الذى ولاه المصريون عليهم مكان دارا فيقال انه من ذرية (بسامتيك) الملك وكان استواؤه على عرش الملك باتفاق كلمة الامة * قال ماريت ولما استقر به المنصب حصن مصر بالقلاع المتينة حتى استعدت لدفع هجوم الفرس عليها وكان قد مكث ثلاث سنين فى تقوية الوجه البحرى وتحصين الاباطح وأشاتيم النيل حيث كان يظن ان الفرس لاتهاجمه الا من البحر فجعل أقوى استحكاماته على السواحل فلما فاجأه (شيارش) ملك فارس بالهجوم لم يثبت أهل الوجه البحرى فى صف القتال الا قليلا حتى استسلموا لعساكر الفرس فعاملهم الفرس معاملة القسوة والجبروت وضربوا على كهنتهم المغارم ونهبوا ما كان فى معبد (بوتو) من الامتعة والنفائس وفى خلال تلك الواقعة اختفى (خبيش) ولم يعلم له مقر الى الآن اهـ

وعادت مصر بعد ذلك خاضعة الى الملك (شيارش) بن (دارا) وكان من مآثره ماسيذكر بعد

(فى الملك شيارش بن دارا)

تولى الملك بعد أبيه فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة قبل الميلاد أى سنة سبع ومائة وألف قبل الهجرة وله من العمر يومئذ أربع وثلاثون سنة وقد كان فاتر الهمة لايكترث بالقوانين ولا بالسياسة فترك تدبير أمور الايالات التابعة لمملكته للامراء المورثين يتصرفون فيها كما يشاؤن وولى أخاه اخمينس على مصر فاحكم أمورها وعاقب الخوارج من أهلها وما زال حتى انقادت لحكمه وخضعت لكلمته فاقام فيها بعد أربع سنين قوة عسكرية ثم أعد هذه القوة للغزو فى السنة الخامسة وسيرها للقتال وطلب من مصر المدد فأرسلت اليه مائتى سفينة مكملة العدة والرجال على رأس كل رجل من رجالها خوذة من الحديد ومعه درقة ورمح وكان لهؤلاء الجنود من آلات الحرب أيضا دروع وسيوف

قال أصحاب التاريخ وكان المصريون يكرهون دوام ملك فارس عليهم و يتمنون الخلاص من ربقة عبوديتهم ولو أنه وجد منقوشا على بعض آثار القصير مايعبر عنه بأن الملك شيارش المذكور كان المولى المحسن سيد الجميع قالوا فهذه الكتابة انما كانت صورية لاحقيقية قد جرى بها العرف والتأدب فى حق الملوك فلا يستدل منها على سعادة الرعية ولا شقائها ومع ذلك فقد كان المصريون لاينفكون أبدا عن طلب استقلالهم وانقاذ ملكهم من أيدى الاجانب اذ كانوا مجبولين على الشجاعة والاقدام وحب الوطن فضلا عن التمسك بشرائعهم وعوائدهم والذب عن دينهم ومفاداة حريتهم بالاموال والارواح وكانوا لاينسون قط مرارة ماذاقوه من ظلم الاجانب وعدوانهم وما سلبهم ملوك الاغراب من المنافع الجمة وما فعلوه بهياكلهم ومعابدهم من النهب والحريق وهتك حرمات الدين عند زحف الفاتحين للبلاد فعادوا لذلك الى الخروج والعصيان ولكنهم لم يقدحوا زناده ولم يجاهروا به وجعلوا يترقبون ظروف الاحوال

ولما كانت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة قبل الميلاد انحطت شوكة مملكة فارس وتضعضعت فعصى عليها الكرد واليونان وقاموا على شيارش وقاتلوه وأحرقوا سفنه وخرجت كذلك تساليا ومقدونيا وغيرهما من الايالات التى فى قارة أوروبا واشتدت الازمة على شيارش وتحير فى أمره قال هيرودوتس فأخذ يستعمل الدهاء واللين الى سنة ست وستين وأربعمائة قبل الميلاد حتى أتت سفن أثينا الى سواحل القيروان وليكيا وطردت الفرس من هنالك ثم قام بعد ذلك بقليل الاغا (اسباميترس) والقائد (ارتابانوس) وقتلا شيارش وسارا الى ولده (ارتخشارشا) وموها عليه الحقيقة وقالا ان أخاك (دريوس) قتل أباك فلا بد لنا من قتله والاخذ بثار أبيك فأجابهم الى قتله فقاما عليه وقتلاه وبعد أن قتلاه حاولا قتل (ارتخشارشا) أيضا فخانهما أحد أقرانهما وقتلهما غدرا فآل الملك بعد موت

(شيارش

﴿ شيارش ﴾ الى ولده ﴿ ارتخشارشا ﴾ فكانت مدة حكم شيارش تسع سنين لاغير

(فى الملك ارتخشارشا الاول)

﴿ ويقال له أيضا ﴾

(ارتسخار)

تولى ﴿ ارتخشارشا ﴾ الملك بعد موت أبيه فى نحو سنة خمس وأربعين وأربعمائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وستين وألف قبل الهجرة قال ﴿ تى سديد ﴾ وفى خلال قيام الفتنة ببلاد الكرد والقيروان وخروج أهلها عن طاعة الفرس وضعضعة سلطنة فارس فى تلك الاصقاع وقيام اسپا ميترس الطواشى ورفيقه على شيارش وقتله استبد المصريون بحكمهم وأقاموا ﴿ ايناروس ﴾ بن ﴿ بسامتيك ﴾ ملكا عليهم وكان اذذاك أمير مدينة ماريا فانضم اليه رؤساء الوجه البحرى ولكنه رأى عدم استطاعته على مغالبة الفرس بهذا الجيش الصغير فاستعان بمملكة اليونان وكان عند اليونان سفن حربية أنشؤها فى جزيرة قبرس فأعانوه وأرسلوا اليه مائتى سفينة فسارت حتى جاءت الى مصر ومعها جنود يونانية من الممالك المعاهدة لاثينة وانضموا الى جنود مصر فتقوت بهم عزائم المصريين وقاتلوا جنود فارس قتالا عنيفا جدا وما زالوا حتى انتصروا على جنود ﴿ ارتخشارشا ﴾ وقتل ﴿ ايناروس ﴾ ملك مصر بيده فى وسط المعركة ﴿ اخمينس ﴾ نائب مملكة فارس الذى كان بمصر وأرسل جثته الى شقيقه ملك فارس وهجمت السفن اليونانية بقيادة أميرها ﴿ خار تميدس ﴾ على السفن الفينيقية التى كانت مع جنود الفرس وكان فى هذه السفن بعض العجم وبعض الجنود من الاهالى الذين حافظوا على طاعة فارس فحاربوهم حتى أسروا منهم ثلاثين سفينة وأغرقوا عشرين وانتصر اليونان والمصريون نصرة عظيمة ثم ساروا على النيل حتى وصلوا الى مدينة منفيس وكان بها بعض العجم وبعض الجيوش الوطنية فحاربوهم حتى استسلمت المدينة لهم ولكن بعد قتال طويل تمكن فى خلاله ملك فارس من حشد جيش جديد وقيل انه لما رأى ﴿ ارتخشارشا ﴾ أنه لابد من هجوم اليونان والمصريين ومن معهم على عساكره بمنفيس عمل على سلخ عساكر اليونان عن عساكر مصر وفصم عرى الاتحاد من بينهم فنجح وفاز حتى رشا بواسطة رسله أهل اسبارطة من اليونانيين ليمتنعوا عن الاشتراك فى الحرب فامتنعوا فأرسل على الفور القائد ﴿ مجابيسوس ﴾ بجيش جرار الى مصر فقابلته العساكر المصرية وحاربته فحاربها وطاردها الى جزيرة ﴿ بروسوبيتس ﴾ وكانت هذه الجزيرة فى غاية المنعة لما فيها من القلاع والحصون فلما انحازوا فيها سد ﴿ مجابيسوس ﴾ فرع النيل الذى

كانت فيه السفن اليونانيـة وهو المحيط بالجزيرة المذكورة فغاض منـه الماء ونضب ثم هجم على المصريين ومن كانوا معهـم من اليونانيـين فأسر «(ايناروس)» وأمر بقتـله صلبا وهلك أكـثر اليونان قال «(تى سيديد)» وكان من تمام مصـيبة المغـلوبين أن جاءت نحو الخمسين سفينة من سفن اليونان لامداد المصريين ورست فى مصب البحر المنديسى فهجمت عليها السفن الفينيقية ودمرت نصفها بل أكثر قال هيرودوتس فدخل عند ذلك «(تانيراس)» ابن «(ايناروس)» تحت طاعة العجم وأظهر الخضوع فقلدته دولة فارس ملك مصر مكان أبيه مكافأة له على طاعته وكان من حزب «(ايناروس)» المذكور رجل اسمه «(أميرتيوس)» قد هرب عنـد ماوقع «(ايناروس)» فى قبضة «(مجابيسوس)» والتجأ الى أباطح الساحل باقليم الشرقيـة الذى انحاز فيه الملوك الصاوبون غير مرة ودافع هو ومن كان معه من حزبه حينـا مع الظفر والاسـتظهار ولكنه لم يفـلح وعادت مصر الى ما كانت عليـه من الوقوع فى قبضة ملك فارس وأقام عليها عمـه «(اخمينس)» نائبا فاستعبد أهلها وأذلهم وبالغ فى تنكيلهم وأذاقهم مر العـذاب وكانت هـذه الوقائع المشؤمة على عهـد كثـير من مؤرخى اليونان المشهـورين أى فى أيامهـم فحكوها فى عباراتهـم على ماينبغى والاصح منها مارواه مانيطون المؤرخ المصرى وقد تأيد بما وجد على المبانى القديمة والنقوش ومما جاء فى كلامه أن «(ارتخشارشا)» الملك بعد أن مكن دولته وثبت أركانها حكم مصر ثمانيا وثلاثين سنة بعد عصيان المصريين على نائبه مدة سنتين فتكون مدة حكمه جميعها على فارس أربعين سـنة وبقى المصريون خاضعين لنائبه «(اخمينس)» المذكور الى أن مات «(ارتخشارشا)» سنة خمس وعشرين وأربعمائة قبل الميلاد أى سـنة سبع وأربعين وألف قبـل الهجرة فخلفه «(شيارش)» الثانى

(فى الملك شيارش الثانى)
(والملك سوغـــــديانوس)
(والملك دارا الثانى)

تولى «(شيارش)» الثانى الملك سنة خمس وعشرين وأربعمائة قبل الميـلاد أى نحو سنة سبع وأربعين وألف قبل الهجرة فلم يستقر به المنصب سوى خمسة وأربعين يوما وقيل ستين يوما حتى قام عليه ابنه «(سوغديانوس)» فقتله

فولوا «(سوغديانوس)» المذكور بعده فحكم سنة أشهر ونصفا وقيل سبعة وقام عليه دارا الثانى فخلعه وقتله

فولوا دارا بعده فى نحو سنة أربع وعشرين وأربعمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ست وأربعين وألف قبل الهجرة ولقب بلقب ﴿ رع ميامون ﴾ ولم يذكر المؤرخون السابقون وعلماء الفلك فى فهرست ملوك فارس اسم ﴿شيارش﴾ الثانى المذكور ولا اسم ﴿ سوغديانوس ﴾ قال بعضهم وكذلك فى جدول سلسلة تاريخ الملوك الذين ذكرهم بطليموس الفلكى فى طالعة كتابه المجسطى التى بنى عليها زيجه لم يذكروا ﴿ كورش ﴾ وكمبيز ﴿ ودارا ﴾ الاول ﴿ وشيارش ﴾ ودارا الثانى ولا غيرهم قالوا فتكون العمدة اذن على ماقاله مانيطون وكان دارا المذكور متزوجا بخالته المسماة ﴿ پاربساتيس ﴾ قال ﴿ كيتزيانس ﴾ وكانت امرأة قاسية فاسدة غليظة الطباع وقد اختلت فى أيامه دولة فارس ولحق باهلها الضيم والهوان فلما أحس المصريون بذلك هبوا الى العصيان واستقدموا ﴿ أميرتيس ﴾ من الاباطح التى كان قد لجأ اليها بعد قتال العجم الاخير لخلاص الوطن من العدو ثم أقاموه رئيسا عليهم فقام بمن معه من العساكر على نائب دارا وعساكره المحتلة بالديار المصرية وأخذ يطاردهم فمات فى هذه الاثناء دارا وملك المصريون وطنهم واستقل ﴿ أميرتيس ﴾ بالملك وأعاد الاصول والاحكام القديمة السياسية والدينية على حكم أسلافه من الفراعنة وانقرضت بملكه دولة فارس من مصر التى هى عبارة عن الدولة المصرية السابعة والعشرين فكانت مدة ملك دارا تسع عشرة سنة وكانت مدة حكم هذه الدولة على مصر مائة واحدى وعشرين سنة كما رواه كثير من جماعة المؤرخين وجاءت بعدها الدولة الثامنة والعشرون الصاوية المنسوبة الى مدينة صا الحجر ولم تتعدد ملوكها بل كانت كلها عبارة عن أيام ملك واحد هو الملك ﴿ أميرتيس ﴾ الذى تقدم الكلام عليه فى آخر أيام الدولة السابعة والعشرين

(الفصل الثانى)

﴿ فى الدولة الثامنة والعشرين الصاوية ﴾

كان رأس هذه الدولة الملك ﴿ أميرتيس ﴾ الذى يقال له أيضا ﴿ أمرته ﴾ وقد تولى الملك بعد قتال كبير مع جند فارس الذين كانوا بمصر ويقال انه من نسل بعض العائلات الملوكية المصرية وكان بطلا مهيبا وقائدا مدربا فى الحروب وهو المؤسس للدولة الثامنة والعشرين وقد تكنى بكنى الفراعنة فلما استقر به المنصب اجتهد فى اصلاح ماأفسدته دولة فارس وفى اعادة المراسم والمواسم الدينية القديمة وفى ارجاع ما كان لهما كل من الرونق والبهجة وفى اصلاح ماأفسده العجم أيضا من المعابد والصنائع قال جماعة المؤرخين ولو أمد الله فى حياته

لتمكن من اصلاح جميع ماأفسدته أيدى الغرباء الا أنه أدركه الموت عاجلا وذلك فى سنة ست وأربعمائة قبل الميلاد أى سنة ثمان وعشرين وألف قبل الهجرة فكانت مدة حكمه على ديار مصر سبع سنين وهى عبارة عن مدة حكم هاته العائلة وقد أبقى بقايا أصلحها من أتى بعده من ملوك الدولة التاسعة والعشرين التى أعقبت دولته وبعونه زالت الدولة الثامنة والعشرون وقامت بعدها الدولة التاسعة والعشرون التى تعرف بالدولة الاشمونية

(الفصل الثالث)

(فى الدولة التاسعة والعشرين الاشمونية)

قال أصحاب التاريخ لاندرى ماسبب ارتقاء هذه الدولة الى منصة الاحكام بعد زوال الدولة الصاوية التى هى الدولة الثامنة والعشرون رغما عن كل بحث وقد كان ابتداء حكمها فى سنة ست وأربعمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثمان وعشرين وألف قبل الهجرة وكانت تسمى بالدولة الاشمونية ويقال لها أيضا الدولة الاشمونية نسبة الى مدينة أشمون الرمان التى محلها الآن المدينة القديمة المسماة (منديس) فيقال لهذه الدولة أيضا المنديسية وكان فى أيامها مصب فرع من النيل يسمى الفرع المنديسى ولكنه قد غطته الآن الرمال وكان عدد ملوك هذه الدولة خمسة أولهم الملك (نفريتس) الاول المسمى عند اليونان (نفروطيس) ويلقب (بن رع نترو) وفى رواية أن عدد ملوكها أربعة وهو الاصح نقلا عما جاءت به الآثار وسنو ملوكهم احدى وعشرون سنة

(فى الملك نفريتس الاول)

تولى الملك (نفريتس) الاول فى نحو سنة تسع وأربعمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثمان وعشرين وألف قبل الهجرة وكان ملكا مهيبا جليل القدر فجعل ملك فارس منذ استوائه على سرير الملك يهدده ويخيفه بارسال الجنود الكثيرة لمحاربته ومع ذلك لم تفتر له همة ولا ضعفت له عزيمة فى سلامة وطنه وايراده موارد العز والرفاهية فعقد مع جمهورية اسبارطة اليونانية المعروفة باسم (لقدومنه) معاهدة للذب والدفاع ومهاجمة فارس فزادت بهذه المعاهدة مهابته وارتفعت كلمته وخافه الفرس وحشد جيوشه فى حدود الشام لقتال فارس وأكثر من آلات الحرب ومعدات القتال غير انه قد حدث

للفرس

للفرس حروب فى جهات أخرى فحالت بينهم وبين قتال المصريين قال بعض أصحاب التاريخ ولما كانت سنة احدى وتسعين وثلثمائة قبل الميلاد طلب يونان جزيرة قبرس أن يعاهدوا الاثينيين (والهيكاتومنوس) ملك القيروان والمصريين وسعوا وراء ذلك سعيا مجيدا فتعاهدوا وارتبطوا برباط الاتحاد وتألبوا على الذب والقتال وحسب الفرس لهم ألف حساب ولكن لم تطل بعد ذلك أيام الملك نفريتس حيث أدركه الموت فى نحو سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة خمس عشرة وألف قبل الهجرة فخلفه (أخوريس) وكانت مدة حكم نفريتس ست سنوات وأشهرا

(فى الملك أخوريس)

تولى الملك أخوريس المذكور فى نحو سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة خمس عشرة وألف قبل الهجرة ويسمى باسم (هوقود) فلما استقر به المنصب حذا حذو (نفريتس) فى إعلاء شأن البلاد وتعزيز جانبها وجدد المعاهدات مع الامم والملوك مثل أهل قبرس والعرب وأهل الغرب وبرقة وتعاهد مع اليونان على قتال الفرس فأمده اليونان بجيش جرار تحت قيادة (خابرياس) القائد الاثينى فلما جاءت عساكر فارس لقتال المصريين رأوا من شدة بأسهم مالم يبلغوا معه أربا وكان للملك (أخوريس) المذكور عناية تامة باصلاح ماأفسده جور حكومة فارس مما لم يصلحه سلفه والدليل على عنايته هذه الاصلاحات التى أجراها بالاعمدة الموجودة بالايوان الكبير فى مدينة (أبو) فى طيبة بالصعيد وفى مقاطع الجر بطرا ولكنه مات فى خلال اهتمامه باصلاح شؤن البلاد وترتيب أمورها وذلك فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وألف قبل الهجرة فكانت مدة حكمه ثلاث عشرة سنة كما جاء فى رواية مانيطون *وفى أيام هذا الملك قدم افلاطون وغيره من حكماء اليونان ليتخرجوا على حكماء عين شمس ومنف وطيبة وينشروا علومهم فى بلاد اليونان وبعد موته خلفه بساموتيس

(فى الملك بساموتيس)

تولى بساموتيس فى نحو سنة احدى وثمانين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وألف قبل الهجرة ولم يحكم غير سنة واحدة ولم يذكر أصحاب التاريخ شيأ من مآثره وأعماله غاية ماقالوه انه وجد اسمه منقوشا بجانب اسم سلفه الملك (اخوريس) فى قصر

الكرنك ومات فى سنة ثمانين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وألف قبل الهجرة وخلفه الملك ﴿نفرتيس الثانى﴾

(فى الملك نفرتيس الثـــانى)

تولى نفرتيس الثانى الملك فى سنة ثمانين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وألف قبل الهجرة ولم يحكم سوى أربعة أشهر وقيل سنة واحدة ولم يعلم من آثاره الا صنم أبوالهول المحفوظ بخزانة التحف فى عاصمة الفرنسيس ونفرتيس هذا هو آخر ملوك هذه الدولة فكانت مدة حكمها احدى وعشرين سـنة ثم انقرضت وزالت وجاءت بعدها الدولة المتممة للثلاثين وهى الدولة السمنودية المنسوبة لمدينة سمنود القديمـة بالاقليم البحرى وهى كبقيـة الدول المنسوبة الى الاقاليم البحرية اذ كانت قد محيت من مدن الاقاليم القبلية آثار شهرتها العظيمة وانحط صيتها البعيـد بعد ان سارت به الركبان وزالت عنها مزية ما كان يعدد فيها من الملوك فان مـدينة طيبـة التى خرج منها جميع مـلوك دولة الفراعنـة زمنا طويلا أخنت عليها صروف الزمان وأصبحت شهرتها فى خبر كان

قال بعض المؤرخين وانقطعت طيبة للكهنوتية فانها لما طال بها الاستعباد وثقـل عليها الهوان واضمحل شرفها القديم انطفأت أنوار بهجتها وضاعت منها مزية انها مركز الملك لسرير الفراعنة وانتقلت منها الرئاسة الى مدن الاقليم البحرى فسبحان من يغير ولا يتغير

(الفصـــــل الرابع)

﴿ فى الدولة المتممـة للثلاثين السمنودية ﴾

كان مبدأ ملك هذه الدولة سـنة ثمان وسبعين وثلثمائة قبل الميلاد أى سـنة ألف قبل الهجرة وقد سميت هذه الدولة بالسمنودية نسبة الى مدينة سمنود تخت ملكها بالوجه البحرى كنسبة من سبقها من الدول الاخرى الى الاقليم البحرى فان مدن الاقليم القبلى كانت زالت شهرتها العظيمة وانقطع ذكرها وانمحى صيتها البعيد الذى كان يذكر عنـد ذكر كل مدينة منها وأصبحت مدينـة طيوه وهى طيبة التى هى أم مـلوك أكثر الدول المصرية مجردة عن هذا الشرف والمجـد العظيم وانقطعت للكهنوتية وانتقلت منها الرئاسة الى الاقليم البحرى فنالت كل مدينة من مدنه حظها من ذلك حتى مدينة سمنود القديمة وكانت مدة هذه الدولة التى هى السمنودية ثمانيا وثلاثين سنة وعدد ملوكها ثلاثة وأولهم الملك ﴿نختحورحب﴾ الملقب ﴿يرع سنوزم حت استن انحور﴾ ويقال له ﴿نقطانب الاول﴾

(فى)

(فى الملك نقطانب الاول)

تولى نقطانب الاول الملك سنة ثمان وسبعين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة ألف قبل الهجرة وهو رأس هذه الدولة ولم يكن جلوسه على سرير الملك الا فى خلال الفتن واشتداد أزمة الخطوب والاحن وكانت دولة فارس لم تزل قلقة البال باسباب خروج مصر من قبضة يدها طامعة فى استرجاعها وكان «نقطانب» يعلم منها ذلك فجهز عسكرا كبيرا وأكثر من معدات الحرب وتأهب لرد الفرس عن مملكته فلما كانت السنة الثانية من ملكه جاءت اليه عساكرهم برا وبحرا تحت قيادة «فرناباز» الفارسى «وافيكراتيس» الاثينى ونزلوا باشتوم أم فرج عند البحر المنديسى فلاقتهم هناك الجنود المصرية المحافظة على السواحل وقاتلتهم فهزموها وانتصروا عليها وأشار «افيكراتيس» الاثينى بالزحف على مدينة منف قبل أن تصل اليها جنود المصريين فعارضه فى ذلك «فرناباز» الفارسى وأبى الا التربص حتى يأتى اليه المصريون فسار اليهم الملك «نقطانب» فى جيشه وحاربهم وانتصر عليهم نصرة عظيمة وذلك على مقربة من منديس فولوا الادبار الى بلادهم وقيل انهم ركبوا السفن بالنيل وتمنعوا ببعض الجهات لحصن هو مدينة منف وزحف لقتالهم واقتفى أثر «فرناباز» قائدهم الاكبر وحاصره وكان ذلك عند حلول أيام فيضان النيل فوقع الفرس فى أيدى المصريين حيث ضاقت عليهم الارض بمياه النيل وقد مات منهم خلق كثير جدا وتخلصت البلاد من شرهم وعلت كلمة الملك «نقطانب» وظهر نبله وارتاحت البلاد بنهضته بعد أن ذاقت من الفرس مر العذاب مدة خمس وعشرين سنة كما رواه «يودور»

وظهرت فى هذه الاثناء طائفة من اليونان تسمى طيبة اليونانية على أهالى «لقدمونه» من أعمال مملكة اسبارطة وعظمت شوكتها فنزل الملك «اجزيلاس» اليونانى الى الملك نقطانب مستغيثا به على أهل طيبة اليونانية فأغاثه وجهز له جيشا كبيرا فسار الجيش المذكور وظفر بأهل طيبة وتفرغ «نقطانب» بعد حروبه وغزواته فى آخر أيامه الى أمور المملكة فأعاد اليها الراحة وأكسبها الطمأنينة بعد الخوف وبنى الآثار الجليلة من الهيا كل والمعابد وأحسن ادارة البلاد ورتب أمورها على أحسن ترتيب وأكمل نظام ومات فى سنة أربع وستين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة قبل الهجرة وقد اختلف فى مدة حكمه فقيل عشر سنوات وقيل وهو الاصح انه حكم ثمان عشرة سنة نخلفه الملك طاخوس الآتى ذكر مآثره بعد

(فى الملك طاخوس)

﴿ ويقال له أيضا ﴾

(زيتحر)

تولى طاخوس الملك سنة أربع وستين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ست وثمانين وتسعمائة قبل الهجرة فلما استقر به الملك أخذ فى تدبير أمور المملكة ودفع غارات الفرس عنها ومكن المعاهدة مع أهل ﴿لقدمونية﴾ من أمم اليونان واستمدهم فبعثوا اليه جيشا كبيرا تحت قيادة كبير من قواد عسكرهم اسمه ﴿اجزيلاس﴾ ففرح ﴿طاخوس﴾ بقدومه وأعجبه منظره قبل أن يقف على حقيقة مخبره فعزم على أن يسلمه قيادة جميع الجيوش المصرية البرية والبحرية ثم رابه من أمره ريبة فلم يسلمه الا قيادة العساكر البرية وسلم قيادة العساكر البحرية لآخر اسمه ﴿خبرياس﴾ ولقبه بلقب أمير عموم الجيوش المصرية وهم ﴿طاخوس﴾ بمهاجمة فارس وقتالهم فأشار عليه ﴿اجزيلاس﴾ أن لايهاجمهم الا اذا حضروا الى ديار مصر ويجتنبهم مااجتنبوه فأبى الا قتالهم علاقاتهم فى سواد الشام وقام بجيوشه نحو الشام للقتال فلما سار وابتعد عن مصر قامت عليه العساكر فعزلته وولت مكانه ابن أخيه المسمى ﴿نقطانب﴾ الثانى فهرب ﴿طاخوس﴾ من وجه قومه الى ملك فارس فقابله وهو بطريقه عند بلاد العرب فأكرم مثواه وأحسن لقاه وحمله الى بلاده فكانت مدة حكمه الى هربه سنتين اثنتين لاغير وخلفه ﴿نقطانب﴾ الثانى الذى يقال له أيضا نخت نبف

(فى الملك نقطانب الثانى)

تولى نقطانب الثانى الملك نحو سنة اثنتين وستين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة أربع وثمانين وتسعمائة قبل الهجرة فلم يستقر به المنصب حتى قام من ينازعه فى الملك وهو أمير من أولاد وجوه مدينة اشمون قد خرج ومعه كثير من العساكر المتحزبة له فأجاب دعوته أيضا الجم الغفير من الاحزاب واستفحل أمره وعلت كلمته وكان ﴿ اجزيلاس ﴾ قائد الجيوش البرية متحزبا للملك ﴿ نقطانب ﴾ فأشار على الملك بسرعة الهجوم على هؤلاء الخوارج وتمزيق شملهم كى لا يتمكنوا من التأهب ولايكثروا من جلب الامدادات اليهم فلم يفعل وارتاب فى صدق النصيحة فلم يكن بأسرع من أن ساجله عصاة العساكر وغالبوه فامتنع فى احدى المدائن فحاصروه وأحاطوا به ولم يمد اليه ﴿ اجزيلاس ﴾ يد المساعدة بل خذله وتركه أياما فبعث اليه يستغيث فأشار عليه بأن يفتح أبواب المدينة ويخرج لمطاردة

العدو

العدو ويحمل عليهم حملة شديدة ففعل فظهر عليهم وأبعدهم عن المدينة واقتفى (أجزيلاس) أثرهم ومازال حتى أخذ أميرهم أسيرا وخلا الجو لـ(نقطانب) فاستقر فى منصبه بلا منازع ولا معارض له فى شؤنه

وعقد فى السنة الثانية من حكمه معاهدة مع أهل صيدا وصور وقد كانوا كأهل مصر على خوف من غارات الفرس عليهم والتملك على بلادهم فكان الدفاع قدرا مشتركا بينهم فلما سارت الجيوش الفارسية لقتال المصريين لم يروا بدا من محاربة الصوريين أولا فعاقهم قتالهم عن المسير الى مصر واشتدت الحرب بين الفريقين فبعث (نقطانب) ملك مصر أربعة آلاف مقاتل من اليونانيين على نفقته مددا للصوريين وجعل (منطور) الروسى رئيسا عليهم وكانت قد دخلت فى هذه المعاهدة أيضا عساكر قبرس فسار فريق منهم لنجدة الصوريين فلما التقى الجمعان اقتتلا قتالا شديدا فانهزمت جيوش فارس شر هزيمة فلما وصل الخبر لملك فارس اغتم غما شديدا وجيش جيشا ثانيا وانطلق به الى مصر ففزع الأمير (منطور) الروسى من عظم هذه الغزوة وهاله كثرة عساكرها وخشى عاقبة هزيمته فانضم بمن كان معه للعدو واستسلم الى (داراأخوش) ملك فارس المذكور فرحب به دارا وأحسن نزله ولاطفه ليدله على البلاد ويكشف له عن عوراتها فيسهل عليه غزوها

فلما علم فرعون (نقطانب) بما فعله (منطور) جهز من العساكر والاجناد مايكفى لحماية البلاد فقاد جندا مؤلفا من نحو خمس وعشرين ألفا من اليونان وعشرين ألفا من المغاربة وستين ألفا من المصريين وأقام المرابطين فى جميع الثغور والحصون المهمة فكان فى مدينة (الفرمة) منهم خمسة آلاف وكان مع كل من ملكى مصر وفارس رؤساء وقواد من اليونان من حزبه يستشيرهم ويستعين ببسالتهم فى الحروب ويثق بأمانتهم فالتحمت الحرب بين الفريقين وكانت سجالا وما زالت الى ان ظهرت الفرس على المصريين فسلم المصريون واليونانيون أنفسهم فلما رأى ملك مصر انهزام جنده وتمزيق شملهم وقرب زوال ملكه ضاقت به الحيل وداخله اليأس والقنوط فلم يسعه الا أن جمع أموالا وفر الى بلاد النوبة وانقطع خبره فكان هو آخر ملوك الدولة المصرية المكملة للثلاثين وكانت مدة حكمه ثمان عشرة سنة وزال بزواله ملك مصر من يد أهلها وسقطت فى أيدى الفرس مرة ثالثة وكان انتهاء هذه الدولة فى سنة أربع وأربعين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ست وستين وتسعمائة قبل الهجرة بعد ان حكمت ثمانيا وثلاثين سنة كما جاء فى أقوال جماعة من المؤرخين وصارت مصر من هذا الحين مضغة فى أفواه الغرباء يتولاها ملك منهم بعد الآخر الى يومنا الذى نحن فيه ولم يملكها ملك من أهل البلاد بعد ان تخلصت من استعباد الفرس وحفظت استقلالها وأعادت ماندرس من معالم مجدها وحكمت نفسها زهاء ست وستين سنة وقد عدت دولة فارس فى تملكها على مصر فى هذه المرة الدولة الحادية والثلاثين وهى الدولة الثانية الفارسية المنقرضة بإغارة اسكندر المقدونى على مصر وأخذها منهم

(الفصل الخامس)

(فى الدولة الحادية والثلاثين)

(وهى دولة الفرس الثانية المنقرضة بإغارة الاسكندر المقدونى على ديار مصر)

قال أصحاب التاريخ بعد ان تخلصت مصر من حكم الفرس وفكت قيود استعبادها وابتدأ زهاءست وستين سنة وهى مدة حكم الدول الثلاث السابقة متمتعة بالاستقلال وقد أعادت فى خلال هذه المدة ما كانت خسرته فى أيام دولة فارس من المدنية والعمران وأصلحت ماأفسدته طوارق الحدثان ولمت شعثها بقدر مافى الامكان عادت فسقطت فى أيدى الفرس مرة ثانية فى أيام دولة الملك دارا أخوش الذى هو رأس الدولة الحادية والثلاثين المذكورة وذلك فى سنة أربع وأربعين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ست وستين وتسعمائة قبل الهجرة ولكن لم تطل مدتها فلم تتجاوز ثمان سنين وكان عدد من تولى الملك منها ثلاثة أولهم الملك أخوش الذى سيأتى الكلام عليه

(فى الملك دارا أخوش الفارسى

تولى دارا أخوش الملك فى سنة أربع وأربعين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو سنة ست وستين وتسعمائة قبل الهجرة بعد انتصاره على (نقطانب) الثانى فلما استقر به المنصب سمى نفسه (ارتخشارشا) الثالث وكان فظا غليظ الطبع متكبرا فأمر بقتل جميع أبناء وبنات الملوك الذين قبله ليمحو أثر أسلافه فقتلوا جميعا وسلب من مصر جميع أموالها واغتنم مافيها وعاث فى الارض فسادا وأقام على مصر نائبا من قبله اسمه (فرنده) وهو أحد أمراء دولة فارس وبنى القصر المعروف بقصر الشمع وجعل فيه هيكلا وهو موضع الكنيسة المعلقة للقبط المتأصين الآن فان صح ذلك كان القصر المذكور من آثار دولة الفرس لامن آثار المصريين * وكان دارا المذكور قبل تغلبه على ديار مصر قابضا على زمام حكم الفرس نحو العشرين سنة وفى عصره أخذت مقدونية فى الظهور بين الدول ووجهت اطماعها الى التملك على آسية وأخذها من الدولة الفارسية وجعلت تراقب الفرص الملائمة لذلك ومازال الملك دارا المذكور يتصرف فى الامور ويظلم ويجور ويسوم الرعية الخسف حتى أبغضته وكادت تشق عصا طاعته وبدت علامات الفتنة وقلقت لذلك خواطر الولاة والعمال ودارا لاينكف ولايقف عند حد حتى دس له (باغواس)

الطواشى السم فى طعامه وقتله فتولى الملك بعده ابنه (ارسيس) فكانت مدة حكم دارا المذكور على مصر سنتين اثنتين لاغير

(فى الملك ارسيس ابن دارا أخوش)

تولى ارسيس الملك سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة قبل الميلاد أى نحو أربع وستين وتسعمائة قبل الهجرة فلم تكن مدة حكمه الاسنتين كأبيه ولم يذكر عنه جماعة المؤرخين شيأ وانما ذكره مانيطون المؤرخ فى فهرسته ومات فى سنة أربعين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وستين وتسعمائة قبل الهجرة فخلفه دارا الثالث الذى هو آخر ملوك هذه الدولة

(فى الملك دارا الثالث)

تولى دارا الثالث الملك سنة أربعين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وستين وتسعمائة قبل الهجرة وكان اسمه قبل الولاية (كودومانوس) وكان ارتقاؤه سرير الملك فى نفس السنة التى تولى فيها اسكندر الاكبر المقدونى وكان دارا هذا مشؤم الطالع على مملكة فارس فانه ماارتقى سرير ملكها حتى أخذت فى الضعف والانحطاط فزالت شوكتها وتلاشى أمرها بظهور المقدونيين عليها وذلك لان الامة الصادقة فى حب وطنها المتحمسة فى الذب عن ذمارها متى كانت حائزة على بعض المعرفة بالسياسة حازمة مدبرة تحسب العواقب ولوكان عدد أهلها قليلا فانها تغلب العدد الكثير وتظفر بالجم الغفير من أعدائها هذه مقدونية التى نبغت من بين أمم اليونان فى عهد قريب قد وصلت فى دورها الى درجة عالية من التمدن وتمسكت بعروة الشجاعة وحب الوطن فظهرت على غيرها من الامم وطار صيتها الى أقاصى البلدان وسارت بشهرة مفاخرها الركبان فحكمت اليونان واستولت على جميع أملاكها ودبرت امورها وأحسنت سياستها وأحكمتها ومازالت تترقى الى أوج المعالى حتى تولاها اسكندر بن فلبس المقدونى فوسع ممالكها بسيف فتوحه ولم يعقه عائق عن توسيع دائرة فتحه البلاد وتسخيره العباد بل طاف قارة آسية فدخل الهند وبدد شمل قومها وهزم ملكها (بوروس) وكان بوروس المذكور قد حارب الاسكندر راكبا على فيل عظيم فأظهر هذا الفيل من الشجاعة والفروسية ماادهش الاسكندر فلما وقع ملك الهند فى قبضة يد الاسكندر أخذ فيله المذكور وميزه ونذره لكوكب الشمس معبود المقدونيين وسماه باسم (اجاكس) الذى هو أحد فحول اليونان ثم حرم ركوب ظهره ماعاش وقد ذكرنا هذه الحكاية هنا على سبيل الاستطراد

وبعـد أن تمت للاسكندر غزوة الهنـد عرج الى فارس وقاتلها ومزقها وورث ملكها وقد ساعده على ذلك بعض أهالى الولايات الفارسية لبغضهم لحكم فارس وميلهم الى الخروج عن ربق عبوديتهم لاسيما مصر فانها كانت قدسئمت نفسها الذل وتاقت الى التخلص من قيود ذلك الاسر فلما كانت سـنة اثنتـين وثلاثين وثلثمائة قبـل الميـلاد سـيرت الى الاسكندر تستحثه على الحضور الى ديار مصر ونزعها من أيدى أولئك الظلمة القساة فأتى اليها وأجـلى الفرس عنها بعـد قتال عنيف وأزال ملكهم منها وأباد جميع من كان بها من قوم فارس فأصبحوا كأنهـم لم يكونوا شـيأ مذكورا فكانت مدة حكم الفرس على مصر فى هذه المرة بقدر المدة الواقعة مابين قبشاش الذى هو كمبيز الى موت دارا الثالث وهى عبارة عن ثمان سنوات فقط قال بعض الكتاب فكان ما بينهـما أى بين كمبيز ودارا الثالث من الدول المصرية غير معتـبر اذ كانت دولة فارس لهم بالمرصاد فى المدة المتخللة بين حكمها فى المدتين السابقتين

قال صاحب العـقد الثمين ويشهد على هزيمة الاسكندر المقدونى لدولة فارس بمصر نقوش وجـدت على حجر محفوظ الآن بمتحف نابولى بايطاليا لكاهن مصرى من عصر دارا الثالث يقال له «سمتاوى تفنخت» حيث يدلنا بنقوشه على حرب الفرس مع المقدونيين فى ديار مصر وعلى سقوط الدولة المصرية واضمحلالها وهذا تعريبه على ماترجـمه بروكش * الامير الوارث المجيد والحبيب الاعز الاوحد كاهن المعبود حور سـيد «هيبونن» وكاهن معبودات قسم «هيبونو» وكاهن معبودات «سمتاوى» بمدينة «أجو» وناظر أملاك المعبودات ورئيس قسوس المعبودة «سخت» فى كافة المملكة أعنى به «سمتاوى تفنخت» ابن المكرم «نس سمتاوى أوف عنخ» كاهن المعبود أمون بمـدينـة «بيشا» وابن المكرمة «عنخت» قال مامعناه ياسيد المعبودات «خنوم» أنت سلطان الوجـه القبـلى والبحرى وكبير المملكة أنت الذى تنـير الدنيا بظهورك وتنـير الشمس بعينك اليمنى والقمر بعينك اليسرى والشعاع مقتبس من نور عقلك والريح الطيبة من خياشيمك فهـى تنعش حياة كل موجود أنا كنت خادمك وأفعل بارادتك وقلبى ممتلئ بحبك وودادك ولم أزخرف مدينة كمدينتك ولم أقصر أبدا فى تبليغ سرك للبشر مع كثرتهم وفى اظهار معجزاتك للورى بين منازلهم فضاعفت لى ذلك مرارا بالخيرات الجزيلة حتى اشتهرت فى كافة الارض وتقلدت ادارة بيت الملك وما ذلك أيها الملك المحسن الا لتعطف قلبك على واجابة سؤالى حتى رقيت الى أعلى الدرجات من بين كثيرين ولما غضضت نظرك عن المملكة المصرية وجنح قلبك بالمحبة الى ملك آسية أحبنى أصدقاؤك العشرة وقلدتنى أنت الرياسة على كهان المعبودة «سخت» بدل أخى من أمى «سرحونب» الذى كان رئيسا على كهان تلك المعبودة فى عموم الوجه القبلى والبحرى أنت الذى حميتنى فى حرب المقدونيين حين طردوا أهل آسية من الديار المصرية وقتلوا بجانبى ألوفا عديدة ولم يرفع أحد يده على ولما استتبت الراحة بعد وقوع هذه الحادثة أمرتنى بالتوجه الى اهناس ووعدتنى أن تشملنى بانظارك وتحفظنى بعـين عنايتك اذ كنت وحيدا فاقـد الاهـل فريدا فتوجهت

اليها

اليها فى النيل المبارك ولم يحصل لى خوف لانى كنت متفكرا فيك غير مجاوز لوصيتك حتى وصلت الى مدينة اهناس بدون أن تقشعر شعرة من بدنى وكما كنت مهنأ بامرك فى المحل الأول كنت كذلك فى المحل الثانى لانك منحتنى الحياة مع راحة القلب فياأيها الكهنة الذين يخدمون المعبود الجليل (خنوم) ملك الاقليمين والمعبود (حورمخى) العظيم بين معبودات مدينة اهناس والمعبود (توم) ساكن صان وكبير الكباش المقدسة المتصف بقوة الرجال ويأيها الناس والارباب ويا ملك مصر الاخير اعلموا أن الامير الذى كان يحب ملك الوجه القبلى والبحرى قد صعدت روحه الى السماء لتشاهد هناك المعبود (خنوم) ملك الوجه القبلى والبحرى فى ايوانه والمعبود (توم) فى تخته والمعبود (أونفر) واعلموا أنهم يتشكرون بتخليد ذكركم فى دار الدنيا وانكم تنالون المكافأة من (خنوم) ملك الدارين لوداومتم على المدح والشكر لمعبودات مدينة اهناس وعلى المدح أيضا لتمثال (سمتا) (وتفنخت) المقدس المحترم فى قسمه ليكون لكم أعظم رفيق وعدحكم غيره على ممر السنين بالمدح العريق اه قال ومن نقوش هذا الحجر أنه لما انتشبت الحرب بين المقدونيين والمصريين كانت الدائرة على العجم فانهزم دارا وقتل كثير من رجاله ثم قتله أحد نوابه فانتقل بعده حكم مصر الى دولة اليونان اه

وقد أحدث الفرس بديار مصر من أسباب الخراب شيأ كثيرا جدا وأزالوا بهجة المبانى والآثار العظيمة لاسيما ما كان منها بين مدينة طيبة من صعيد مصر ومحلة الدكة من بلاد النوبة على مسافة خط يزيد عن الستين فرسخا فقد تركوها خاوية على عروشها لم يبق منها الارسوم واطلال وكانت أحكامهم فى مصر أحكاما مطلقة فاذاق عمالهم وولاتهم أهل البلاد كأس الذل والهوان وجرعوهم الغصص ومنعوهم من التظاهر بعبادة معبوداتهم وضبطوا أملاك طوائف الكهنة وضربوا المغارم على آلهة المصريين فى نظير اباحة التعبد بها تدفعها لاصنام فارس ولم تكن الفرس تميل بالطبع الى المصريين ولا تحب الاختلاط بهم ولا التقرب منهم شأن الامة الفاتحة الغاصبة بل كانوا بمعزل عن جميع عوائدهم وزيهم وملبسهم وكذلك كان المصريون غير أن الفرس كانوا قد نقلوا عن المصريين الحكومة المستكملة وتعلم ملوكهم طرق الرئاسة وأساليب السياسة وقد كانت قبل تغلبهم على مصر مجهولة عندهم لايرون للوصول اليها سبيلا * قال بعض المؤرخين وبانقراض حكم دولة الفرس من مصر دخلت مصر فى تاريخ جديد على نسق جديد فى الوقائع الزمانية أعاد اليها رونقها القديم ونخرها القويم قالوا فان استيلاء الاسكندر ومن أتى بعده على مصر بعد دولة فارس يعد فوزا للمصريين ونصرة وذلك لما كان بينهم وبين اليونان من روابط المحبة وشرائط المودة باشتراكهم فى العلوم والمعارف الحكمية فضلا عن العهود السابقة والمحالفات التى جعلت الامتين يدا واحدة على الفرس فابادوا حكمهم وضعضعوا شوكتهم فخرجوا من البلاد بعد أن أساؤا السيرة فى أهلها * فسبحان من بيده الملك يؤتيه من يشاء

وبانقراض حكم الدولة الفارسية قامت بعدها الدولة المقدونية الاولى وهى المعروفة بالدولة الثانية والثلاثين فى ترتيب أصحاب التاريخ وعلى هذا الترتيب لم يبق من عدد دول الجاهلية الاثلاث وهى الأخيرة منها الآتى الكلام عليها واحدة فواحدة على النسق الآتى

(الباب الثانى)

(فى الدولة المقدونية الاولى التى ظهرت بظهور الاسكندر وفيه فصول)

(الفصل الاول)

(فى العائلة الثانية والثلاثين احدى العائلات الثلاث الباقية من الجاهلية)

كان مبدأ ظهور هذه الدولة سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة أربع وخمسين وتسعمائة قبل الهجرة وكانت مدة حكمها سبعا وعشرين سنة وعدد ملوكها ثلاثة ورأس هذه الدولة الاسكندر الاول الملقب بالاكبر * قال بعض المؤرخين وبظهور هذه الدولة انقرضت تماما دول العائلات المصرية التى جاء على ذكرها المؤرخ مانيطون قالوا ولا يفهم من أحوال هذه الدولة وما جاء بعدها من الدول الاخرى الى فتوح الاسلام شئ غير ماهو مكتوب على الآثار القديمة ومفهوم منها مع مايضم الى ذلك مما يستفاد من كتب اليونان والرومان المتداولة

وكان رأس هذه الدولة بمصر الاسكندر الاكبر حيث دخلها بعد أخذه مدينة صور وصيدا وفلسطين وغزة من دارا ملك فارس واستولى على ديار مصر جميعها وكان من مآثره ماسيذكر

(فى الملك اسكندر الاكبر المقدونى)

ولما تغلب الاسكندر على دارا ملك فارس تلقاه المصريون بالترحاب وأعانوه على قتال الفرس فرارا من جورهم واستعبادهم فاستولى الاسكندر على جميع ديار مصر وأخرج منها الفرس وعامل المصريين بالرفق واللين وأعاد ادارة البلاد وسياستها القديمة الى ما كانت عليه ولم يغير شيأ من عوائد الاهالى الدينية والمدنية وأطلق لهم حرية العبادة

والقيام

والقيام بشعائرها والجهر بها فى هيا كلهم وبيوت عبادتهم ورفع عنهم المغارم والمكوس الثقيلة التى كانوا يؤدونها للدولة الفارسية

واختار من أرض مصر القطعة الواقعة فى البرزخ الكائن بين بحيرة مريوط والبحر المتوسط فى غرب النيل ليبنى فيها مدينة جديدة على نسق المبانى المقدونية وكانت هذه القطعة يومئذ قرية قديمة تسمى «راقودة» فاختطها الاسكندر بمعاونة «ريناوخس» المهندس اليونانى ورسم أماكن المبانى العمومية والهيا كل والمعابد لليونان والمصريين على السواء فكان محيط هذه المدينة لاينقص عن ثمانين غلوة سهم ودخلت قرية «راقودة» المذكورة فى سور تلك المدينة وسماها «الاسكندرية» وبقى اسم «راقودة» لخطة بالاسكندرية بنيت على آثارها وقد زين الاسكندرية بأحسن الزينة وعمرها بالجم الغفير من أهالى المدائن المصرية فصارت عامرة آهلة ورتب فيها مرابطين من المقدونيين وأباح لجماعة اليونان وغيرهم من البلاد المشرقية الاستيطان بها وفتح أبوابها لاهل الملل وأعدها مركزا جديدا لتجارة المشرق والمغرب * ثم قلد ولاية مصر للامير «اقليومنوس» وسلمه زمام البلاد وسار هو بجيشه المظفر الى آسية وتوغل فى جوفها وقهر فى طريقه دارا ملك فارس و انتصر عليه النصرة الاخيرة بقرب مدينة «اربل» عند الموصل سنة احدى وثلاثين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة قبل الهجرة ثم سار قاصدا مدينة بابل ولم يزل حتى لم يبق بينه وبينها الا فرسخ ونصف فرسخ فخرج اليه مشايخ أهل العراق العارفون برصد النجوم وتمثلوا بين يديه وأعلموه انه قد ظهر لهم من التنجيم مادلهم على ان دخوله لبابل لايعود عليه الا بالفشل ويموت بها وألحوا عليه فى الرجوع عنها الى غيرها من المدائن فتطير من ذلك وتشاءم فبعث ببعض أمرائه اليها وعاد هو الى معسكره فوصله بعد مسيرة عشرة أيام وكان فى المعسكر جماعة من حكماء اليونان فقدموا عليه للسلام والتبريك وعلموا مافى نفسه من الوسوسة والتطير وانه عدل لذلك عن دخول بابل فما زالوا به حتى أزالوا عنه ذلك الخوف والارتياب وطمع فى المسير الى بابل مع جميع عساكره وأجناده وكان قد بلغه قدوم الوفود من جميع البلاد المسكونة اليها وانهم ينتظرونه فجد السير واستبشر ومازال حتى دخلها فى أبهة وكبكبة زائدة للغاية ثم اقتبل سفراء الملوك وأفسح لهم صدر الترحاب ولبث فى بابل نحو السنة يجدد فيها الاعياد والمواسم والمآدب والولائم وعكف على اللذات وانهمك فى الشراب فبينماهو ذات ليلة فى مجلس الشراب وقد أسرف كل الاسراف وأفرط فى تعاطى الخمرة حتى أخذت منه مأخذها نظر الى ندمائه فتقدموا اليه فى أن يشرب جاما على صحة كل واحد منهم وكانت عدتهم عشرين نديما ففعل ثم استدعى بقدح كبير كان يسميه «هرقطوس» الجبار فشرب به اثنين وقام يظهر من الضعف قوة فلم يقدر وانكب على محياه وأصيب فى الحال بحمى شديدة ولازمته نوبة بعد أخرى فكانت اذا فارقته أمر ونهى وأرسل الجيوش للغزو وفتح المدائن ظانا ان زمن مرضه قصير فلما رأى أن حياته على شفا جرف وأنه قد ضعفت حواسه

خلع خاتمه من اصبعه وسلمه الى الامير ﴿ برديقا ﴾ وأوصاه ان ينقل جثته الى هيكل المشترى بواحات سيوه ليدفن هنالك بين الآلهة * وكان قد سار متنكرا عند دخوله مصر الى كاهن المشترى فى واحات سيوه واستجوب الكهانة فعرفه الكهنة وقالوا له انك ابن المشترى صاحب هيكل طيبة اليونانية وانسرك سرى الى معبد سيوه *قال أصحاب الآثار ومع ماحكاه المؤرخون من سير الاسكندر الى تلك الاصقاع فانه لم يوجد من الآثار القديمة مايدل على ذلك سوى انه رؤى اسم الاسكندر منقوشا على مصراعى باب مصنوع من الحجر الصوان عثر عليه من عهد قريب بجزيرة أسوان اه *وكان يظهر التجلد والثبات وقد أسند ظهره يوما الى وسادة وجلس على عادته ويده ممدودة تقبلها الجند فسأله بعض كبار دولته عمن يخلفه فقال خليفتى عليكم أصلحكم بحفظ ناموس الملك *ثم قال انى لارى أنه لابد أن يقع بينكم الفشل والشقاق فتنصرم حبال عهدكم وسأله أحد كبار قومه متى نعدك فى عداد الآلهة المعظمين فقال لاأستحق هذا الاعتبار الا اذا سعدتم بعدى ولم تنفصم عروة اتحادكم

ومات وله من العمر اثنتان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وذلك نحو سنة ست وأربعين وتسعمائة قبل الهجرة أى نحو سنة أربع وعشرين وثلثمائة قبل الميلاد فكانت مدة حكمه اثنتى عشرة سنة ولم يعقب وارثا لسرير الملك اذ لم يكن له من الاخوة الا أخ لاب يدعى فليبس اريديس وكانت أم هذا الولد رديئة الاصل ليست من ذوى البيوتات العالية وقد تسرى بها فليبس أبو الاسكندر فرزق منها بذلك الغلام وكان للاسكندر أيضا ولد من زوجته ﴿ باريسينه ﴾ بنت دارا الملك اسمه ﴿ هرقولس ﴾ وكانت زوجته التى مات عنها وهى ﴿ روشنك ﴾ بنت ملك همذان حبلى ومشرفة على الوضع فكان يرجى ان تضع ذكرا ولذلك أمست ولاية عهد الاسكندر منحصرة فى اثنين وثالث موهوم ظهوره فأما الاثنان فأحدهما فليبس اريديس أخو الاسكندر كان ضعيف الرأى لايقدر على حمل أعباء هذا الملك الجسيم فلذلك كان لايصلح للخلافة وكان ثانيهما ابنه ﴿ هرقولس ﴾ لاتجربة عنده ولا خبرة بسياسة الممالك فكان كذلك لايصلح لتولى الملك بعد أبيه فاشتد الخطب لذلك على أمراء جنود الاسكندر وخاف أعيان دولته من ذهاب الملك وتمزيق ماجمعه الاسكندر واختلفوا فيمن يتولى هذا الملك العظيم بعده وكان ممن امتاز من قواد وأمراء الاسكندر بالمجد والنسب العريق والامتيازات الجندية والملكية ثمانية أمراء وهم ﴿ برديقا ﴾ ﴿ واليوناط ﴾ ﴿ وانطباطير ﴾ ﴿ ولوزيماك ﴾ ﴿ وبوطون ﴾ ﴿ وبوطسطس ﴾ ﴿ وبطليموس ﴾ ﴿ ومينارخس ﴾ فكان من هؤلاء الثمانية أن اجتمعوا فى غداة موت الاسكندر حول سريره ووضعوا عليه علامات الملك الخصوصية وسلاحه وتشاوروا فيمن يخلفه فرأى أحدهم ﴿ برديقا ﴾ أن يولى مولوده من زوجته ﴿ روشنك ﴾ حيث كان قد أزف وقت ميلاده ورأى ﴿ مينارخس ﴾ ان الذى يصلح لذلك هو ابنه ﴿ هرقولس ﴾ فدفع ﴿ بطليموس ﴾ القولين وقال انهما من أسباط ملوك العجم فلا يصلحان للملك على انا لو سلمنا الملك لاحدهما

لترتب

لترتب على ذلك تسليم ملك مقدونيا لملوك فارس والرأى عندى ان نجعل ادارة جميع مملكة الاسكندر شورى بين قواد الجيوش وأمراء الاجناد وبينماهم يتكلمون فى هذا الامر اذا بصوت فى وسطهم يقول انا نبايع أخا الاسكندر خليفة على كرسى أخيه ونلقبه بفيلبس وكان هذا الاسم محبوبا عند المقدونيين ثم انتدب رئيس جنود الاسكندر ونادى بالبيعة فعارضوه واستعانوا عليه بأمراء الفرسان فظهر فى الحال بينهم ﴿ فيلبس اريدس ﴾ أخو الاسكندر وعليه الحلة الملوكية بزى ملوك فارس فبايعه عند ذلك السواد الاعظم والجمهور من الاهالى والجنود ثم أمر بتحنيط جثة الاسكندر وكانت قد ألقيت بلادفن مدة سبعة أيام وأخذ فى تدبير الامور على مايشاء وكان من أمره ماسيذكر بعد

(فى الملك اريديس فلبس)

﴿ ويسمى أيضا ﴾

(ارهيدة فيلبش)

بويع أريديس فلبس بالملك بعد موت أخيه الاسكندر بسبعة أيام وذلك سنة اربع وعشرين وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة ست وأربعين وتسعمائة قبل الهجرة فلما استقر به المنصب وزع الايالات والمناصب الملكية على طوائف أمراء الاجناد والعساكر ومشاهير الرجال وقلد ﴿ بطليموس ﴾ النيابة على مملكة مصر وشاركه فى ملك مقدونية ابن أخيه الاسكندر الثانى فكان مغلوبا على أمره وليس له من الملك سوى الاسم فقط وكان الامير ﴿ برديقا ﴾ وصى الاسكندر على ممالكه وهو الذى سلمه خاتمه عند ماأحس بان حياته على شفا وهو صاحب الكلمة على جميع ممالك مقدونية * وقيل بل إن الاسكندر لما احتضر استدعى أربعة من أمراء جنده الذين هم من ملوك الطوائف وجعل بيدهم أمر تقليد ملكه لمن يستحقه فكان من الامير برديقا المذكور أن تغلب على خاتم الاسكندر عند موته وسعى فى أن يستولى على جميع الممالك وطمع فى سلطنته وكان للاسكندر الاكبر أخت تسمى ﴿ قلوبطره ﴾ فتزوج بها الامير برديقا المذكور لظهور أمره فانكر عليه ذلك أربعة من ملوك الطوائف ومنعوه فخاف برديقا على نفسه وسار الى مصر فرارا من أعدائه طمعا فى أخذها من بطليموس نائبها فخرج بطليموس للقائه فالتقى الجمعان عند مدينة منف واقتتلا قتالا شديدا فانهزم برديقا هنالك شر هزيمة وغرق فى نيل مصر وتبدد من كان معه من الخوارج

ولم تصف الايام لاريديس فلبس بتملكه البلاد والتصرف فى أمورها بعد موت برديقا حتى قامت عليه ((لينبادة)) زوجة الاسكندر الاكبر فقتلته فى سنة تسع وثلاثين وتسعمائة قبل الهجرة لسبع سنين من حكمه فخلفه الاسكندر الثانى ابن الاسكندر الاول من لينبادة المذكورة

(فى الملك اسكندر الثانى)

تولى اسكندر الثانى ابن اسكندر الأول الملك نحو سنة سبع عشرة وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة تسع وثلاثين وتسعمائة قبل الهجرة وكان قد لقب ملكا فى طفوليته أيام اريديس فلبس فلما مات اريديس المذكور انفرد بالحكم وتمت له البيعة الكبرى ولكنه كان مغلوبا على أمره وكانت الكلمة اذ ذاك للامير ((انطيباطير)) أحد الاوصياء الاربعة وبقى على هذا الحال حتى مات انطيباطير المذكور فأوصى به الامير ((بيطون)) أحد الاوصياء باغراء بطليموس نائب مصر وكان للامير انطيباطير ابن اسمه ((كسندره)) فلما رأى من تغلب بيطون على مسند أبيه بغير حق لضعف الملك وعدم قدرته على تدبير أمور المملكة قام على ((كسندره)) المذكور فقتله وتغلب على مملكة مقدونية وقتل لينباده ام الاسكندر الثانى وحمل الناس على المبايعة له وذلك سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فكانت مدة حكم الاسكندر الثانى منفردا ست سنين لاغير

وكانت مصر فى أيام كل من اريديس فلبس والاسكندر الثانى المذكورين تابعة لمملكة مقدونية كما كانت فى أيام الاسكندر الاكبر اذ دلت على ذلك آثارهما فى ديار مصر وقد وجدت لفيلبس مقصورة جميلة الصنعة من حجر الصوان بناها فى هيكل الكرنك وسط مقصورة أخرى من بناء الملك ((توتوميس)) الثالث امام محراب هذا الهيكل وكذلك وجدت بعض نقوش بهيكل الكرنك ولقصر مرسوم عليها اسم الاسكندر الثانى

وبموت الاسكندر الثانى هذا انقرضت الدولة الثانية والثلاثون فكانت سنو ملكها سبعا وعشرين سنة كما تقدم وقامت من بعدها الدولة الثالثة والثلاثون أعنى بها الدولة اليونانية الملقبة بالدولة البطليموسية وهى رأس الدور الثانى بعد الجاهلية أى دور النصرانية والتدين بالدين المسيحى كما سبق الكلام على ذلك فى محله

(الباب الثالث)

(في الدولة البطليموسية اليونانية وفيه فصول)

(الفصل الاوّل)

في العائلة الثالثة والثلاثين

تسمى هذه الدولة باليونانية وتلقب بالبطليموسية أو البطالسة وكان مبدأ ظهورها في نحو سنة خمس وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة سبع وعشرين وتسعمائة قبل الهجرة وسبب ظهورها هو انه لما تغلب (كسذرة) بن انطيباطير على الاسكندر الثانى ملك مقدونية وقتله وحمل الناس على المبايعة له لبث نحو ست سنوات يدبر أمور جميع مملكة مقدونية وملحقاتها مستبدا بحكمها لايعارضه فيها معارض ولايشاركه مشارك ثم لم يلبث ان جنح الى المشاركة فاقتسم الملك بينه وبين بطليموس نائب مصر فى تلك السنة فصارت مصر من هذا الحين فى حوزة بطليموس المذكور وعقبه من بعده مملكة مستقلة لايشاركهم فى حكمها أحد ثم انضمت اليها مملكة قبرس والقيروان بعد حروب طويلة هائلة ثم انفصلت عنها ثم اتصلت بها وعادت فانفصلت عنها وهلم جرى وذلك بعد حروب وغزوات متتابعة

وبقى ملك مصر فى أيدى هؤلاء البطالسة ثلاثة قرون متتابعة لايقوى عليهم فيها محارب وصارت فى هذه المدة الطويلة منفصلة عن مملكة مقدونية انفصالا تاما وكان ملوك هذه الدولة التى هى دولة البطالسة أربعة عشر منها ثلاثة عشر ذكرا وواحدة أنثى وهى الملكة قلوبطره وكان رأسها الملك بطليموس الاول الملقب بسوطير يعنى المخلص وتعرف هذه الدولة أيضا بالدولة المقدونية الثانية وسنأتى هنا على ذكر أخبار ملوكها على التعاقب واحدا فواحدا وأوّلهم **بطليموس الاول**

(فى الملك بطليموس الاول)

هو أول ملوك البطالسة ورأس دولتهم وقد أصاب مصر نصيبا له حين اقتسم بينهم ملوك الطوائف ممالك الاسكندر الاكبر بعد موته وبطليموس هذا ابن لاغوص أحد قواد جيوش فيلبس أبى الاسكندر الاكبر فكان بطليموس المذكور مشاركا فى أيام شبيبته للاسكندر فى الحروب واقتسام الخطوب ولذلك رفع الاسكندر قدره حتى صار رئيس

فرسانه فأحسن الرئاسة فى جميع غزواته ومازال عالى القدر مرموقا بعين الاعتبار حتى تولى ملك مصر فلما استقر به المنصب أحسن التدبير والسياسة واستمال لمحبته المصريين وأتى اليه أعيان القيروان مستنجدين مما حل بهم من جمهور الرعية لخروجهم عليهم وطردهم من البلاد فأجارهم وقام بنصرتهم بجيش عظيم وعدة من سفن الحرب فهزم أهل القيروان واستولى على بلادهم وعاد الى مصر ظافرا غانما ثم جهز لغزو الشام جيشا وبعث به اليها فاستولى على أصول السواحل الشامية وبقيت فى قبضته مدة ثم أغار عليها انطيفونس أحد ملوك الطوائف فاستلبها وسار دمتريوس بن انطيفونس المذكور قاصدا مصر يريد الاغارة عليها فأحس بطليموس بذلك وسار بجنوده لملاقاة دمتريوس المذكور فالتقى الفريقان عند غزة واقتتلا فيها قتالا شديدا انكشف عن هزيمة دمتريوس شر هزيمة فرق بطليموس لحاله وأعاد اليه جميع الاسرى وسير اليه سفيرا يقول له لم يكن قصدى من محاربة انطيفونس وولده دمتريوس تحصيل الغنائم والسبايا وانما قامت الحرب بيننا لمخالفتهما العهود وتعديهما على العراق وأخذها من ملكها * وتملك بطليموس عقب هذه الموقعة على مدينتى صور وصيدا ولكنهما لم يبقيا تحت حكمه طويلا حتى قام انطيفونس وابنه دمتريوس وجردا جيشا ضخما جدا وقاتلا بطليموس عليهما حتى أخذاهما وفقد بطليموس جميع حصونهما ثم لما رأى بطليموس من توالى الحروب والغزوات وسوء النتائج المترتبة على ذلك عمد الى ترك الحروب والخلود الى السلم وتفرغ بقية أيام حياته لتنظيم أمور المملكة ونهض الى تتميم الهياكل والقصور والمبانى والمعامل التى أنشأها بمدينة الاسكندرية وبنى للاسكندر الاكبر ضريحا عظيما جدا وقد خفى الآن عن عيون الباحثين وأنشأ منارة الاسكندرية على شاطئ البحر الملح لمنافع الملاحة وهى من العجائب وبنى مدرسة الاسكندرية المعروفة باسم الرواق وجمع فيها جميع علوم تلك الازمان من فلسفة ورياضيات وطب وحكمة وآداب وهيئة وكانت هذه المدرسة موصلة للقصر الملوكى وقد جلب اليها طائفة من علماء اليونان وغيرهم من سائر البلدان فأصبحت مدينة الاسكندرية دارا للعلوم ومركزا لسائر الفنون وكانت هذه المدرسة تحتوى على ايوانات عظيمة ورواقات حسنة البناء والشكل وأنشأ فيها خزانة للكتب جمع فيها أقدم الكتب وأجلها فكثرت عنده الكتب النافعة وبلغت فى الكثرة مبلغا جسيما جدا

وكثرت فى أيامه التجارة وراجت أسبابها بمدينة الاسكندرية وأتى اليها الناس من البلاد القاصية والدانية مثل بلخ وهمذان والسودان والهند والحبشة وغيرها وبلغت البلاد أقصى درجات التقدم والعمران فضاقت مدينة الاسكندرية بالسكان ونزح اليها الناس من جميع الاقطار وكان لا يتعرض للاهالى فى أمر دينهم ولا يحجر عليهم التمسك بعباداتهم القديمة ولا يتعرض للكهنة والاحبار ولما بلغ الثمانين من العمر عهد بولاية الملك من بعده لا كبر أولاده من احدى زوجتيه واسمه بطليموس محب أخيه ثم ولاه أمور المملكة بعد ان تنازل له عنها وذلك

سنة

سنة خمس وثمانين ومائتين قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وتسعمائة قبل الهجرة وعمل لابنه المذكور موكبا حافلا جدّا فكانت مدة حكم بطليموس الاول المذكور ثمانيا وثلاثين سنة منها سبع عشرة سنة فى منصب النيابة واحدى وعشرون سنة فى منصب الملوكية ومات بعد مضى سنتين من ملك ابنه بطليموس الثانى وهو فى الثمانين من عمره

(فى الملك بطليموس الثانى)

﴿ الملقب ﴾

(بفيلادلفوس)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس الثانى الملقب بفيلادلفوس أى محب أخيه تهكما لانه كان يبغض اخوته بويع له بالملك فى حياة أبيه كما تقدم وذلك سنة خمس وثمانين ومائتين قبل الميلاد أى سنة سبع وتسعمائة قبل الهجرة وله من العمر أربع وعشرون سنة فلما استقر به المنصب سار سيرة أبيه وكان ميالا للصلح محبا للسلم ولذلك صرف جل عنايته فى توسيع دائرة العلوم والفنون وتعميم الصنائع والاكثار من تحصيل الكتب فجمع منها عددا عظيما أضافه الى مكتبة الاسكندرية واستمال مانيطون الكاهن المصرى الى تأليف تاريخ مصر باليونانية فمال الى ذلك وجمع تاريخه من الدفاتر والسجلات الرسمية والاوراق القديمة المحفوظة فى الهياكل والمعابد ولكنه لم يبق منها لجماعة المتأخرين الا شذرات قليلة ووسع بطليموس المذكور نطاق التجارة فى ديار مصر فنمت واتسعت أبوابها وراجت أسبابها وبلغت ديار مصر من العمران درجة لم يسبق لها مثال فقد حكى سيوقريطس أن مدن مصر بلغت عدتها فى أيام الملك بطليموس الثانى المذكور ثلاثا وثلاثين ألف مدينة ﴿ قلت ربما كان فى قول هذا المؤرخ تغال كما هو دأب جميع أصحاب التاريخ الا الذين تنزهوا عن الهوى وقليل ماهم وربما كان مراده بذلك مايعم القرى والكفور ونحوها ﴾

وجدّ بطليموس المذكور فى معرفة حقائق البلاد واستكشاف طرق البحار بالاسفار فارسل البعوث لاستكشاف داخلية بلاد أفريقية وبلاد سواحل بحر فارس وبعث القبودان المسمى طيموسيطنس الى قلب النوبة من طريق مصعد النيل لاستكشاف حقيقة مجراه ومنبعه ولكى يسخر بلاد السودان لطاعته فوصل طيموسيطنس بعد مسيرة ستين يوما الى جزيرة مروى بقرب شندى وبعث أحد قواده المسمى ارسطفريون الى تلك الاصقاع أيضا فجال فيها وانعطف من هنالك الى جهة المغرب فنجم عن ذلك اتساع نطاق التجارة بين مصر وتلك الاطراف وانتظم عقدها مع النوبة وظهر علم جغرافية الارض بمظهر جديد لم

يكن يعرف من قبل فسهل معرفة البلاد وعوائد أهلها ومافيها من نبات وحيوان قال ديودور الصقلى لم يسبق لاحد التوغل فى بلاد النوبة من أهالى الاعصر الخالية الى عهد بطليموس ولم تصل معرفة أهل تلك الاعصار الالى حدود ديار مصر جهة الجنوب لأن أهل أواسط بلاد النوبة كانوا لايحبون مجيء الاجانب الى بلادهم فكان فى الوصول اليها غاية الخطر ومنتهى الضرر ولذلك بقيت حقائقها مستورة الى أن سافر هذا الملك ودخل بها مع جيوشه اه

وعقد العهود بين مصر والممالك الهندية والمشرقية بما يترتب عليه توسيع أبواب التجارة وبدأ بحفر خليج السويس الذى كان قد شرع فى حفره (نخاوس) الملك أحد الفراعنة ودارا ملك فارس وجعل فم هذا الخليج من الجهة المعروفة بفرع طينة القريب من تل بسطة وأوصله الى بحر السويس فى الجهة الشمالية وأرسل أيضا من يستكشف له سواحل جزيرة العرب الى بلاد الهند وسفنا لاستكشاف سواحل الحبشة و بلاد السودان الداخلية

وكانت اللغة اليونانية فى أيامه قد امتدت الى أقاصى ممالك الارض فامر بترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية لمنفعة اليهود القاطنين بارض مصر الذين أنساهم الاسر والاسترقاق لغتهم وكان عددهم كثيرا جدا فترجمت وسميت هذه الترجمة من ذلك الحين بالترجمة السبعينية لان مترجميها كانوا سبعين عالما وزوج ابنته المسماة برنيقه لانطيوكوس ملك الشام واشترط عليه أن يكون للذكور من أولادها وراثة ملك الشام بعده ثم جهزها وحملها الى الشام وعمل لها فى مدينة انطاكية أفراحا عظيمة للغاية ثم عاد الى مصر مريضا وما زال حتى مات سنة ست وأربعين ومائتين قبل الميلاد أى سنة ثمان وستين وثمانمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه ثمانيا وثلاثين سنة وخلفه ابنه بطليموس الثالث الملقب بالكريم

(فى الملك بطليموس الثالث)

﴿ الملقب ﴾

(بالكريم)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس الثالث بويع له بالملك فى نحو سنة ست وأربعين ومائتين قبل الميلاد أى سنة ثمان وستين وثمانمائة قبل الهجرة وكان يلقب بالكريم تهكما وسخرية وقد لقبه العامة أيضا بلقب اطريفون ومعناه المهزول والاول أشهر ولم يكد يستقر به المنصب حتى قامت الحرب بينه وبين ملك الشام فسار فى جيش عظيم من المشاة والركبان والفيلة وجهز سفنا حربية وأغار على البلاد التى قبل نهر الفرات واستولى على مملكة أدنه

وما

وماجاورها وعلى سواحل سيواس وعلى ايالة عكا وسواحل اناطولى وجال فى بلاد أعدائه وصال وظفر وأبلى بلاء حسنا للغاية ثم اجتاز الفرات واستولى أيضا على الجزيرة والعراق وخورستان واذربيجان وعزم على غزو فارستان وجميع بلادها الى بلخ وهمذان فوردت عليه الاخبار بقيام الفتنة فى ديار مصر فكر راجعا وترك بتلك البلدان طوائف عسكره وأجناده ودخل مصر مثقلا بالغنائم ومعه تماثيل الاصنام المصرية التى كان استلبها قمبيشاش ملك فارس من مصر ثم عاد سليوقوس ملك الشام لغزو مصر والاخذ بالثار فانهزم وخاب أمله فاقتفى أثره بطليموس ودخل الشام وأخذ دمشق وميا فارقين وفر رؤساء السليوقية من وجهه الى انطاكية وانزووا فيها ولما كان فى حروبه مع انطيوخوس ملك الشام نذرت زوجته برنيقه انه ان عاد اليها سالما من غزوته تكرس شعر رأسها للزهرة فلما رجع ظافرا غانما وفت نذرها فقصت شعرها ووضعته فى هيكل الزهرة فلم يبق زمنا حتى سرق من الهيكل فخاف الحراس من الملك واستعظموا هذا الامر فلما علم الملك بالخبر التهب قلبه غيظا وأمر بالحراس أن يقتلوا فدخل عليه بعض المنجمين وكان متقدما فى بابه وقال قد سمعت بخبر فقد شعر الملكة من الهيكل فأتيت أخبر بما علمته من ان الزهرة هى التى نقلت شعر الملكة الى السماء ووضعته بين النجوم فلما سمع الملك كلامه سر به وصفح عن الحراس ومن ثم سمى شعر الملكة برنيقه بين الناس من جملة مجاميع النجوم

ومات بطليموس الثالث المذكور فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه خمسا وعشرين سنة وقيل أربعا وعشرين وخلفه ابنه بطليموس الرابع محب أبيه

(فى الملك بطليموس الرابع)

الملقب

(محب أبيه)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس الرابع الملقب فيلوباتر أى محب أبيه بويع بالملك سنة اثنتين وعشرين ومائتين قبل الميلاد أى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل الهجرة وكان صبيا فكان نفوذ الحكم لوزيره سوسبيوس وكان سوسبيوس هذا طاغية فى السياسة فأرخى للملك عنان السرف فى اللذات وتركه يهيم فى بحبوحة الحظوظ والمسرات وذلك لكى لا يكون له شريك فى الملك واحتجب بطليموس عن أرباب دوانه وصار لايراهم الا نادرا وصرف وجهه عن الملك والممالك والبلدان التابعة لمصر فكان لايعلم شيأ عن أحكامها

وعمالها ولا عن جندها وكانت مصر الى هذا الحين قد ملكت جميع الاراضى الشامية الكائنة مابين طرابلس ودمشق ولها عدة مدن خاضعة لها على سواحل بلاد آسية وعلى الجزائر وكانت الثغور والاربطة فى أيدى ملوك مصر من عكا الى الدردانيل و بوغاز كاليبولى وفيها من العساكر والاجناد شئ كثير جدا وكان وزيره سوسبيوس المذكور يبالغ فى ابعاد الملك عن النصحاء وأهل المعارف لئلا يقف منهم على حقيقة حاله وفساد رأيه وخيانته فكان يوسوس اليه بالاراجيف والاخبار الباطلة التى لاحقيقة لها حتى صار يأخذ حذره خوفا على نفسه وعلى تخته واشتدبه الخوف والتطير الى أن صار يأخذ الناس بالشبهات فاذا رابه من أحد ريبة أمر بقتله وكان قد حضر الى مصر فى عهد بطليموس الثالث اقليومونس ملك اسبارطة مستجيرا ببطليموس فى اعادة ماورثه عن أبيه من الملك وقد نزعه منه ملك مقدونية فمات بطليموس الثالث قبل ان يقوم بنصرته وبقى عهد بطليموس اليه بذلك نسيا منسيا فلما استقر ببطليموس الملك راجعه اقليومونس فى الامر ورغب اليه فى تنفيذ العهد الذى كان بينه وبين أبيه فلم يجبه الى ذلك لاسيما وقد كان انطيفونس ملك مقدونية فى هذا الحين قد مات وقام بالملك بعده ابنه وكان صغيرا يبلغ الخامسة عشرة من العمر فألح اقليومونس على بطليموس واستحثه فلم يرض خوفا من العاقبة وأبى أن يعينه مخافة ان يستولى على جميع بلاد اليونان فيعود ذلك بالضرر على مصر فغضب اقليومونس من ذلك ووسم بطليموس الرابع بضعف العزيمة وعدم الاكتراث بالعهود وقال لاأهلية لبطليموس الا فى الاتحاد مع الشبان الذين يلعبون بالمزامير فوصل هذا الكلام الى مسامع سوسبيوس الوزير فزعم أن ملك اسبارطه المذكور انما أراد بقوله هذا اثارة الفتنة فى بلاد مصر فقبض عليه وسجنه وجعله تحت الحرس والمراقبة فالتهب اقليومونس غيظا وأقسم ان لايموت فى حبس الظلم موت الجبان وأخذ يتربص الفرص حتى علم يوما بسفر بطليموس الملك الى أبى قير فجمع أحبابه وأتباعه فى وليمة فحضروا فلما تكامل عددهم خرج بهم نهارا من سجنه شاهرا سيفه من غمده وهو ينادى فى الناس بالخروج وشق عصا طاعة بطليموس فلم يجبه أحد الى ذلك فصعد الى قلعة الاسكندرية وكسر أبوابها وأخرج من كان فى حبوسها وسلحهم بالاسلحة ليستعين بهم فلم يفلح حيث قام عليه كبار جند القلعة وهزموه فخشى هو وأصحابه من الوقوع فى أيدى خصومهم فتقاتلوا وجاء الخبر الى بطليموس بما وقع وهو بأبى قير فكر راجعا بمن كان معه من كبار قومه ورجال دولته الى الاسكندرية لاخماد نار هذه الفتنة فلما علم بما جرى لاقليومونس وأصحابه أمر بصلبه ميتا وذبح زوجته تحته وأم أولاده حيث كان يتوجس منها شرا وذلك سنة عشرين ومائتين قبل الميلاد أى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة قبل الهجرة وقام على بطليموس بعد ذلك انطيوكوس أخو سليوقوس صاحب الشام يريد قتاله انتقاما منه بجزاء مافعله أبوه بطليموس الثالث بالديار الشامية من القتل والنهب وغير ذلك وسار بخيله ورجله الى انطاكية التى هى مدينة السليوقية وكان بها

جند مصر يخفرها بعد نصرة بطليموس الثالث عليها فأخـذها ثم سار الى الشام وكان قائد العساكر والاجناد المصرية بها الامير سيور وطوس اليونانى فلما قرب انطيوكوس منها سلمه سيور وطوس المذكور ما كان فى خفارته من القلاع والحصون والمدائن كصور وعكا وغيرهما كراهة فى بطليموس الرابع وانتقاما منه فهال بطليموس هذا الامر جدا وأزعجه وأرسل اليه قائدا من قواد جنده الكبار بجيش ضخم للغاية فلما دخل الشام نزل ببيروت وهاجم انطيوكوس فى جبالها فهزمه انطيوكوس شر هزيمة ووقعت جميع بلاد الشام فى يده الى حدود مصر فألح وزراء بطليموس عليه فى أن يذهب بنفسه لقتال انطيوكوس وكشف عار هذه الهزيمة فسار من الفرما الى الشام فى سبعين ألفا من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان وثلاثة وسبعين فيلا وكانت جنود انطيوكوس اثنين وسبعين ألفا من المشاة وستة آلاف من الفرسان ومائة واثنين من الفيلة فالتقى الجمعان تحت أسوار مدينة رافيا بين العريش وغزة واقتتلا قتالا عنيفا فاستظهر انطيوكوس على بطليموس ملك مصر من الجناح الذى كان يدبره انطيوكوس ولم يلتفت الى الجناح الثانى من جيشه وكانت عساكر الجناح الثانى قد انهزمت وعادت القهقرى وهو لا يشعر بهزيمتهم فلما أحس بها أخذ فى تلافى الامر فلم يفلح ودارت عليه رحى الهزيمة ومات من عسكره خلق كثير وولى من بقى منهم فاستولى المصريون على مدينة رافيا ومدن سواحل الشام وفلسطين وطرابلس ودمشق فلم ير انطيوكوس بعد ذلك بدا من عقد متاركة وهدنة مع بطليموس ملك مصر مدة سنة واحدة

ودخل بطليموس يافا وسار الى بيت المقدس وسأل كاهن اليهود أن يريه ما فى البيت فأبى عليه ذلك فحقد بطليموس على اليهود والتهب قلبه غيظا وعد ذلك اهانة وتحقيرا ورسم باستئصال شأفة يهود الاسكندرية وكتب لعامله بذلك فأوقع فيهم القتل والذبح حتى أفنوهم الامن طال عمره فاختفى وعاد بطليموس الى الاسكندرية ورايات النصر تخفق على رأسه وعاد الى الانهماك فى اللذات والشهوات وأسرف فى اللهو وبالغ حتى انتهكت قواه وضعف بدنه فمات فى بحبوحة شبابه سنة خمس ومائتين قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وعشرين وثمانمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وخلفه ابنه بطليموس الخامس الملقب بالماجد

(فى الملك بطليموس الخامس)

﴿ الملقب ﴾

(بالماجد)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس الخامس الملقب بالماجد بويع بالملك بعد أبيه

سنة خمس ومائتين قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وعشرين وثمانمائة قبل الهجرة وكان وقتئذ غير بالغ سن الرشد فأقاموا عليه الامير أغا سقليس وصيا وهو أحد وزراء أبيه وبقى سوسبيوس وزير المملكة ومدبر أمورها وكان أغا سقليس المذكور طاغيا سيئ التصرف فلما صفاله الجو ازداد فى ارتكاب الجرائم ومجاوزة الحدود وبالغ وأسرف حتى نفرت منه طباع الاهالى وسئمت نفوسهم وحقد الجند عليه حقدا شديدا فأوجس فى نفسه خيفة لئلا يشقوا عصا الطاعة عليه فراسل أهل مقدونية ليعاهدهم على أن يكونوا عونا له على المصريين فلم يفلح ولم يمض بعد ذلك الأيام حتى قامت الفتنة على ساقها وخرج الاهالى والجند عن طاعة أغاسقليس وكان رأس هذه الفتنة طلابوليمس كبير الجند فلم يجد أغا سقليس له نصيرا ولا ظهيرا واشتد الخطب واستفحل أمر الفتنة (قال بوليس المؤرخ) وانقسم أصحاب الفتنة الى طوائف وجماعات واجتمع بعضهم فى ميدان السباق وهم يضجون ويصيحون ويطوف منهم جماعة بين الناس ليهيجوا الخواطر ويحضوا الخلق على الثبات ومعاونة بعضهم لبعض بالخطب والمقالات المهيجة وانزوى بعضهم فى الدور والحصون عند اشتداد الازمة وكان أغا سقليس فى أثناء ظهور الفتنة وتجمع أولئك الجموع نائما فى قصره فأيقظوه فلم يشعر الاوقد امتلأ ما حول القصر الملوكى وميدان التعليم والرحبات والملاعب من جموع الثائرين والاحزاب على اختلاف درجاتهم فسار عندئذ فى أتباعه وأحزابه الى حيث الملك بطليموس وأمر فسد بابان من أبواب القصر بالاحجار والمتاريس وحصن الباب الثالث بالقوة العسكرية وتترس من خلفه هو والملك بطليموس وسائر أتباعهما فازداد اجتماع الناس وكثرت الضوضى وعلت الاصوات وتقاطر الناس من جميع انحاء المدينة حتى سدوا الطرق وملؤا الميادين وضجوا وعجوا ونادوا بأعلى الاصوات كأنما اعتراهم الجنون وبقى هذا الحال الى ضحوة النهار وطلبوا أغاسقليس ونادوا بخروج الملك وتركه ليسقوا اغا سقليس كأس الهوان واشتد الحماس بالجند المقدونيين وحاصروا دهليز بيت الملك وبحثوا عن المكان الذى كان الملك مختفيا فيه فعثروا عليه فاقتحموا الابواب وطلبوا الملك ليأخذوه فاشتد خوف أغا سقليس واستجار ببعض أعوانه وحراسه ورغب اليهم أن يستميلوا اليه فريق الاهالى وبعض طوائف الجند المقدونيين فى نظير تنازله عن منصب الكفالة والوصاية فلم يجبه أحد لذلك فلما أيس من شفاعة الشفيع والمحامى فى هذا الخطب المريع مد يد السلام الى العساكر المقدونية وسلم وأشار بذلك الى الاستئمان وكذلك تقدمت أخته أغا سقلية التى هى أم بطليموس الرابع وكشفت عن ثديها وقالت لطوائف العسكر هذا الثدى هو الذى أرضع بطليموس واغتذى بلبنه فلا يصح اهانته واذلاله وأكثرت من الاستغاثة والتضرع فلم يرث أحد لحالهما ولم يلتفت اليهما وأخرجوا الملك من مكانه وأركبه الجند على جواد وذهبوا به الى الميدان وساروا به فى وسط الجموع فلما رأوه فرحوا به وضجوا بأصوات التهليل وأقبلوا اليه وأجلسوه على سرير الملك وتقدم اليه من أمراء

الدولة جماعة يسألونه عما يفعلونه باغاسقليس ومن معه فأباح إراقة دمهم فرسموا الى بعض الجند أن ينادوا بذلك بين الناس وصفوف العسكر فرفع أحدهم صوته بالمناداة ففرح العامة وضجوا ضجيج الاستحسان والفرح وتفرقت طوائف الجند وبقيت العامة وبينماهم على هذا الحال اذبرز فى وسطهم رجل من أخصاء اغاسقليس اسمه فيلون وقال (كيف بكم أيها الناس لو رأيتم اغاسقليس واقفا فى وسطكم لاجناح عليه وأنتم تجاهرونه بهذا العصيان وتقابلون نعمته بالكفران فافقهوا ياقوم ولا تكونوا من الضالين) فلما سمعوا كلامه هجموا عليه فقاومهم أشد مقاومة فمزقوا ثيابه وطعنوه بالرماح وسرى من هذه الساعة الموت والقتل فى حزب اغا سقليس وقومه وأهل بيته والفواحشة ذلك الرجل فى الميدان بعد قتله وهاجوا وماجوا وعلت أصواتهم فظهر اغاسقليس مكبلا بالسلاسل والاغلال فلم يمهلوه حتى أكبوه على وجهه وقتلوه ثم أتوا باخته اغاسقلية مع بناتها وأقاربها فقتلوها واياهم شر قتلة ثم قتلوا زوجته المسماة اينانة وقد كانوا أركبوها عريانة على جواد وقتلوا كذلك أتباعها والمتقربين اليها وكان المتولى القتل جمهور العامة والغوغاء فأفحشوا فيه وكانوا يقتلون البعض بعض الانياب والبعض بطعن الحراب وبعضهم كان يفقأ العيون وكانوا كلما قتلوا واحدا مزقوه وقطعوا أعضاءه وألقوها فى الطرقات ولما عم القتل وعلمت النسوة اللاتى كن يخدمن الملكة ارسنوية أم بطليموس بحضور فيلامون الذى قتلها الى مدينة الاسكندرية قمن على ساق وقدم وأحطن ببيته وأردن الفتك به وقبضن عليه وأثخنه ضربا بالعصى والاحجار وقتلن زوجته فى الميدان العام وكان له طفل على يديها فتناولته أيدى العامة وأماتوه خنقا ثم سكنت الفتنة وهدأت العامة وأقاموا الأمير اطلابوليموس قيما على بطليموس بدل اغاسقليس واستبشر الناس بالظفر ولكن لم يمض الاالقليل من الزمن حتى ظهر الامر على خلاف ما كان يظن وذلك لانه لما كان اطلابوليموس المذكور جنديا بحتا لاخبرة له بفنون السياسة التى عليها حفظ شرف الدولة ومركزها خبط وخلط فترتب على ذلك انحطاط المملكة وضعف سطوتها وقد ساء تدبيره أيضا وانهمك وانكب على الالعاب بالصولجان والترس مع جماعة الشبان وأكثر من المآدب والولائم وأسرف وبالغ فى مثل هذه النفقات وبذر فى العطايا والمنح لسفراء ممالك اليونان تزلفا واستحبابا ووصل بنعمائه أرباب الملاهى والملاعب وأمراء العساكر والاجناد وكل من تردد على أبوابه واشتغل بجميع هذه الامور عن النظر فى شؤن المملكة وقضاء مصالح الخلق واحتجب عن الناس ليتفرغ لملاذه وشهواته فلما زاد اسرافه على نفسه سلم عنان الحكومة ليد ارسطومينين الرومى وأطلق له عنان الحرية ومتعه بالسلطة والنفوذ التام فلما أحس ملك الشام بضعف أحوال المملكة المصرية وعدم قدرتها على دفع من يقصدها بسوء قويت عزيمته للاخذ بالثار جزاء ما فعله المصريون فى حرب رافيا فعقد مع فيلبس ملك مقدونية معاهدة دفاع فقام فيلبس بعساكره وأجناده وهجم على بوغاز الدردانيل وبوغاز كاليبولى وعلى بلاد روم

ابلى التى كان بها المرابطون من عساكر مصر من عهد فتوحات فيلادلف وقام كذلك ملك الشام وهجم على أملاك مصر فى أرض الشام وعلى جهات الاناضول وكان بتلك الجهات من قبل مصر القائد اسقوباس فلقيه اسقوباس بعسكره وقاتله فانتصرت العساكر المصرية على ملك الشام نصرة عظيمة فى سواحل الشام وبلاد فلسطين ولكنها لم تلبث ان انهزمت على منابع نهر الأردن وأخذ صاحب الشام مدينة سامرة وغيرها من المدائن كالقدس وما زال حتى أخذ أيضا فى خلال سنة جميع المدن التابعة لمملكة مصر بولاية أدنة وغيرها من ولايات الاناضول

وفرح انطيكوس صاحب الشام بنصراته المتتابعة وأخذه جميع أملاك مصر فى بلاد الشام وتاقت نفسه الى قتال الرومانيين وغزو ايطاليا ولكنه عاد فخاف عاقبة ذلك وجعل نصب عينيه مابين مصر والشام من أسباب المشاحنة وخشى انه ان سافر الى ايطاليا قام عليه بطليموس صاحب مصر وظفر به فأخذ من هذا الحين فى التقرب من صاحب مصر وصالحه مصالحة نافعة تقوى روابط المحبة وتؤكد دوام الصلح بينهما وكان لانطيكوس بنت تسمى «قلوبطرة» فكان من شروط الصلح أن يزوجها لصاحب مصر ويمهرها سائر أرض الشام حيث كانت هذه الاراضى محل النزاع بين مصر والشام فجعلها انطيكوس من نصيب ابنته قلوبطرة

ولبثت قلوبطره فى بيت أبيها تنتظر استدعاء بطليموس لها حيث هولم يدخل بها لعدم بلوغه سن الرشد الى ذلك الحين وبينما هى فى بيت أبيها اذ قامت بمصر فتنة أخرى باسباب البغضاء الواقعة مابين ارسطونيوس الوصى على بطليموس ملكها واسقوباس كبير الجند وتمكن اسقوباس من مقاتلة ارسطونيوس بالاسكندرية وقد انضم اليه جميع العساكر والاجناد الرومية الذين كانوا فى خدمة مصر واشتدت الفتنة وقامت على ساقها وتكاثرت أحزاب اسقوباس وخرجوا عن طاعة بطليموس الملك ووصيه وقام المصريون مع الملك وزاد بهم الغضب على اسقوباس وأحزابه وأبناء جنسه وقبضوا عليه وساقوه الى موقف التحقيق فثبتت خيانته فحكم بقتله مع أحزابه وحرمان جميع أبناء جلدته من الخدمة العسكرية وفاز ارسطونيوس وظفر بعدوه ومن كان معه من الاحزاب فاولم واحتفل احتفالا عظيما وألبس بطليموس الملك التاج فى محفل عام وسلمه صولجان الملك وهو يومئذ فى الثالثة عشرة من عمره وذلك سنة ست وتسعين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثمانى عشرة وثمانمائة قبل الهجرة هذا ومع أن الفتنة كانت قد سكنت وأمست نارها رمادا وانكشفت عن جلوس بطليموس على سرير مملكته فانه شاع خبر موته وانتشر واتصل بانطيكوس أبى زوجته قلوبطرة فتاقت نفس انطيكوس الى أخذ قبرس والتخلص من رابطة العهد الذى كان بينه وبين بطليموس وكانت قبرس اذ ذاك تابعة لمصر فسير اليها سفنا حربية فعصفت بها الريح وألقتها على سواحل الاناضول ووردت اليه الاخبار بان بطليموس لم يزل على قيد الحياة فانثنى عن عزمه وصمم على عدم حل عقدة التحالف وكان قد مضى على عقد زواج

بطليموس

بطليموس بقلوبطرة ست سنوات فسار انطيكوس أبوها الى مدينة رافيابين غزة والعريش ومعه ابنته قلوبطرة وكان بطليموس الملك نازلا بها فالتقى الفريقان وبنى بطليموس بزوجته واستلم زمام الشام مهرالها

ولما استقر ببطليموس المنصب وتخلص من نير الوصاية ساء تدبيره وكثر ظلمه للرعية وتجبر فكان وصيه ينصحه ويحذره عاقبة أفعاله فكان لايلتفت لقوله ولا يسمع لنصحه ويحقد عليه فى تهديده وتخويفه ثم عمد الى قتله فدس له السم فمات فلما ظفر بقتل وزيره المذكور واستبد برأيه ارتكب من المآثم والسيآت مالم تستطع أن تحمله الاهالى فقاموا على قدم وساق وأثاروا الفتنة حتى كادت تعم جميع المدن ونادوا بخلع بيعة بطليموس من أعناقهم فانتدب بطليموس لقتال أصحاب الفتنة الجنود اليونانية الذين كانوا فى خدمة الحكومة فسار بهم قائدهم بولقراطس وضيق على الثائرين حتى استسلموا وكان بطليموس ممتنعا بمدينة صالحجر فسار رؤساء الاحزاب اليه يطلبون الامان فقبض عليهم جميعا وقتلهم شر قتلة ومثل بهم وذلك سنة خمس وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وثمانمائة قبل الهجرة ولما سكنت الفتنة واستتب له الامر عاد الى عسفه وظلمه للرعية وأخذ يجهز جيشا كبيرا لقتال سيلقوس الرابع بن انطيكوس فاخترمته المنية قبل أن يتم هذه الغزوة وذلك فى سنة احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة سمه بعض الاعيان فمات والسبب فى ذلك أنه لما أكثر من تجنيد الجنود الاجنبية لغزو سيلقوس وبالغ فى الاكثار منهم سئل يوما من أين ندفع جوامك هؤلاء العساكر ونفقات هذا الجيش فقال ماسبب هذا السؤال أما تعلمون أن أموال أحبابنا هى أموالنا فدخلت من ذلك الحين الوساوس والاراجيف فى قلوب أحبابه ودسوا له السم فى الدسم فقضى عليه فكانت مدة حكمه أربعا وعشرين سنة وخلفه بطليموس السادس الملقب بمحب أمه على سبيل التهكم

(فى الملك بطليموس السادس)

﴿ الملقب ﴾

(بمحب أمه)

ثم قام بالامر بعده بطليموس السادس أكبر بنى بطليموس الماجد بويع له بالملك سنة احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة ولقب فيلوماطور ومعناه محب أمه تهكما وسخرية لانه كان يبغضها بغضا شديدا تولى الملك قاصرا وكانت مدة قصوره أقل اضطرابا من مدة قصور أبيه لان أمه قلوبطرة كانت قدأصلحت حال

ابلى التى كان بها المرابطون من عساكر مصر من عهد فتوح فيلادلف وقام كذلك ملك الشام وهجم على أملاك مصر فى أرض الشام وعلى جهات الاناضول وكان بتلك الجهات من قبل مصر القائد اسقوباس فلقيه اسقوباس بعسكره وقاتله فانتصرت العساكر المصرية على ملك الشام نصرة عظيمة فى سواحل الشام وبلاد فلسطين ولكنها لم تلبث ان انهزمت على منابع نهر الأردن وأخذ صاحب الشام مدينة سامرة وغيرها من المدائن كالقدس وما زال حتى أخذ أيضا فى خلال سنة جميع المدن التابعة لمملكة مصر بولاية أدنة وغيرها من ولايات الاناضول

وفرح انطيكوس صاحب الشام بنصراته المتتابعة وأخذه جميع أملاك مصر فى بلاد الشام وتاقت نفسه الى قتال الرومانيين وغزو ايطاليا ولكنه عاد فخاف عاقبة ذلك وجعل نصب عينيه مابين مصر والشام من أسباب المشاحنة وخشى انه ان سافر الى ايطاليا قام عليه بطلموس صاحب مصر وظفر به فأخذ من هذا الحين فى التقرب من صاحب مصر وصالحه مصالحة نافعة تقوى روابط المحبة وتؤكد دوام الصلح بينهما وكان لانطيكوس بنت تسمى «قلوبطرة» فكان من شروط الصلح أن يزوجها لصاحب مصر ويمهرها سائر أرض الشام حيث كانت هذه الاراضى محل النزاع بين مصر والشام فجعلها انطيكوس من نصيب ابنته قلوبطرة

ولبثت قلوبطره فى بيت أبيها تنتظر استدعاء بطلموس لها حيث هولم يدخل بها لعدم بلوغه سن الرشد الى ذلك الحين وبينما هى فى بيت أبيها اذ قامت بمصر فتنة أخرى باسباب البغضاء الواقعة مابين ارسطونيوس الوصى على بطلموس ملكها واسقوباس كبير الجند وتمكن اسقوباس من مقاتلة ارسطونيوس بالاسكندرية وقد انضم اليه جميع العساكر والاجناد الرومية الذين كانوا فى خدمة مصر واشتدت الفتنة وقامت على ساقها وتكاثرت أحزاب اسقوباس وخرجوا عن طاعة بطلموس الملك ووصيه وقام المصريون مع الملك وزاد بهم الغضب على اسقوباس وأحزابه وأبناء جنسه وقبضوا عليه وساقوه الى موقف التحقيق فثبتت خيانته فحكم بقتله مع أحزابه وحرمان جميع أبناء جلدته من الخدمة العسكرية وفاز ارسطونيوس وظفر بعدوه ومن كان معه من الاحزاب فاولم واحتفل احتفالا عظيما وألبس بطلموس الملك التاج فى محفل عام وسلمه صولجان الملك وهو يومئذ فى الثالثة عشرة من عمره وذلك سنة ست وتسعين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثمانى عشرة وثمانمائة قبل الهجرة هذا ومع أن الفتنة كانت قد سكنت وأمست نارها رمادا وانكشفت عن جلوس بطلموس على سرير مملكته فانه شاع خبر موته وانتشر واتصل بانطيكوس أبى زوجته قلوبطرة فتاقت نفس انطيكوس الى أخذ قبرس والتخلص من رابطة العهد الذى كان بينه وبين بطلموس وكانت قبرس اذ ذاك تابعة لمصر فسير اليها سفنا حربية فعصفت بها الريح وألقتها على سواحل الاناضول ووردت اليه الاخبار بان بطلموس لم يزل على قيد الحياة فانثنى عن عزمه وصمم على عدم حل عقدة التحالف وكان قد مضى على عقد زواج

بطلموس

بطليموس بقلوبطرة ست سنوات فسار انطيكوس أبوها الى مدينة رافيابين غزة والعريش ومعه ابنته قلوبطرة وكان بطليموس الملك نازلا بها فالتقى الفريقان وبنى بطليموس بزوجته واستلم زمام الشام مهرالها

ولما استقر ببطليموس المنصب وتخلص من نيرالوصاية ساء تدبيره وكثر ظلمه للرعية وتجبر فكان وصيه ينصحه ويحذره عاقبة أفعاله فكان لايلتفت لقوله ولا يسمع لنصحه ويحقد عليه فى تهديده وتخويفه ثم عمد الى قتله فدس له السم فمات فلما ظفر بقتل وزيره المذكور واستبدبرأيه ارتكب من المآثم والسيآت مالم تستطع أن تحمله الاهالى فقاموا على قدم وساق وأثاروا الفتنة حتى كادت تعم جميع المدن ونادوا بخلع بيعة بطليموس من أعناقهم فانتدب بطليموس لقتال أصحاب الفتنة الجنود اليونانية الذين كانوا فى خدمة الحكومة فسار بهم قائدهم بولقراطس وضيق على الثائرين حتى استسلموا وكان بطليموس ممتنعا بمدينة صاالحجر فسار رؤساء الاحزاب اليه يطلبون الامان فقبض عليهم جميعا وقتلهم شرقتلة ومثل بهم وذلك سنة خمس وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وثمانمائة قبل الهجرة ولما سكنت الفتنة واستتب له الامر عاد الى عسفه وظلمه للرعية وأخذ يجهز جيشا كبيرا لقتال سيلقوس الرابع بن انطيكوس فاخترمته المنية قبل أن يتم هذه الغزوة وذلك فى سنة احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة سمه بعض الاعيان فمات والسبب فى ذلك أنه لما أكثر من تجنيد الجنود الاجنبية لغزو سيلقوس وبالغ فى الاكثار منهم سئل يوما من أين ندفع جوامك هؤلاء العساكر ونفقات هذا الجيش فقال ماسبب هذا السؤال أما تعلمون أن أموال أحبابنا هى أموالنا فدخلت من ذلك الحين الوساوس والاراجيف فى قلوب أحبابه ودسوا له السم فى الدسم فقضى عليه فكانت مدة حكمه أربعا وعشرين سنة وخلفه بطليموس السادس الملقب بمحب أمه على سبيل التهكم

(فى الملك بطليموس السادس)



﴿ الملقب ﴾

(بمحب أمه)

ثم قام بالامر بعده بطليموس السادس أكبر بنى بطليموس الماجد بويع له بالملك سنة احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة ولقب فيلوماطور ومعناه محب أمه تهكما وسخرية لانه كان يبغضها بغضا شديدا تولى الملك قاصرا وكانت مدة قصوره أقل اضطرابا من مدة قصور أبيه لان أمه قلوبطرة كانت قدأصلحت حال

ابلى التى كان بها المرابطون من عساكر مصر من عهد فتوإح فيلادلف وقام كذلك ملك الشام وهجم على أملاك مصر فى أرض الشام وعلى جهات الاناضول وكان بتلك الجهات من قبل مصر القائد اسقوباس فلقيه اسقوباس بعسكره وقاتله فانتصرت العساكر المصرية على ملك الشام نصرة عظيمة فى سواحل الشام وبلاد فلسطين ولكنها لم تلبث ان انهزمت على منابع نهر الأردن وأخذ صاحب الشام مدينة سامرة وغيرها من المدائن كالقدس وما زال حتى أخذ أيضا فى خلال سنة جميع المدن التابعة لمملكة مصر بولاية أدنة وغيرها من ولايات الاناضول

وفرح انطيكوس صاحب الشام بنصراته المتتابعة وأخذه جميع أملاك مصر فى بلاد الشام وتاقت نفسه الى قتال الرومانيين وغزو ايطاليا ولكنه عاد نخاف عاقبة ذلك وجعل نصب عينيه مابين مصر والشام من أسباب المشاحنة وخشى انه ان سافر الى ايطاليا قام عليه بطليموس صاحب مصر وظفر به فأخذ من هذا الحين فى التقرب من صاحب مصر وصالحه مصالحة نافعة تقوى روابط المحبة وتؤكد دوام الصلح بينهما وكان لانطيكوس بنت تسمى «قلوبطرة» فكان من شروط الصلح أن يزوجها لصاحب مصر ويمهرها سائر أرض الشام حيث كانت هذه الاراضى محل النزاع بين مصر والشام فجعلها انطيكوس من نصيب ابنته قلوبطرة

ولبثت قلوبطره فى بيت أبيها تنتظر استدعاء بطليموس لها حيث هولم يدخل بها لعدم بلوغه سن الرشد الى ذلك الحين وبينما هى فى بيت أبيها اذ قامت بمصر فتنة أخرى باسباب البغضاء الواقعة مابين ارسطونيوس الوصى على بطليموس ملكها واسقوباس كبير الجند وتمكن اسقوباس من مقاتلة ارسطونيوس بالاسكندرية وقد انضم اليه جميع العساكر والاجناد الرومية الذين كانوا فى خدمة مصر واشتدت الفتنة وقامت على ساقها وتكاثرت أحزاب اسقوباس وخرجوا عن طاعة بطليموس الملك ووصيه وقام المصريون مع الملك وزاد بهم الغضب على اسقوباس وأحزابه وأبناء جنسه وقبضوا عليه وساقوه الى موقف التحقيق فثبتت خيانته فحكم بقتله مع أحزابه وحرمان جميع أبناء جلدته من الخدمة العسكرية وفاز ارسطونيوس وظفر بعدوه ومن كان معه من الاحزاب فاولم واحتفل احتفالا عظيما وألبس بطليموس الملك التاج فى محفل عام وسلمه صولجان الملك وهو يومئذ فى الثالثة عشرة من عمره وذلك سنة ست وتسعين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثمانى عشرة وثمانمائة قبل الهجرة هذا ومع أن الفتنة كانت قد سكنت وأمست نارها رمادا وانكشفت عن جلوس بطليموس على سرير مملكته فانه شاع خبر موته وانتشر واتصل بانطيكوس أبى زوجته قلوبطرة فتاقت نفس انطيكوس الى أخذ قبرس والتخلص من رابطة العهد الذى كان بينه وبين بطليموس وكانت قبرس اذ ذاك تابعة لمصر فسير اليها سفنا حربية فعصفت بها الريح وألقتها على سواحل الاناضول ووردت اليه الاخبار بان بطليموس لم يزل على قيد الحياة فانثنى عن عزمه وصمم على عدم حل عقدة التحالف وكان قد مضى على عقد زواج

بطليموس

بطليموس بقلوبطرة ست سنوات فسار انطيكوس أبوها الى مدينة رافيابين غـزة والعريش ومعه ابنته قلوبطرة وكان بطليموس الملك نازلا بها فالتقى الفريقان وبنى بطليموس بزوجته واستلم زمام الشام مهرالها

ولما استقر ببطليموس المنصب وتخلص من نير الوصاية ساء تدبيره وكثر ظلمه للرعية وتجبر فكان وصيه ينصحه ويحذره عاقبة أفعاله فكان لايلتفت لقوله ولا يسمع لنصحه ويحقد عليه فى تهديده وتخويفه ثم عمد الى قتله فدس له السم فمات فلما ظفر بقتل وزيره المذكور واستبد برأيه ارتكب من المآثم والسيآت مالم تستطع أن تحمله الاهالى فقاموا على قدم وساق وأثاروا الفتنة حتى كادت تعم جميع المدن ونادوا بخلع بيعة بطليموس من أعناقهم فانتدب بطليموس لقتال أصحاب الفتنة الجنود اليونانية الذين كانوا فى خدمة الحكومة فسار بهم قائدهم بولقراطس وضيق على الثائرين حتى استسلموا وكان بطليموس ممتنعا بمدينة صاالحجر فسار رؤساء الاحزاب اليه يطلبون الامان فقبض عليهم جميعا وقتلهم شر قتلة ومثل بهم وذلك سنة خمس وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وثمانمائة قبل الهجرة ولما سكنت الفتنة واستتب له الامر عاد الى عسفه وظلمه للرعية وأخذ يجهز جيشا كبيرا لقتال سيلقوس الرابع بن انطيكوس فاخترمته المنية قبل أن يتم هذه الغزوة وذلك فى سنة احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة سمه بعض الاعيان فمات والسبب فى ذلك أنه لما أكثر من تجنيد الجنود الاجنبية لغزو سيلقوس وبالغ فى الاكثار منهم سئل يوما من أين ندفع جوامك هؤلاء العساكر ونفقات هذا الجيش فقال ماسبب هذا السؤال أما تعلمون أن أموال أحبابنا هى أموالنا فدخلت من ذلك الحين الوساوس والاراجيف فى قلوب أحبابه ودسوا له السم فى الدسم فقضى عليه فكانت مدة حكمه أربعا وعشرين سنة وخلفه بطليموس السادس الملقب بمحب أمه على سبيل التهكم

(فى الملك بطليموس السادس)

﴿ الملقب ﴾

(بمحب أمه)

ثم قام بالامر بعده بطليموس السادس أكبر بنى بطليموس الماجد بويع له بالملك سنة احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة ولقب فيلوماطور ومعناه محب أمه تهكما وسخرية لانه كان يبغضها بغضا شديدا تولى الملك قاصرا وكانت مدة قصوره أقل اضطرابا من مدة قصور أبيه لان أمه قلوبطرة كانت قدأصلحت حال

ابلى التى كان بها المرابطون من عساكر مصر من عهد فتوباج فيلادلف وقام كذلك ملك الشام وهجم على أملاك مصر فى أرض الشام وعلى جهات الاناضول وكان بتلك الجهات من قبل مصر القائد اسقوباس فلقيه اسقوباس بعسكره وقاتله فانتصرت العساكر المصرية على ملك الشام نصرة عظيمة فى سواحل الشام وبلاد فلسطين ولكنها لم تلبث ان انهزمت على منابع نهر الأردن وأخذ صاحب الشام مدينة سامرة وغيرها من المدائن كالقدس وما زال حتى أخذ أيضا فى خلال سنة جميع المدن التابعة لمملكة مصر بولاية أدنة وغيرها من ولايات الاناضول

وفرح انطيكوس صاحب الشام بنصراته المتتابعة وأخذه جميع أملاك مصر فى بلاد الشام وتاقت نفسه الى قتال الرومانيين وغزو ايطاليا ولكنه عاد فخاف عاقبة ذلك وجعل نصب عينيه مابين مصر والشام من أسباب المشاحنة وخشى انه ان سافر الى ايطاليا قام عليه بطليموس صاحب مصر وظفر به فأخذ من هذا الحين فى التقرب من صاحب مصر وصالحه مصالحة نافعة تقوى روابط المحبة وتؤكد دوام الصلح بينهما وكان لانطيكوس بنت تسمى ﴿قلوبطرة﴾ فكان من شروط الصلح أن يزوجها لصاحب مصر ويمهرها سائر أرض الشام حيث كانت هذه الاراضى محل النزاع بين مصر والشام فجعلها انطيكوس من نصيب ابنته قلوبطرة

ولبثت قلوبطره فى بيت أبيها تنتظر استدعاء بطليموس لها حيث هو لم يدخل بها لعدم بلوغه سن الرشد الى ذلك الحين وبينما هى فى بيت أبيها اذ قامت بمصر فتنة أخرى باسباب البغضاء الواقعة مابين ارسطونيوس الوصى على بطليموس ملكها واسقوباس كبير الجند وتمكن اسقوباس من مقاتلة ارسطونيوس بالاسكندرية وقد انضم اليه جميع العساكر والاجناد الرومية الذين كانوا فى خدمة مصر واشتدت الفتنة وقامت على ساقها وتكاثرت أحزاب اسقوباس وخرجوا عن طاعة بطليموس الملك ووصيه وقام المصريون مع الملك وزاد بهم الغضب على اسقوباس وأحزابه وأبناء جنسه وقبضوا عليه وساقوه الى موقف التحقيق فثبتت خيانته فحكم بقتله مع أحزابه وحرمان جميع أبناء جلدته من الخدمة العسكرية وفاز ارسطونيوس وظفر بعدوه ومن كان معه من الاحزاب فاولم واحتفل احتفالا عظيما وألبس بطليموس الملك التاج فى محفل عام وسلمه صولجان الملك وهو يومئذ فى الثالثة عشرة من عمره وذلك سنة ست وتسعين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثمانى عشرة وثمانمائة قبل الهجرة هذا ومع أن الفتنة كانت قد سكنت وأمست نارها رمادا وانكشفت عن جلوس بطليموس على سرير مملكته فانه شاع خبر موته وانتشر واتصل بانطيكوس أبى زوجته قلوبطرة فتاقت نفس انطيكوس الى أخذ قبرس والتخلص من رابطة العهد الذى كان بينه وبين بطليموس وكانت قبرس اذ ذاك تابعة لمصر فسير اليها سفنا حربية فعصفت بها الريح وألقتها على سواحل الاناضول ووردت اليه الاخبار بان بطليموس لم يزل على قيد الحياة فانثنى عن عزمه وصمم على عدم حل عقدة التحالف وكان قد مضى على عقد زواج

بطليموس

بطليموس بقلوبطرة ست سنوات فسار انطيكوس أبوها الى مدينة رافيابين غزة والعريش ومعه ابنته قلوبطرة وكان بطليموس الملك نازلا بها فالتقى الفريقان وبنى بطليموس بزوجته واستلم زمام الشام مهرالها

ولما استقر ببطليموس المنصب وتخلص من نير الوصاية ساء تدبيره وكثر ظلمه للرعية وتجبر فكان وصيه ينصحه ويحذره عاقبة أفعاله فكان لايلتفت لقوله ولا يسمع لنصحه ويحقد عليه فى تهديده وتخويفه ثم عمد الى قتله فدس له السم فمات فلما ظفر بقتل وزيره المذكور واستبد برأيه ارتكب من المآثم والسيآت مالم تستطع أن تحمله الاهالى فقاموا على قدم وساق وأثاروا الفتنة حتى كادت تعم جميع المدن ونادوا بخلع بيعة بطليموس من أعناقهم فانتدب بطليموس لقتال أصحاب الفتنة الجنود اليونانية الذين كانوا فى خدمة الحكومة فسار بهم قائدهم بولقراطس وضيق على الثائرين حتى استسلموا وكان بطليموس ممتنعا بمدينة صاالحجر فسار رؤساء الاحزاب اليه يطلبون الامان فقبض عليهم جميعا وقتلهم شرقتلة ومثل بهم وذلك سنة خمس وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وثمانمائة قبل الهجرة ولما سكنت الفتنة واستتب له الامر عاد الى عسفه وظلمه للرعية وأخذ يجهز جيشا كبيرا لقتال سيلقوس الرابع بن انطيكوس فاخترمته المنية قبل أن يتم هذه الغزوة وذلك فى سنة احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة سمه بعض الاعيان فمات والسبب فى ذلك أنه لما أكثر من تجنيد الجنود الاجنبية لغزو سيلقوس وبالغ فى الاكثار منهم سئل يوما من أين ندفع جوامك هؤلاء العساكر ونفقات هذا الجيش فقال ماسبب هذا السؤال أما تعلمون أن أموال أحبابنا هى أموالنا فدخلت من ذلك الحين الوساوس والاراجيف فى قلوب أحبابه ودسوا له السم فى الدسم فقضى عليه فكانت مدة حكمه أربعا وعشرين سنة وخلفه بطليموس السادس الملقب بمحب أمه على سبيل التهكم

(فى الملك بطليموس السادس)

﴿الملقب﴾

(بمحب أمه)

ثم قام بالامر بعده بطليموس السادس أكبر بنى بطليموس الماجد بويع له بالملك سنة احدى وثمانين ومائة قبل الميلاد أى نحو سنة ثلاث وثمانمائة قبل الهجرة ولقب فيلوماطور ومعناه محب أمه تهكما وسخرية لانه كان يبغضها بغضا شديدا تولى الملك قاصرا وكانت مدة قصوره أقل اضطرابا من مدة قصور أبيه لان أمه قلوبطرة كانت قدأصلحت حال

المملكة ورتبت أمورها ووطدت أركانها بعناية وحزم ولما مات أبوه واتصل الخبر بذلك الى سيليقوس الرابع صاحب الشام تاقت نفسه الى الاستيلاء على ولايات مصر الى سواحل الشام ولم يراع حرمة أخته قلوبطرة ولا طفولية ولدها بطليموس فجهز العساكر وجند الجنود وعزم على الزحف أولا على وادى دمشق ثم على السواحل فبينما هو على أهبة القيام للقتال اذاخترمته المنون وحالت بينه وبين ما كان ينويه وقام بالامر بعده انطيوكوس فلم يلبث ان سار على خطة سيليقوس فجيش الجيوش وجند الاجناد وعزم على تتميم هذه الغزوة فلما أحست قلوبطرة بما نواه انطيوكوس راسلت جمهورية الرومان وطلبت منها حماية مملكة مصر وأن تكون تحت عنايتها وان يكون ولدها بطليموس تحت كفالتها فبعثت الجمهورية المذكورة أميرا اسمه اعيلوس لايدوس وجعلته كفيلا على بطليموس الملك وهو من طائفة الكهنة

ولم تعش قلوبطرة بعدحضور اعيليوس الا قليلا وماتت فقام عندذلك أهالى الاسكندرية على اعيليوس المذكور وخلعوه وولوا الكفالة اثنين من المصريين هما أوليوس الطواشى ولونيوس أحد أعيان الدولة وكان قد استولى ملك الشام فى هذا الحين على سواحل دمشق التابعة لمصرفراسله الوصيان وطلبامنه رد ماأخذه من البلاد بالتى هى أحسن فاحتج عليهماوطلب كفالة ابن عمه عماله من الاولوية من الاجانب فحدث ان اشتغل الوصيان المذكوران بأمور أخرى عن فض الخلاف الواقع بين مصر والشام فاستفحل أمره بينهما واشتد بينهم الاخذ والرد وقامت الحرب على ساقها ولما كان الرومانيون اذ ذاك مشغولين بالحرب مع برشاوش ملك مقدونية تعذر عليهم اعانة ملك مصر على صاحب الشام فتغلب صاحب الشام على ولاية دمشق ويهوذا وسواحل الشام الى حدود مصر واستولى على قبرس بخيانة القائم بحراستها فتقوى وتشددت عزائمه ورغب فى الاغارة على مصر فقام ملك مصر بعساكره ونزل عندالفرما وقاتل صاحب الشام قتالا شديدا فانهزم عسكر مصر فى هذه الواقعة شر هزيمة ودخل انطيوفوس صاحب الشام الى مصر مؤيدا منصورا وأحسن معاملة بطليموس ملكها وقيل انه اعتذر اليه عما كان من قتاله اياه فلما رأى أهل ديوان الاسكندرية وجندها ماحل بملكهم وقومه من أسر انطيوفوس صاحب الشام اياه قاموا وبايعوا أخاه ولقبوه باو برجيطه الثانى ومعناه الرحيم وتأهبوا للقتال وأكثروا من جمع السلاح ومعدات الحرب وكان او برجيطه هذا صبيا قاصرا فأحس انطيوفوس بذلك وسار بجيشه الى الاسكندرية لقتال من بها من الاحزاب فتجهزوا للدفاع وشمروا عن ساعد الجد وبعث او برجيطه الملك وأخته قلوبطرة سفراء الى الرومانيين يستنجدونهم فوصل صاحب الشام الى الاسكندرية وحاصرها وضيق عليها وأطال مدة حصارها فكان من يهود الشام ان أشاعوا موته تحت اسوار الاسكندرية فقامت بسبب هذه الاشاعة الفتنة فى داخل البلاد واشتدت وعظمت ووصل خبرها الى انطونيوس وهو تحت أسوار الاسكندرية فعزم على العود وترك الحصار فقام عند ذلك بطليموس السادس الذى كان فى أسر انطونيوس وسار الى مدينة منف رجاء أن اختلافه مع أخيه

بطليموس

بطليموس اوبرجيطه يكون داعيا لاستيلائه على تخت السلطنة ثانية وكان انطونيوس قد تخلى عن المحافظة على مدينة الفرما ولم ينجح فى اثارة الفتنة بين الاخوين وقد تمدها وسار الى بيت المقدس فاستولى عليه وسلب ونهب وأراق الدماء وفى أثناء محاربته مع يهود الشام والانتقام منهم جزاء ماأشاعوه من خبر موته تحت أسوار الاسكندرية اصطلح بطليموس السادس محب أمه مع أخيه اوبرجيطه بوساطة أختهما قلوبطرة وعقدا الخناصر على دفع العدو عن بلادهما مااستطاعا اذا عاد الى شن الغارة عليها وطلبا من الرومانيين ان يبعثوا اليهما يومئذ مختارا لاصلاح ذات البين بين مصر والشام ثم بعثا بقواد الجنود المصرية لقتال سفن انطونيوس على سواحل قبرس الى أن يأتى الوفد الرومانى

وفى فصل الربيع من سنة ثلاث وسبعين ومائة قبل الميلاد أى سنة خمس وتسعين وسبعمائة قبل الهجرة أتت جيوش صاحب الشام الى حدود مصر وهجمت على البلاد واستولت على جميع ما كان فى طريقهم منها لحد مدينة منف ونصبوا معسكرهم على مقربة من الاسكندرية وكان قد حضر فى هذه الاثناء سفير من قبل الرومانيين اسمه بوبليوس ليناس فأوقف عسكر صاحب الشام عند الاسكندرية وعمل على اخراجهم من جميع أرض مصر فخرجوا منها على أحسن وجه ولكن لم تحصل مع ذلك البلاد على ما كانت تتوق اليه من الراحة بعد خروجهم اذ وقع بين بطليموس وأخيه اوبرجيطه من الوحشة والخصومة ماترتب عليه غاية الفشل وتولدت عنه الحروب الداخلية التى لم يصل أصحاب التاريخ الى معرفة تفاصيلها غاية ماقالوه عنها انها كانت سببا فى ذهاب اوبرجيطه الى رومة مستغيثا بجمهوريتها فأرسلت معه سفارة وطلبت السفارة المذكورة من بطليموس ان يتنازل لاخيه اوبرجيطه عن مملكة القيروان وبرقة فلم يقنع اوبرجيطه بذلك وطلب من مجلس رومة ان يضم اليه أيضا قسما آخر من الايالات التابعة لمملكة مصر فقبل منه ذلك وأضاف اليه جزيرة قبرس أيضا فأبى بطليموس ان يعطى جزيرة قبرس فأغضب امتناعه الرومانيين اذ كانت لهم فى ذلك الحين الكلمة النافذة فى جميع الدول المشرقية وكان لايتأتى لأحد من ملوك زمانهم ان يعارض لهم فى كلمة أو يزيف لهم رأيا فرسم مجلس رومة لسائر الممالك اليونانية وممالك آسية التى كانت يومئذ معاهدة لرومة ان يمدوا اوبرجيطه بجميع الامدادات التى يحتاجها وان ينصروه على أخيه بطليموس مااستطاعوا فاستغاث اوبرجيطه بهم وجهز عسكرا لقتال أخيه وهاجمه بجيش مخم وقاتله قتالا عنيفا انكشف عن هزيمة اوبرجيطه ووقوعه فى يد أخيه بطليموس فعامله بطليموس خير معاملة وصفح عنه الصفح الجميل واشترط عليه ان لايتطلع لمملكة قيروان وبرقة وبعض المدائن من جزيرة قبرس وأحكم بينه عرا المحبة والاتحاد بوعده له بزواج ابنته كعادة البطالسة فى ذلك الحين اقتداء بملوك فارس فزالت من بينهما الشحناء واستتبت الراحة فى داخلية البلاد وبقيت آمنة مطمئنة حينا من الدهر

وكان فى جزيرة قبرس من قبل ملك مصر عامل اسمه ارخياس فراسله صاحب الشام ومناه بالامانى الطويلة إذا سلم اليه قبرس فأحس بطليموس بذلك وهاج المصريون وماجوا وكادت نار الحرب تضطرم بين مصر والشام وانكشفت خيانة ارخياس المذكور وخاب سعيه واتضح أمره فقتل نفسه وداخل صاحب مصر الحقد على ديمتريوس صاحب الشام بسبب إغوائه ارخياس وعقد النية على الانتقام منه وكان لبطليموس الملك صهر اسمه اسكندر فدبر له ان يدعى انه ابن انطونيوس صاحب الشام فادعى ذلك وطلب الجلوس على تخت مملكة أبيه فأجلسه على تخت سلطنتها وخلع ديمتريوس سوطير ملكها وسيره الى حرب ديمتريوس وأمده بالعساكر والجنود وقواه بمعدات القتال وآلات الحرب وما زال حتى ظفر بالملك وقبض على زمام الاحكام فلما استتب له الامر طلب من بطليموس ملك مصر ان يزوجه قلوبطره ابنته فزوجها له وجهزها وسار بها الى الشام وعمل لها هناك الافراح والولائم العظيمة ولم يمض على الاسكندر المذكور فى منصبه سوى ست سنوات حتى نهض ديمتريوس سوطير يطالب بتاج أبيه وانحاز الى بطليموس صاحب مصر واستعانه فاعانه وجيش له جيشا عظيما وسيره اليه من البر والبحر وسار هو معه فساعدته الأقدار وانتصر على صاحب الشام انتصارا عظيما وأخذ الشام من فلسطين الى عكا وكان كلما ظفر بمدينة أو بلدة رتب فيها المحافظين من الاجناد المصرية وأحكم المحافظة عليها فارتاب من فعله هذا امنيوس وزير صاحب الشام وعقد النية على ان يقتله غيلة حرصا على ملك صاحبه اسكندر فأحس بطليموس بذلك واستشعر بما نواه عدوه فرغب الى اسكندر فى معاقبة وزيره امنيوس فلم يقبل فاتخذ بطليموس اباه ذريعة للحرب وركب على الاسكندر وقاتله وتغلب على مدن سواحل الشام الى انطاكية وفرق بينه وبين ابنته قلوبطره وساعد ديمتريوس بن سوطير على استرجاع مملكة أبيه وأعادها اليه ثم زوجه ابنته قلوبطره فاتحدت بهذه المصاهرة مصر والشام وصارتا قوة واحدة

وقام بطليموس صاحب مصر على انطاكية فاستقبله أهلها وألبسوه تاجين أحدهما تاج مصر والثانى تاج الشام فأبى ان يلبس تاج الديار الشامية بل آثر به ديمتريوس صاحبها وكان يومئذ شابا فألبسوه اياه فكان مافعله بطليموس مع ديمتريوس مافعله قبله انطيوكوش فى مدينة منف مع ملك مصر سواء بسواء حيث كان صاحب الشام أعطى مملكة مصر لاورجيطه وهذا من الاتفاقات الغريبة

اما اسكندر فانه سار بمن بقى معه من قومه الى بلاد اليونان وكأنه قد تقوى قليلا فعاد لقتال أعدائه فانهزم اسكندر ثانيا وهرب عند شيخ حى من أحياء العرب والتجأ اليه فخانه ذلك الشيخ وقتله وذلك سنة ست ومائة قبل الميلاد أى سنة ثمان وستين وسبعمائة قبل الهجرة وبعث برأسه الى بطليموس صاحب مصر فلم يصل اليه الا وكان قد مات هو أيضا حيث سقط عن ظهر جواده عقب انتصاره فاندق عنقه فكانت مدة ملكه خمسا وثلاثين سنة قضاها بين حروب وغزوات وفى أيامه هرب أونياس الاسرائيلى

الى

الى مدينة الاسكندرية وتقدم الى بطليموس فى بناء هيكل لليهود على آثار معبد فى مدينة تل بسطه لاشهار شعائر اليهود فى مصر على مثال هيكل بيت المقدس فأذن له بذلك

ولما مات بطليموس المذكور خلفه ابنه بطليموس السابع الملقب بأوباطور ومعناه الماجد الاب

(فى الملك بطليموس السابع)

﴿ الملقب ﴾

(بأوباطور)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطليموس السابع الملقب بأوباطور أى الماجد الاب بويع بالملك بعد موت أبيه سنة ست وأربعين ومائة قبل الميلاد أى سنة ثمان وستين وسبعمائة قبل الهجرة وكانت أيام حكمه قصيرة جدا حتى انه لم يذكره بعض المؤرخين فى عداد البطالسة الذين ملكوا مصر وانما نص بعضهم على أنه كان من البطالسة ثم ظهر للتأخرين منهم استكشاف وثيقة معاهدة يونانية مكتوبة من ديوان مصر يعلم منها انه ابن بطليموس محب أمه وانه تملك على مصر ولقب بالماجد الاب وأنه تولى قاصرا وكفلته أمه قلوبطرة وحكمت البلاد بالنيابة عنه مدة يسيرة جدا لاتعد مدة مستقلة بل متحدة داخلة فى مدة أخيه بطليموس الثامن الملقب اويرجيطه الثانى يعنى الرحيم

(فى الملك بطليموس الثامن)

﴿ الملقب ﴾

(اويرجيطه الثانى)

ثم قام بالامر بعده أخوه بطليموس الثامن ولقب باويرجيطه الثانى ومعناها الرحيم وبيان ذلك أن بطليموس هذا كان فى أيام أخيه بطليموس الماجد الاب ملكا على القيروان فبلغه خبر موت أخيه المذكور قبل حصوله وكان شديد الرغبة فى العود الى مصر وارتقاء سرير ملكها فصدق الاشاعة وعقد النية على الرحيل الى مصر والقبض على زمام ملكها

فجهز لذلك جندا كثيرا وهمّ بالمسير فوردت اليه الاخبار بصحة موت أخيه وقد مات حقيقة فى أثناء هذه المدّة عن زوجته قلوبطرة التى هى أخته وعن ولدها القاصر منه المسمى بطلميوس الماجد الاب فبادرت قلوبطرة بالمبايعة لابنها المذكور ونادت بجلوسه على كرسى مملكة أبيه فلما قدم بطلميوس الثامن الى مصر ووجد أخاه قد مات كما وردت اليه الاخبار وان ابن أخيه قد تولى ملك مصر لم يظهر ميلا الى الرئاسة ولم يتطلب الملك بنفسه بل طلب الوصاية على ابن أخيه فأبت قلوبطرة أن تمكنه منها فلم يطق ذلك وهجم بعسكره على مدينة الاسكندرية وفتحها عنوة وتزوج بقلوبطرة التى هى أخته قهرا عنها وذبح فى يوم عقده عليها ولدها بطلميوس على حجرها بيده وأمر بقتل أحزاب ابن أخيه عن آخرهم ثم تزوج على أخته قلوبطرة المذكورة بنتها من أخيه وبقى مع الزوجين الام وابنتها وأبقى لكلتيهما عنوان ملكة مصر فاوجبت هذه الفعال الشنيعة فضلا عن ظلمه وعسفه وجبروته نفور جميع الرعية منه وبغضهم إياه فخشى عاقبة ذلك واتخذ له جندا أجنبيا لحمايته ورتب لهم الجماكى والمرتبات وولاهم المحافظة على مملكته فاشتدت بذلك كراهية الرعية له ونفورهم منه وكان كثير الانهماك فى اللذات والشهوات منعكفا على المعاصى فقبحت فى أعين الرعية صورته وكرهوا منظره وكان ضخم البطن قصير القامة لا يكاد يقدر على المشى لهذه العلة فلقبه لذلك أهل الاسكندرية بالبطين

وطال حكمه وتعست أيامه وأكثر من الجور والظلم ولم يكن لطول ملكه من سبب سوى أن وزيره هو هيراش كان حازما محبوبا مهيبا عند الرعية نافذ الكلمة فيهم حسن التدبير والسياسة فكانت مدّة وزارته مانعة لعطب المملكة حافظة لها من الاختلال واقية لها من الزوال ومع ذلك فانه لما اشتدت على الرعية وطأة الظلم والاستعباد قاموا فى سنة ثلاثين ومائة قبل الميلاد أى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة قبل الهجرة وأثاروا الفتنة وخرجوا عليه وحرقوا قصره فهرب وسار الى جزيرة قبرس وأخذ معه قلوبطرة الصغيرة وكان الذى أعان على اثارة هذه الفتنة واضطرام نارها قلوبطرة الكبيرة فقد استدل على صحة ذلك أصحاب التاريخ بانه لما كسر الاهالى تماثيل الملك زوجها ايذانا بعزله وتنزيله عن منصب الملك سلموها زمام الحكومة وولوها أمور المملكة فلم تتأخر وارتقت سرير الملك آمنة وأخذت فى تدبير الامور فرحة جزلة

ولما بلغ اوير جيطه الملك مافعلته قلوبطرة زوجته كاد يتميز من الغيظ وخشى أن تبايع ولدها منه على ملك البلاد فارسل من قبرس من يأخذه منها فبعثت به اليه فلما وصل قام عليه وذبحه ووضع أجزاءه فى زنبيل وبعث به الى أمه بالاسكندرية وبينما هى تحتفل بوليمة لمولدها اذ جاؤا اليها بجثة ولدها مذبوحا ممزقا فكادت تموت حزنا وتجهزت لحرب اوير جيطه زوجها وتجهز هو أيضا لقتالها وأكثر كل فريق منهما من الجند ومعدات الحرب وسلم اوير جيطه قيادة جيشه الى هجالوخس القائد وسلمت قلوبطرة كذلك قيادة جيوشها

الى مرسياس والتـقى الجعان فى ميـدان مصر واقتتلا قتالا عنيفا فانهزم جيش قـلوبطرة ووقع قائده مرسـياس أسـيرا فى يد خصمه فبعث به الى اوبرجيطه الملك فى جزيرة قـبرس فأحسـن اوبرجيطه معاملته وصفح عنـه ليستميل بذلك اليـه قلوب المصريين وتحزبت قلوبطرة بعد هزيمة جيوشها فى مدينة الاسكندرية وخلعت تاج الملك على صهرها دمتريوس نيقاطور ملك الشام وسارت هى الى الشام هاربة فجاء دمتريوس الى الاسكندرية سريعا وحاصر الفرما وضيق عليها حتى صارت على وشك التسليم فقامت بالشام فتنة فخاف دمتريوس استفحالها فسـلم الاسكندرية صـلحا لاوبرجيطه فركب اوبرجيطه سرير سلفه ثانية وعقـد النية على الانتقام من دمـتريوس جزاء مافعـل فأغرى رجـلا اسمه سيداطس على أن يدعى انه ابن انطيوكوس ملك الشـام وأن له حق التمـلك عليها فقام وادعى ذلك ولقب نفسـه باسـكندر رزابيناس فبايعه خلق كثـير ثم قام لقتال دمتريوس فانهزم دمتريوس وهرب الى صور فقتلته زوجته فيها فانتقـل اليها ملك الشام وكانت تعـلم مابين رزابيناس واوبرجيطـه من البغض والشحناء فتقربت من اوبرجيطه صاحب مصر واستمرت على الحرب مع رزابيناس فانتصرت عليه بعناية اوبرجيطه ومعاهـدتها له وتزويج بنته طروفانه لابنها انطيوكوس اغـروبوس ومن هـذا الحـين سكنت الفتن والقلاقـل واطمأن اوبرجيطه الملك واشـتغل بزيادة كتب خزانة الاسكندرية على نحو مافعـله أسـلافه من ملوك البطالسة زيادة كثيرة وكان له مشاركة فى العلوم الحكمية والفنون الادبيـة اذ كان قد تلقاها عن المعـلم ارستارخس الشهير بالمعارف الادبية فانكب عليها وألف بعض الكتب والرسائل المفيدة فى تلك العلوم

وفى أيامه سارت الرحلة العلمية لاستكشاف بحر الهند وكانت هذه أول رحلة ألفت من المصريين وسافرت لاستطلاع أحوال البحر المحيط الهندى تحت رئاسـة القائد هودشيش القوزيقى وكان هذا القائد شجاعا قادرا على الاسفار جسورا على اقتحام البحار يحسن الارصاد الفلكية ويتبين مواقع تخطيط الارض فطاف حول افريقية وتمم بالارصاد معرفة مافى البحر الهندى من الجزائر والبلدان فى أيام بطليموس اوبرجيطه المذكور ثم مات اوبرجيطه فى سـنة سبع عشرة ومائة قبـل الميلاد أى سنة تسع وثلاثين وسبعمـائة قبـل الهجرة فكانت مـدة ملكه تسعا وعشرين سنة وخلفه بطليموس التاسع الملقب بسوطير الثالث

(فى الملك بطليموس التاسع)

﴿ الملقب ﴾

(سوطير الثالث)

ثم قام بالامر بعده الملك بطليموس التاسع الملقب بسوطير بويع بالملك سنة سبع عشرة ومائة قبل الميلاد أى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة قبل الهجرة ولقب بسوطير الثالث ومعناه المخلص ولقب أيضا بوطونوس يعنى المحبوب ولاطوروس يعنى الارقط لانه كان له علامة فى وجهه وهو أكبر ولدى بطليموس البطين من قلوبطرة الصغيرة وكانت أمه تبغضه وتحب أخاه الصغير المسمى اسكندر وتؤثره عليه وكانت متسلطة على قلب زوجها بطليموس البطين فحملته على أن يبعث بولدها الاكبر المذكور الى جزيرة قبرس ليكون حاكما عليها وقصدت بتغريبه وابعاده حرمانه من ولاية العهد وانتقال حق الملك لولدها اسكندر غير أنه قد خاب منها الظن وأخطأها الأمل فانه لما مات بطليموس زوجها قام أهل الدولة ورجالها وألزموها بأن تستدعى ولدها لتخت أبيه فلم تر بدا من استحضاره وألبسته تاج الملك واشترطت طلاق زوجته قلوبطرة أخته وأن يتزوج احدى أخواته المسماة سيلانه لطاعتها لامها وعدم عقوقها فطلق قلوبطرة وتركها فى جزيرة قبرس فلم يهدأ لها حال وصارت تتداخل فى أمور دولة الشام ومصالحها فقتلت بأمر أختها طروفانة صاحبة الشام وتخلص بطليموس منها وتزوج باخته سيلانة وصار فى جميع أموره خاضعا لامه ولم يخالفها فى شئ ولكنها كانت مع ذلك حاقدة عليه مضمرة له العداوة مريدة له التلف فلما ماتت بنتها قلوبطرة صاحبة قبرس ولت بدلها ابنها الصغير اسكندر ملكا لترشحه للجلوس على مملكة مصر وكانت دائما على نية خلع ولدها بطليموس وتنزيله ولاتنكف عن العمل على ذلك وبقى بطليموس المذكور وأمه زمنا طويلا على إدمان العداوة والاصرار على الدسائس الخفية وكل منهما يكل أمره الى حزب من أهل الشام يعضد أغراضه ثم كان من أم الملك المذكورة ان اتهمت ابنها بطليموس بأنه هم بقتلها بالسم وحزبت عليه جميع أهل الاسكندرية ليفتكوا به ففر بطليموس الى قبرس فاستقدمت ابنها اسكندر الى مصر وبايعته فبايعه المصريون كافة وجعلوه ملكا على مصر كما سيذكر فى محله ولم تقف قلوبطرة عند هذا الحد مع ولدها بطليموس بل جيشت لقتاله جيشا كبيرا وسيرت به ليخرجه من جزيرة قبرس ويجليه عنها فخرج بطليموس الى سواحل الشام ومعه ثلاثون ألف مقاتل وهجم بهم على سواحل الاردن وهزم اليهود الذين كانوا على خلاف مع انطيوكوس القوزيقى ملك الشام واستولى أيضا على عكا وكانت يومئذ تابعة لمصر فلما علمت قلوبطرة

أمه بخبر هذه الغزوة ونصرات بطليموس المتتابعة جهزت جيشا ثانيا عظيما وسيرته برا وبحرا الى الشام وقاتلته على عكا فأخذتها منه وسار عسكرها لاخذ مدينة قيصر فلم يقدر واستمرت الحرب سجالا الى أن اصطلح الفريقان وانكفا عن القتال وقد طالت أيام هذه الحرب الى حد قامت معه الفتن فى داخل البلاد المصرية وكثرت فيها الدسائس وكاد يعمها الخلل وتنتشر فيها القلاقل والاضطرابات وكثرت الاحزاب فوجهت قلوبطرة عنايتها الى حسمها بالتى هى أحسن فلم تفلح ورأت أن ولدها اسكندر الذى ولته ملك مصر ولقبته ببطليموس قد خرج عن طاعتها أيضا فحقدت عليه وأضمرت له السوء وقصدت قتله والخلاص منه وأخذت تتربص به السوء فأحس بذلك وخاف سوء العاقبة فتدارك الامر وأسرع هو بقتلها واستبد بحكم البلاد بلا منازع

ولما خلا له الجو وبات مطلق اليدين طغى وتجبر وظهر ظلمه وعسفه وقيل انه نبش قبر الاسكندر الاكبر وسلب تابوته المصوغ من الذهب واستبدله بتابوت من البلور فلم تطل مدته بعد ذلك اذ غضبت عليه الرعية وأبغضه العساكر وشددوا عليه الوطأة ففر هاربا الى خارج مصر فقرر ديوان الاسكندرية حضور أخيه بطليموس سوطير ثانيا فاستقدموه من قبرس فقدم ففرح الناس بمقدمه وقد شوهد فيه من جيد الطباع وحسن الاخلاق ما حبب الناس فيه واستمالهم اليه وكان الاسكندر بعد أن خرج من مصر سار الى بلاد برقة فاستولى عليها وقصد الاستيلاء على مدينة قبرس فلم يقدر ووقعت بينه وبين الجند المرابطين فيها حروب بحرية هائلة مات فيها وانمحى ذكره وذلك سنة تسع وثمانين قبل الميلاد أى سنة احدى عشرة وسبعمائة قبل الهجرة ولما استقر المنصب ببطليموس سوطير المذكور دانت له البلاد الا مدينة طيبة أم الصعيد فانها لم تبايعه ثانية وامتنع أهلها عليه وشقوا عصا الطاعة فسار اليها فى جنده وقاتل أهلها وهزمهم واستولى على المدينة وقتل وسبى ونهب وسفك الدماء حتى أباد أهلها أو كاد ومحا آثارها وكانت من أعظم مدن مصر وأكثرها عمارة فأصبحت بعد ذلك وكأن لم تغن بالامس

وعادت مصر فى أيام بطليموس سوطير هذا الى شأنها الاول كما كانت وصار لها اليد العليا والكلمة النافذة على ممالك بلاد المشرق اذ أعاد لها شوكتها البحرية بتعمير السفن الحربية والتجارية والاقبال على فن الملاحة فرغبت الدول فى معاهدتها وطلب سطريداطس ملك قابودوقيا وارمنستان عقد عهود المودة والولاء معها وكذلك الرومانيون فدل هذا كله على ما نالته من الشهرة والرفعة فى ذلك الحين وما وصلت اليه من عزة الجانب

وكان بين ملك قابودوقيا وجمهورية الرومانيين شقاق وخلاف فكان كل منهما يرغب فى معاهدة مصر رجاء الفوز على عدوه ومع الحاحهما بطلب معاهدتها فان بطليموس لم يرض أن يتعاهد مع الفريقين وعقد النية على أن لا يتظاهر بالمداخلة فى حروب الدولتين لانه كان

يخشى اتساع نطاق صولة الرومانيين وقوة دولتهم لاسيما وقد كانت آخذة في النماء والزيادة شيأ فشيأ فكان لذلك يعاون ملك قابودوقيا على عدوه سرا

ومات بطليموس حتف أنفه وترك مملكة مصر في عز ورفعة عظيمتين جدا وكان موته سنة خمس وثمانين قبل الميلاد أى نحو سنة سبع وسبعمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه وحده ومع أمه قلوبطره ستا وثلاثين سنة فخلفته ابنته قلوبطره برنيقه على سرير الملك ولكنها لم تحكم الاستة أشهر فتولى الملك بعدها بطليموس العاشر وبطليموس الحادى عشر

(فى الملك بطليموس العاشر وبطليموس الحادى عشر)

وهما اسكندر الثانى وأوليطيس

توليا الملك بعد برنيقة التى لم تحكم الا ستة أشهر لاغير سنة خمس وثمانين قبل الميلاد أى سنة سبع وسبعمائة قبل الهجرة وكان يعبر عن الاول منهما باسكندر الثانى وعن الثانى بعنوان أوليطيس ومعناه الزامر وتحرير خبر توليتهما أنه لما مات بطليموس التاسع كان الرئيس على جمهورية الرومانيين أميرا اسمه (سولا) وكان لاسكندر الاول البطليموسى ابن يسمى اسكندر الثانى وكان مقيما فى ديوان متريداطس نزيلا فلما جاء الامير (سولا) المذكور الى قابودوقيا قائدا لعسكر الرومانيين الذين أتوا لقتال ملكها متريداطس وتنزيله عن سرير الملك مال اسكندر المذكور الى الامير (سولا) وانضم اليه عسى أن يكون له عونا يوما ما على ارتقاء كرسى مملكة مصر فسار الى (سولا) فأكرم (سولا) نزله وأخذه معه الى رومة بعد انقضاء حرب قابودوقيا فلما شاع الخبر بموت سوطير الثانى أخى الاسكندر المذكور وهو بطليموس التاسع ملك مصر أرسل (سولا) رئيس جمهورية الرومانيين اسكندر المذكور لتولى ملك مصر بدل أخيه فلما وصل اسكندر خشى الفتنة فعمد الى حسم أسبابها ومنع كل خلاف بينه وبين الملكة قلوبطرة برنيقة فتزوج بها وشاركها فى الملك ولم يلبث معها الا ستة أشهر حتى قام عليها وقتلها واستبد بالملك ولقب نفسه ببطليموس العاشر

ولما رأى كبار العساكر المصرية أن بطليموس المذكور معول على دولة اليونان ومعتمد عليها وقد كان المصريون يعتبرونها أجنبية عنهم ولاحق لها فى التداخل فى مصالح بلادهم عقدوا النية على قتله والتخلص منه ودبروا الامر وأحسنوا تدبيره فقتلوه ذبحا فى ملعب بمدينة الاسكندرية بعد تسعة عشر يوما من استقلاله بالملك

ولم يكن اذ ذاك للبطالسة اللاغوسية أولاد ذكور من نكاح صحيح وانما كان لسوطير الثانى ولد من السفاح اسمه بطليموس أوليطيس يعنى الزامر لولوعه بسماع المزمار فولاه

المصريون

المصريون ملكا عليهم ولقبوه ببطليموس الحادى عشر وتولى الملك وهو موسوم بأمرين يعدان من أقبح الصفات (كما قال بعض الكتاب) وأكبرهما عند المصريين أولهما كونه من السفاح وثانيهما ارتقاؤه المنصب الملوكى رغما عن رغبة الجمهورية الرومانية بدل الذى كانت الجمهورية انتخبته وانتظم فى عداد معاهديها وكان يتوقع من الجمهورية المذكورة أن لاتعترف بملوكية بطليموس المذكور فلم تلبث أن أعلنت بعدم اعتبارها لولايته وأن سرير ملك مصر لم يزل خاليا من الذات الملوكية التى تستحق التولية المعتبرة وأن المنصب الملوكى قد خلا عن وارث له من السلسلة الملوكية فوجب لذلك أن يكون تحت كفالة جمهورية رومة بمقتضى وصية اسكندر الثانى ملكها قالت وسواء كانت هذه الوصية صحيحة أو ادعائية فهى على كلتا الحالتين واجبة التنفيذ طوعا أو كرها

وكان فى هذا الحين بأرض الشام من ذرية بطالسة مصر بعض بنات قد خلفن ذكورا واناثا من ملوك الشام فكن يطالبن أيضا بحقوقهن فى المنصب ويرغبن فى تقديم أولادهن على بطليموس الزامر فأكثرن من الشكوى مما فعله المصريون وكان ممن يطالب أيضا بمثل هذا أخت بطليموس سوطير المسماة سيلانة التى كانت زوجة بطليموس القوزيقى صاحب الشام وكان قد بقى لها من تعلقات ديار مصر بعض مدن على سواحل الشام كمدينة عكا وكان لها ولدان من ملك الشام المذكور أحدهما يسمى انطيوكوس والثانى يسمى سيليقوس فبعثت الى ايطاليا ابنيها لتطلب من جمهورية رومة أن تسعى فى ارتقائهما المنصب الملوكى بدعوى أن المملكة المصرية قد انتقلت اليهما بطريق الميراث من جهة أمهما فأحس بطليموس الزامر بذلك و بعث الى رومية من قبله سرا عدة سفراء ليعارضوا فى مطالب الملكة سيلانة ويمنعوا أنطيوكوس وسيليقوس من دعوى ذلك لانهما من أمراء الشام لامن أمراء مصر وليستميلوا بالرشا والبراطيل بعض أمراء الجمهورية الرومانية ليكونوا له عونا على تنفيذ أغراضه فترتب على ذلك أن وقعت المذاكرات والمداولات فى مجلس رومة وتكررت بشأن ما يجب فعله فى مملكة مصر وفيما اذا كان يصح أن ترسل الجمهورية اليها جنودا رومانية ليقيموا فيها اقامة مؤقتة لمنع الاختلال وحفظ قوام المملكة وتثبيت أقدام بطليموس الزامر وكان الحامل على هذه المذاكرات وتوالى الاجتماعات هو ما كان سفراء بطليموس المذكور يدفعونه من الرشوة والهدايا النفيسة فلم تنحل هذه العقدة لهذا السبب ولسبب آخر وهو اشتغال الدولة الرومانية بالحرب التى كانت قائمة بينها وبين متريداطس ملك قبادوقيا فكانت هذه الحرب عائقة عن التفاتها لامور المملكة المصرية وتنجيز أغراضها فيها ومازال الحال بين أخذ ورد والسفراء تغدو وتروح بين رومة ومصر حتى تمت هزيمة ملك قبادوقيا وفرغ الرومانيون من قتاله فصرفوا الهمة لمصلحة مصر ووجهوا نحوها سهام أغراضهم وطلب اقراسوس وبولوس قيصر رئيسا رومة يومئذ من مجلس الجمهورية أن يبعثهما من قبله الى ديار مصر لاجراء ما تقتضيه مصلحتها فلم يقبل المجلس ذلك وفى سنة أربع وستين قبل الميلاد أى سنة ٦٨٦

قبل الهجرة طلب المستشار (دولوس) من المجلس المذكور أن تضاف مملكة مصر للملكة الرومانية وتكون إيالة ملحقة بإيالة رومة وكان فى المجلس وقتئذ (قيقرون) الخطيب الذى يقال له أيضا (شيشرون) وهو خطيب مصقع مشهور بالفصاحة وحسن الخطابة فقام وخطب وأكثر من البراهين القاطعة على عدم موافقة اضافتها لما فى ذلك من مخالفة أحوال الملل والدول واحتج على وجوب استقلاليتها وأن تكون قائمة بنفسها مستبدة بأحكامها كما يقتضيه موقعها الجغرافى فحكم المجلس بناء على ذلك بتخليص مصر من ورطة التبعية لرومة وقضى بابقاء استقلالها بنفسها على حاله وعدم التعرض لها بشئ البتة

وبينما كانت الجمهورية المذكورة تتوعد مصر بادخالها فى عداد إيالاتها وتهددها بتبعيتها لهاكان من بطليموس ملك مصر أن صرف وجهه عن موالاة الجمهورية المذكورة ومصادقتها فى الباطن ولبث يراقب الحوادث فلما قامت الحرب بين متريداطس وبينها كما تقدم القول عمد بطليموس الى ملازمة الحيادة وعدم التعرض للفريقين ولم يمد يد المساعدة للرومانيين بشئ ما البتة ولم يساعد دمتريداطس أيضا مساعدة ظاهرة ولكنه كان يكاتبه سرا ويطلعه على بعض الامور فلما عاد جيش الرومانيين من هذه الحرب وكان الرئيس على الرومانيين يومئذ الامير بومبيوس وكان قد نزل بالشام فبلغه فى طريقه موت متريداطس عدو الرومانيين فعرج على حدود الديار المصرية فعلم بطليموس ملكها بوصوله وتخوف منه فأرسل اليه هدايا فاخرة وواساه كل المواساة ورغب اليه أن يعينه على رعيته وكانوا قد قاموا عليه فى هذا الحين وأضرموا نار الفتنة فى جوف البلاد فلم يقبل بومبيوس دخوله مصر وامتنع من اغاثة بطليموس فألح عليه وطلب منه العون والمحاماة فعاد لاجابة طلبه وأسكن تلك الفتنة فلما سار بومبيوس لحصار بيت المقدس أعانه بطليموس ملك مصر بالمال وأمده بذخائر الحرب فلما عاد بومبيوس الى رومة وكان قيصر ملكها لم يزل فى منصبه الملوكى وكان بينه وبين بومبيوس محبة أوصاه على بطليموس ملك مصر واستماله الى جانبه فجعله القيصر تحت حمايته وطلب من مجلس رومة أن يقره على ملوكية مصر بعد أن كان قد قضى قبل ذلك بنزع الملك من يده وذلك سنة تسع وخمسين قبل الميلاد أى سنة احدى وثمانين وستمائة قبل الهجرة

وأنفقت السلالة اللاغوسية الاموال الكثيرة فى الحصول على حماية رومة حيث قرر بعض أرباب المجلس الرومانى بعد ذلك بمدة يسيرة اجابة لاغراض بعض أعضاء مجلس الامة نزع ملكية جزيرة قبرس من يد ملكها الذى هو أخو بطليموس الزامر واضافتها الى أملاك رومة فأجيب الى ذلك وابتلعت رومة جزيرة قبرس مضغة لينة فأغضب ذلك ديوان الاسكندرية وأهلها لانهم كانوا الى ذلك الحين شديدى الحرص على المحافظة على ناموس وطنهم وصيانة أملاكهم أكثر من تمسك ملوكهم بذلك فطلب أهل الاسكندرية من بطليموس الزامر أن يبذل الجهد فى نقض معاهدة الرومانيين وأن يهب الى نزع قبرس بالقهر والغلبة ويعيد أخاه ملكا عليها كما كان وقد كان بطليموس فى هذا الحين لايقوى على هذا الفعل ولاتؤمل منه القدرة على

حماية البلاد فلم يوافقهم على ذلك فقاموا عليه وأثاروا الفتنة فهرب من مصر خفية الى رومة يطلب الاعانة والمدد

وكان الرومانيون قد أقاموا الامير (قاطون) حاكما على جزيرة قبرس وسار حتى وصل الى جزيرة رودس فلحق به بطليموس الملك بعد خروجه من مصر ليزوره فلم يحتفل به ولم يكرم وفادته ولامه على تركه مملكته وخروجه منها وأشار عليه أن يركب معه فى سفنه ليوصله الى مصر ويتوسط له فى الصلح مع الرعية وأكد عليه فى ذلك فأبى بطليموس الرجوع وقال ان مذلة السؤال على مساعدة رومة لأهون علىّ من عودى الى مصر وطلب الصلح مع الرعية

واتفق أنه فى خلال هذه المدة انقطعت أخبار بطليموس الزامر عن مسامع أهل مصر ولم يقفوا له على أثر فظنوا موته وكان له بنتان كبيرتان وهما (قلوبطره طروفانه) و (برنيقة) فاتفق أهل البلاد على توليتهما الملك وبعثوا سفراء الى الشام يطلبون من انطيوكوس صاحبها الذى هو خال (قلوبطره) و (برنيقه) المذكورتين أن يحضر الى مصر ويشارك برنيقة وأختها فى أحوال المملكة وكان أنطيوكوس فى هذا الحين قد خلع من ملك الشام وكان الذى خلعه بومبيوس رئيس رومة بعد طرد الرومانيين ملك الارمن فلما ذهب السفراء لطلبه لم يجدوه على قيد الحياة وفاته المنصب الملوكى كما فات أهل الاسكندرية غرضهم من التعاون به فعرض السفراء هذا المنصب على فيلبس أحد أقاربه للياقته للتملك على البلاد ورد الاجانب عنها فمنعه غابنيوس كبير العسكر الرومانى عن المسير الى الاسكندرية وحال بينه وبين هذه الامنية فتكلم السفراء مع الامير سيليقوس أخى انطيوكوس صاحب الشام فقبل المنصب وسار الى مصر فوجد قلوبطره طروفانه احدى الملكتين قد ماتت بعد أن حكمت مع أختها برنيقه سنة كاملة وبرنيقه منفردة بحكم البلاد فتزوجها واشترك معها فى المنصب ولكنه لم يعش معها الا قليلا حتى قتلته خنقا وتزوجت بعده ارخيلاوس كاهن هيكل البستان ببلاد الارمن وبقيت معه ويقال ان ارخيلاوس هذا هو ابن متريداطس الاكبر ملك الارمن

أما بطليموس الزامر فكان قد انتقل من جزيرة رودس ووصل الى رومة وتداخل مع أرباب الحل والعقد ورجال الجمهورية ودبر جميع ماقدر عليه من الدسائس والحيل وتوسل الى الرومانيين ليرجعوه الى منصبه ملكا على مصر فأرسلوا معه الامير انطونيوس الشهير الذى تقلد بعد هذا الحين قونصلية رومة وكان وقت بعثته فى هذه السفارة قد تقلد امارة قبادوقيا وبلاد الارمن فتعهد للرومانيين بادخال بطليموس الى مصر ورد تاج الملك اليه رغم أنف كل مكابر

واتفق أن حصل فى ذلك الوقت خلاف وشقاق بين أعضاء جمعية رومة أدى الى المشاجرة والمهاترة فتولد من ذلك قيام الفتنة فى داخل البلاد واستفحال أمرها فغضب بومبيوس رئيسها وخرج من مدينة رومة فعاقت هذه الاحن تجهيز سفر بطليموس الزامر الى مصر وقد كان بومبيوس مظاهرا لبطليموس ومناصرا لاغراضه فبقى بطليموس فى رومة لايتحرك ساكنا

أما أهل الاسكندرية فانه لما اتصل بهم ان بطليموس على قيد الحياة وانه يسعى سعيه فى رومة أرسلوا اليها سفراء لاحباط مساعيه والعمل على نقيض مراده وأجاز والهم أن يعددوا معايبه ويترافعوا معه بالنيابة عن أهل البلاد فى مجلس فاحتال بطليموس الزامر على قتل أكثرهم واستمال رئيسهم المسمى ((ديون)) وباعد بينه وبين مأموريته بالرشا والبراطيل فلم يفعل منها شئ وأبطأت رغائب بطليموس من رجوعه الى منصب الملك الى سنة خمس وخمسين قبل الميلاد أى سنة سبع وسبعين وستمائة قبل الهجرة حتى تولى بومبيوس الحكم على جميع الرومانيين وتلقب بلقب قونصل عليهم فلما استقر به المنصب كتب الى غابنوس قائد العسكر الرومانى المأمور بغزو بلاد الفرس أن يسير ببطليموس الى ديار مصر ويعيد اليه تاج الملك وسير اليه بطليموس المذكور بالشام فلما وصل وجد غابنوس على عزم عبور الفرات ليعيد متريداطس الثالث على احدى ممالك فارس وقد كان طرده أخوه منها فخشى بطليموس العاقبة وتقرب الى غابنوس بالرشا والبراطيل ووعده بالاموال فلما طن فى أذنيه صوت الدرهم والدينار مال الى قضاء مصلحة بطليموس وترك مأمورية متريداطس فصارت نسيا منسيا ومع كون قانون الرومانيين لا يجيز للولاة الخروج عن إيالاتهم بل يجيز لهم أن يرسلوا من يقوم مقامهم فى مثل هذه المهمات فان غابنوس قام مع بطليموس الزامر الى مصر وترك لولده تدبير البلاد فى غيبته وأخذ من اليهود المدد فأمدوه بأصناف الامدادات وسلم قيادة جيشه الى مرقوس انطنيوس محب بطليموس ((الذى سيأتى بيان اشتراكه مع قلوبطره ملكة مصر فى التسلط على المملكة فى محله)) فوصل مرقوس المذكور أمام مدينة الفرما وقاتلها وتغلب عليها وقيل انه أخذها بدون قتال بخيانة من بها من اليهود فقدم ارخيلاوس زوج الملكة مسرعا الى ساحة القتال وكان شجاعا فى الحروب صنديدا فى الشدائد والخطوب وهجم على جند غابنوس على مقربة من الفرما فانهزم عسكره ودخلت عساكر الرومانيين أرض مصر من البر ودخلت سفنهم قهرا من البحر ومخرت فى النيل وسارت وهى صاعدة بلا ممانع ومع كراهة أهل الاسكندرية لبطليموس الزامر فى الظاهر والباطن وعدم توقعهم منه الا السوء فانهم بمجرد ماراوه وقد وفد عليهم وصار بين ظهرانيهم ورأوا من ارخيلاوس زوج الملكة تصميما على دفع جيوش الرومانيين وممانعتهم على قدر الاستطاعة وانه على عزم أن يجهز مدينة الاسكندرية للمحاصرة والدفاع خشوا العاقبة وكرهوا المدافعة لظنهم أنها لا تأتى بالاثر المطلوب وكثر تحدثهم فى هذا الامر لاسيما لما رأوا ارخيلاوس المذكور يرسم خطوط الاستحكام ويخطط أخاديد هندسية ويحفر الخنادق للممانعة فأحس ارخيلاوس منهم بذلك ولوى عنان جهده عن هذه الخطة وركن الى المهاجمة رجاء الظفر والتأييد ولكنه خاب فى عزيمته وانهزم وقتل فى هزيمته فلما علم انطونيوس قائد العسكر الرومانى بقتل ارخيلاوس رثى لحاله وتأسف عليه وشيع جنازته بأعظم أبهة واحتفال لانه كان أضافه قبل ذلك بمصر فأكرم ضيافته واحتفل به غاية الاحتفال فلم ينس له هذا الجميل

وبموت ارخيلاوس استقر الحال لبطليموس الزامر وجلس على سرير الملك ثانيا وقبض

على

على زمام الحكم بعناية الرومانيين ثم لم يلبث أن سلك فى الانتقام أشنع المسالك وقتل بنته برنيقة وكثيرا من الاغنياء والاعيان وضبط أموالهم وسلمها للرومانيين العاملين معه فعاد غابنوس وقائد عسكره انطنيوس الى أوطانهما متقلسين بالذخائر والتحف والاموال الكثيرة وقد ترك غابنوس لبطلميوس من يحرسه من ابطال الغالبين الذين هم قدماء الفرنسيس ولم يفعل بطلميوس المذكور شيأ لخير البلاد ولا لفائدتها فى مدة حكمه الاولى والثانية ومات فى عنفوان شبابه سنة ثمان وأربعين قبل الميلاد أى نحو سنة سبعين وستمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه مع مدة من حكم قبله وبعد حكمه الاول نحو تسع وثلاثين سنة

وكان قد أرسل قبل موته الى مدينة رومة سفراء ومعهم وصية لمجلس الرومانيين ليحفظها بومبيوس تحت يده تتضمن وصايته بمملكة مصر لاكبر أولاده وبكر بناته بشرط عقد الزواج بينهما عند بلوغهما سن الزواج وأن يشتركا معا فى الملك شيوعا وأن يكون الوصى عليهما الامة الرومانية وأن تعاملهما بمنطوق المعاهدة المبرمة بين الجمهورية والدولة المصرية فقام بومبيوس بتنفيذ هذه الوصية وعمل بحكم مافيها على الوجه الآتى

(فى الملك بطلميوس الثانى عشر)

﴿ الملقب ﴾

(بدنيس يعنى الحمار)

ثم قام بالامر بعده ابنه بطلميوس الثانى عشر الملقب بدنيس ومعناه الحمار كما أوصى أبوه وذلك سنة ثمان وأربعين قبل الميلاد أى سنة سبعين وستمائة قبل الهجرة ولم يكن عمره يومئذ الا ثلاث عشرة سنة فكان قاصرا وكان عمر قلوبطره الشهيرة الموصى لها بالملك بالمشاركة مع أخيها سبع عشرة سنة فكانت متأهلة للسياسة وتدبير الامور منحصر فيها دون أخيها لعدم أهليته ورشده فأقيم عليه ثلاثة أوصياء من أعيان المملكة المصرية وهم ﴿ بوطين الطواشى ﴾ و ﴿ طيودوطس ﴾ وزير الداخلية و ﴿ اخيلاس ﴾ رئيس الجند وكان هؤلاء الثلاثة أعداء لقلوبطره يكرهونها ولا يرغبون فى اشتراكها مع أخيها فى الملك ولما صدق مجلس رومة على تنفيذ وصية بطلميوس الزامر واستقر الملك ببطلميوس الثانى عشر وأخته قلوبطره انتظما فى سلك الملوك المعاهدين للرومان وكانت رياسة الدولة الرومانية فى هذا الحين فى يد أميرين وهما ﴿ يولس ﴾ قيصر و ﴿ بومبيوس ﴾ وكانت قد ظهرت بينهما العداوة ووقع الفشل والاختلال فانقسم لذلك الرومانيون الى حزبين متخاصمين وانفرد كل من الرئيسين بحزبه فكان من وراء ذلك اشتداد الخصام ووقوع القتال بين الفريقين واراقة الدماء هدرا فعزم بومبيوس عند ذلك على أن يهاجر من رومة الى بلاد اليونان وكانت يومئذ معدودة من الايالات الرومانية وتهيأ للارتحال

فأرسل أكبر أولاده مع قائد من حزبه اسمه ﴿ فورنليوس سبيوس ﴾ الى مصر ليجمع منها عسكرا يستعين بهم على خصمه قيصر فأمدّته قلوبطره بالزاد والراحلة وأعانته بستين سفينة حربية وبالابطال الغالبين الذين كان انتقاهم غابنيوس لحراسة الملوك البطالسة عند ماأرجع بطليموس الزامر الى منصبه وكان عددهم خمسمائة مقاتل فسار ابن بومبيوس الى أبيه بهذا المدد ولم يكن على غرض الاوصياء فحقدوا لذلك على قلوبطره هذا الصنيع وحرضوا أهل الاسكندرية على الخروج عليها فثارت فتنة عظيمة واتسع نطاقها وكادت تعم البلاد فخافت قلوبطره على نفسها وفرّت الى الشام مع أختها الصغيرة المسماة ارسنويه

أما بواس قيصر فانه قاتل بومبيوس وثابر على قتاله حتى هزمه عند مدينة فرسة بولاية ترسالة ففر بومبيوس هاربا الى مصر وكان بطليموس الثانى عشر قد بلغ أشده فعزم على السفر من الاسكندرية ليقفو أثر أخته قلوبطره ويقاتلها فرأى سفن بومبيوس مقبلة وعلم أنه جاء مستنجدا لما له عليه من الايادى البيضاء فلم يحسن بطليموس نزله ولم تستفزه النخوة لأن يأخذ بيد بومبيوس ولاتحرك خاطره لاستصراخه بل قبض عليه وقتله ولم يراع حقوق الذمة

وكان قيصر متتبعا أثر خصمه بومبيوس فى كثير من سفن الحرب فحضر الى الاسكندرية يبحث عنه ليقبض عليه وكان بطليموس اذ ذاك بقرب الفرما يريد المسير الى الشام فرجع على الفور الى الاسكندرية فلما أرسى قيصر بسفنه نزل اليه طيودوس وزير بطليموس ووضع بين يديه رأس بومبيوس فلما رآها قيصر فاضت عيناه بالدموع ورق لحاله وظهرت عليه علامات الحزن والاسف وجهزه بكمال الابهة والاحتفال وغضب مما فعله بطليموس وعزم على الانتقام منه جزاء مافعل ببومبيوس وسيأتى بيان سجنه له ثم اطلاقه بشروط ثم اغراقه مع جنده فى النيل فكان مافعله قيصر فى حق بومبيوس بعد موته نظير مافعله الاسكندر الأكبر فى حق دارا ملك فارس خصمه بعد موته بقتل أتباعه له حيث أسف عليه جدّا وقتل قاتله

ولما لم يكن لقيصر رغبة سوى الحصول على غريمه بومبيوس وقد قتل سار عن مصر الى مدينة افريقية حيث كان قد اجتمع فيها من بقى من أحزاب بومبيوس ليشتت شملهم فعاقه عن المسير اختلاف الرياح فاضطر الى الاقامة بالاسكندرية زمنا ليس بقصير وقال بعض أهل التاريخ بل لتعلقه بحب قلوبطره التى كان قد أحضرها معه من الشام وأعادها الى منصب الملوكية مع أخيها وقد أخذت بمجامع قلبه لفرط جمالها فأقعده حبها عن الرحيل وكان أهل الاسكندرية مولعين بحب الاستقلال يبالغون فى محبة حريتهم ويكرهون جدّا تحرش الرومانيين لامور بلادهم فلما حضر قيصر المذكور الى ديار مصر وأصلح بين قلوبطره و بطليموس أخيها المذكور أغضب ذلك المصريين فشكى ﴿ بوطين ﴾ الطواشى للوجوه والاعيان من ذلك وبالغ فى الشكوى وعظم البلوى وقال ان فعل قيصر هذا يعد هتكا لناموس البلاد وشرفها ورسم للأمير

ارخيلاس قائد الجيوش المصرية بان يزحف على مدينة الاسكندرية بجنده ويقاتل بطليموس الملك فقام ارخيلاس بجيشه وهجم على بطليموس وهو فى قصره فهرب بطليموس ولحق بمعسكر قيصر وكان قيصر فى هذا الحين قد صرف جنده فرحلوا عن الاسكندرية ولم يبق منهم الا ثلاثة آلاف فلما دخل عليه بطليموس ورأى من كثرة عدد جند ارخيلاس ارتبك فى أمره وخاف على المدينة وما فيها من الارواح والاموال فنشط الى تسكين الفتنة وقرأ على أهل الاسكندرية وصية آخر ملوكهم ووعظهم الموعظة الحسنة ليدفعهم بالتى هى أحسن ورغب اليهم فى أن يعطوا ذرية بطليموس الزامر جزيرة قبرس وهم أرسونيسة وبطليموس القاصر ليشتركا فى مملكتها وألزمهم بذلك بصفة كونه رئيس الرومانيين والقائم بتنفيذ وصية ملك مصر وأكثر من مسايرة الرعية وتسكين الخواطر حتى انقطعت الفتنة وزالت أسبابها ولكنها لم تلبث أن عادت واضطرمت نارها بتحريض جماعة الوزراء حرصا على منصب وصايتهم وكرها فى انتقاله الى الرومانيين وزادوا نار الفتنة اضراما واتحد «(بوطين)» الطواشى الوزير مع ارخيلاس قائد الجيوش على اهلاك قيصر ومن معه من الرومان فزحف ارخيلاس بجيشه وكان عدده اثنين وعشرين ألفا الى الاسكندرية ونصب معسكره أمامها وأعلم قيصر بان اطفاء نار الفتنة لايكون الا بتسليم قلوبطره للشعب لينتقم منها كما يشاء فلم يرض قيصر بذلك واختار الاقامة تحت الحصار والتضييق واحتمل مالا يحتمل ولم يرض بتسليمها للشعب يستبيحون دمها فهجم أهل الاسكندرية ليأخذوا سفن حربه فلم يمكنهم من ذلك وأضرم فيها النار فأكلتها وتطاير اللهيب منها الى القصر الملوكى فأحرق دار كتب البطالسة الموصلة الى هذا القصر وقد كانوا جمعوا فيها من نفيس الكتب من جميع الدنيا شيأ كثيرا مع ما تجدد عندهم من التآليف المفيدة * قلت ولم يقم على صحة هاته الرواية دليل ولا برهان قال بعض الكتاب ومن هنا يتضح أن نسبة إحراقها الى عمرو بن العاص بامر عمر ابن الخطاب محض اختلاق والله سبحانه أعلم بالحقائق

وبينما كانت جند قيصر مع قلة عددهم على شفا الهزيمة اذ جاءهم الفرج بغتة بقدوم فريق من الجنود الرومانية وذخائر مع أشياء كثيرة فتلقاها قيصر بنفسه فرحا مسرورا وركب وقاتل قتالا عنيفا جدا حتى تمت له النصرة وهزم أهل الاسكندرية شر هزيمة حتى التجؤا الى طلب الصلح وأرسلوا الى قيصر رسلا مفوضين فى ذلك فقابلهم وطلبوا منه اطلاق بطليموس الثانى عشر وكان قد اعتقله على شروط معلومة فاتفقوا ثم أطلقه وهو عالم بغدره وخيانته فلما خاص بطليموس من الاسر تأهب لقتال قيصر وأعد لذلك جيشا عظيما فساعد الحظ قيصر اذ قدم عليه دمترا يداطس صاحب «(برغام)» ومعه جميع الجنود الرومانية الذين كانوا فى هذا الحين فى الاناطول والشام وفلسطين فقويت عزيمة قيصر واشتد أزره وكان قد سار عن معه من الجنود قاصدا الديار الشامية فلحقه بطليموس الثانى عشر فى طريقه وهجم عليه بعسكره المصرى فقامت على بطليموس عساكر اليهود على ساحل النيل

واحتدم القتال بين الفريقين فانهزمت جنود مصر شر هزيمة وفر بطليموس مع فريق من قومه فأدركهم فرسان قيصر على الساحل فغرقوا جميعا فى النيل وهلك بطليموس فى جملة من غرق وقذفهم اليم بالساحل فعرفت جثته بما وجد عليها من الدروع المصوغة من ذهب وذلك سنة سبع وأربعين قبل الميلاد أى سنة تسع وستين وستمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه خمس سنوات وخلفه أخوه بطليموس الثالث عشر

(فى الملك بطليموس الثالث عشر)

ثم قام بالامر بعده أخوه بطليموس الثالث عشر سنة سبع وأربعين قبل الميلاد أى سنة تسع وستين وستمائة قبل الهجرة بامر قيصر وذلك لانه بعد ان فاجأت جنوده قوم بطليموس الثانى عشر على ساحل النيل واغرقتهم رجع قيصر الى الاسكندرية وتغلب عليها بمن معه من الرومانيين وسار الى مصر فاخذها وصارت البلاد فى قبضة يده ولو شاء يومئذ لضمها لاملاك رومة وجعلها مملكة واحدة قال أصحاب التاريخ ولكنه راعى الذمم وحافظ على العهود وقام بتنفيذ وصية بطليموس الزامر وآثر تنفيذها على اطماعه فولى بطليموس الثالث عشر المذكور وكان قاصرا فاشرك معه أخته قلوبطره فى حكم البلاد وأبقى لحرس قلوبطره وصيانة مملكتها فريقا من الجند الغالبين الذين هم قدماء الفرنسيس واستصحب معه الى رومة أختها ارسنوية اذ لو تركت بمصر لقامت بتركها الفتنة فدخلت الى رومة أسيرة كأنها من غنائم قيصر التى غنمها من مصر وسارت فى الموكب الذى انعقد لقيصر عند دخوله مدينة رومة فخلا الجو لقلوبطره وتصرفت فى ملك مصر التصرف المطلق وكان زوجها الذى هو أخوها ليس له فى الملك الا الاسم فقط

وبعد جلوس بطليموس الثالث عشر المذكور على سرير الملك بسنة واحدة سارت قلوبطره وزوجها لزيارة رومة فتلقاهما الرومانيون بالبشر والايناس وأكرموا وفادتهما ولبثا فيها ماشاآ ثم رجعا الى مصر فمات بطليموس بعد رجوعه بسنتين فكانت مدة حكمه ثلاث سنين وقال جماعة ان أخته قلوبطره هى التى دست له السم فى الدسم وبقيت قلوبطره بعد موته ملكة على مصر بحماية قيصر حينا من الدهر وفى خلال ذلك قويت شوكة قيصر وعظم بأسه وظهر منه قصد التعدى على حقوق الجمهورية الرومانية وبدت منه بعض الامور الدالة على ذلك وكان حزب الجمهورية شديد البأس مسموع الكلمة وبينهم شجاع اسمه (بِرطوس) دعى مجهول الاب الا أنه كان من الشهرة بمكان ميالا للجمهورية محبا لمباديها وكانت أحزاب الجمهورية لما رأت مارأته من قيصر المذكور اضمرت التخلص منه وعزمت على قتله فتقدموا الى

((برطوس)) فى ذلك وقالوا له لو كنت بطلا كما تزعم الناس لما بقينا فى العبودية على هذه الحالة فتمكن الاغراء من قلبه وقال للاحزاب لاتقنطوا ثم لم يكن باسرع من ان جرد خنجره وأقبل على قيصر وهو فى المحفل العام فطعنه طعنة قاتلة فرفع قيصر عينه اليه وصاح ((قد طعنت أباك ياهذا)) قيل وقد كان ((برطوس)) هذا ابن قيصر المشار اليه من السفاح والى وقت قتله لقيصر كان لايعلم انه ابوه فندم ندما شديدا

وبموت قيصر أصبحت مملكة مصر فاقدة النصير وكانت قلوبطره تخشى من هجوم قسيوس الرومانى صاحب الشام فخاطرت بنفسها والتجأت الى المجلس الرومانى وتوصلت بعد موت أخيها بطليموس الى تمليك أصغر أولادها الذى زعمت أنها ولدته من قيصر ولقبته بطليموس قيصرون يعنى القيصر الصغير (قلت) ويلقبه بعض المؤرخين ببطليموس الرابع عشر وكان انطنيوس أحد الشركاء فى دولة الرومانيين قد رأى قلوبطره فعشقها ووقع فى شرك غرامها بعد موت قيصر فجعلها تحت حمايته ودافع عنها ثم تزوج بها وارتبط بمحبتها وذلك انه لما أدخلها تحت حمايته أراد غزو مملكة من ممالك العجم فعزم على المسير اليها ولكنه ارتاب فى رئاسة قلوبطره المذكورة واشتبه فى أمرها وخشى أن لاتكون صادقة فى محبتها وربما أعانت أخصامه عليه فأراد أن يتحقق أمرها ويعلم خفى سرها فشدد عليها فى الامتحان وطلب منها شيأ كثيرا من المال فبذلته ولم تقصر فعزم عليها أن تسير من مصر بعد وصوله الى مدينة طرسوس وتلحق به هنالك وكانت هى لاتعلم منزلتها عنده ومالها فى قلبه من شدة المحبة وانها متسلطة على فؤاده فسلكت مسلك الدلال والخفر ولم تبادر كطلبه الى السفر ثم لم تلبث ان حملها الهوى على المسير فسارت حتى وصلت الى ايالة سلفكه فركبت نهر قراصو الذى هو نهر طرسوس وسارت فى سفينة مذهبة الاطراف والاكناف ارجوانية القلاع والستائر وكانت مياه البحر تضطرب بالنسمات على نغمات العيدان والمزامير وروائح البخور يعبق شذاها فى سائر الارجاء فتكتسب الروائح المسكية ويفوح منها الى سائر النواحى روائح الطيب الذكية حتى امتلأت شواطئ النهر من رياها قال بعض الكتاب فلما لمح أهل طرسوس ان قد هل عليهم كوكب الزهرة المصرية هرعوا جميعا الى هذا النهر لمشاهدتها وحيوها باعظم تحية ولم يتخلف عن الحضور سوى انطنيوكوس اذبقى فى مجلسه مظهرا التجلد وعزة النفس واستدعاها لتحضر امامه فلم ترض الا بحضوره اليها واقباله عليها فأجاب الى مطلوبها ولبى دعوتها كرغوبها فلما قدم عليها ونظر حسنها وبهاءها تعجب من ذلك وأخذ حبها بمجامع قلبه فأدخلها فى مجلسه الملوكى وهيأ لها الولائم وزين لها المجلس بأفخر زينة وأصبح طوع يدها وأسير هواها وقضت معه أياما ثم جاءت به معها الى الاسكندرية وانعقد بينهما عقد القران بالوجه الرسمى فبقى معها وقد ذهل بجمالها عن كمالها حتى انه غادر الوظيفة وأقام مع هذه الاليفة وما فصله عن مواصلة هذه اللذات ولا أخرجه من التمتع بجمال هذه الذات الا تهديده من مجلس رومة بتجريده من منصب الحكومة وخوفه من

انفراد افطاوس قرينه بالرئاسة فخرج من مصر مكرها وسار الى ايطاليا ثم سار منها الى بلاد الشام ليجهز فيها معدات الحرب لغزو الاعجام فقابلته قلوبطره فى تلك الاقطار لتقضى مافى النفس من الاوطار وطلبت منه أن يضيف الى المملكة المصرية جميع مدن السواحل الشرقية الواقعة على بحر سفيد وأن تضاف اليها أيضا جزيرة قبرس وجزء من اناطول وبلاد يهوذا الموصوفة بالبلسم فى تلك الازمان وطلبت أيضا أن يعطى لها بلاد العرب والحجاز الى بحر الهند كى تكون هذه البلاد مضافة لدولة الاسكندرية لان أهلها أرباب صناعة وتجارة قاصدة بذلك أن تعود المعاملات بينها وبين مدينة الاسكندرية كما كانت فى الازمان القديمة وتعوض مافات اذ كانت فى هذا الحين قد تضعضعت معاملة الاسكندرية وتلاشت تجارتها أو كادت من عهد تدمير مدينة صور وخرابها التى هى شقيقة الاسكندرية على انه من يوم انقراض دولة العجم لم يبق لمدينتى صور والاسكندرية الامجرد الاسم وتجهز انطنيوس لقتال العجم وسار بجيشه ولكنه عرج على مصر ليقوم بما طلبته منه قلوبطره وأطال المكث معها وهو لايستطيع الخلاص من أسر جمالها بل نسى مقام وظيفته وأخذ فى أسباب إضعاف الجمهورية الرومانية فأعطى عنوان الملك لولديه من قلوبطرة المذكورة وقسم الممالك التى عزم على غزوها بينهما دون سواهما وجرد رومة من جميع هذه الممالك ولم يراع حقوق بلاده وأعماه العشق والغرام فخالف عوائدها وجعل ابنه اسكندر ملكا على ارمينية وأذربيجان وفارس وقلد ابنه الثانى بطلموس ملك سواحل الشام ودمشق وأناطول ثم أحضرهما امام جمهور الاهالى بالمظهر الملوكى المعتاد فى مثل هذه الولائم فألبس الاكبر التاج والحلة الملوكية فى زى ملوك الارمن واذربيجان وألبس الثانى التاج والحلة الملوكية فى زى ملوك الطوائف الذين خلفوا الاسكندر على الممالك اليونانية فصارت قلوبطرة منذ ذلك العهد لاتخرج من قصرها الا بالملابس الملوكية

وكان فى عصمة انطنيوس زوجة أخرى رفيعة الحسب وهى (أوقطاوية) أخت أقطاوس شريك انطنيوس فى رئاسة الجمهورية الرومانية وكان اقطاوس المذكور يحقد على انطنيوس فعله ويقبح معاملته لزوجته أوقطاوية وينهاه حتى اشتدت الخصومة بينهما بسبب ذلك ففارق انطنيوس زوجته أوقطاوية وقاطعها وبقى مع قلوبطرة فشكاه أوقطاوس لمجلس الجمهورية واتهمه بأنه مزق شمل الدولة الرومانية وانه أدخل قيصرون ولده فى وراثة قيصر مع انه ابن سفاح فحكم المجلس بناء على ذلك بعزل انطنيوس من منصبه وحكم باشهار الحرب على قلوبطرة صاحبة مصر فلما سمع أوقطاوس ماحكم به المجلس قال متهكما لايصح لنا أن نقاتل انطنيوس لان الخمرة المصرية قد أسكرته فذهبت بعقله فلا يكون حربنا اذن الا مع قوم قلوبطرة وأمراء جندها يريد بهذا القول ان انطنيوس المذكور كان دائما مخمورا لايكاد يفيق

وتاهب

وتأهب بعد هذا الحكم كل من الفريقين للقتال فخرجت قلوبطرة بنفسها للحرب وأصحبت معها انطنيوس الى ساحة القتال فى مدينة ((اكسيوم)) التى هى مدينة ((ازيو)) بساحل الروم ايلى وأمدت قلوبطرة انطنيوس وقومه بمائتى سفينة حربية فبالغ فى الاستعداد وعمل على احياء همة الجنود وتنشيطهم رجاء الانتصار وجعلت قلوبطرة مدار الحرب على جنودها البحرية لتظفر بخصمها فانتشبت الحرب بينهم وكانت سجالا فلم ينتصر أحدهم على الآخر وبينماهم على هذه الحال اذا تدفعت ستون سفينة من سفن قلوبطرة بقوة المجاذيف وانفصلت عن بقية الاسطول وسارت تمخر صوب جزيرة المورة وفيها الملكة قلوبطرة هاربة من القتال * قال بعض الكتاب * ولم يعلم أن كان هروبها هذا لفزعها من الحرب والهزيمة أم لاتفاق وقع بينها وبين اقطاوس فغدرت بقرينها حيث وجدته قرين سوء فلما رآها انطنيوس قد أدبرت ولى مدبرا وراءها فاقتفى أوقطاوس أثرهما وتتبعهما فلم تر قلوبطرة بدا من تسليمه مدينة الفرما التى هى مفتاح الديار المصرية قالوا وأرادت بهذه الخيانة التحبب اليه الى أن تتنصل من انطنيوس وكان انطنيوس لنكد حظه وسوء طالعه يعتمد على أمانتها ولم يخطر على باله قط ماقصدته من تسليم مدينة الفرما والعمل على الخلاص منه

ومن غريب الاتفاق انه فى اليوم الذى وصل فيه اقطاوس الى مدينة الفرما ووقف امام أبوابها وصل أيضا انطنيوس الى مدينة الاسكندرية ليطلع قلوبطرة على دفتر أسماء الابطال الذين جاهدوا معه فى حومة القتال وامتازوا بالبسالة والاقدام فلم ير منها الا عينا غامضة وأذنا صماء فبات ليلته تلك وأصبح وقد خانه سائر العربان الذين كانوا يقاتلون معه وتحزبوا عليه مع اقطاوس وانفصل عنه الجند المشاة وانضمت سفن الحرب المصرية الى سفن قيصر وهذا كله كان باشارة قلوبطرة ولم يشعر انطنيوس بشئ من ذلك ثم عادت قلوبطرة فاحست بسوء فعلتها وحاك اثمها فى صدرها فخافت من انتقام انطنيوس اذا وقف على حقيقة سرها

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

فتوارت مع أموالها وكنوزها فى مدفن حصين كانت قد شيدته لتدفن فيه ثم أشاعت أنها تريد قتل نفسها وتواتر الخبر بذلك حتى بلغ انطنيوس فعزم هو أيضا على قتل نفسه لكى لايعيش بعدها فأشار الى مملوك له بان يقتله فسل المملوك سيفه وتظاهر بأنه يريد قتل سيده وطعن نفسه بالسيف ولم تسمح نفسه بقتل مولاه فخجل انطنيوس من ذلك وطعن نفسه بخنجره فلم يمت فى الحال ثم علم قبل إزهاق روحه أن قلوبطره لم تزل على قيد الحياة فطلب من خدامه أن ينقلوه الى مقرها ليجتمع بها قبل موته فلم تأذن بفتح الباب له بل ادنته من شباك المحل وانزلته فى جهة من المدفن فمات فيه شر ميتة وكان قد بلغ اقطاوس أن قلوبطره تريد قتل نفسها فأرسل اليها من جنده من يمنعها من ذلك فدخلوا من ذلك الشباك فوجدوا فى حزامها خنجرا كانها كانت تقربه من بطنها ورأوها

على هيئة من يعمد الى طعن نفسه والامر غير ذلك وانما كانت تقصد أن تفتن أوقطاوس كما فتنت عمه قيصر فخاب ظنها ولم يلتفت الى جمالها ولا مال قلبه اليها فلما آنست منه ذلك صممت على قتل نفسها فامسكت عن الشراب والطعام وواصلت الصيام خوفا من الوقوع فى أسر اقطاوس وذهابها الى رومة أسيرة فقتلت نفسها شر قتلة وكان اقطاوس يكرر عليها القول بعدم قتل نفسها ويتوعدها بقتل أولادها ان هى فعلت فلم ترتدع وقد وجدت ميتة بين بعض النسوة وجميعهن نيام فكانت هى نائمة على فرش من الذهب الابريز وعلى جبينها تاج الملك وكأنها متجملة بجميع زينتها الملوكية فى يوم عيد

واختلف الكتاب وأصحاب التاريخ فى كيفية قتلها لنفسها فقال جماعة انها تعاطت السم الناقع وقال آخرون بل أحضرت ثعبانا عظيما واخفته فى وعاء مملوء من التين مدة طويلة فلما خرج ذلك الثعبان من الوعاء قالت له قد حان وقتك وقد حضرت اليك فاقض على فانساب عليها وعجل بوفاتها وشاع هذا الخبر يومئذ وتكلم به الناس كثيرا واعتقد أوقطاوس صحته فلما عاد الى رومة عمل تمثال قلوبطره المذكورة وجعل فى جانبه ثعبانا ينهشها وكان موتها فى سنة ثلاثين قبل الميلاد أى نحو سنة اثنتين وخمسين وستمائة قبل الهجرة

وانتهى بموتها حكم البطالسة فى مصر وصارت من بعدهم إيالة تابعة الى رومة وقتل أوقطاوس أيضا ابنها بطلموس قيصرون بعد موتها وكان قد لقب فى أيامها بلقب ملك الملوك فكانت هى آخر ذرية البطالسة بديار مصر وهى سبب زوال مجدها وسقوط عرشها بمعاهدتها مع قياصرة رومة وقد سعت فى أيامها مع انطنيوس حتى توجت ابنها قيصرون بتاج ملك الملوك يعنى ملك مصر وبلاد العجم مثل أرمنسان وأذربيجان وغير ذلك من بلاد العجم فلهذا اعتبره المؤرخون فى عداد البطالسة قال بعضهم فاذا صح ذلك كان هو بطلموس الرابع عشر وكان ادخاله فى ميراث بعض الاقاليم الرومانية سببا فى حرب أوقطاوس مع انطنيوس وهلاك انطنيوس وقتل قلوبطره لنفسها وزوال دولة البطالسة وقطع دابرها واستئصال نسلها بقتل قيصرون المذكور واستيلاء الدولة الرومانية على جميع ديار مصر قالوا ومع أن مصر عادت فى أيام هذه الدولة القهقرى النسبية ومالت من درجتها العليا الى درجة ثانوية حيث فقدت ما كان لها من رسوخ القدم وعلو الكلمة على سائر الامم الا أنها مع ذلك كانت كثيرة المآثر غزيرة المفاخر وقد زادها شرفا ومجدا تبصرها فى الامور وحسابها للعواقب وإطلاقها عنان الحرية لجميع صنوف الرعية وجعلهم جميعا متساوين أمام الشريعة والقانون وقد اتحد المصريون واليونان بعناية بطلموس لاغوس رأس ملوك هذه الدولة فى التمدن العام والتسوية فى الاحكام وفى إحياء المعارف والعلوم فترجموا التوراة من العبرانية الى اليونانية وفى أيامهم كتب مانيطون الحبر المصرى تاريخه المشهور وجمع الكتب بالاسكندرية وأنشأ بعضهم خزانة للتحف والغرائب أحضرها من سائر الأقطار ووضعها برواق فى الاسكندرية يسمى رواق الحكمة حتى قيل انه لم يسبق تنظيم مثل هذا الرواق

فى سائر الاقطار وزادوا فى العمائر العظيمة والمبانى الجسيمة وأتموا مالم يتمه اسلافهم من العمائر الاهلية والمعابد الكبيرة وأضافوا اليه معابد أخرى جديدة فى بلاد النوبة والتاكة وغيرهما وبجزيرة البربا التى هى جزيرة أنس الوجود ومن بنائهم أيضا مدينة ارمنت و بالغوا فى تحسين مدينة طيبة ولم يهملوها وبنوا فيها أيضا هيكلا يعرف الآن بدار المدينة ومعبدا على بركة (آبو) وشيدوا على الجانب الايمن منها الباب الكبير المنفرد فى شمال الكرنك والباب الآخر المناظر له وبنت الملكة قلوبطره بدندره هيكلا عظيما أهدته لآلهة المصريين باسم ولدها قيصرون المولود لها من بولس قيصر الروم سفاحا وبنت أيضا مدينة ادفو القديمة قال بعض الكتاب ولهم غير ذلك من الآثار العظيمة بمنشأة النيدة التى بناها بطليموس فيلادلفس وكذلك بناحية بهبيت بجوار المحلة الكبرى ويغلب على ظن الباحثين عن الآثار القديمة أن من جملة آثار البطالسة المبانى الجميلة القريبة من مقابر العجول الابيسية التى بناحية سقارة وما يوجد فى هذه المقابر من النواويس والتوابيت العجيبة الصنعة

وقد جعلوا تحت حكمهم مدينة الاسكندرية كما تقدم فصارت بذلك موردا للخاص والعام ووفد عليها من البلاد الاجنبية أرباب العلوم والمعارف والعلماء وجماعات الحكماء والأدباء وأصحاب العقول الكاملة فعمرت بهم وبقيت آثار ذلك العمار الى أيام الرومانيين وكان لعلمائها وحكمائها اليد الطولى فى معاكسة النصرانية بعد ظهور المسيح وانتشار الديانة المسيحية فى مشارق الارض ومغاربها

وكانت هذه الدولة ذات كلمة نافذة لدى الامم الاجنبية ولم تزل كذلك الى عهد الاسكندر بطليموس الزامر ثم انه لم يعقب كفؤا لولاية عهده وأوصى بالمملكة كفالة وتمليكا الى الدولة الرومانية من بعده فأخذت فى الذبول والاضمحلال وكانت مدة حكم الملوك البطالسة المذكورين مائتى سنة وخمسا وسبعين سنة كما قاله جماعة المؤرخين لان ابتداء دولتهم كان فى سنة خمس وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة سبع وعشرين وتسعمائة قبل الهجرة وانتهاؤها سنة ثلاثين قبل الميلاد أى سنة اثنتين وخمسين وستمائة قبل الهجرة

وبانقراض دولة البطالسة على ماتقدم بيانه وهى الدولة الثالثة والثلاثون جاءت الدولة الرومانية المعروفة بالدولة الرابعة والثلاثين

(الباب الرابع)

(في الدولة الرومانية وهي الدولة اللاتينية وفيه فصول)

(الفصل الاول)

(في الدولة الرابعة والثلاثين)

قال جماعة الكتاب قد اشتهرت هذه الدولة باسم الدولة اللاطينية وعرفت أيضا باسم الدولة الرومانية نسبة الى مدينة رومة التى هى تختها وقد سميت هذه المدينة بهذا الاسم نسبة الى بانيها (روموليس) بالاشتراك مع أخيه (روموس) وقد أنشأها فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثلاثة آلاف قبل الميلاد أى سنة خمس وسبعين وثلثمائة وأربعة آلاف قبل الهجرة وبينائها يؤرخ الرومانيون تاريخهم وقد كانت فى مبدإ أمرها دولة ملكية مطلقة يتولاها ملك بعد آخر الى زمن العائلة المعروفة بالعائلة (التريكنية) فنزعت منها وظهرت الحكومة الجمهورية وكان الذى يرأسها يلقب بالقنصل ومعناه منفذ الاحكام واستمرت الحكومة الجمهورية على هذا الوجه مدة خمسة قرون كاملة نالت فيها الغاية من العزة والظهور وتغلبت على جميع أمم ايطاليا وأدخلتهم تحت الطاعة وحاربت قرطاجة وقد كانت دولة عظيمة للغاية وطالت بينهما أيام القتال وكانت هائلة جدا سموها بالحروب (البونيقية) ثم انجلت عن نصرة رومة على قرطاجه فدمرتها تدميرا واستولت على مملكتها وظهرت كذلك على مملكة مقدونية و بقية أمم الرومان وجميع الامم المعروفة فى تلك الازمان ماعدا أمة الجرمان ودولة فارس القديمة وكانت مصر فى هذا الحين من أعظم الدول قوة وأكبرهم شوكة فمدت دولة الرومان اليها انظارها وتاقت الى التغلب عليها فتداخلت فى تنصيب ملوكها البطالسة حين داخلهم الضعف ولازمهم الانحطاط بالحروب الداخلية ومازالت حتى تسلطت عليها وجعلتها ايالة تابعة لها فى عهد أغسطس كما سيأتى وأغسطس هذا هو مبدأ دولة القياصرة الآتى ذكرهم واحدا بعد واحد قال أصحاب التاريخ * وبظهور قياصرتها المذكورين عظمت دولة الرومانيين وعلت كلمتها وتملكت على الدنيا باجمعها ثم لم تلبث أن اضطرمت فى داخلها نار الحروب الاهلية فافسدت حالها وسلك القياصرة بعد ذلك مسالك الترف والانهماك فى اللذات والشهوات وفساد الاخلاق وطغوا و بغوا فكان هذا موجبا لضعفها وانحطاطها وكان ظهور الدولة القيصرية فيها بعد الجمهورية فى سنة ثلاثين قبل الميلاد أى سنة اثنتين وخمسين وستمائة قبل الهجرة وكان أول ملوكها الملك أغسطس الذى سيأتى الكلام

عليه ثم انقسمت فى سنة احدى وأربعين ومائتين قبل الهجرة الى قيصريتين احداهما بالمغرب وتختها مدينة رومة والثانية بالمشرق وتختها مدينة القسطنطينية وبقيت قيصرية المغرب الى أن زحفت عليها بعض الامم المتبربرة كامة « الغوطة » وغيرها وتغلبت عليها وأزالت بهجتها ولم تزل بها حتى زال ملكها بالكلية وبقيت قيصرية المشرق الى أن فتحها الاسلام فغزا القسطنطينية بنو أمية وضربوا عليها الخراج ولم تزل كذلك حتى ركب عليها السلطان محمد خان الفاتح وأخذها كما سيأتى بيانه فى محله ان شاء الله تعالى

وأما الديار المصرية فانها دخلت فى حكم الرومانيين وصارت تابعة لها فى سنة ثلاثين قبل الميلاد أى سنة اثنتين وخمسين وستمائة قبل الهجرة كما تقدم وبقيت كذلك الى سنة أربعين وستمائة للميلاد أى سنة تسع عشرة للهجرة وهى السنة التى افتتحها فيها المسلمون على يد عمرو بن العاص فكانت مدة حكم الرومانيين عليها ستمائة سنة واحدى وسبعين سنة منها أربعمائة واحدى عشرة سنة فى الجاهلية ثم صدر أمر الملك « طيودوسيس » بوجوب التمسك بالديانة المسيحية فى جميع الايالات الرومانية وسنذكر هنا مآثر كل قيصر على حدته وبيان ماجرى على مصر فى أيامه مبتدئين بالملك أغسطس الذى هو رأس القياصرة المذكورين

(فى الملك أغسطس قيصر)

تولى الملك أغسطس على كرسى المملكة الرومانية سنة تسع وعشرين قبل الميلاد أى سنة احدى وخمسين وستمائة قبل الهجرة ثم استولى على مصر فكان يقيم عليها نوابا من قبله وكان أغسطس المذكور يلقب بامبراطور الرومانيين ومعناه فى الاصل رئيس الجيوش واشتهر كغيره باسم قيصر ولقب بلقب أغسطس ومعناه الرئيس الاعلى ولما ارتقى منصة الملك واستقر به المنصب وفد عليه رسل ملوك المشرق يرغبون فى موالاته ويضرعون اليه فى السلم فأسعفهم ودانت له الارض باسرها وضرب الخراج على أهل الآفاق وكان عامله على اليهود فى الشام يقال له « هيرودوس » ولما تغلب على مصر وقتل ولدى قلوبطرة بعد قتلها لنفسها كما تقدم بيان ذلك ولى عليها نائبا من قبله اسمه قورنليوس غالوس فكان أول نائب على مصر من نواب الرومانيين ولما استقر منصب النيابة قورنليوس المذكور قام باصلاح ماأفسدته الفتن والحروب الأخيرة وبذل الجهد فى توطيد اركان الراحة بين الرعية وأصلح أراضى الزراعة بالعمليات كتطهير الترع والخلجان واقامة القناطر والجسور ومع ذلك فلم يرض عنه الكثير من أهل البلاد ولم يلبثوا أن قاموا عليه وشقوا عصا طاعته وكان من المدن التى أضرم أهلها نار الفتنة مدينة طيبة بصعيد مصر فركب غالوس المذكور

على أهالى تلك البلاد وارجعها الى الطاعة وضيق على مدينة طيبة ونهبها واستوعب مافيها من الاموال وضبطها لدولة رومة وأخذ لنفسه كثيرا من الامتعة النفيسة كما ذكر ذلك بعض المؤرخين وكان هذا الانتصار سببا فى طغيانه وتجبره وفساد أخلاقه فنظم نفسه فى سلك الملوك الفراعنة وقلدهم فى جميع أفعالهم الجوهرية فأمر أن تنحت تماثيل على صورته وتوضع فى الميادين العمومية بمصر وان ترسم وقائع حروبه على المبانى والهياكل كما كانت تفعل الفراعنة ولكن لم تطل مدته اذ خلعه القيصر ونفاه لأسباب لم يذكرها أصحاب التاريخ ولعلها الخوف من استبداده بتلك البلاد وخروجه عن طاعة القيصر فقتل نفسه فى منفاه وقيل ان سبب ذلك ان أغسطس الملك غضب على أحد علماء الآداب وطرده من مدينة رومة فأواه قورنليس الوالى المذكور بمصر فغضب عليه أغسطس لهذا السبب وأمر بخلعه ونفيه

فتولى بعده بطرنيوس فلم تكد تستقر به النيابة حتى قام عليه أهل الاسكندرية وخرجوا عن طاعته لاسباب لم يذكرها المؤرخون فركب عليهم وقاتلهم الى أن ردهم الى الطاعة صاغرين وفى ولاية بطرنيوس هذا هم أغسطس قيصر المذكور بغزو بلاد العرب والتملك عليها وكلف بطرنيوس نائبه على مصر بهذه الحرب فجمع بطرنيوس جيشا لذلك وسلمه الى اليوس غالوس أحد كبار الجنود الرومانية وسيره الى بلاد العرب وقيل ان أغسطس ذهب لهذه الغزوة بنفسه فانتصرت العساكر المصرية على العرب ثم انهزمت وتلاشت أوكادت لصعوبة مزاج الاقطار الحجازية ودامت الحرب قائمة على ساقها سنة كاملة كابدت فيها الجنود المصرية من التعب وفقد الزاد والراحلة مالا مزيد عليه ثم رجع من بقى منهم الى مصر ولم يفز أغسطس بامنيته من الاستيلاء على تلك الاصقاع ولا على بلاد اليمن التى كانت يومئذ مركزا لواردات الهند الشهيرة

وبينما كانت هذه الحروب قائمة بين المصريين والعرب اغتنم أهل السودان فرصة تغيب الجنود عن اقاليم الصعيد وكروا على حدود مصر الجنوبية بجيش جرار تحت قيادة ((قنداقة)) ملكة جبال بركل باقليم دنقله فاستولى قومها على مدينة أسوان وماحولها من الجزائر المصرية كجزيرة الصنم وغيرها ودخلت بلاد الصعيد الاعلى وأهلكت الحرث والنسل وغنمت الغنائم العظيمة فركب عليها بطرنيوس وقاتلها حتى أخرجها من بلاده الى السودان واقتفى أثرها فغلبها على دار ملكها ولم يعقد معها الصلح الاعلى شرط أن تدفع خراجا سنويا لدولة الرومان وان تبعث من عندها بسفراء للقيصر أغسطس لتتميم قاعدة الصلح وكان قد بلغ ديوان رومة خبر هذه الوقائع وهجوم الملكة ((قنداقة)) على الديار المصرية فانفعل اغسطس من ذلك وأخذ منه الغضب مأخذه وسار بنفسه الى مصر لينتقم منها فلما بلغ جزيرة صيصام علم بانتصار بطرنيوس على قنداقة وماعقده معها من الصلح وتفويض تتميمه الى ذات أغسطس وان بطرنيوس حمل ((قنداقة)) على ان تبعث بسفراء من قبلها الى أغسطس فلبث أغسطس فى جزيرة صيصام ينتظر السفراء فلما وفدوا عليه

تم شروط الصلح معهم على ماقرره بطرنيوس وعافى (قنداقة) من دفع الجزية الى رومة

وعاد بطرنيوس من غزوة السودان ورايات النصر تخفق على رأسه وعكف على ما كان عليه من حسن الادارة وتدبير أمور البلاد وتحسين الاراضى واتساع الزراعة بما تقتضيه احتياجات البلاد وكان كثير الميل الى تحسين مجارى النيل واصلاح مصاريفه وخلجانه وترعه فبذل الجهد فى ذلك حتى تم له ماأراد فكان اذا بلغ النيل اثنى عشر ذراعا كفى لرى جميع الاراضى وكان قبل ذلك لايفى بهذه الغاية الا اذا بلغ أربعة عشر ذراعا وقيل ستة عشر ذراعا

وبقى بطرنيوس واليا على مصر ثمان سنوات ثم خلفه عليها اليوس غالوس الذى كان قائدا على غزوة العرب فى نيابة بطرنيوس فلما استقرت به النيابة سار الى الصعيد الاعلى واستصحب معه اسطرابونس الجغرافى لاستكشاف مواقع البلاد ومعرفة حقائقها وطالت مدة ولايته حتى مات فى خلالها أغسطس الملك قال أهل التاريخ * وكان دخول ديار مصر تحت حكم الرومانيين ضربة قاضية على العلوم والمعارف التى كانت يزاولها فضلاء مصر بدار العلوم فى مدينة الاسكندرية اذ تضعضعت أحوالها وزالت بهجتها وانحطت درجة المكاتب الاهلية فلم تكن هذه المضار دون ماسبق من حريقة مكتبتها فى آخر أيام الملوك البطالسة وذلك لان كبار المعلمين الذين كانوا فى هذه الديار ساروا من الاسكندرية الى رومة ليتقربوا من قياصرتها وينالوا منهم الحظوة فخلت منهم ربوع العلوم والمعارف ومع ذلك فان القياصرة لم يتأخروا عن إنشاء بعض المدارس والمكاتب وعينوا لها من الرؤساء والرجال من له السبق فى مضمار الفضائل غير ان أهل البلاد لم تحتفل بتلك المكاتب ولم تقبل على مافيها من العلوم حيث كان قد ألم بهم الفتور والكسل واستولى على خواطرهم الخمول والملل فتأخرت العلوم وتقهقرت الفنون وانحطت درجات الصنائع وقد ساعد على هذا أيضا ان الرومانيين ليسوا فى درجة اهتمام الفراعنة أوالبطالسة بتقويم العلوم وتعضيد الفنون بل كانت همتهم منصرفة الى الحروب والغزوات وتوسيع دائرة الفتوحات ولم تكن مصر عندها من عهد أن بسطت يدها عليها الا بمثابة مخزن للدولة تستخرج منه ماتحتاج اليه من محاصيل الزراعة وجعلت الاسكندرية مركزا للتجارة وتكثير البضاعة فكانت لذلك العلوم والمعارف لاتعد عندها الا من الامور الثانوية وقد اقتدى اغسطس الملك بالاسكندر الاكبر حيث أجاز للمصريين التمسك بديانتهم وأباح لهم التعبد بمقتضى أصولهم ولم يتداخل فى شؤن عقائدهم وعوائدهم فجددوا الهيا كل فى جميع أنحاء مصر والنوبة وأصلحوا ماتهدم منها وكتبوا على مبانيهم اسم اغسطس قيصر تخليدا لذكره

وفى نحو السنة العشرين من ملك أغسطس ولد السيد المسيح من مريم العذراء فكان

ميلاده قبل الهجرة المحمدية بستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وبعد ولادة يوحنا المعمدان * وهو ابن زكريا * بستة أشهر على المشهور

وجاء صريحا فى الكتب السماوية مامحصله وكان فى أيام هيرودوس ملك اليهودية شيخ اسمه زكريا وله زوجة من بنات هرون واسمها اليصابات وكان كلاهما من التقوى والصلاح بمكان عظيم فبينما هو يوما يؤدى ماعليه من الخدمة فى بيت المقدس أصابته القرعة أن يدخل هيكل الله تعالى ويبخر امام المذبح فدخل وبيده الجام واذا به يرى ملكا من عند الله واقفا على يمين مذبح البخور فاضطرب وأخذ منه الخوف مأخذه فقال له الملك يازكريا لاتخف لقد استجاب الله دعاءك وستلد اليصابات امرأتك ذكرا يدعى يوحنا وتفرح بولادته فرحا لايوصف فقال زكريا سبحان ربى القدير كيف يكون ذلك وأنا شيخ وقد وهن عظمى وانحنى ظهرى وامرأتى كذلك فقال الملك يازكريا انى أنا جبريل الواقف امام العرش وقد أرسلنى الله تعالى لابشرك بهذا وحيث انك لم تصدق بما أمرنى الله بتبليغك اياه فانك تخرس باذن الله ولا تتكلم منذ اليوم الى اليوم الذى تلد فيه امرأتك فخرج زكريا من ساعته وهو لايتكلم

ولما كملت أيام خدمته سار الى بيته فحملت اليصابات زوجته وأخفت أمرها وهى لاتصدق أنها حامل * فلما كان الشهر السادس من حملها أرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام الى مدينة من الجليل اسمها الناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم تلك العذراء (مريم) فظهر لها جبريل وناداها بقوله سلام عليك يامريم سلام عليك أيتها المنعم عليها الله معك مباركة أنت فى النساء يامريم لاتخافى ولا تخشى فقد وجدت نعمة عند الله وستحبلين وتلدين ابنا يسمى (يسوع) ويكون عظيما ويعطيه الله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية فقالت مريم انى أمة لربى سبحانه وانى يكون لى ذلك ولم يمسسنى بشر فقال يامريم الروح القدس يحل فيك وقوة العلى تظلك وهاهى اليصابات نسيبتك حبلى أيضا بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك العاقر وليس على الله شئ عسير فسجدت مريم لله تعالى شكرا وقالت انى أمة الله والله سبحانه فعال لما يريد

وسارت مريم يوما الى مدينة يهوذا ودخلت بيت زكريا ونادت على اليصابات وسلمت عليها فما وقع صوت سلام مريم فى أذنى اليصابات حتى صاحت وقالت مباركة أنت فى النساء يامريم فانه ماوقع صوت سلامك فى أذنى حتى تحرك الجنين بابتهاج فى أحشائى * وتمت أيام اليصابات فوضعت ولدها وسمته يوحنا كما بشر أباه جبريل عليه السلام ولما رآه أبوه زكريا حمله على ذراعيه وبكى من فرحه فانطلق لسانه وقال تبارك الله الذى خلق فسوى * واتفق فى ذلك الوقت ان صدر أمر أغسطس قيصر الى سائر الولاة والعمال باحصاء جميع من فى ايالاتهم وعمالاتهم من الرجال والنساء والاطفال ورسم بأن يكون احصاء كل فى

بلده ومسقط رأسه وكان عامل أغسطس قيصر على الشام يومئذ كيرينيوس فنادى بذلك فى جميع المدن والبلدان والقرى وشدد فى الطلب ولما كانت مدينة بيت لحم بلد يوسف خطيب مريم سار يوسف من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التى هى بيت لحم لانه من بيت داود ومن عشيرته ليكتتب مع مريم خطيبته وأقاما ببيت لحم أياما تمت فى خلالها أشهر حمل مريم فجاءها المخاض فى يوم الاربعاء خامس عشرى كانون الاول وتاسع عشرى كيهك سنة تسع عشرة وثلثمائة للاسكندر فانزوت فى معلف للبقر ووضعت ولدها وقطعت له السر بيدها ثم قمطته وأضجعته فى المعلف وجلست بجانبه

وكان على مقربة من بيت لحم جماعة من الرعاة يحرسون غنما فى ليلتهم تلك فلم يشعروا الا وقد لمع لامع من السماء وكثر الضوء واشتد من حولهم حتى كاد يغشى أبصارهم فانزعجوا وستروا وجوههم بأيديهم واذا بصوت يقول لاتخافوا فانى مبشركم الليلة بأن قد ولد لكم فى مدينة داود مخلص هو ((المسيح)) وهذه لكم علامة تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى معلف للبقر ولم ينته الصوت حتى هبط من كبد السماء جمع من الملائكة وهم يسبحون الله تعالى ويقولون بصوت جهورى المجد لله فى الاعالى وعلى الارض السلام وفى الناس المسرة وجعلوا يكررون ذلك مرات كثيرة ثم ارتفعوا واختفوا عن أبصار الرعاة ولما تراجعت الى الرعاة نفوسهم وزال عنهم ذلك الخوف الذى كان قد اشتد بهم قال بعضهم لبعض ماذا علينا اذا سرنا الى بيت لحم لننظر ذلك الامر الواقع وقاموا من ساعتهم وجاؤا الى بيت لحم ودخلوا على مريم ويوسف وهما فى معلف البقر مع الصبى فرأوه وفرحوا به فرحا عظيما وحدثوا مريم ويوسف بما رأوه وسمعوه فتعجب يوسف من ذلك ونظر الى مريم فلم ترد عليه جوابا لانها كانت تعلم من أمر ولدها مالا يعلمه سواها * وجاء مجوس من المشرق الى أورشليم وطفقوا يسألون أين المولود الجديد ملك اليهود فانا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنقدم الطاعة له وشاع خبرهم فى أورشليم وعلم به هيرودوس فانزعج وجمع كل رؤساء الكهنة والكتبة وسألهم أين ياترى يولد المسيح فقالوا يولد فى بيت لحم اليهودية فسير هيرودوس فى طلب المجوس فأتوا اليه فقال لهم متى كان ظهور ذلك النجم * يعنى نجم ذلك المولود فقصوا عليه ما عرفوه من أمره فقال اذهبوا الى بيت لحم وفتشوا عليه فان وجدتموه فارجعوا الىّ فخرجوا من عنده وساروا واذا بالنجم يتقدمهم ففرحوا به فرحا عظيما جدا وأتوا الى بيت لحم ورأوا الصبى مع أمه فسجدوا لله تعالى شكرا ثم قدموا الى الصبى هدية من الذهب واللبان والمر وباتوا ليلتهم تلك فرأوا فى منامهم من يقول لاترجعوا الى هيرودوس وسيروا من طريق أخرى ففعلوا

واشتد القلق بهيرودس وأخذته الطيرة فرسم بقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وما يتاخمها من ابن سنتين فما دون ذلك وشدد وهدد فرأى يوسف فى منامه جبريل يقول

له قم وخـذ الصبي وأمه واذهب الى أرض مصر لان هيرودوس يريد نفسـه فقام يوسف غلسا وأخذ مريم وولدها واركبهما على حمار وانحـدر بهما الى مصر ولبثوا بها حـتى ظهر جـبريل ليوسف فى رؤيا وقال له قم وخـذ الصبي وأمه وارجع الى أرض اسرائيـل فقد مات هيرودوس

قال بعض أصحاب التاريخ ونزلت مريم بولدها الى مدينة بوبسـط التى هى بسـطة فى اقليم الشرقيـة فى رابع عشرى بشنس فلم يقبلهم أهلها فنزلوا بظاهرها أياما ثم ساروا منها الى مدينة سمنود وعـبروا النيل الى اقليم الغـربية وساروا الى مـدينة الاشمونين فدخلت به وهى لاتعـلم لها مأوى * قالوا وظهـرت عـلى يده فى الاشمونين آية وهى ان خمسة جمال زاحمتهم فى مرورهـم فصرخ فيهـم المسيح فصاروا حجارة ثم انهم ساروا من الاشمونين وأقاموا بقرية تسمى منليس أياما ثم مضوا الى القوصـية فطردهـم أهلها فمضوا الى ناحية مـيرة غربى القوصية ونزلوا بالمكان الذى يعـرف اليوم بدير المحرق وأقاموا به سـتة أشهر وأياما فرأى يوسف فى منامه قائلا يقول له قم وخـذ الصبى وأمه واخرج من أرض مصر فقد مات هـيردوس فقام ومعـه الصبى وأمه من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع الذى يعرف الآن بكنيسة أبوسرجه ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هنالك من مشـقة السـفر بجانب ماء قالوا وقد غسـلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وكانت قـد اتسخت وصبت غسالتها بتلك الاراضى فانبتت بلسانا وكان اذ ذاك لاينبت البلسان الا بارض الاردن فانقطع من هنالك وبقى بهذا المكان وكثر الماء بالبئر التى هنالك حيث سال عليها الماء الذى غسلت منه مريم

وقال بعض الكتاب ان من خواص مصر عمـل النيـدة وهى عسـل القمح ولا يمكن اصـطناعها الا بديار مصر وقـد ذكر بعض الحكماء ان السـيدة مريم عليها أشرف السـلام صـنعت النيدة للمسيح حين قل لبنها فالهمها الله تعالى عملها وأ كثر اتخاذ النيدة فى منشاة اخـيم ولذلك يقـال لها أيضا منشاة النيـدة ولم يزل عملها باقيا الى الآن ولم يذكر جماعـة المؤرخين ان السـيدة مريم عليها السـلام ذهبت بالمسيح الى تلك الجهة من الصـعيد وانما قال بعضهم انهـا نزلت أيضا باهناس المدينـة حتى قالوا أيضا انها ولدت المسيح بها وان فيها النخـلة التى ذكرت فى القرآن فى آية وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وان هـذه النخلة تسمى نخـلة مريم وانها لم تزل باقيـة باهناس المدينـة الى آخر أيام بنى أمية * قلت * وهـذا مالا يعتقد صحتـه جميع النصارى لمخالفته لما جاء به الانجيـل والتوراة والذى جاءت به الكتب المنزلة ان المسـيح ولد فى بيت لحـم اليهودية وسارت به أمـه الى مصر وعمـره سـنتان اثنتان وانه أقام فى مصر أربع سـنين ثم عادت به ومعهـا يوسـف فـنزلت به قرية الناصرة من جبـل الجليـل واسـتوطنها ونشأ بهـا حتى بلغ ثلاثين سـنة وقيـل اثنتين وثلاثين ثم سار مع يوحنا المعمدان الى نهر الاردن فاعتمـد وحلت عليه روح

القدس

القدس فضى الى البرية وأقام بها أربعين يوما لايتناول طعاما ولا شرابا ثم طاف وأبرأ الأكمه والأبرص والمقعد وأحيا الموتى وغير ذلك من العجائب والآيات البينة مما لاموضع هنا لايراده بالتفصيل

ومات أغسطس فى السنة الرابعة عشرة من ميلاد المسيح الموافقة لسنة ثمان وستمائة قبل الهجرة وعمره ست وسبعون سنة فكانت مدة حكمه مستقلا ثلاثا وأربعين سنة غير مدة رئاسته للجمهورية فتولى بعده الملك طباريوس الاول

(فى الملك طباريوس قيصر الاول)

ثم قام بالامر بعده الملك طباريوس قيصر الاول فى سنة أربع عشرة للميلاد أى سنة ثمان وستمائة قبل الهجرة وهو ثانى امبراطرة الرومانيين ولما استقر به المنصب استعمل على مصر عاملا اسمه أميليوس اولوس فزاد اميليوس المذكور فى خراج البلاد زيادة كثيرة عما كان قرره أغسطس وبعث يستأذن طباريوس قيصر فى ذلك فكتب اليه يقول أما بعد فانى لاأشتهى من الراعى الا تسمين مارعاه ولا أرضى منه أن يذبحه فتأمل فعدل اميليوس عن ذلك وقد خلف اميليوس المذكور عدة ولاة تعاقبت على مصر فى أيام طباريوس الملك منهم اليوس سيان الذى طغى وتجبر وتعاظم وتكبر وسلك مسالك العسف والجور فى الرعية وكان طباريوس الملك كذلك فانه كان جبارا عنيدا ماكرا مخادعا يظهر خلاف مايبطن فلما أن تولى المنصب الملوكى واستقام له الامر أراد أن يخلع نفسه بدعوى انه لافضل له فى السياسة ولا هو يقوى على تدبير أمور المملكة مثل أغسطس قيصر وأظهر غاية العجز مع التواضع والانكسار فالح عليه رجال الدولة وشددوا فلم يقبل الا كرها ثم سألهم أن لايلقبوه بلقب امبراطور تواضعا وانكسارا ثم تم له الامر فقبض على زمام الاحكام وسلك مسالك العنف والكبرياء وأورد الرعية موارد الذل والهلكة واستوزر على مصر اليوس سيان المذكور الذى هو على شاكلته فكان اليوس بطانة سوء فأشار على طباريوس قيصر بقتل جميع عائلة أغسطس سالفه فقتلهم واحدا بعد واحد ولم يبق منهم الا طويل العمر وهؤلاء قليلون جدا وما زال اليوس يحسن له القبيح ويغريه على ارتكاب المعاصى وسفك الدماء حتى أحس طباريوس بان اليوس يريد التغلب على الملك وسلب المنصب منه فقبض عليه وقتله وأمر بالقاء جثته فى الميدان العام ففرح الناس بذلك فرحا لايوصف وانقضوا على جثته فزقوها كل ممزق ومثلوا بها

واشتد عبث طباريوس بأمور الرعية وبغضه لاكابر الدولة وأعيانها فكرهته الرعية وازداد بغضها له وتمنوا هلاكه فاعتكف فى جزيرة قريبة من مدينة رومة وانزوى فيها

منكبا على المعاصى واللذات منغمسا فى الفسق والفجور مع بطانتـه ملوثا بالخبائث فاوى اليه أرباب الرذائل وأسافل الناس وجعل هـذه الجزيرة ميدان قتـل وانتهاك محارم فكان اذا أراد قتل أحد أحضره من رومة الى هذا المكان وقتله وأغرق جثته فى ناحية أعد فيها آلة تكبس على الغرقى فتكسر عظامهـم ولا تجعلها تطفو على وجـه الماء وكان له بهذه الجزيرة قصور فاذا أراد أن يتمشى حولها للنزهة سأل الساعى عن حال الطريق هل هى خالية من الناس أولا فان كانت خاليـة مشى والا رجع على عقبـه وكان مع بطشه وشدة فتكه جبانا عظيم الارتياب كثير الخوف مترددا موسوسا ضعيف الرأى فاسـد الذمة وكان كثير التمسك بالعرافة والكهانة كبير الاعتقاد بزجر الطير مشـغوفا بمعرفة عاقبة أمره وما بقى من أيام عمره

ولما ظهرت عليه علامات الضعف وأخذت قوته فى الانحطاط كان يظهر التجلد ويخفى الضعف وبينما هو ذات يوم خارج من وليمة كان أعدها اذ نظر اليه طبيبه فرأى من تغيير حاله مادل على دنو حينـه فأبلغ أهل الديوان ذلك وقال لهـم ان القيصر يموت بعـد يومين فأرسلوا على الفور سعاة لكبار الجند ليحضروا على عجل فكان أول قادم منهم الامير فاليقود ابن جرمانيقوس فأخذ بزمام الحكومة واستولى عليها وشرع فى تدبير الامور فلم يشعروا الا وقد رجعت للقيصر حواسه وعادت اليـه بعض العافية فخاف الناس وهرب من حضر من الامراء فرارا من بطشه فقام فى الحال كبير من الابطال اسمه الامـير مقرون ودخـل على القيصر بقلب قوى وأمسكه ولفه فى بروجة وثقل عليـه بها حتى خرجت روحـه وذلك فى سنة سبع وثلاثين بعـد الميلاد أى نحو سـنة خمس وثمانين وخمسمائة قبـل الهجرة وله من العمر نحو الثمانين فكانت مـدة حكمه ثلاثا وعشرين سـنة وقد اشتهر هذا القيصر بانه هيكل المظالم وتمثال الجبروت * قال بعض الكتاب * ومع ذلك فقد كانت له مزايا أخرى وهى معرفة أساليب السياسة وتدبير الامور فكانت أيامه كلها صلحا وسلاما مع الاجانب ولم يحصل فى مملكته أدنى اختلال وكان بأسه وجبروته رادعا لتعدى الولاة على الرعية فكانت المساواة والعـدالة عامة فى جميع الاقاليم والعمالات وكانت أموال الخزينـة موفرة مدبرة فوجد فى بيت المال بعد موته خمسمائة وخمسون ألف ألف من الفرنكات وكان شديد الميل الى العلوم والآداب فألف وصنف ونظم باليونانية واللاطينية الا أنه قد اغتالت تأليفه يد الضياع بعد وفاته واليه تنسب طبرية التى بأرض الشام فهى مأخوذة من اسمه وفى أيامه كان صلب السيد المسيح وقيامته كما جاء فى الكتب المنزلة وتولى بعده ابن عمه قاليغولا قيصر

(فى الملك قاليغولا قيصر)

ثم قام بالامر بعده ابن عمه الملك قاليغولا قيصر ولى الملك سنة تسع وثلاثين للميلاد أى سنة ست وثمانين وخمسمائة قبل الهجرة فاستبشر الرومانيون بولايته فى طالعة أمره بعد الذى قاسوه من طغيان طبيروس عمه وقاليغولا هذا هو ابن جرمانيقوس الذى كان من فحول الرجال المحبوبين عند الرومانيين وله على البلاد الايادى البيضاء فلقبوه بقاليغولا لحبهم اياه تبعا لحبهم لابيه جرمانيقوس المذكور وكان فى مبدا حكمه حسن السيرة كامل الاعتبار حازما كيسا ولبث على هذه الحال مدة ثم مرض مرضا شديدا أشرف منه على التلف فلما عوفى تغيرت طباعه وانقلبت أحواله وتبدلت الى عكس ما كانت عليه فتولت عليه الحماقة ومال الى ارتكاب الكبائر والمآثم وسفك الدماء والغدر والاتصاف بسائر أنواع القبائح وجمع اليه أهل اللهو وأرباب اللعب والسخرية فكانوا يلعبون فى المحافل جهارا وكان يدعو لذلك أرباب المجلس الرومانى فاذا حضروا ولم يظهر أحد منهم استحسانه لهذه الالعاب والاعجاب بها قتله حالا ومن رفع صوته فى ميدان اللعب أمر بان يجلد جلدا عنيفا وهلم جرا

واتفق يوما وهم فى مجلس الالعاب ان قاليغولا المذكور كان يفاخر بالفضائل الرومانية ويفاضل بينها وبين المحاسن اليونانية ويجادل فى التفضيل بينهما فترك عامة الرومانيين مجلس اللعب وخرجوا مغضبين فصاح عليهم قائلا ليته لم يكن للامة الرومانية الا رأس واحد * يشير الى أنه كان يسهل عليه حزه مرة واحدة * وكان كثيرا ما يلقى بمن يقصر من اللاعبين الى السباع فتمزقه بين المتفرجين وكان يقطع لسانه قبل أن يفعل به ذلك كى لايصيح ولا يشوش على الحاضرين

وارتكب غاية التبذير ونهاية الاسراف وأنفق جميع ماتركه طباريوس قيصر من الاموال الجزيلة فكان يأمر باعمال الجسور والقناطر على المحيط فكان يأمر بالمحال مما تصوره له حالة الاختلال ويعمل الحراقات والزوارق المرصعة بالاحجار الكريمة وصنوف الجواهر ويجعل فيها الحمامات الغريبة والغرف المزينة بأنواع الزينة والاشجار والازهار وعمل اصطبلا بناه من المرمر لفرس كانت عليه عزيزة وعمل لها فى ذلك الاصطبل حوضا من العاج ورصع طقومها باللؤلؤ والمرجان وقيد اسمها فى سجل القسيسين والاحبار * وقال ان الفرس المذكورة ستصير يوما من الايام حاكمة على الرومانيين ويكون لها عليهم الامر والنهى وكان يسقيها الخمر فى أكواب من الذهب الاحمر وغير ذلك من الامور التى لايقبلها العقل وأمر فصنعت صورته واتخذ منها تماثيل عدة فوضعت فى مصاف الاوثان والاصنام فى جميع الهياكل والمعابد الموجودة فى المدن الرومانية كافة ليكون من جملة

الآلهة والارباب وجعل لنفسه كهنة خصوصيين يتقربون الى تمثاله الذهب بذبائح الطواويس والسمانى وكل طير نادر الوجود وكان عظيم الجبروت على قدر جسامة حمقه فكان اذا أمر بقتل انسان استحضر والديه وأقاربه ليشهدوا مقتله فاذا اعتذر أحدهم عن الحضور لمرض مثلا بعث بنعش وحمالين ليأتوا به كى يشهد قتله وكان لا يحلو له القتل أو التعذيب الا وهو على مائدة الطعام

واتفق انه جلس يوما فى وليمة حافلة وكان فيها أرباب مجلس رومة متكاملين فلم يشعروا الا والملك يغور فى الضحك ويجد بغير موجب ولا سبب فسأله من كان بجانبه من أرباب المجلس عن سبب ذلك فقال انما هو لانى اذا أردت قتلكم عن آخركم الساعة قتلتكم ومع أنه كان طاغية جبارا وداهية غدارا فلم يكن شجاعا ولا هماما بل كان جبانا ضعيف القلب يكره الوقوف فى صفوف القتال وقد سافر فى أيامه كلها فى غزوتين احداهما الى بلادجرمانية والثانية الى بلاد بريطانية فلم يشتهر فيهما الا بالجبن وضعف العزيمة ولم ترعينه يوما صفوف العدو ومع ذلك فقد كتب يوما الى أعضاء مجلس رومة يقول لهم بينما أنتم عاكفون على اللذات منبسطون على بساط الشهوات فأنا معرض نفسى للاخطار واقتحام العقبات

وكان أشد جميع من سلفه ظلما بل أشد جميع قياصرة الرومانيين غدرا وعدوانا وقد ألزم اليهود نصب تمثاله فى بيت المقدس فلم يقبلوا فضيق عليهم وكذلك ضيق على النصارى الذين ببيت المقدس وزاد فى التشديد الى حد الموت حتى ظهرت من بيته امرأة متمسكة بالديانة النصرانية فدافعت عنهم وردت أذاه فبقى اليهود يقاسون مضض البلوى وقد كان رسم الى والى مصر فى السنة الاولى من ملكه بغزوهم فغزاهم واستعبدهم سبع سنين وفى الرابعة من ملكه أمر عامله أيضا على اليهود بفلسطين أن ينصب الاصنام بمحاريبهم فى بيت المقدس ففعل وكانت هذه الفعلة من أشد الضربات على اليهود فلما عظم فى الاساءة حاله وثقلت على جميع قلوب الرعية فعاله قام عليه الامير خرياس وقتله فى قصره فى سنة احدى وأربعين للميلاد أى سنة احدى وثمانين وخمسمائة قبل الهجرة

وكان عامله على مصر اوليوس قلاقوس فأساء السيرة وظلم الرعية فكانت أيام ولايته كلها فتنا وبلايا وإحنا وعلى الخصوص فى مدينة الاسكندرية اذ ضيق عليها وبالغ فى تذليل أهلها وشدد على من كان بها من اليهود فخرجوا عليه وشقوا عصا الطاعة وثاروا على قتاله حتى خلعوه وقتلوه فسكنت بقتله الفتنة واستقرت الاحوال

ولما مات قاليغولا تولى الملك بعده قلودس الاول وسيأتى الكلام عليه

(فى الامبراطور قلودس الاوّل)

ثم قام بالامر الامبراطور قلودس سنة احدى وأربعين للميلاد أى سنة احدى وثمانين وخمسمائة قبل الهجرة ولقب بلقب امبراطور وكان أمر توليته المنصب الملوكى من الامور العجيبة والصدف الغريبة وذلك انه لما قتل خرياس قاليغولا هاجت العساكر والاجناد ودخلوا قصر الملك لينهبوا ما فيه من الاثاث والامتعة فبينما كان أحدهم يفتش على شئ يأخذه اذ عثر على شخص طويل القامة أصلع الناصية مختف وراء الفراش مرتج الجوارح فاقد الحواس فأمسك به الجندى وصاح من الرجل فقال أنا قلودس من آل بيت جرمانيقوس فصاح الجندى على أصحابه هلم الى قلودس فأحاطوا به وسلموا عليه بالقيصرية ولقبوه فى الحال بامبراطور الرومانيين وحملوه على هودج وساروا به الى معسكرهم فوضعوه هنالك فلما استقر به المكان أفاق وعادت اليه حواسه فبايعه الحرس الملوكى فأنعم على كل واحد منهم بخمسة وعشرين دينارا ليستميلهم اليه ووعد بقية الجنود بأحسن العطايا فصارت هذه الفعلة من ذلك الحين عادة مستمرة ورسما من رسوم ابتداء التولية للخلافات وصارت سنة متبعة وكان قلودس المذكور مجردا من المكر والحيلة منزها عن الغدر والاذى ولكنه كان فى غاية الحمق والغفلة ولذلك كانت تلقبه أمه فى طفوليته بأضحوكة العالم و بالصورة الخيالية فانه كان وهو فى مهده أيضا مبتلى بداء الهزال فأورثه نحافة الجسم وسخافة العقل ومع ذلك فقد كان ذا باع فى الانشاء والتآليف فألف تاريخ رومة وقرطاجة وأحسن ضبطه واحكامه ولما كان عاجزا عن حمل أعباء الملك وتدبير الامور سلم ادارة البلاد الى المعاتيق والموالى وقلدهم أموره كلها مع ماهم عليه من الشرور والقبائح فنبغ منهم اثنان أحدهما اسمه بلاص والثانى اسمه نرجا فكانا أعز وزرائه وأعظم أمرائه وقد تملكا على عقله فكانا يغريانه على ارتكاب الفجور والعدوان وعلى قتل خيار الناس من الوجوه والاعيان وكان له زوجة خبيثة الطوية تسمى «مسالينه» وكانت ممن ينكرن العشير ويكفرن بالكثير واليسير وكانت تبغضه بغضا شديدا وتميل الى زواج شاب من الامراء تحبه فعقدت يوما النية على قتل زوجها لتولى محبوبها المنصب الملوكى فآنس منها ذلك فقام عليها وقتلها وتخلص من شرها ومن هذا الحين صحا من سكرات غفلته وداخلته بعض الحماسة والفتوة وعدل عن طباعه الاصلية وتزوج بزوجة أخرى اسمها «اغريبينه» وهى بنت جرمانيقوس من نسل أغسطس قيصر فلم تكن فى الخيانة دون الاولى بل تزيد عنها وكان لها من زوجها الاول ولد اسمه نيرون الجبار وكان للقيصر ولد آخر من ضرتها التى ماتت فكانت تغار منه جدّا وتحقد عليه وتطمع فى تولية ولدها الملك فعقدت النية على أن تسم زوجها

قلودس ودبرت له سما بطيأ فشربه فلم يمت فى الحال فخافت من ظهور أمرها واستدعت طبيبا اسمه زنفون وكاشفته بسرها فوافقها على ذلك وتقدم للملك فى انه يسقيه علاجا لاستفراغ مافى جوفه وأدخل ريشة مسمومة فى حلقه فكانت سببا فى تعجيل موته فمات لوقته وذلك سنة أربع وخمسين للميلاد أى سنة ثمان وستين وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه ثلاث عشرة سنة كلها محن وشدائد

وفى أيامه قامت فى مصر فتنة بين أهل الاسكندرية واليهود الذين بها وكانت عظيمة جدا اقتتل فيها الفريقان قتالا عنيفا فبادر الى تسكين الفتنة بالتى هى أحسن ومنح لليهود ان ينتخبوا لهم نقيبا منهم يحكمهم على حسب مالهم من العهود والمواثيق فاستتب بذلك الأمن وحصلت الراحة * وفى أيامه أيضا كتب متى أحد حوارى المسيح انجيله فى بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدى الى الرومية وكذلك كتب بطرس رأس الحواريين انجيله بالرومية ونسبه الى تلميذه مرقص وكتب لوقا انجيله بالرومية وبعث به الى بعض الاكابر من الروم تذكرة

ولسبع خلت من ملك قلودس المذكور دخلت امرأة من كبيرات الروم فى الديانة المسيحية على يدى شمعون الصفاء فجاءت الى بيت المقدس لتعزيز جانب الدين ثم عادت الى رومة وكذلك اتسعت فى أيامه بمصر دائرة العلوم والمعارف وأنشئت فى مدينة الاسكندرية دار للعلوم وتحسنت بها حالة المدارس والمكاتب وعادت الى ما كانت عليه من علو الشأن قال بعض الكتاب ولكن لم يكن اجتهاد العلماء والفضلاء فيها فى هذا الحين بقدر ما كانت الهيئة الحاكمة تجلهم وتحترمهم وبموت قلودس تولى الملك بعده نيرون قيصر

(فى الملك نيرون قيصر)

ثم قام بالامر نيرون قيصر تولى الملك سنة أربع وخمسين للميلاد أى سنة ثمان وستين وخمسمائة قبل الهجرة وهو ربيب قلودس الملك فتبناه و زوّجه بنته المسماة اقطاوه وكان أمر تولية نيرون المذكور المنصب الملوكى عجيبا فى بابه وذلك انه لما احتضر قلودس وكان الطبيب يعالجه فى حالة النزاع أظهرت زوجته اغريبنة أم نيرون غاية الجزع وبالغت فى حزنها وتقدمت الى ابنه من ضرتها المسمى ابريطانيقوس وأخذت تعانقه وتضمه الى صدرها وتقول وعيناها تذرف الدموع انك يابنى على صورة أبيك قلودس الذى لاصبر لى على فراقه ولاسلوان لى عنه الا بك فلاتفارقنى أبدا ولاتتركنى وحيدة لهذه الهموم وأكثرت من عبارات الاسف والحزن فظن ابريطانيقوس أن الامر صحيح فلما آنست منه ذلك منعته من الخروج من القصر وأمرت فاغلق الحراس جميع الابواب والمنافذ وأشاعت بأن الملك قلودس متجه الى الصحة

فلما مات أخفت خبر موته أياما واست فيها الجنود بالهدايا واتحفتهم بالتحف العظيمة وعملت على تولية ابنها نيرون تخت الملك وما زالت حتى تم له الامر على ماأرادت ثم أمرت بفتح الابواب بغتة وخرج نيرون فى وسط جند الحرس القيصرى فتلقوه بالترحيب وسلموا عليه بالقيصرية وبايعوه فى الحال فذهب الى المعسكر الرومانى وتلا عليهم خطبة تتضمن تشويقهم واحياء قلوبهم ووعدهم بالانعامات العظيمة فسلموا عليه بالقيصرية والامبراطورية الرومانية فلم يرأرباب المجلس بدا بعد هذا كله من مبايعته وكذلك فعل أهل الحل والعقد ثم جهزوا الملك قلودس وشيعوا جثته مع غاية الاحتفال والاكرام

ولم يكن عمر نيرون اذذاك الاخمس عشرة سنة فحكمت أمه بالنيابة عنه وكانت تظهر عليه علامات النجابة وعلو الهمة وكان لايأتى أمرا فى صباه الا بعد استشارة معلميه بوغوس وسناخس وقد استوزرهما فكان الاول منهما ممتازا بالمعارف والفنون العسكرية مع الشهامة وحسن الاستقامة وكان الثانى يمتاز بذكاءالقريحة وقوةالفطنة وحسن السير مع الرعية ومما يحكى عن نجابة نيرون المذكور أنهم عرضوا عليه يوما قضية حكموا فيها على أناس بالموت وطلبوا منه ان يوقع على الحكم فاغرورقت عيناه بالدموع وقال ((ليتنى كنت أميا)) ومدحه أرباب المجلس يوما فقال لهم ((امسكوا عن المدح حتى استحقه)) وكان يظهر من حاله انه يألف الحلم والعدل ولكنه لم يلبث ان تغيرت أحواله وانعكست أعماله وتبدلت أخلاقه الى عكس ما كانت عليه فطغى وظلم وتجبر وتغشمر ولم يتدين بدين ما واضطهد النصرانية غاية الاضطهاد وصار يقتل كل من تمذهب بها ورسم بقتلهم فى جميع الايالات التابعة لرومة فقتل منهم خلقا كثيرا وقتل بطرس رأس الحواريين وقد كان يومئذ بطرك رومة ومضى على بطريكيته مدة خمس وعشرين سنة وأسباب قتله معلومة فلا داعى لذكرها هنا فقام بعده أريوس بطركا على رومة

وفى الخامسة من ملك نيرون هذا يعنى فى التاسعة والخمسين للميلاد كانت بعثة مرقس الحوارى أحد السبعين للدعوة بالاسكندرية ومصر وبرقة وبلاد العرب فطاف فى هذه المدن ونادى بالانجيل وحث وخطب ووعظ فتبعه خلق كثير وكانت ديانة المصريين يومئذ الوثنية وعبادتهم للنجوم والحيوانات كما تقدم بيان ذلك فى محله فدخلت النصرانية فى مصر وأرضها مشحونة بالاهالى عامرة بالسكان يبلغ عددمن فيها اثنى عشر ألف ألف عدا مختلطى الانساب مابين قبطى بحت وحبشى ونوبى واسرائيلى الاصل وغيره واتخذ مرقس الاسكندرية مقرا وأقام يدعو الناس فذاق من الشدائد اشكالا وألوانا وما زال يحض الناس ويعلمهم ويقربهم الى الله تعالى وكان فصيح اللهجة وديعا متواضعا فنجحت تعاليمه وكثرت النصارى واتسع نطاق المسيحية وكادت تعم جميع الديار المصرية والنوبة وكان له رفيق اسمه حنانيا ويقال له أيضا ((اينايو)) فاقامه بطركا بالاسكندرية وهو أول البطاركة بها وجعل معه اثنى عشر قسيسا وأمرهم أنه اذا مات حنانيا البطرك ان يجعلوا عوضه واحدا منهم ويقيموا بدل ذلك

القسيس واحدا من الشعب المسيحى يختارونه حتى يكونوا أبدا اثنى عشر قسيسا فنمت المسيحية وظهرت وتمذهب بها الكثير من أرباب المناصب العالية والأكابر والاعيان وبعض رجال الدولة فساء هذا كهنة المصريين وأهل العلم بمدينة الاسكندرية ووقعت بين الفريقين مناظرات ومجادلات دينية أياما طويلة كان الظفر فيها لمرقس وأصحابه فلما كانت السنة الثانية عشرة من ملك نيرون قامت الكهنة وخدام الهياكل والمعابد المصرية وأهل الاسكندرية وأثاروا الفتنة على النصارى وأضرموا نارها وقبضوا على مرقس الحوارى وقتلوه وكان موته غاية فى الشناعة وطافوا بجثته فى جميع الطرق مسحوبة على الارض ومثلوا بها أشنع تمثيل وتتبعوا النصارى وأفحشوا فى قتلهم والتنكيل بهم فملؤا بجثثهم أكثر الطرقات وكان ذلك اليوم يوما مشهودا

وقتل أيضا نيرون قيصر رئيس كهونية اليهود ببيت المقدس فثار لذلك اليهود على من كان من النصارى ببيت المقدس وقتلوا أسقفهم هنالك وهو يعقوب النجار وهدموا البيعة وأخذوا الصليب الذى صلب عليه المسيح والخشبتين اللتين كانتا معه ودفنوهما فى مزبلة الى ان جاءت هيلانة أم قسطنطين الملك وأخرجتهما كما سيذكر فى محله فولى مكان يعقوب النجار ابن عمه شمعون ثم ثار عليهم اليهود ثانية وأخرجوهم من بيت المقدس لعشرين خلت من ملك نيرون فاجتازوا الاردن وأقاموا هنالك فبعث نيرون قائده المسمى وسباسيانوس الى بيت المقدس وأمره بقتل اليهود الذين كانوا هنالك كافة وتخريب البيت فأوى اليهود الى ثلاثة حصون بنوها فحاصرهم وسباسيانوس وخرب حصونهم وأحرقها وأقام عليهم سنة كاملة يقاتلهم حتى أذلهم وكاد يفنيهم

ونزع نيرون أمه من النيابة عنه وخالف مشورة وزيره واتبع هوى نفسه فاستكبرا الامر ولكنهما لم يريا بدا من موافقته على ماوطن نفسه على عمله وكانت أمه اغربينة تحب ان تكون نافذة الكلمة مطاعة الامر والنهى فى جميع الاحكام الجنائية وغيرها وكانت تخشى جدا أن يبقى ابريطانيقوس ابن ضرتها حيا فينزع الملك من ولدها نيرون فشكت أمرها الى رؤساء الجند وبالغت فى سوء تصرف ولدها وعجزه عن حفظ صولجان الملك فى يده مادام ابريطانيقوس حيا فوافقوها على مارأت وصمموا من ذلك الحين على قتل ابريطانيقوس فبينما هو على المائدة يأكل مع نيرون وبعض الاقارب والحشم اذ سقط مغشيا عليه وذلك لان نيرون وضع له السم فى كأس الشراب وسقاها له فلما رأى الحاضرون سقوطه تفرقوا مذعورين ومن بقى منهم صار مبهوتا ينظر الى نيرون شزرا أما نيرون فانه لم يبال بذلك بل اضطجع على فراشه ومد رجليه كأنه لايعلم سبب موت أخيه وقال لاتعجبوا فانه مريض من زمن وان لاشئ فى موته ثم أمر فجهزوه ودفنوه ليلا بغير احتفال وقسم أمواله وأملاكه على الذين اتفقوا معه على قتله ومن هذا الحين أحاط بنيرون أرباب الفسق والعصيان وأصحاب اللهو واللعب والالحان وقطاع الطريق وخوان الرفيق فكان يلبس فى

الليل متنكرا فى زى المماليك ويطوف باطراف المدينة صحبة هذه الزمرة الشريرة ينهبون الحوانيت ويؤذون المارة وأبناء السبيل فكانوا اذا أحس بهم أصحاب البيوت أو تلك الحوانيت قاموا عليهم وضربوهم فيقع الضرب بينهم ويصيب القيصر منه شئ كثير وربما شجوا رأسه أو أثخنوه جراحا ثم لم يلبث حتى انكشف حاله وعلم الناس بانه هو الذى يطوف متنكرا ومعه أولئك الاشقياء فاقتدوا به وعملوا على شاكلته فكثر التعدى والسلب والنهب وصارت مدينة رومة فى الليل كأنما هى مدينة قد أخذت عنوة بعد قتال لا يمر فيها أحد الا ويرجع الى بيته عريانا وقد جرح نيرون المذكور فى ليلة جراحا كبيرة فى قتال اشتبك بينه وبين الاهالى فاحتاط من ذلك الوقت وصار لا يطوف الا ومعه بعض الجند المتنكرة وبعض المصارعين ولم يزل على هذه الحال زمانا طويلا حتى ضاقت نفوس الرعية منه وتمنوا هلاكه

ولم تطق أمه الصبر على ذلك ولا على سقوط نفوذها وذهاب كلمتها فأخذت تعمل على ارجاع ما كان لها من السلطة والنفوذ وتسعى خلف ايقاف ولدها نيرون عند حد الطاعة والرضوخ لكلامتها فلما آنس منها ذلك اشتد بغضه لها وصمم على قتلها وكان من أشد أمرائه فتنة وفسادا الامير انيقاطوس أمير البحر فكاشف انيقاطوس المذكور على ما فى خاطره من قتل أمه فوافقه ودبر له الامر بأن أنشأ لها سفينة على شكل عجيب ينفصل منها جزء عن أجزائها الحقيقية ويتصل فى الظاهر بها بحيث لو سقط فى البحر تبقى السفينة بتمامها كاملة لا يخشى عليها من الغرق فلما تم بناء السفينة المذكورة على هذا الشكل أظهر القيصر رغبة زائدة فى عمل عيد هيكل عطارد بمدينة (بايس) التى هى ساحل نابولى وكان له فى هذه المدينة قصر وحمامات ومنتزهات فدعا أمه وأعلمها بذلك وطلب منها أن تصفح وتعفو عما فات فحضرت اليه راكبة على سفينة فاستقبلها فى كبكبة وزينة وأخذ بيدها وعانقها وضمها الى صدره وبالغ فى ملاطفتها حتى رقت اليه وحنت عواطفها عليه ولبثت عنده اليوم بطوله فلما قصدت الرجوع الى مستقرها قام معها الى الساحل وكانت السفينة التى أعدها لركوبها هى التى صنعها انيقاطوس مزينة بأحسن الزينة فأنزلها فيها وعانقها فقبلته وودعته وسارت بها السفينة وهى لا تدرى ما نصبه لها من الشرك وكان المسير فى ليلة مقمرة تحسن فيها الملاحة فلما توغلت السفينة فى البحر انخسف فى الحال مجلسها وانفصل عن السفينة وسقطت الملكة ومن معها من اتباعها والتهمتهم الامواج وظهرت على وجه الماء احدى النساء المصاحبات للملكة فصاحت خذوا بيدى أنا اغربينة أم الملك رجاء ان تتخلص من الغرق فضربها أحد الملاحين بمجذاف على أم ناصيتها فقتلها أما اغربينة أم الملك فانه لم يحصل لها من سقوطها فى البحر الا جرح خفيف وكانت تحسن السباحة والعوم فسبحت وجاهدت حتى وصلت الى بعض سفن للتجارة كانت راسية على مقربة واستغاثت فعرفوها وأخرجوها وذهبوا بها الى قصرها سالمة وقد علمت بما كان دبره لها ولدها من الهلاك ووجدت ان كتمها

لهذا السر أولى وأحسن وتدبرت فى امرها وكتبت لولدها تقول كن مطمئنا يابنى فقد نجوت بالالطاف الالهيــة من الغـرق وتخلصت من الموت فلا يشـغلنك شاغل من جهتى نخاف نيرون من ذلك جدا وعـلم أنه قـد خاب أمله وخشى انها ان عاشت أثارت عليـه الفتن واقامت الاحن وأغرت الجنود واسـتمالت القواد وأرباب الحل والعقد فسعى فى طلب قتلها على أى حال كان وألح فى ذلك على كثـير من أرباب الفساد فبرز له صاحب الحيـلة الاولى وتعهد بقتلها فاقسم له الملك انه ان فعل ذلك ليكافئنه أحسن مكافأة فقام انيقاطوس وغاب ليلة وعاد الى نيرون فى الصباح وقد قتلها فلما بلغ نيرون خبر قتلها فرح فرحا ماعليه من مزيد وأشاع أنها قتلت نفسها ومن ذلك الحين صـفا الوقت لنيرون وخـلا له الجو ففـعل بالبلاد وأهلها مالم يفعله غيره من قبل

وكان له زوجة عفيفة حسـنة الاخلاق جيدة السيرة اسمها (أوقطاوية) قل ان يوجـد مثلها فى الخلق والخلق فلم ينظر نـيرون اليها ولم يراع لهـا حقا وتعلق بامرأة اسمها بوبه كانت من العاهرات وشـغف بحبها فعقد عليها وقصـد الخـلاص من أو قطاوية وأمر بقتلهـا فسيقت الى القتـل وماتت شهيدة الغـدر والخيانة وكان فى ساعة قتلها عاكفا على اللهو مشغولا عما فى محافل اللعب والقصف وقد اتخذ له ملعبا عظيما ضرب عليه من جميع الجهات الاسوار فكان يأوى اليـه بالليل والنهار ويجرب نفســه فى اللعب والغناء والرقص وسوق العجـلات ويجمع اليـه خدمه وحشمه فيلعب امامهـم بلا حياء ولا خجل حتى برع وتفنن فى جميع هـذه الالعـاب وكان يركب الابل ويعـدو عليها ويجمع الحيوانات للهراش ويعمـل الولائم ويدعو اليها الخواص والعوام وينفـق الاموال بلا حساب فأوى الى ميـدانه الغوغاء وسـفلة الناس الذين لاهم لهم سوى الكسل وكانت جـدران هـذا الملعب مطلية بالذهب الابريز مكسوة بحلل السندس المطرز وعمـل الاشراك والشباك التى كان يصطاد بها من القصب المصنوع من الذهب والفضة وكان اذا ذهب الى اللعب سار بألف عربة تجرهـا البغال المطبقـة باللجين (الفضة) وكان يصحبه ساسة الخيـل والسعاة متحلين بالملابس مزدانين بأنواع القمـاش وكان اذا لعب أطلق فى ميدان اللعب أصناف البخور الثمينة كالمسك والعنبر وغير ذلك من أنواع السرف والتبذير

وبينما هو عاكف على اللهو فى ذات يوم اذ وقع بمدينة رومة حريق هائل أخذ يدمر المدينة وسرى فى أطرافها أسرع من البرق فاهلك خلقا كثيرا جدا فضج الناس وخرجوا على وجوههم هائمين وكان كل من اقـترب لاطفاء شئ من تلك النـيران عاد خائفا مذعورا اذ كان يسمع صوتا هائلا مرجفا يتهدده ولا يرى شخصه وكان الناس يبصرون شـعل النيران الملتهبة ترمى فى المدينة وبها أصوات تصيح نحن مأمورون بذلك قيل وكان نيرون فى هذا الحين ينظر الحريق على بعد ويتفرج عليــه مستحسنا ذلك المنظر الهائل وهو اذ ذاك يرى اللاعبين عنـد نشد الاشـعار التى قيلت فى رسوم ترواده ومعالمها واطلالها بعد خرابها وهو يتغنى بها متمثلا فلما

رأى

رأى ان الحريق قد دمر البيوت وأهلك الامتعة وأذهب الاموال وقد خرج الناس على وجوههم هائمين لامأوى لهم ولازاد جمع فى ميادين تعليم الجند وفى غيرها من المحال الاخرى جميع الناس وأباح لهم سكنى بساتينه وبنى لهم الدور والمساكن باسرع ماءمكن وفرشها لهم وفرق عليهم بعض الاثاثات والادوات المنزلية وأرخص أثمان الحبوب والاقوات كل هذا ليستميلهم اليه فلم يجد نفعا اذ اتهموه بفعل الحريق وتدمير البلد حيث شرع فى بناء قصر مزين بالذهب والاحجار النفيسة وكان قد رسمه رسما متسعا وأدخل فيه البساتين والحدائق والمزارع والبرك والانهر والغابات والرياض والحياض فلذلك اتهموه بفعل هذا الحريق فلما آنس منهم ذلك وكان يكره النصرانية وأهلها كما تقدم القول أشاع ان هذا الحريق انما هو صادر من النصارى الذين تظاهروا بدين المسيح فى رومة وتتبعهم بالاذى وأنواع التعذيب وبالغ فى ذلك جدا فكان يأمر بهم فيلبسون جلود البهائم ويطرحون للكلاب فتنهشهم وكان يأمر بصلب بعضهم ويأمر بدهن جلود البعض الآخر بالدهون والزيوت والنفط والقطران حتى اذا أظلم الليل أطلقوا فيهم النيران وأوقدوهم كالمشاعيل ليستصبحوا بهم والعياذ بالله

وكانت هذه الفعال الشنيعة تفعل فى حدائق نيرون وبساتينه وقت الالعاب الميدانية وكان يشاهدها بعينى رأسه ويتدرج بين الناس فى زى سائس أو فى صورة أخرى ليعلم مايقولون وشدد الوطأة على النصارى ومات فى خلال هذه الفتنة العظيمة بطرس رأس حوارى المسيح وبولس الحوارى قتلا بعد أن جاهدا فى دين الله ودعيا الناس وصنعا العجائب والآيات العظيمة وقد استشهد بطرس مصلوبا منكس الرأس كما طلب كى لايتشبه بالمسيح وكان استشهاد بولس بضرب عنقه وقد تلطفوا فى قتله لكونه رومانيا ولم يزيدوا فى تعذيبه كما فعلوا ببطرس

ولما عادت رومة الى رونقها وبهجتها بعد الحريق الذى دمرها قامت نار الفتنة فى داخليتها وخرجت الرعية على نيرون وطلبت إبطال الالعاب والملاهى وهدم الميادين العمومية وقام أرباب المجلس والامراء والاعيان بل والنساء وتواثقوا على ذلك وتحالفوا على كتمان الخبر حتى يقوموا عليه قومة واحدة فلم يلبثوا أن ظهر سرهم وانحل عقدهم فقام نيرون وقبض على الاحزاب وبالغ فى تعذيبهم بأنواع العذاب وكان من أعيانهم رجل اسمه (سوبريوس) فلما أتى به امام نيرون قال له بقلب ساكن ترى أيها الملك من يصدق فى خدمتك من هؤلاء الجنود الا بقدر ماتريه من المحبة وما تفعله معه من المعروف أما أنا فقد وطنت النفس على بغضك من اليوم الذى قتلت فيه أمك ومن وقت قتلك زوجتك ومن يوم ان صرت عربجيا ومصارعا ومغنيا ومحرقا لمدينة رومة العظمى فقال نيرون خذوه عنى واقتلوه فقتلوه فى الحال بلا مهل

وقد عذب بعض من اتهمهم بالفتنة من أهل الفضل والآداب تعذيبا شديدا فقطع

عروقهم وفتح أوعيـة دمهم ولا زال يسـتفرغـه حتى ماتوا واتخـذ الغناء وضرب الالحان واللعب فى الافراح العامـة حرفة فانه لما بدأ بانشاء الاشعار الحماسية وعزم على الظهور بمظاهر أصحاب هذا الفن قام عليه أهل هذه الصناعة وطلبوا منه الامتحان فتقدم فى الميدان العام بزى لاعب وعلى هيئة مصارع وفى صورة مغن ووقف موقف الخاشع ثم جثا على ركبته بعـد ان غنى وتنقـل من طبقـة الى أخرى فهلل له المتفرجون وفرحوا به وتقييد اسمه فى دفتر أهل هذا الفن وكان كما تقدم القول شديد الحرص على أن يرى ميدان اللعب فى أوقات اللعب ساكنا مرتبا لالغط فيـه ولا تشويش فاتفق ان الامير وسپاسيانوس الذى ولى بعده حينا منصب الملك كان فى ميـدان اللعب فتغلب عليه النعاس وظهر منـه غطيط فغضب نيرون وأمر بقتله ولولا شفاعة من لاترد شفاعتـه لقتل وكذلك ﴿ بوبه ﴾ زوجته التى كان يحبها كثـيرا قالت له يوما على سبيل التهكم انك لاعب من أمهر اللاعبـين فغضب وضربها فى بطنها برجـله ضربة أزهقت روحها وماتت فى الحال وهو لا يتحرك من موقفـه ولم يتأثر

وقصـد نيرون المذكور المسير الى بلاد اليونان فسار من رومـة يريد بلادها لخطر على باله أن يرى هل لرجالها وأرباب الفن بها براعة فى فن الالحان فنزل بمدينة قورنثية ومعـه أعوانه يحملون المزامير والعيـدان وكان يونان هذه المدينة وضواحيها لهم شهرة عظيمـة بهذه الفنون فانتصر عليهم نيرون نصرة عظيمة وأنزل تماثيل فحول رجالهم الذين كانوا اشتهروا فى سالف الاعصار بالسبق فى هذه الالعاب الاولامبيقية * والالعاب الاولامبيقية نسبة الى أولامبيقة * وهى بلدة ببـلاد اليونان كان بها موسم يجتـمع اليـه النـاس فى كل أربع سنين كسوق عكاظ عنـد العرب وفيـه تكتسب الامتيازات اليونانيـة وبهـذه المواسم المتكررة فى كل أربع سـنوات يؤرخ اليونانيـون وقائعهـم فيقـولون حادثة كـذا وكـذا وقعت فى الاولامبيق الاول عبارة عن أربع سنوات فكان تنزيل نيرون لتماثيـل فحول اليونان تحقيرا لهم ولكنهم صانعوه وصفقوا له نفاقا وكانت هـذه الواقعـة بمدينـة قورنثيـة باقليم اخاما وكانت هـذه المدينـة اذ ذاك تحت استعباد الرومانيـين ورقهـم فأعتق لذلك اقليمهم وأعاد اليـه حريته القديمة وذلك سنة سبع وستين للميلاد أى سنة خمس وخمسين وخمسمائة قبـل الهجرة ثم عاد الى رومة وقد أخـذ منه الطيش والاعجـاب مأخـذه فلما دنا من أسوارها أمر فهدموا له جانبا من الاسوار فدخلها من هذا النقب راكبا عجلة تجرها خيول بيض وهو متشح بحلة أرجوانية ملوكية وخوذة مرصـعة بنجوم فضـية وذهبيـة وعلى رأسـه تاج النصرة اليونانية المصنوع من أغصان الزيتون البرى وفى يده اكليل آخر من شجر الغار وكل هذه علامات على الانتصار وامامه جماعات حاملون ألف اكليـل وثمانمائة اكليل مكتوب عليها أسماء القـدماء الذين نالوا هـذه الاكاليـل وامتازوا بها وحول عجلتـه المغنون وهم يشـيدون بمدحـه وامامه المباخر والعطريات يعبق شذاها واناس كثيرون ينثرون الازهار واللآلئ فى

هذا الموكب وأمر أن يصنعوا تماثيله ويصوّروه على هيئة أرباب الطرب والالعاب وأن توضع هذه التماثيل فى الميادين العمومية وأن يرسم بهذا الوجه على النقود والسكة واشتدبه الهوس الى درجة أنه أمسك عن كثرة الكلام والتزم الصمت خوفا على صوته من البحة وقلل الكلام مع جنده وخدامه وعبيده

فلما كثرت شروره واشتدّت على الرعية مظالمه صمموا على قتله وكان من جملة الاقاليم الرومانية إقليم فرنسا القديم الذى كانت أهله تسمى الغالية وكان على هذا الاقليم نائب يسمى (ونديش) من ذرية ملوك الفرنسيس فحقد على نيرون وأبغضه بغضا شديدا وناواه وقصده بالحرب وعرض تقليد مملكة رومة على نائبها فى اسپانيا المدعو (غلبا) فلما أحس نيرون بذلك استعان بقائد جنود جرمانيا وركب على ونديش المذكور وقتله وتجهز بعد قتله الى الركوب على غلبا نائب اسپانيا والبطش به أيضا فعاقه مابلغه من مبايعة مجلس رومه لغلبا المذكور وتسليمه صولجان الملك فاحجم قائد جند جرمانيا المذكور عن معاونة نيرون وعن القيام الى اسپانيا أما نيرون فانه لما أيقن أنه لامحيص له عن الهلاك تقاعس عن الحظوظ وانكف عن الشهوات وهرب من رومة مع أربعة من عتقائه ونزل بقصر له فى الخلاء يبعد عن رومة بعض فراسخ فاشار عليه بعض أصحابه أن يقتل نفسه قبل أن تدهمه الاعداء فيقتلوه فلم يجسر على ذلك لانه كان يكره الموت وكان لايكف عن البكاء والنواح ويقول كيف يصح قتلى والعالم بأسره فى حاجة الى

وبينما هو على هذا الحال من البكاء والنواح اذ سمع صهيل الخيل وصرير سنابكها وقد حضر الفرسان وأحاطوا بالقصر وضيقوا عليه فقال لاصحابه هيا بنا فقد أوجبت الشجاعة على أن أقتل نفسى حين لاحيلة لى فيما دون ذلك وهم بقتل نفسه وشجعها فلم يقدر وكان كلما رفع يده بالخنجر ارتعشت وعادت الى جانبه فكان من بعض أصحابه أن أمسك يده وهى قابضة على الخنجر ووضعها على منحره ليشجعه فتجلد لذلك وطعن نفسه فازهقها فكان موته فى سنة ثمان وستين للميلاد أى نحو سنة أربع وخمسين وخمسمائة قبل الهجرة وبموته وانقطاع حكمه انقطعت عائلة أوغسطس قيصر وتم الامر للقيصر غلبا كما سيذكر فى محله قال بعض أهل التاريخ ومع ما كان عليه نيرون من الفسق والطغيان وانغماسه فى دناءة اللهو واللعب وغير ذلك من قبيح الفعال كان لايختار نوابه وعماله فى البلاد التابعة لمملكته الا من أهل الفضائل والكمالات فكانوا جميعا يحسنون سياسة البلاد وتدبير الجمهور وكان حريصا على معرفة الحقائق وكشف تفاصيل الصغائر والكبائر وقد كان استعمل على مصر الامير بلبياوس فاحسن فيها الصنيع وأصلح أراضيها وأخصبها بتدبير النيل ووسع نطاقها فعمرت وزادت رونقا وبهجة وعمت الراحة ربوعها وانكف اهلها عن المشاغبة وعلى الخصوص منهم يهود الاسكندرية وكان لنيرون المذكور اعتناء زائد بتحسين أحوال مملكة مصر ورغبة كبيرة فى طلب معرفة منبع النيل فبعث من الرومانيين جماعة لاستكشافه فساروا وخرقوا جوف

السودان وعادوا بما عرفوه من أحوال تلك الاصقاع وموقعها الطبيعي - وحكى أن أحد نبلاء الرومانيين اجتمع باثنين من رجال هذه البعثة بعد رجوعهم فحدثاه بهذه العبارة وصلنا بعد سياحة طويلة الى ملك السودان فاعطانا الزاد والراحلة وأمدنا بالذخائر وأعاننا على هذا السفر الطويل بان أوصى علينا الملوك المجاورة لبلاده فأباحواله الجولان فى بلادهم فسرنا حتى انتهى بنا المسيرالى محل ذى بحيرات وبطائح وبرك يصعب السير فيهاحيث هى مجهولة المعالم مملوءة بالاشجار المتكاثفة * قالا * وقد وجدنا هناك صخرتين عظيمتين تخرج عندهما المياه بغاية القوة فما علمنا هل هما منابع النيل أوأن منابعه بعدهما أوأن هذين المنبعين هما فى طريقه ومنبعه الحقيقى بعيد عنا اه

وكان نيرون يحب مملكة مصر محبة عظيمةفقصد الحضور اليها وتجهز لذلك وكاناذ ذاك عامله عليها طقسوس أخاهمن الرضاع فارسل اليه يعلمه بقدومه وأرسل رسلا يجهزون مايليق باستقباله فجهزوا مالزم وعملوا له حمامات خصوصية لغسله فدخلها طقسوس ليتفرج عليها فاعجبته فاغتسل بها فلما علم نيرون بذلك أمر بقتله ولم يراع اخوة الرضاع ولا حقوق النيابة وحين أشرف نيرون على حد الارتحال الى مصر حلت فى مدينة رومة الفتنة الداخلية وقامت على ساقها فقتل فيها كما تقدّم القول فكانت مدّة ملكه نحو ثلاث عشرة سنة وخلفه اسليقيوس غلبا المتقدّم ذكره

(فى الملك اسليقيوس غلبا قيصر)

ثم قام بالامر اسليقيوس غلبا قيصر بويع بالملك سنة ثمان وستين للميلاد أى سنة أربع وخمسين وخمسمائة قبل الهجرة عقب موت نيرون وانقراض عائلة أوغسطس قيصر وكان غلبا المذكور من عائلة شهيرة بالحسب والنسب بين عائلات ايطاليا وكان شيخا كبيرا معمرا نحو ثلاث وسبعين سنة وكان سبب ارتقائه هذا المنصب أن جميع الجنود الرومانية اجتمعوا وتشاوروا بينهم فى أمر تولية ملك عليهم من غير مدينة رومة فاجمعوا أمرهم سرا على انتخاب غلبا هذا وكان موسرا بالمال بخيلا صعب الاخلاق مدققا فى الادارة والتدبير مشدّدا فى الصرف والانفاق لايلائم طبعه طبع الرومانيين فى الكرم ولم تكن رغبة العساكر فى توليته الاليعطيهم من العطايا والمرتبات عوائدهم التى عودهم عليها من سلف من ملوكهم فصارت عندهم رزقا لامقطوعا ولاممنوعا فلما ارتقى المسند واستقر به أمسك عن الانعامات المعتادة للعساكر المنتخبة وغيرهم فطالبوه بذلك فقال انى أختار عسكرى أحسن اختيار ولا يجمل بى أن أشترى خدمتهم بدرهم ولا دينار فاسكتهم ثم قبض على وزراء نيرون الملك وعاقبهم وخلعهم واستوزر غيرهم وشدّد عليهم بالاقتصاد والتزام طرق الحزم

وعدم

وعدم الاسراف فى الاموال فضيقوا على العساكر وقتروا عليهم غاية التقتير فشكوا من ذلك فلم يلتفت اليهم فركبوا عليه وقتلوه وقبضوا على وزيره المدعو بسقون وقتلوه أيضا وطافوا به فى شوارع المدينة ومثلوا به تمثيلا

وكان بمدينة رومة رجل من عائلة قديمة ماجدة يبسط للكرم يده ويعد للشجاعة ساعده اسمه مرقوس أوطون وكان مشهورا بسعة الانفاق متقلا بالديون للبذل فى مواساة الرفاق فاتفق أمراء العساكر على توليته المنصب واتحدت كلمتهم على ذلك فولوه فكانت مدة ملك غلبا المذكور سنة واحدة فقط

(فى الملك مرقوس أوطون قيصر)

ثم قام بالامر مرقوس أوطون قيصر بويع بالملك سنة تسع وستين للميلاد أى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قبل الهجرة وريثما استقر به المنصب وبايعته رومة والديار المصرية كانت جنود الرومانيين فى بلاد جرمانيا قد بايعت أيضا و يطليوس وهو ايطالس الذى هو قائدهم فانقسمت لذلك الدولة وفشل أمرها وقامت بين الفريقين حرب هائلة واجتمع الجمعان واصطف الفريقان فانهزم جماعة أوطون وانتصر أصحاب ايطالس فلما علم أوطون بانهزام أصحابه دخل مخدعه وقتل نفسه فكانت مدة حكمه ثلاثة أشهر لاغير واستقر المنصب للقائد ايطالس المذكور وفى أيام أوطون على قصرها ضربت السكة باسمه فى ديار مصر اذ كانت هى أول من بايعه ونقشت اسمه على بعض المبانى العمومية قال بعض الكتاب وهو باق الى الآن دون سلفه غلبا قيصر وخلفه ايطالس اذ لم يوجد لهما اسم بها ولا رسم وقد استعمل على مصر طبريوس اسكندر اليهودى فطالت مدته وسيأتى الكلام على وسباسيانوس قيصر الذى مات فى أيامه اينانو ثانى بطاركة الاسكندرية

(فى الملك ايطالس قيصر)

ثم قام بالامر ايطالس قيصر ارتقى المنصب الملوكى فى اليوم الذى قتل فيه أوطون الملك فى سنة تسع وستين للميلاد أى أواخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قبل الهجرة فلما استقر به المنصب ذهب الى مقتل أوطون الذى قتل فيه وأظهر الشماتة والفرح وقال لقواد عساكره إن جثة العدو المقتول هنا لايزال يشم منها على طول الازمان وتداول الايام رائحة طيبة فدل ذلك على خبثه وقلة مروءته ولؤم طبيعته اذ قصد بذلك أن هزيمة أوطون ستكون

سببا فى تنعمه وتلذذه بالمطعم والمشرب والانهماك فى اللذات والشهوات الحيوانية وكان ايطالس المذكور نحيف البدن ضاوى الجسم شره النفس يقضى أكثر أوقاته فى الجلوس على الطعام وباقى ساعات يومه فى الاشتغال بجلب الاطعمة النادرة العزيزة الوجود من الاقطار الشاسعة والبلاد البعيدة وقد أحضر له اخوه فى يوم واحد ألفى سمكة وسبعة آلاف طائر من أغرب الطيور واندرها وجودا وطبخها له وأحضرها على مائدته ليشكره على ذلك فاستخف بها ايطالس وبالغ فى السعى حتى تسنى له ان جلب أكثر من ذلك وأعظم اظهارا لاقتداره وعلو نفسه

ولما لم يكن له هم سوى بطنه وقد ترك أمور البلاد وشؤن المملكة غير ناظر الا لاشباع جوفه قامت عليه الرعية والوجهاء والاعيان ونادوا بخلعه فوافقتهم العساكر الرومانية والايالات المشرقية والديار المصرية وأجمعوا على مبايعة الامير وسپاسيانوس القائد الشهير فلما أحس ايطالس بذلك أمر قواده بقتال وسپاسيانوس والاحزاب فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا عنيفا فانهزم أصحاب ايطالس وولوا مدبرين وأتى له الخبر بانكسار أصحابه وهزيمتهم وكان نائما تحت ظلال الاشجار كالبهيمة السائمة فلم يتحرك ولم تأخذه آخذة من الغم فلم يشعر الا وجنود وسپاسيانوس قد احتلت رومة فهرب عند ذلك واختفى فى بيت لاحد حجابه فهجموا عليه وأخذوه ثم ساقوه الى أحد الميادين العامة وضربوا عنقه فى ليل ذلك اليوم فكانت مدة حكمه ثمانية أشهر أنفق فيها فى مطبخه ماقيمته نحو مائتى ألف ألف درهم ولم يأت فى هذه المدة بشئ غير التغالى فى جلب المآكل النادرة الوجود من البلاد البعيدة فسبحان من أودع فى كل قلب ماشغله

(فى الملك وسپاسيانوس قيصر)

ثم قام بالامر الملك وسپاسيانوس قيصر بويع بالملك فى اليوم الذى قتل فيه ايطالس قيصر سنة تسع وستين للميلاد أى نحو سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قبل الهجرة وكان سبب توليته هذا المنصب هوان السلطة الرومانية منذ أن صارت ملكية الى هذا الحين كان قد مضى عليها خمسون سنة وهى محافظة على ما كان لها من العز والفخر وبعد الكلمة ثم مالت بعد ذلك بتعاقب القياصرة الذين لارأى لهم ولا حزم عندهم الى الانحطاط والضعف وتنازلت عن درجتها القديمة وعن رفعة الشأن فتلاعب بها أخصامها داخلا وخارجا فكانت دولة فارس تغير على ملحقاتها المشرقية الكرة بعد الكرة وكان اليهود من رعاياها فى فلسطين يعتقدون ان حكم دين المسيح قد آن وقته وان لابد من زعزعة أركان الدولة الرومانية عاجلا أو آجلا فكانوا لذلك لا ينكفون عن القيام واثارة الفتن ويرفعون راية العصيان ويقاتلون ولاة الامور

قصد التخلص وكانت الايالات الاخرى تحاول مثـل ذلك وترغب فى الاستقلال وقد قام الامير قيو وبليس الفلمنكى وتحزب مع ايالة جرمانيا وطالب الدولة الرومانية بانفصال الايالة الغالية وما يتبعها وكذلك قام غـيره من بقيـة الايالات حتى كادت الدولة تنحـل وتمزق وكان فيها عائلتان شهيرتان بالجد والبأس والكلمة احداهما تسمى العائلة الغلوية والثانية تسمى العائلة الانطونونية فاجتهدتا فى رفع شأن الدولة واحيـاء كلمتها وأعادتا ما كاد يذهب من رونقها وعقدتا الخناصر على ذلك وكان وسپاسيانوس هذا رأس العائلة الغلاوية وكـبيرها ولـكنه لم يكن صاحب مظهر بل كان يألف الخمول ولذلك لم تكن شهرته واسـعة ولاصيته بعيدا اذ كان جـده من أحد ضباط الجنود فى خدمة بومبيوس وكان أبوه صيرفيا وأما وسپاسيانوس المذكور فقد كان بطلا باسلا ومقداما فاضلا له الحظ العظيم فى الفضائل العسكرية والنصيب الوافر فى المعارف الملكية وكان عصاميا لاعظاميا ولـكن كان فيه بعض الشح والبخل وكان له مودة كبيرة ومداخلة مع طبياروس الاسرائيلى نائب مصر فلهذه الاسباب كلها و بغض الرعية فى ايطالس قيصر توسط طبياروس نائب مصر فى مبايعته وخلع بيعة ايطالس وحمل ديوان الاسكندرية على الاعتراف بولاية وسـپاسيانوس المذكـور وسبق جميع دواوين الايالات الرومانيـة فى ذلك فبايعه وتم لوسپاسيانوس الامر ولـكنه لم يحفظ هذه الفعلة لطبياروس بل أنكرها و جازاه عليها بقتله اذلم يعض على توليته الملك الاستئذان حتى أمر بقتله وولى مكانه على مصر لو بوس وذلك سنة سبعين للميلاد أى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة قبل الهجرة

ولما آل الامر لوسپاسيانوس المـذكور ضاعف الخراج وزاد العوائد وجاوز الحـد فى ضرائب الأموال واحـداث المكوس التى لم تكن قبـل عهـده وبلغ من طمـعه انه كان لايستحى ان يقاسم خدمه وحشمه وأتباعه فى الاموال المستفادة لهـم من الشفاعات وكان لايقيم عمـاله الامن المشهورين بالطمع والبخل والشح فاذا استغنى أحدهم مال عليه وصادره واستـصفى ماعنده وكان يشبه عمـاله بالاسفنج ويقول ان الاسفنج اذا عصر خرج مافيـه من المـاء فكذلك الولاة والعمـال وكان مع ذلك حسن التدبير عظيم الرأى مسموع الكلمة قوى السـلطان شديد البأس فى القبض على زمام الحكومة وسـد أبواب خللها فأحبه الرومانيون كثيرا ومالوا اليه وفرحوا به فزاد هـمة وإقداما وأكثر من الاصـلاحات النافعـة والاعمـال الجسيمة فازدانت به أيامه وافتخرت بأحكامه ثم نظر الى الفتوحات والغـزوات فغزا بيت المقدس وفتحه واستولى عليه بعد قتال مع اليهود عنيف جدا وكان أقام ولده طيطوس على حصـاره وعاد هو الى ايطاليا فضـيق عليه وشدد حتى أخذه عنوة وهلك فى هذه الواقعة من اليهود مائة ألف نفس بالقحـط والاسر فكانت هـذه الحـرب تمام تخريب بيت المقـدس ونهايتها كما أنذر المسـيح رسله حيث قال لايبقى من هـذه المدينة حجـر على حجر فهكذا كان ومن هذا الحين تفرق شمل اليهود فى الآفاق وتمزقوا كل ممزق وانتشروا فى الاقطار وتفرقوا أيدى سبأ شرقا وغربا وانقرض ملكهم ولم يقم لهم بعدها قائمة فى شام ولا مصر ولا عراق

ولما افتتح طيطوس بيت المقدس وظفر باليهود وقهرهم عاد اليه جميع النصارى الذين كانوا عبروا الاردن وبنوا كنيسة به واستوطنوا فيه آمنين مطمئنين فكان الاسقف فيهم يومئذ سمعان ابن عم يوسف النجار خطيب مريم أم يسوع المسيح وهو الثانى من أساقفة القدس

ومع ما اتصف به وسپاسيانوس الملك من حسن السياسة واشتهر به من العدل فان مصر لم تسلم فى أيامه من الجور والعسف بما جدده فيها من المغارم والمكوس التى لم تكن من قبل ووكل بجمعها أرباب الخيانة من أعوانه فكانوا لا يرعون للمصريين إلا ولا ذمة ولا يرحمون فيها ضعيفا فشكوا أمرهم لوسپاسيانوس وتظلموا فلم يقبل منهم صرفا ولا عدلا فكانت شدة عظيمة للغاية

ومرض وسپاسيانوس مرضا شديدا جدا فكان يتجلد ولا يتأوه من علته وطال مرضه مدة فلما احتضر دخل عليه كاهنه فقال له وسپاسيانوس معرضا بمعتقد الرومانيين قد آن وقت تقديس نفسى بالروحانية ونظمى فى سلك الارواح العلوية وكانت عادة الرومانيين انهم اذا مات ملكهم روحنوه ونظموه فى سلك العلويات وعدوه فى عداد الروحانيات فلما شعر بخروج روحه من ضلوعه تجلد وتوكأ على يدى زوجته واستند وقام من فراشه على أقدامه وقال ويحك يازمان يجمل بالقيصر ان لا يموت الا قائما فخرجت روحه لوقته وله من العمر تسع وستون سنة وذلك سنة تسع وسبعين للميلاد أى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه عشر سنين وتولى بعده ابنه طيطوس وكان فى أيامه المتولى أمر البطريكة بمدينة الاسكندرية حنانيا ثانى بطاركتها بعد مرقس الحوارى كما تقدم الكلام عليه فى محله ولم يحصل فى أيامه للنصرانية أمر يذكر

(فى الملك طيطوس قيصر)

ثم قام بالامر ابنه طيطوس قيصر بويع بالملك سنة تسع وسبعين للميلاد أى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قبل الهجرة وكان قبل توليته لا يعهد فيه الا القسوة والجبروت والسفاهة والاسراف ووضع الامور فى غير موضعها لاسيما مابدا منه عند حصار بيت المقدس وما فعله من كثرة القتل واراقة الدماء والاسر والنهب حتى قيل انه عقل بجميع الخوارج الذين كانوا فى نواحى بيت المقدس مع الاسرى وكان يلقى منهم كل يوم للسباع فريسة الى أن أفناهم فلما صعد على سرير الملك سلك مسالك العدل والرشد وحسنت حاله وحمدت خصاله وحكم بالعدل والاحسان وقرب منه أهل الفضل وصلحاء الناس وكان عالما عاملا فهامة عارفا باليونانية واللاطينية وكان ملازما دائما للخير مخالطا للناس غير محتجب عن أصحاب الحوائج وطرد من

ديوانه بطانة السوء وأهل السخرية وتنزه الا عن معاشرة أرباب الفضائل فأحبته الرعية حبا شديدا ولقبوه بنعيم الدنيا

ويحكى انه مضى عليه يوم ولم يعمل فيه عملا صالحا لرعيته فصاح فى الليل قد مضى يومى هذا سدى فوا أسفى واحزنى *ووقعت فى أيامه حادثة انفجار بركان ايطاليا أى جبل النار المسمى (وزوف) وكان انفجاره عقب زلزال عظيم جدا وانفتحت منه فرجته فصارت تقذف المواد الملتهبة والرماد الغزير حتى غير الفضاء واغبر شكله وكان على مقربة منه مدينتان عظيمتان احداهما تسمى (هرقولانوم) والثانية تسمى (بومبايس) فوصل اليهما ماقذفه هذا البركان من المواد الجرية والرماد وتراكمت عليهما هذه المواد حتى اغرقتهما وغطتهما وكان فى هذا العهد (بليابس) الا كبر الحكيم الطبيعى حيا فذهب ليستكشف حقيقة هذه المواد واسباب هذا الحادث الغريب ودنا من البركان فهلك ولم يبق له من أثر قلت وما زال هذا البركان يهيج الى يومنا الذى نحن فيه ويقذف مافى جوفه من المواد النارية

وبعد حدوث هذا الحادث بنحو السنتين مرض طيطوس الملك بالحمى فدخل الحمام فمات فيه فجأة وذلك سنة احدى وثمانين للميلاد أى سنة احدى وأربعين وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه سنتين اثنتين وشهرين وكأنما كان ظهوره فى الدولة الرومانية ليتم ماانذر به المسيح من خراب بيت المقدس وليكون قدوة لملوك الرومانيين فى التحبب الى الرعية فقد كان عاقلا متواضعا لايحب العظمة ولا يميل الى التفاخر يذهب بنفسه بدون خدم ولا حشم الى حيث أرباب المجلس ليستشيرهم فى أمور الدولة واحتياجات الرعية والبلاد ويذهب وحده الى الميادين العامة بين الاهالى على اختلاف طبقاتهم لسماع المواعظ والخطب الادبية وكان يحب رعيته جدا وهم يحبونه حبا شديدا فلما مات خلفه أخوه دوميطيانوس

(فى الملك دوميطيانوس قيصر)

ثم قام بالامر أخوه دوميطيانوس قيصر بويع بالملك يوم موت اخيه طيطوس سنة احدى وثمانين للميلاد أى سنة احدى واربعين وخمسمائة قبل الهجرة ولم يستقر به المنصب حتى ظهر للناس انه هو الذى قتل أخاه طيطوس بالسم مع انه كان قبل توليته يظهر الادب ويتظاهر بطيب الاخلاق وحسن السيرة والرفق ولين الجانب وغير ذلك من المظاهر الكاذبة فلما قبض على زمام الملك عاث وظلم وطغى وتجبر فكان اشبه بنيرون الطاغية فى الميل الى اللهو واللعب والمصارعة والتولع بسفك الدماء والجراءة على قتل النفوس البريئة قال بعض أهل التاريخ وكان

اذا لم يجد من يقتله من الناس اشتغل بنخس الذباب حتى لايخلو طرفة عين من اذاقة خلق الله طعم العذاب وكان شديد الجبروت يخترع للعقوبات طرائق متنوعة لم تخطر على قلب بشر وكان اذا أراد قتل انسان فى غده أحضره عنده ليتناول معه الطعام و بالغ فى اكرامه * وكان له قائد ماهر فى الحروب اسمه اغريقولا فسيره لغزو الابريطانيين الذين هم الانكليز فحمل عليهم وغزاهم بعسكره وانتصر عليهم انتصارا كبيرا وسخرهم للرومانيين وعاد الى رومة ومعه مالا يقدر من الغنائم وخلق كثير من الاسرى فلما دخل رومة وهو على هذا الحال من الابهة والانتصار غار منه الملك وحقد عليه وخشى من عاقبة امره فاستدعاه عنده يوما وسقاه كاسا مسموما فمات لوقته فحقد على الملك لذلك جميع الامراء واهل البلاد وأبغضوه بغضا كبيرا وتمنوا موته وتحرك بعد هذه الغزوة الى قتال ملك الفلاق والبغدان وجهز له الجند وساقهم لقتاله فلاقاه ملك الفلاق فلما احتدم بينهما القتال ترك دوميطيانوس عساكره واهمل أمرهم ولم يعدهم بالميرة ولا الزاد ولم يسعفهم بشئ من معدات الحرب فانخذلوا وانكسروا وانتصرت عساكر الفلاق عليهم وأسرت الكثير منهم وتعقبتهم حتى كادت تصل الى اسوار رومة فشق هذا الامر على الرومانيين وهاجوا ولم تخلص المدينة من مضض التضييق الا بدفع الخراج لملك الفلاق والبغدان فأغرى الاهالى أميرا اسمه اصطفانوس بقتل دوميطيانوس والتخلص منه فقام اصطفانوس المذكور ودخل على الملك بوسيلة كتاب حضر به لديه وناوله الكتاب ففضه وبينما هو يقرؤه انقض عليه وطعنه بخنجره فازهق روحه وكان ذلك سنة ست وتسعين للميلاد أى سنة ست وعشرين وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه نحو ثلاث عشرة سنة وبموته انقرضت العائلة الغلاوية وقامت بعدها العائلة الانطونونية وسنأتى على ذكر ملوكها واحدا فواحدا

وفى أيام دوميطيانوس هذا مات حنانيابطرك الاسكندرية بعد ان أقام فى وظيفته اثنتين وعشرين سنة وكان موته فى العاشر من هاتور سنة سبع وثمانين لظهور المسيح

وأقيم بعده ميليو وهو ثالث بطاركة الاسكندرية وقد كثر النصارى فى أيام ميليو المذكور وغوا وعاد الكثير منهم الى بيت المقدس بعد خرابه على يدى طيطوس بن وسباسيانوس كما تقدم بيانه فى محله واستوطنوه وعمروا ربوعه التى كانت اندرست معالمها وانمحت آثارها قال بعض أهل التاريخ وكان يقال بأن دوميطيانوس هذا هو ابن أخت نيرون قيصر ولذلك كان غشوما كافرا مثله وقد كان أمر بقتل جميع النصارى كما فعل خاله نيرون وحبس يوحنا الرسول مكبلا بالحديد وأمر بقتل جميع اليهود الذين من نسل داود حذرا من ان يقوم منهم ملك وكان يشدد عليهم الوطأة وقتل أبناء ملوكهم كافة ولم يبق منهم أحدا وكان يتعقب النصارى و يفتك بهم لانه علم بأنهم يقولون ان المسيح يأتى ثانية فيملك جميع العالم وبحث عن أولاد يهوذا بن يوسف أحد الحواريين فحملهم الى رومة مقيدين بالاغلال وسألهم عن مجىء المسيح فقالوا انما يأتى عند انقضاء العالم فخلى عنهم وفى الثالثة

من

من ملكه طردميليو بطرك الاسكندرية وأقام غيره * قلت وهذه الرواية لم يقم على صحتها دليل ولم تتناقلها أقلام الكتاب ونفى من رومة جميع الفلاسفة والمنجمين وأمر ان لا يغرس بها كرم ولما مات تولى بعده الملك (نيرو) قيصر وهو رأس العائلة الانطونونية

(فى الملك نيرو قيصر)

ثم قام بالامر بعده نيرو قيصر وهو رأس العائلة الانطونونية بويع له بالملك فى اليوم الذى قتل فيه دوميطيانوس سنة ست وتسعين للميلاد أى سنة ست وعشرين وخمسمائة قبل الهجرة وتحرير الخبر انه لما تحزب جمهور الرومانيين على قتل دوميطيانوس انضم المجلس الرومانى الى المتحزبين بعد هلاكه ليولوا غيره فاجتمعت كلمتهم على تولية نيرو هذا وكان شيخا ايطالىّ المولد كريدىّ الاصل والجنس يبلغ من العمر سبعين سنة وكان فى السياسة جليل المذهب حميد الرأى يميز الغث من السمين ولكنه كان ضعيف القلب فاتر الهمة لا يقوى على تنفيذ الاعمال فلم يستقر به المنصب حتى قامت عليه الرعية وكادت تخلعه حيث لم يكن من بيت الملك فتدبر أمره واستمال اليه (أولبيوس طريانوس) حاكم بلاد جرمانيا السفلى ثم تبناه وأشركه معه فى الملك فركب الامير أولبيوس طريانوس المذكور على الاحزاب ومزق شملهم وقتل كبارهم ومحا أثرهم فتمكنت شوكة نيرو وعلت كلمته وهابه الناس فأحسن السيرة وعدل وأمر برد من كان منفيا من المسيحيين وأباح لهم التمسك بدينهم وأرجع يوحنا الانجيلى الى مدينة أفسوس بعد سجنه ست سنين ومحا نيرو آية الظلم والجور وسلك سبل العدل والسداد فكان يصفح عن الجانى وعفا عن قتل الذين اتهموا بالعصيان والخروج عن الطاعة وعاقبهم بالنفى وأجلاهم عن البلاد لدفع الريبة ثم قتل العبيد والعتقاء الذين وشوا بساداتهم اضرارا بهم جزاء ارتكابهم النميمة فى حق مواليهم

ولما تمكن من الملك واستقر به المنصب ودانت له الامور وعلت كلمته لم يمض عليه بعد ذلك أكثر من ثلاثة أشهر حتى مات حتف أنفه فى سنة ثمان وتسعين للميلاد أى سنة أربع وعشرين وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه سنتين اثنتين وتولى بعده شريكه أولبيوس طريانوس

(فى الملك أولبيوس طريانوس قيصر)

ثم قام بالامر بعده أولبيوس طريانوس قيصر سنة ثمان وتسعين للميلاد أى سنة أربع

وعشرين وخمسمائة قبل الهجرة وكان يوم وفاة ((نيرو)) قيصر متغيبا فى الاقاليم الفرنجية التى على نهر الرين فأخذ له البيعة أرباب مجلس رومة وبعثوا اليه فتأخر عن الحضور وبالنسبة لما كان له فى قلوب الرعية من الهيبة والوقار وعظم الصولة لم تقم فى غيبته عن تخت الملك فتنة ولا حصل خلاف فى بيعته

وكان مولد طريانوس المذكور بمدينة مالقه ببلاد الاندلس وقد اشتهر بترفع النفس والافضلية على جميع أمراء الدولة الرومانية وكانت جميع الرعية تشهد بعلو درجته فى المزايا العسكرية فلما قدم الى مدينة رومة عقدواله موكبا مجردا من الابهة والطنطنة فدخل المدينة غير مختال ولا معجب بمنصب السلطنة بل ماشيا على الاقدام وكان يبش فى وجه كل من يراه مقبلا للتهنئة باسطا يده لمن أراد تقبيلها شاكرا لارباب الادعية والاثنية وما زال حتى استقربه الجلوس فأقبل الى الحاضرين بوجه باش وقال أحب ان أصنع مع جميع الناس ما كنت أحب أن يصنعه معى قيصر رومة لو بقيت فى أيامه معدودا من آحاد الناس فما أحبه لنفسى أحبه لاهل وطنى وأبناء جنسى

ولما استقر به المنصب بذل الهمة والجهد فى اصلاح شؤن البلاد حتى أعاد لها فخرها القديم وأرجع مافقدته من المزايا والحقوق التى كانت لها على عهد الجمهورية وأباح لمجالس الاحكام التصرف بما تقتضيه مصلحة البلاد ورخص للقضاة والحكام السلطة الغير المحدودة كل بحسب وظيفته ونهى عن أن يحكم القضاة على الغائب فى المواد الجنائية لان القضاء على الغائب الذى لايدفع عن نفسه يعتبر فصل نزاع بدون اثبات ولذلك قال طريانوس فى هذا الشأن ان أصول الاحتياط ترجح جانب البراءة على جانب الجناية فلا يصح أن يحكم بعقوبة على متهم غائب لان الاصل عدم الجناية يعنى ان الغائب المتهم الذى يراد الحكم عليه بالجزاء يحتمل أن يكون مذنبا كما يحتمل أن يكون بريئا ولكن المرجح جانب البراءة لانها الاصل

وكان طريانوس المذكور حسن التدبير والادارة متبصرا فى عواقب الامور فخفف المكوس والعوائد وأنشأ القناطر والجسور ومهد الطرق والعقبات وجدد المين وأحسن مواقعها ومنها مينا انكونة على جون البنادقة بايطاليا لتكثير التجارات والمعاملات وأنجز هذا العمل الجسيم فى سنة لاغير فقام له أرباب ديوان رومة والاهالى ببناء هيكل بمدينة أنكونة لتخليد ذكره وبقاء اسمه وجدد طريانوس كثيرا من المبانى النافعة وأنشأ مكتبة عظيمة للغاية وأقام فى مدينة رومة العمود المشهور المسمى ((الطريانوس)) وهو من الرخام الابيض ورسم عليه الحروب التى وقعت بين الرومانيين والفلاق والبغدان وجميع ماجرى من نصرة الرومانيين عليهم فى تلك الازمان

وكان لايخالط الا أهل الادب وذوى الفضائل ولايحضر مجلسه الامشاهير الرجال وأكابر أهل الفضل والامتياز من الابطال وكان لارباب القضاء عنده منزلة عظيمة كما أنه كان يجل كثيرا أرباب

الحكمة والفلسفة ومن المقربين اليه الحكيم بليناس الاصغر وكان هذا الحكيم من فحول الكتاب فجمع مناقب طريانوس قيصر هذا تذكرة للمتأخرين

وغزا طريانوس بلاد الفلاق والبغدان وتغلب عليها وضمها الى الممالك الرومانية فاشتهر أمره وبعد ذكره فى الآفاق فبعث اليه ملوك الهند سفراء يهنؤنه بهذا الانتصار ثم استعمل على الافلاق والبغدن بلنياس الحكيم المذكور فأحسن تدبيرها ووردت الى طريانوس الاخبار بخروج عرب الحجاز لشن الغارة على أملاك رومة المشرقية لقصد النهب وسبى النساء والاطفال وانهم قد تحركوا لذلك فسار الى آسية فى كثير من عساكره وركب عليهم وقاتلهم فوقع بين الفريقين قتال عنيف وبذل العرب الجهد وأظهروا الشجاعة فهزمهم طريانوس شر هزيمة وملك الاقطار الحجازية وضمها الى أملاك رومة وذلك سنة عشر ومائة للميلاد أى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة قبل الهجرة وقام بعساكره بعد هذه الغزوة بسنة الى بلاد فارس وغالبهم على ملكهم وأخذ أرمينة والجزيرة وبلاد الاكراد والعراق واليمن فزادت شهرته وعلت كلمته وهابته الملوك واجتمعت قلوب رعيته على محبته فسموه ((افطينوس)) ومعناه القيصر الكامل ولم تتحد كلمة جماعة المؤرخين على ذمه فى شئ ما الا ما اضطهاده للمسيحيين وتبديد شملهم فى الآفاق وقتله لسمعان بن كلاويا أسقف بيت المقدس واغناطيوس بطرك انطاكية فلاقى المسيحيون فى أيامه شدة عظيمة للغاية وتتبع أخبارهم بالقتل واستعبد عامتهم وسامهم الخسف واذاقهم مر العذاب وكان كثير الفتوحات والغزوات فجاء فى فتوحاته بالمشرق حتى دنا من البحر المحيط الهندى فلما قفل راجعا الى رومة أدركته المنية فى طريقه فمات حتف أنفه سنة سبع عشرة ومائة للميلاد أى سنة خمس وخمسمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه تسع عشرة سنة وكان له آثار عظيمة جدا بالديار المصرية فحزن عليه جميع الرومانيين وغيرهم ممن حضر بلادهم كما حزنوا على طيطس من قبله

وفى عهده كتب يوحنا إنجيله ببعض الجزائر فى السنة السادسة من حكمه * وكان قد رجع اليهود الى بيت المقدس وكثروا فيه وصمموا على الانتقاض على طريانوس والخروج عن طاعته فبعث عساكره لحربهم فطالت الحرب بينهم وقاموا على كثير من المدن التابعة لرومة وحاربوها أيضا وزحفوا على مصر والاسكندرية وحاربوا من فيهما من العساكر الرومانية وقهروهم وأخرجوا من الاسكندرية لويوس نائب مصر فأرسل اليهم طريانوس بدله مرطيوس مع جيش عظيم جدا فاشتدت الحرب بين الفريقين لاستمرار الفتن الداخلية المترتبة على المنازعات الواقعة بين يونان ويهود الاسكندرية وذلك لما بين الفريقين من العداوة واستمرت الحرب سجالا الى ان ملك أدريانوس قيصر وفى أيامه مات ميليو ثالث بطاركة الاسكندرية بعد ان أقام بطركا اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر على المشهور وهذا يدل على عدم تغييره فاقيم بعده كريتانو وهو رابعهم وكان من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله وبموت طريانوس قيصر المذكور خلفه ابن عمه ادريانوس قيصر

(فى الملك ادريانوس قيصر)

ثم قام بالامر ابن عمه ادريانوس قيصر بويع بالملك بعد موت طريانوس سنة سبع عشرة ومائة للميلاد أى سنة خمس وخمسمائة قبل الهجرة * وتحرير الخبر أنه لما مات طريانوس ولم يعقب ولدا استخلف العسكر بعده ابن عمه ادريانوس المذكور وبايعوه بالملك وكان يومئذ قائد جيوش الديار الشامية فلما بايعته العساكر بايعه أيضا أرباب المجلس والوجهاء والاعيان واستقر به المنصب فكان متباين الاحوال متناقض الخصال اذتارة يكون حليما وأخرى غضوبا وطورا يميل الى الفضائل وآونة الى القبائح والرذائل وكان لايحب الحروب ولا يميل الى الغزو وتوسيع نطاق البلاد بل يؤثر السلم والدعة والمحافظة على حدود بلاده وكان فى أكثر أيام ولايته جوابا ينتقل من ناحية الى أخرى وأكثر من الزيادة فى الضرائب والمكوس وضرب على جميع الاشياء مغارم أخرى فادحة ولم يساوه أحد من أسلافه فى الاكثار من تشييد العمارات والمبانى الجسيمة وكان يحب المعارف والآداب وله فيها مشاركة كبرى وكانت عيشته فى قصره عيشة هنيئة جدا وأشرك معه فى حكم البلاد رجلا يقال له قومودوس ويروس من أسافل الخلق فوسمه لذلك الناس بخلل العقل والطيش وغضبوا عليه وقالوا انما أشركه معه لانه اخترع له صنفا من الفطير لذيذ الطعم يستطيبه الفم ونوعا من الفراش يمتد على بساط من الورد فى وسط الروائح المعطرة فوقع هذا الاختراع لديه موقعا عظيما فكافأه بهذا الاحسان الجسيم

وكان ويروس المذكور أشبه بالنساء فى المحادثة وقد اخترمته المنية قبل ادريانوس الملك بقليل من الزمن فاشرك بعده طيطوس انطونين وقد فرح الناس بموت ويروس المذكور وخلاص البلاد منه

وكانت أيام ادريانوس كثيرة الخير والبركة على الديار المصرية الا أنه قد وقع فى خلالها بالاسكندرية فتنة عظيمة جدا بعد اخماد نار فتنة اليهود بها وذلك أنه ظهر فى ذلك الحين بديار مصر عجل جديد على شكل العجل (ابيس) معبود المصريين وكان المصريون اذا مات عجلهم اجتمع الكهنة منهم وغير الكهنة وتداولوا بينهم فى أمر المكان الذى يوضع فيه هذا العجل لتربيته ورضاعته حتى يتحققوا من ألوهيته وماهيته فكثر لذلك الجدال والخلاف فى تعيين المدينة أوالقرية التى يقيم بها العجل المذكور وقامت لذلك الحرب بينهم على ساق واشتد ضرام الفتنة وعلا لهيبها فى جميع البلاد لاهمية هذا الامر لديهم

فلما طرقت مسامع ادريانوس هذه الاخبار وكان يومئذ باقليم فرنسا سار مسرعا الى مصر ودخلها بعسكره وأخمد نار الفتنة وأزال الجفوة من بين المصريين واليونان واتخذ مدينة الفرما مقره وأصلح بناء تربة بومبيوس وزينها باجمل زينة ثم ساح فى ارجاء مصر

ففرح الاهالى به وضربوا السكة باسمه تخليدا لذكره وكانت هذه السكة من الحديد والرصاص فنقشوا عليها تاريخ سفره وصورة مدينة الاسكندرية على شكل انسان يستقبل الملك وهو قادم فى سفينة وصوروا القيصر يستقبل الزائرين من أهالى الاسكندرية كأنه يمد يده للاسكندرية وتمد يدها اليه على سبيل المصافحة وصوروا على تلك النقود موكب القيصر وتقريبه للقربان وكذلك رسموا عليها من الجهة الاخرى سير القيصر على النيل وهو فى سفينة مقدمها على شكل قرن الخصب واليمن وضربوا سكة أخرى عليها صورته وصورة زوجته (سابينه) وعليها تاريخ ابتداء ملكه على المملكة الرومانية

ويحكى أنه أثناء سفره فى النيل مما يلى الصعيد مات ولده انطنيوس فحزن عليه حزنا شديدا جدا ودفنه هنالك * وقد ساعد مملكة مصر على توسيع نطاق المعارف وتكثير العلوم وأنشأ فيها بعض العمائر ايذانا بقدومه الى مصر وكتب وهو يتجول فى انحاء البلاد رسالة الى صاحب له اسمه سريانوس من عظماء الرومانيين يقول قد استقصيت أحوال مصر واستقريت عوائدها واطلعت عليها اطلاعا كليا وكنت فى بادئ أمرى أخصها بالمدح وأتحاشى ذمها فتبين لى بعد التأمل والنظر أنها عبرة لمن اعتبر فهى طائشة لاتدوم على حال ولاتنكف عن المشاغبة والمنافرة لاسيما فى أمور الدين وما يتولد منها على أن من لم يعبد منهم الشمس والعجل أبيس عند نصرانيا مع انه ليس كذلك بل الذين يزعمون منهم أنهم أساقفة على دين المسيح هم كغيرهم من المصريين الذين يحترمون الشمس والعجل ولا فرق فى ذلك بين الاسقف وحاخام اليهود وكل قسيس أو راهب أو عامى له فى الشمس والعجل احترام كبير قال وقد يغلب على فكرى انه لو أتى بطرك من بطاركة النصارى الخارجين عن ديار مصر ودخل مصر لشارك أهلها فى التمسك بهذه الاحترامات الدينية وربما اعتقدوا أن العجل والشمس (والمسيح) انما هم أسماء مترادفة وانها فى الحقيقة شئ واحد

واعلم أن أهل مصر دون غيرهم يميلون الى اختلاف الكلمة ويسرعون الى الغضب لاقل سبب أما مدينة الاسكندرية التى هى دار الحكومة ومقرها فهى بلدة مثرية غنية كثيرة الخير والبركات وليس أهلها أهل بطالة وكسل وأغلبهم حاكة الكتان وهم ميالون الى الصناعة لايستثنى منهم الاعرج والاعمى ولا المصاب بأشد الامراض فلايملون الصناعة ولا يضيعون أوقاتهم الا فى الكسب وكلهم عارفون بوحدانية المعبود حتى العامة منهم والحرافيش ولو كانت مدينة رفيعة الدرجة فى التربية والمدنية زيادة عما هى الآن لسادت على جميع المدن ومع ذلك فهى بكثرة أهلها وزيادة مبانيها واتساع أراضيها تستحق بأن تكون كما هى عاصمة الديار المصرية ولذا لم أمنعها شيأ من حقوقها بل منحتها جميع مزاياها القديمة وزيادة لتكون آمنة مطمئنة ولم أخرج منها الا وقد صار أهلها يسخرون بابنى و بروس ولايخفاك مايصدر عنهم من المقال لمناسبة موت ابنى انطينوس فانا لاأتمنى لهم الاالتخمة بما عندهم

من الدجاج ليكسبهم كثرة الباه الموجب لقوة التوليد قال والا فصاح عن ذلك بأكثر مما قلته يخل بالادب والحياء والواصل لكم بعض كؤس وأكواب مختلفة الالوان قد أهداها كهان الهيا كل فوهبتها لك ولاخى ليطوف بها السقاة فى المواسم والمحافل وانما يجب على صاحبنا افريقانوس أن يحترس من أن يكثر من الشراب بها فيعربد فلا يدع هوى نفسه يستولى عليه ويستعبده انتهى

وقد اضطهد ادريانوس اليهود وأباد منهم خلقا كثيرا جدا وبنى بيت المقدس وسماه مدينة ايليا وكان شديدا على المسيحيين فقتل منهم خلقا كثيرا وأمر بعبادة الاوثان وألزم أهل مصر على مايقال بحفر خليج من مجرى النيل الى مجرى القلزم أجرى فيه الماء الحلو ثم ارتدم بعد ذلك وهذا الخليج هو الذى ألزمهم عمرو بن العاص أيضا بحفره حتى جرى فيه الماء ثم ارتدم ثانية فلما بنى مدينة القدس رجع اليها اليهود واستوطنوها فبلغه أنهم على عزم الانتقاض وانهم أقاموا عليهم زكريا أحدذرية ملوكهم فبعث اليهم جيشا وتتبعهم بالقتل وخرب المدينة حتى عادت صحراء وأمر أن لايسكنها يهودى وأسكن اليونان ببيت المقدس فكان هذا الخراب لثلاث وخمسين سنة من خراب طيطوس وهو الجلوة الكبرى وامتلأ بيت المقدس من اليونان فكان المسيحيون يترددون الى موضع القبر والصليب يصلون فيه فكان اليهود يرمون على هذا الموضع الزبل والكناسة ومنعهم اليونان أيضا من الصلاة فيه وبنوا هنالك هيكلا على اسم الزهرة

ثم مات ادريانوس الملك فى سنة ثمان وثلاثين ومائة للميلاد أى سنة أربع وثمانين وأربعمائة قبل الهجرة حتف أنفه

ومات فى أيامه كردونوس بطرك الاسكندرية فى حادى عشر برموده بعد مادبر الكرسى عشر سنين وكان حميد السيرة صافى السريرة ورعا تقيا ناسكا متعبدا محبا للفقراء والغرباء فخلا الكرسى بعده ثلاث سنين وقدم بعده ابريمو وهو خامسهم فأقام اثنتى عشرة سنة ومات فى ثالث مسرى وفى أيامه اشتد الامر على النصارى وضيق عليهم ادريانوس قيصر تضييقا عظيما وبالغ فى التنكيل بهم وقتل منهم خلقا كثيرا وقدم الى مصر وأفنى من بها من النصارى كما تقدم بيانه فى محله ولما مات ابريمو أقيم بعده يسطس وهو سادسهم وكان حكيما فاضلا محبا للخير وفعل البر وكان من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله ان شاء الله تعالى

ولما مات ادريانوس الملك خلفه فى الملك شريكه طيطوس انطينينوس قيصر

(فى الملك طيطوس انطينينوس قيصر)

ثم قام بالامر القيصر طيطوس انطينينوس شريكه بويع له بالملك فى اليوم الذى مات فيه

ادريانوس

لادريانوس سنة ثمان وثلاثين ومائة قبل الميلاد أى سنة أربع وثمانين وأربعمائة قبل الهجرة وكانت العائلة الانطونوية التى منها طيطوس هذا من أمة الغالية الذين هم أسلاف الفرنسيس من أهالى مدينة نيمة وكانت هذه العائلة مصاهرة لأعيان ايطاليا وكان طيطوس مشهورا بكرم النفس وحسن التربية ذكيا حاذقا مطبوعا على مكارم الاخلاق محافظا على أسباب الراحة فى البلاد واذاعة الامن بين صنوف الرعية فلما استقر به المنصب بذل النفس فى تقدم أسباب التجارة والصناعة والاعمال المهمة وكان يدقق النظر فى حسن الادارة والاقتصاد فى مصروفات المملكة فكانت فى أيامه الاموال مدبرة على وجه لم يسبق له مثيل وكان يسلك فى تدبير المملكة طريقة بسيطة خالية من كل زينة وبلغ الاقتصاد منه مبلغا عظيما حتى قيل انه لو تكفل بالانفاق على جميع الرعية على وجه السعة وعدم التقتير لأمكنه ذلك ثم انه أنشأ العمارات العظيمة والابنية الجسيمة النافعة للبلاد فكانت له هيبة عظيمة فى أعين جميع ملوك الامم ولم يكن فى وقته منهم من يساويه فى حسن السياسة والتدبير وظهر فى أيامه ببلاد الصين ملك اشتهر بالسياسة وحسن التدبير والحكمة اسمه (هيا كنغ تى) فكان هذا الملك يضارع طيطوس فى حب الرعية والميل الى عمارة البلاد فكان كثير الاهتمام بأمور الرعية وتحسين أحوالهم حتى حفظ له التاريخ ذكرا حسنا وظهر فى أيامه أيضا بديار مصر بطليموس المنجم صاحب الفلك * قلت وبعضهم يجعل ظهوره فى أيام البطالسة كما سبقت الاشارة الى ذلك عند الكلام عليهم * وكانت أيام طيطوس قيصر هينة لينة لاسيما فى ديار مصر اذ نالها منه مالامزيد عليه من العدل فكثرت بها فى أيامه العمارات الاهلية والمعابد الأ أن يونان الاسكندرية كانوا كثيرى الفتن والعصيان والخروج على الولاة والعمال وقد خرجوا على نائب القيصر يوما فقتلوه وبالغوا فى الفتنة الى حدّ لم يسبق له مثيل فقدم عليهم طيطوس فى جيش جرار جدا ودخل الاسكندرية منصورا مؤيدا فقمع العصاة وقتل الاحزاب وأعاد الامور الى سابق مجراها فهابه الناس وخافوا من بأسه وجبروته

ثم مات طيطوس حتف أنفه سنة احدى وستين ومائة للميلاد أى سنة احدى وستين وأربعمائة قبل الهجرة فأسف على موته جميع الرعية لما له عليهم من الايادى البيضاء لاسيما مدينة نيمه وبلاد الفرنسيس لانها كانت مسقط رأسه فخلفه صهره مرقوريلس قيصر

ومات فى أيامه يسطس بطرك الاسكندرية فى ثانى عشرى بؤنة بعد أن أقام عشر سنين ولم يقع فى أيامه من الحوادث الدينية مايستحق الذكر فخلفه (أوميانو) وهو سابعهم وكان حازما عالما تقيا محبا للفقراء وكان من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله

(فى الملك مرقوريلس)
(قيصر)

ثم قام بالامر مرقوريلس قيصر بويع له بالملك فى اليوم الذى مات فيه طيطوس أى

سنة احدى وستين ومائة للميلاد الموافقة لسنة احدى وستين وأربعمائة قبل الهجرة وكان متمسكا بمذهب زينون الحكيم الفيلسوف المتقشف فكان من شبيبته زاهدا ورعا متقشفا لاينام الاعلى الفراش الخشن مداوما على الاعمال الشاقة وكان قبل توليته قد اشتغل بالآداب والعلوم الفلسفية فاتسعت دائرة علمه واشتهر بالمعارف شهرة عظيمة فلما أتم علومه وتمكن منها دعى للملك ولما استقر به المنصب بنى على ماأسسه أسلافه الثلاثة من حسن السياسة والتدبير وتمم ماشرعوا فيه من المقاصد النافعة وزاد عنهم فى اتباع القوانين والتمسك بها وشدد فى اجرائها وأكد على العمل بموجبها

وأشرك معه بغير فكر ولاتأمل فى ادارة أمور المملكة ﴿ لوقيوس ويروس ﴾ بن ﴿ ويروس ﴾ الذى كان شريكا مع ﴿ ادريانوس ﴾ فنجم عن ذلك أمور كثيرة سنأتى على ذكرها فى محلها

وكانت أيام مرقوريلس المذكور وأحكامه حسنة ولولا ما وقع فى خلالها من الحوادث القضائية لعدت كلها من أسعد الايام على البلاد وأحلاها فقد وقع فى أيامه وباء عظيم جدا هلك به مالا يحصى من الخلق فكان لايوجد من الاحياء من يدفن جثث الموتى وفاض فى أيامه نهر رومة فأغرق جميع الاقاليم الوسطى بايطاليا وقحط الناس سنتين كاملتين واستسقى لهم المسيحيون يومئذ فاستجاب الله سبحانه لهم وأمطروا وكذلك تضرعوا وصلوا وصاموا فاستجاب لهم وارتفع الوباء والقحط وكان المسيحيون فى هذا الحين فى شدة زائدة جدا من مرقوريلس اذ كان قد تتبعهم بالقتل وأفنى منهم خلقا وهى الشدة الرابعة التى حلت بهم بعد نيرون الملك كما سيأتى الكلام عليها فى محله * وحصل أيضا فى أيامه زلزلة شديدة جدا اضطرب منها العالم بأسره وكادت تدمر المسكونة وأغار ملك العجم على أملاك رومة المشرقية وكذلك أغار الجرمانيون الساكنون بسواحل طونة على الاملاك المغربية وأكثروا من الكر والهجوم المتتابع حتى كادا يقتسمان المملكة ويأخذانها * وكانت مدينة رومة فى هذا الحين يحكمها حاكمان مختلفان فى الامر والنهى فى سائر أملاك رومة وتحرير الخبر أنه لما كان مرقوريلس الملك قليل الحزم حريصا بقدر الاستطاعة على شؤن البلاد أشرك معه فى تدبير أمور المملكة لوقيوس ويروس بن ويروس شريك الملك ادريانوس فكان لوقيوس المذكور فى خسة أبيه ويروس ودناءته مجردا من كل صفة جميدة وخصلة طيبة حيث قضى عمره فى الحانات ومحال اللهو واللعب فكان قلما يخلو من السكر والعربدة ومخالطة الاباوش فلما أغار العجم على ماجاورهم من أملاك رومة المشرقية فوض اليه الملك أمر دفعهم وطردهم وأناط به ايقافهم عند حدهم فقام ومعه قائد من القواد اسمه اويدوس قسيوس وكان من أشجع القواد وأكبرهم معرفة بفنون الحرب فسلم لوقيوس الامر اليه فركب أويدوس على الاعداء بجيوشه وهزمهم وطردهم وتتبعهم بالقتل حتى لجؤا الى حدودهم وحاز فخر الانتصار وشرف الغلبة وقد كان لوقيوس فى أثناء القتال يلعب

مع

مع أرباب الهزء والسخرية لايفكر فيما عسى أن يحل بالجيوش ولم يقترب قط من ساحة الحرب ولا علم بما جرى حتى أتاه أويدوس القائد وبشره بالنصر على الاعداء وكان أويدوس المذكور أميرا ماهرا حازما مشددا على جنوده قوىّ البطش متمسكا بالاصول العسكرية وكانت جنود المشرق المقيمون من قبل رومة فى الاقاليم قد ألفوا العوائد المشرقية من الخمول وفتور الهمة والكسل فكان قدوم أويدوس عليهم غاية فى الاهمية حيث أحكم سياستهم ودبر أمورهم وشدد عليهم فحسنت حالهم جدا

وكما أن لوقيوس وبروس قد أنيطت به حماية البلاد المشرقية ودفع العدوّ عنها فكذلك قام مرقوريلس شريكه لحماية البلاد المغربية والذب عنها من غارات القبائل الشمالية فوصل اليهم فى وقت الحاجة وذلك أن قبيلة (المرقومان) التى هى احدى القبائل المتبربرة كانت قد اجتازت جبال (البة) كأنها حمر مستنفرة تريد الاغارة على بلاد ايطاليا فسار اليها مرقوريلس وطردها وبدد شملها ومزقها كل ممزق فاستتب الأمن وتوطدت الراحة غير أنه لم يمض على ذلك الا ثلاث سنوات حتى قامت ثانية أمة الجرمان وانضمت الى قبائل أخرى متوحشة كقبائل (البدوان) وهم قبائل الاندلسيين والسربرة واللان وسارت الى ايطاليا للفتك بجيوش الرومانيين والتغلب على البلاد فبادر الملك مرقوريلس الى جمع الارقاء والمصارعين وجمع أهل الكسل والبطالة ونظمهم فى سلك العسكرية وباع جميع الامتعة التى فى دار الملك لنفقة الجنود وسار الى الاعداء بجيش جرار والتقى الجمعان فحاصرته القبائل هو وعساكره وأحدقوا به من كل جانب وقطعوا عنه الامداد والميرة وسدوا عليه المسالك وكاد يهلك هو وجيوشه عطشا وحرا وبينماهم على هذا الحال من الضيق والموت اذ هبطت الامطار وانهمل الغيث وأغاثهم المولى سبحانه فشربوا وارتووا وزال عنهم البأس وقاموا على الاعداء قومة رجل واحد فانتصروا عليهم وفازوا فوزا عظيما وأعملوا فيهم القتل حتى مزقوا شملهم وكان المسيحيون منهم قد استسقوا لهم بصفاء نية فاعتقدوا جميعا أنه لم تحصل لهم السقيا الا بدعاء القسوس والاحبار وقد آمن القيصر بذلك واعتقد صدقه وعدّه من كرامات الديانة المسيحية وقد كانت هذه الديانة عنده من أكبر الكبائر فكتب فى الحال الى مجلس رومة يوصيه خيرا بالملة المسيحية وأن لايحصل للنصارى من الآن شئ من التعدى والاذى وندم على ما فرط منه فى حقهم وأباح دخول الدين النصرانى فى جيشه فكثرت النصارى فى معسكره وانكف الاذى عنهم زمنا

ثم عاد الولاة والعمال فتعرضوا لهم فى غيبة الملك ومدت لهم يد العدوان وعلى الخصوص فى بلاد الغلية وكان المسيحيون قد كثروا فيها كثرة بالغة فأضعفوا قوة ظهورهم ودكوا شوكتهم غيرة وحسدا

وقد نقش المصريون على كثير من المبانى اسم مرقوريلس ولوقيوس تخليدا لذكرهما على ممر الايام وقام منهم فى أيام مرقوريلس ولوقيوس المذكورين عدة أحزاب قد شقوا عصا

الطاعة وخرجوا على النائب يومئذ وكان يرأسهم رجل اسمه «(ازيدور)» باغراء أحد الكهان المصريين فقاتل «(أزيدور)» وأصحابه عساكر الرومانيين فى جميع البلاد المصرية وهجم على مدينة الاسكندرية وقاتلها قتالا عنيفا جـدا فركب النائب وهو أوديوس قسيوس وقاتلهم وأجلاهم عن المدينـة وسار خلفهم حتى ظفر بهم وبدد شملهم تبديدا وتتبعهم بالقتل أينما حلوا حتى أوشكوا أن يفنوا عن آخرهم ولما رجع الى الاسكندرية مظفرا منصورا أخذته نخوة الانتصار وتاقت نفسـه الى الخروج والاستقلال بملك البـلاد فسعى فى طلب الملك واستمـال اليه الجنود فبايعه العسكر المصرى قيل وأعانته على ذلك زوجة مرقوريلس الملك حيث كانت تميل الى خلع زوجها لغرض من الاغراض

وكان لاوديوس قسيوس النائب المذكور ولد اسمه ميطانوس وكان نائبا على الاسكندرية فسعى فى أخذ البيعة لأبيه فأخذها ولم يتمكن أوديوس من المنصب الملوكى حتى قامت عليه العساكر وقتلته هو وولده ميطانوس فكفى الله مرقوريلس الملك شر القتال واستتب له الامر

وكان مرقوريلس كريم النفس رفيع الهمـة يعفو عن المذنب ويصفح عن الجانى وقام الى ديار مصر ليصلح ماأفسدته الفتنة من أحوالها فوصلها وقبض على رئيسى الخوارج الاثنين ونفاهما وعفا عن بقية الاحزاب واستجلب قلوب الاهالى واستمـال نفوس الرعية وعامل الجميع بحسن المعاملة فارتكز فى قلوبهم أمر مجـده وعلو همته وأحبوه محبة عظيمة جـدا ثم رجع الى غزو القبائل الشمـالية ثالثة اذ كان قد غزاهم غزوتين فلم تتم له الثالثة حيث مات بالوباء فى سنة ثمانين ومائة للميلاد أى سنة اثنتين وأربعين واربعمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه نحو تسع عشرة سنة

وكانت أيامه كأيام بقية العائلة الانطونية أزمان صلح وسعادة على الامة المصرية ولكنها لم تتمتع بهذه السعادة صافية بلا كدر باسـباب الفتنة العظيمة التى قامت فيها وطالت أيامها فأريق فيها من الدماء شئ كثير جدا وفى أيامه مات «(أومانيو)» بطرك الاسكندرية بعد أن أقام عشر سنين فأقيم بعده «(مركيانو)» وهو ثامنهم فلبث تسع سنين وسـتة أشهر ومات فى السادس من طوبة سنة خمس وخمسين ومائة للميلاد وكان عالما حبرا فهامة ورعا تقيا محبا للخير وأهله فأقيم بعـده «(كالاتيانو)» وهو تاسع بطاركة الاسكندرية وكان من أمره ما سيذكر فى محله

ولما مات مرقوريلس الملك كما تقدم تولى الملك بعده ابنه قومودس

(فى الملك قومودس)

(قيصر)

ثم قام بالامر ابنه قومودس قيصر بويع له بالملك فى اليوم الذى توفى فيه والده سنة

ثمانين

ثمانين ومائة للميلاد أى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة قبل الهجرة فكان لايؤمل من ظاهر حاله فعل شئ من الحسنات ولايرجى خيره لما ظهر منه من أيام صباه من الخشونة والجفاء وذلك انه طلب فى يوم من رئيس الحمام أن يهيئه له ففعل فدخل فوجد الماء بالغا من الحرارة حدّ الزيادة فغضب وأمر بالقاء رئيس الحمام فى نار المستوقد ويضاف الى هذا الفعل الشنيع أيضا كراهة الاهالى له واعتقادهم فيه العقوق والخشونة فانه لما كان مع أبيه فى غزوة النمسا ومات أبوه هنالك اتهموه بقتله وقالوا انه دس له السم فى الدسم فكان لذلك ولغير ذلك من الاسباب مغضوبا عليه وقد بويع له بالملك بمدينة فينا ببلاد النمسا فى وسط معسكر أبيه حيث كانت الحرب قائمة يومئذ هنالك كما تقدم وكان أبوه قد بنى بتلك الجهات قلاعا وحصونا وأعدها للتترس والدفاع فترك قومودس تلك القلاع وانسل من تلك البلاد وعاد الى رومة يختال بنفسه وبيده مرآة ينظر فيها الى حسنه ودخل المدينة بموكب عسكرى على هذه الحالة وهو فى وسط الموكب كانه المؤيد المنصور وكانت أيامه محفوفة بالمكاره فانه لعظم قامته وجليل هامته تعلق بصنعة البهلوانية ومال الى مصارعة أصحاب القوة والبأس فبرع فى هذا الفن وحارب بوماقيلا عظيما فضربه فألقاه على الارض قتيلا وقتل أيضا فى يوم واحد خمسة أفراس بحرية وفى هذا اليوم بعينه طعن أيضا مائة أسد بمائة سهم فقتلهم فزادت نفسه كبرا وعتوا وسمى نفسه «هرقول الرومانيين» تشبها بهرقول اليونان الذى تحكى عنه العجائب والغرائب فى قتل الغيلان وتنظيف البقاع من الاسود ولذلك شوهد اسمه معنونا فى بعض التواريخ بعنوان «هرقليانوس»

وكانت لاتهمه مصالح البلاد ولا حاجات خلق الله ولا يأنس الا بمجانسة المصارعين وأهل المحاطبة والمغالبة وكان يظهر معهم بمظهرهم فى المحافل بلا احتشام ولا كلفة وينازلهم ويصارعهم وهو متزى بزيهم * وكان فى مدينة رومة تمثال للشمس على صورة جسيمة للغاية فرفع قومودس رأس هذا التمثال ووضع مكان الرأس صورة شخصه وكتب على أسفل التمثال مامعناه

«قد انتصر قومودس على ألف مصارع ليخلد ذكر مهارته فى المصارعة»

ولم يعتكف أحد على هذه المثالب اعتكافه وكان اذا خلا بنفسه فى قصره قتل الناس بغير ذنب وأراق الدماء وكان مغرى بسلب الاموال والارواح مغرما باطماع نفسه واتباع هواه وكان يسلى نفسه ويروحها بتعذيب من يريد قتله من خلق الله فيخترع فى كل يوم نوعا من العذاب جديدا فلما ضاق الاهالى منه ذرعا قاموا عليه وخرجت العسا كرعن طاعته ودسوا الى معشوقته «مرقيا» فسقته سما فلم يؤثر فيه فلما شاع الخبر بذلك قام عليه أحد المصارعين وهو من أشدهم واسمه «نرجس» وطرح نفسه عليه وضمه بين ذراعيه وقدميه فتصارعا حتى صرعه وخنقه وتم مصرعه ففرح الناس بموته وبموته انقطعت العائلة الانطونية وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائة للميلاد أى سنة تسع وعشرين

وأربعمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه نحو ثلاث عشرة سنة وتولى بعده برطيناش قيصر الذى يقال له أيضا غرديانوس * ولم تكن ديار مصر فى أيام هذه العائلة فى حالة هناء وسعادة كما كانت من قبل فقد قامت فيها الفتن وتتابعت وعمت الاحن وخرجت الرعية على الولاة والعمال فقتلتهم وقتلت الكثير من الجند وفعلت مالايدخل تحت حصر * وكانت الديانة المسيحية فى أيام هذه الدولة آخذة فى النمو والانتشار وكان ملوكها يبيحون التمسك بها بغير تهديد ولاتشديد ومع ذلك فقد كان الدين المصرى القديم لم يزل مستعمما به وهو الكثير والغالب فكانت عبادة الشمس والقمر منتشرة فى البلاد يتبعها اليونان والروم والغرباء المتوطنون بلا فرق ولا خلاف

وفى أيامه مات (كادنينو) بطرك الاسكندرية فى التاسع من أبيب بعد أن أقام أربع عشرة سنة وكانت أيامه هادئة مطمئنة لم يحصل فيها للنصرانية ما يكدر صفو راحتها فقدم بعده (اغريبو) وهو عاشرهم وكان من الحوادث فى أيامه ما سيذكر فى محله

(فى الملك برطيناش)
(قيصر)
(او غرديانوس)
(قيصر)

ثم قام بالامر برطيناش قيصر سنة ثلاث وتسعين ومائة للميلاد أى سنة تسع وعشرين وأربعمائة قبل الهجرة وكانت مدته قصيرة جدا وتحرير الخبر أنه لما مات قودموس الملك اجتمع الاحزاب وبايعوا برطيناش هذا بالملك وله من العمر يومئذ ستون سنة وكان أبوه نجارا رومانيا من الموالى فرباه وأحسن تربيته فصار فى أول الامر معلما للغة اللاطينية وكان ذا همة عالية فلم يقنع بهذا العيش وانتظم فى جند انطنيوس قيصر واستخدم فى عسكر الشام ثم خدم و بروس الملك ففاق أقرانه واشتهر فى حروب العجم وغيرها من بقية الغزوات فلما تولى مرقوديس الملك كان يبغضه فى أول أمره ثم لم يلبث أن مال اليه وأحبه وجعله من أخصائه وأدخله فى أعضاء مجلس رومة ثم قلده قيادة فرقة من الجنود فهابه أعداء الرومانيين وصار له شهرة كبيرة بحسن السياسة فلقبه مرقوديس بلقب قنصل الرومانيين فلما استقر به المنصب ظهرت عليه علائم الحلم والدعة والتحبب للناس والميل الى العدل ولم يلبث أن أخذ يصلح شأن الدولة و يرتب أمور المملكة مع الحزم والتدبير فى الاموال وشيد أركان المعارف والعلوم بقدر

ماتقتضيه

ماتقتضيه مصلحة البلاد وقلل المصاريف الابقدر الحاجة فكان ذلك باعثا لاثارة خواطر الامراء عليه وعقدهم النية على قتله حيث سد عليهم أبواب الصرف والانفاق فاجتمع من الاحزاب المقاتلين ثلثمائة تحت رياسة أمير اسمه لوطوس واصطفوا صفوفا منتظمة وأحاطوا بقصره من جميع الجهات وقبضوا عليه وذبحوه فكانت مدة حكمه ثلاثة شهور ليس الا وتولى بعده ديديوس يوليانوس فى نفس هذه السنة فكان حظه من الملك كحظ سلفه كما سيأتى

(فى الملك ديديوس يوليانوس)
(قيصر)

ثم قام بالامر ديديوس يوليانوس بويع له بالملك فى اليوم الذى قتل فيه برطيناش سنة ثلاث وتسعين ومائة للميلاد أى سنة تسع وعشرين وأربعمائة قبل الهجرة وتحرير الخبر أنه لما قتل الاحزاب برطيناش الملك وخلا المنصب من ملك وولى عهد اجتمعت كلمة الامراء والاعيان وقواد الجنود على أن يضعوا المنصب الملوكى فى المزايدة وأن يلتزم به من يشتريه فيكون نوعا من المقاطعات الالتزامية يستفيده من يكثر فى العطاء ولما استقرت القاعدة بينهم على ذلك صعد على أسوار الرباطات العسكرية فى الشوارع والمسالك عدة أشخاص وأخذوا يصيحون على العامة وأبناء السبيل بالنداء ان المملكة الرومانية فى المزاد لمن يسوم فن تغالى فى الاموال تولى منصبها فحضر اثنان من السوام فى محفل المزايدة أحدهما سوليقيانوس صهر برطيناش الملك والثانى ديوديوس يوليانوس فسام الاول المنصب بخمسة آلاف من الدراهم على كل رأس رومانية وجعل العمدة فى ذلك على الفرز والاحصاء وأبلغه الثانى على كل رأس ستة آلاف ومائتين وخمسين فاستقر البيع للثانى فبايعوه فى الحال على التزام هذا الثمن و بايعه كذلك مجلس الاعيان رغما عما يعلمه من فساد هذا الامر ومغايرته للآداب والناموس

فلما استقر المنصب بديوديوس على هذا الوجه عقدواله موكبا وساروابه الى قصر الملك فقام عليه العامة واجتمعوا وصاروا يسبونه ويرجمونه ثم بعد قليل من الايام اجتمع العسكر المرابطون فى الحدود وانتقضوا على أمراء رومة وأعيانها وقوادها وبايع عسكر كل اقليم ملكا اختاره من قوادهم وكادت تتمزق السلطة كل ممزق فقد بايع العسكر الشامى قائده بالملك وبايع العسكر الابريطانى قائده كذلك وبايع العسكر الايطالى أميرهم سبطيمس سويرس ملكا على سائر الرومان وتفرقت الكلمة وتباينت الاغراض وكثرت المطامع وباتت أمور البلاد فى خلل وارتباك عظيمين وكان ديوديوس الملك فى هذا الوقت مستقرا برومة يتمتع بزهوة المنصب ويتصرف فى أمر الحكومة غير مبال بما يتهدده من الفتنة * وبينما

هو على هذا الحال قام عليه أعضاء المجلس الرومانى واتهموه بالخيانة وبفساد الامر وعملوا بالحكم عليه بالقتل فقتلوه فكانت مدة حكمه شهرين اثنين وقد اجتمعت الكلمة فى خلال هذه الحوادث على تولية سبطمس سويرس أمير العسكر الايطالى وقد ساعده الحظ بقرب معسكره لمدينة رومة وكان موصوفا بحسن التدبير وسداد الرأى فسار صوب رومة ليتم له الامر فبايعوه

(فى الملك سبطيمس سويرس)
(قيصر)

ثم قام بالامر سبطمس سويرس قيصر بويع له بالملك عقب موت ديوديوس الملك سنة ثلاث وتسعين ومائة للميلاد أى سنة تسع وعشرين وأربعمائة قبل الهجرة وكان من بلاد المغرب من مدينة (لمبوده) احدى مدن افريقية وكان قد تزوج بزوجة شامية قد اشتهر بها ولذلك قال جماعة المؤرخين انه أول سلسلة القياصرة الشامية وكان طاغية من طواغى ملوك الروم وكان فى أيام صباه يحب اللعب بمحاكاة حركات القضاة والحكام ويقلدهم فى ألعابه وهزلياته فكان يجمع أنداده من الصبيان ويجعل نفسه رئيسا عليهم ثم يوزع عليهم مصالح المحكمة ووظائفها ويصفهم على هيئة مجلس قضائى ويصعد على منبر القضاء ويصفهم أيضا حوله ويتذاكر معهم فى قضية يخترعها ثم يقول حكمت بذلك فلما تولى المنصب وكان يومئذ خارج مدينة رومة بادر بالمسير اليها ومعه جيش جرار يبلغ الستين ألف مقاتل فلما أشرف على المدينة خافه أعضاء المجلس وأرسلوا اليه من قبلهم رسلا ليهنؤه بالمنصب فلما وصلوا اليه وهم منهم وخشى أن يكونوا جاؤا لمكيدة وارتاب فى اخلاصهم نظرا لاخذه المنصب بغير استحقاق فأمر بهم ففتشوهم فلم يجدوا معهم شيأ فأمر بمثولهم بين يديه وأجزل انعامهم وبالغ فى اكرامهم فقبلوا انعامه خوفا منه ودخل المدينة بجيوشه غير مبال بما للمجلس من الحرمة والوقار وتكلم فى وسط أرباب المجلس بانه لايحكم الابالعدل ولايسلك الاسبل الانصاف فقبلوا كلامه ولكن على غير اخلاص وهيؤا له موكبا فسار حتى دخل القصر فى كبكبة وأصبح فجلس للنظر فى القضايا فكان أول شئ بدا منه هو ابطال جند الحرس الذين قتلوا برطيناش الملك وصرفهم الى أوطانهم وعاقب رؤساء تلك الفتنة ومهد أسباب الراحة ثم أخذ فى تنظيم أمور البلاد وترتيب أحوال الرعية وشدد على خروج جند الحرس وأمر بقتل من يتخلف منهم فى المدينة وانتخب خمسين ألفا من الابطال لحراسة تخته ورتب لهم أصولا جديدة

ولما كان لابدله من الخروج لقتال بسقنيوس نيجر قائد عساكر الشام ومصر والبلاد

المشرقية

المشرقيـة ﴿ وقلوديوس البينوس ﴾ قائد العسكر الابريطانى اللذين كانا خرجا طلبا للملك ولم يتم لاحدهـما أمر وكان لايتأتى له مقاتلة الاثنين فى وقت واحد مع استدعاء الحال لذلك رأى ضرورة مشاركة أحـدهما له فى سياسة البـلاد فأشرك معـه ﴿ قلوديوس البينوس ﴾ قائد العسكر الابريطانى ولم يشرك بسـقنيوس نيجر حيث كان عـدوّا ألد وخصما لايرد وحـدّه وكيل على الايوان القيصرى برومـة وكان بسـقنيوس المذكور قـد تربى فى العسكرية فى أيام ملك مرقوريلس فكان الجنود يحبونه جـدا مع شـدّته وحـدّته وكانت جميع الديار المصرية قائمة معـه على ساق وقدم وقد بايعته بالملك عليها وعلى جميع المشرق وكتب ديوان الاسكندرية على باب مدينة الاسكندرية ﴿ نيجر سيد هذه المدينة وصاحبها ﴾ فسار سبطيمس لقتاله سيرا حثيثا ليأخـذه غيلة فلما قدم الى مصر بجيوشه تمثل بين يديه أهـل الاسكندرية وازدحم على بابه عامة الناس ورعاعهم وأظهروا مزيد الفرح باقباله وصاحوا ﴿ نيجر سـيد هذه المدينة وأنت ياملك سيد نيجر ﴾ فاستعمل على مصر عاملا من أرباب مجلس رومة وكذلك على مدينة الاسكندرية نائبا من أعضاء المجلس المشار اليـه وخالف فى ذلك قانون أغسطس قيصر الذى لايبيح أن يكون أرباب هذا المجلس نوابا فى الولايات أبدا

وكان نيجر لما أحس بقدوم سويرس الى الاسكندرية فرّ هاربا فتبعه سويرس وصار يهاجمه أينما لحقه وهو يصدّ عن نفسه وعن البلدة التى يحتلها فلم تساعده الاقدار وقد أظهر من البسالة والاقدام فنونا وأساليب وقامت عليه أنواء شديدة ترتب عليها انهزام جيشه عند رأس بالبحر فأخذ نيجر فى الفرار الى بلاد العجم فقبض عليه فى الطريق وقتل وذلك فى سنة خمس ومائتين للميلاد أى سنة سبع عشرة وأربعمائة قبل الهجرة وصفا لسويرس ملك البلاد المشرقية بعد قتل نيجر ولم يبق لسويرس بعد ذلك الاخصم واحد وهو قلوديوس البينوس الذى سبق الكلام عليه وكان مجلس رومة يميل فى الباطن الى تقليد قلوديوس المذكور المنصب الملوكى والى نصرته على سويرس وقد كان معدودا من فحول الرجال وكانت جنوده من أبسل الجنود وأشدها اقداما على اقتحام المهالك وكان فى خـلال هـذه الفطرة قد لقب نفسه بأغسطس فسار سويرس لقتاله والتخلص منه بعـد أن كان قد أشركه معه فى حكم البلاد وادارتها كما تقدم القول فلما تلاقى الجمعان عنـد مدينة ﴿ ليون ﴾ من بلاد الفرنسـيس تقـاتلا قتـالا عنيفا فانهزمت جيوش البينوس شر هزيمة فمال البينوس عن فرسه وقتـل نفسه خوفا من الوقوع بين يدى عـدوّه فأمر سويرس بحز رأسـه وأرسله الى أرباب مجلس رومة مع خطاب يعنفهم فيه على مما لأتهم لالبينوس وتعصبهـم له فى السر ويعلمهم بشديد غضـبه عليهم وما سيحل بهـم عند رجوعه الى رومـة ثم عاد الى رومة فقتـل وفتك وأجرى فيها الدماء كالسـيول ونفى منها من نفى من أكابرها وأعيانها وضرب أعناق مشاهـيرها وأصحاب المظاهـر فيها فـعم الخوف وانكمش الناس ومهدت الامور وصفا له الوقت ونام على وسادة الاطمئنان ثم سار بجيوشه الى قتال العجم والانكليز ليدخلهم تحت الطاعة وبعث بجيش جرار الى الجهات المشرقية خاربها

وحاصر مدينة (بوزنيطا) التى هى القسطنطينية وجعل على حصارها أمهر قواده فدافعت ثلاث سنين متوالية ثم فتحوها عنوة ونهبوا مافيها من الاموال ودمروها تدميرا

وبعد أن تغلب على العجم والبلاد المشرقية جاءته الاخبار بأن الانجليز غالبون على جنوده فقدم عليهم من حيث لايشعرون وغزاهم غزوتين خسر فيهما خمسين ألف مقاتل وكان قد أشرك ولديه معه فى الملك وبعث أكبرهما وهو (بسيانوس) مع الجنود المحاربة للانجليز فلما انهزمت جنود أبيه ووقعت الفتنة فى الجند وحصل الفشل بين الرؤساء وتعصب كبارهم ضدّ الملك قام بسيانوس المذكور على أبيه سويرس واخترط سيفه وهمّ به على أبيه فلم يتمكن من قتله فخنق سويرس والتهب قلبه بنار الغيظ واشتد به الامر اشتدادا عظيما فمات لساعته وذلك سنة احدى عشرة ومائتين للميلاد أى سنة احدى عشرة وأربعمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه ثمان عشرة سنة

وفى أيامه مات (اغريبو) بطرك الاسكندرية بعد أن أقام احدى عشرة سنة وفى أيام (اغريبو) المذكور اتفق رأى بطاركة جميع الامصار على حساب عيد الفصح للنصارى وصومهم ورتبوا كيف يستخرج ووضعوا حساب الابقطى وبه يستخرجون معرفة وقت الصوم والفصح واستمر الامر على مارتبوه الى يومنا الذى نحن فيه وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغطاس أربعين يوما كما صام المسيح ويفطرون وفى عيد الفصح يعملون الفصح مع اليهود فنقل هؤلاء البطاركة الصوم وأجلوه بعد الفصح لان عيد الفصح كانت فيه قيامة المسيح من الاموات وكان الحواريون قد أمروا أن لا يغير عن وقته وأن يعملوه فى كل سنة فى ذلك الوقت ولما مات (اغريبو) قدم بعده (يوليانوس) وهو حادى عشرهم وكان من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله

وخلف سويرس على سرير الملك بعد موته ابنه بسيانوس فتوسم فيه الناس الخير وأملوا فيه العدل والرفق بالرعية بعد الذى قاسوه من أبيه

(فى الملك بسيانوس قراقله)

(قيصر)

ثم قام بالامر ابنه بسيانوس قراقله بعهد من أبيه فبويع له بالملك هو وأخوه (سبطيموس جيكا) معا حيث كان أبوهما قد عهد لهما به فى حياته فاشتركا فى الملك بعده وذلك سنة احدى عشرة ومائتين للميلاد أى سنة احدى عشرة وأربعمائة قبل الهجرة وكان الناس يعتقدون فى بسيانوس المذكور الشفقة والرفق بالرعية والاعتدال فى السياسة اذ كان كثيرا مايقبح فعال أبيه بلا تحاش ولا اكتراث عندما كان يعاقب الناس بالقائهم للحيوانات الضارية

وكان يبكى لذلك بكاء شديدا فلما تولى واستقر به المنصب تغيرت طباعه وانقلبت أحواله وهم أن يقتل أخاه بالسم واحتال على ذلك بكل ما وصلت اليه قدرته فلما لم يتمكن منه أغرى به أعوانه فقتلوه بين ذراعى أمه وتجهل العلم بما جرى وهرب من قصره تمويها بانه يخاف على نفسه من قاتلى أخيه أيضا وذهب الى حيث جند الحرس وأعلمهم بقتل أخيه فأنكر الجند عليه ذلك وأسفوا وحزنوا على ذلك الطفل فسايرهم وأجزل انعامهم تخلصا ولما كان لاخيه المذكور حزب قوى قام ذلك الحزب وأثار على بسيانوس الفتنة وكاد يخرج عليه خروجا تاما فأشار عليه كبار جند الحرس أن يضع لاخيه تمثالا وينظمه فى سلك المعبودات على عادة الرومانيين ليقمع الفتنة بالتى هى أحسن ففعل وطلب من وزير أبيه المسمى (بابنياس) مقالة يتلوها على الناس يعتذر فيها عما جرى لاخيه فقال بابنياس قد كان عدم قتل أخيك خيرا من الاعتذار عنه فغضب من ذلك وأمر بقتله من ساعته وكان قتل بابنياس الوزير حاملا لبسيانوس الملك على ركوب متن العتو والطغيان والاكثار من سفك الدماء وضرب الرقاب والفتك بالاكابر والاعيان فكان عدد من قتلهم من هؤلاء نيفا وعشرين ألف نفس ثم تخوف ولازمه الوهم فكان يخيل له دائما فى عالم المنام أن أباه وأخاه يجردان عليه حسام الانتقام فيقوم خائفا منزعجا فلم يستقم له بعد ذلك حال ولم ينعم له بال فكان يسلى نفسه بالذهاب الى الولائم والالعاب ويلعب مع اللاعبين ويلبس ملابسهم أويتزيا بزى العربجية وفى عنقه ياقة زرقاء كالزنار وهى علامة أهل هذا الفن وكان كثير المداهنة والتدليس فكان غشه مستوعبا لجميع أحواله وأطواره حتى كانت السكة المضروبة باسمه من دراهم ودنانير مغشوشة وقد قال بعض رعيته مانصه * كان القيصر يعطينا النقود المتخذة من الرصاص مطلية بالفضة على أنها فضة خالصة والنقود المتخذة من النحاس مطلية بالذهب على أنها ذهب خالص اه وكان يحتكر النقود الخالصة ويكنزها لنفسه ولايخرج منها الا ما كان يدفعه للقبائل الاجنبية المتبربرة فى عقود الصلح معهم لكى يتجنبوا حربه ويكونوا له عونا على الرعية

واشتد به الهوس حتى ولع بتقليد الاسكندر الاكبر المقدونى والتشبه به فى جميع أحواله فكان يقلده فى أموره وأطواره وينسج على منواله فى الملبس والمطعم وكان يتكلف التخلق باخلاقه فى جميع مايحكى له عنه وجعل جند حرسه الخاص ستة آلاف كلهم مقدونيون تقليدا لجند الاسكندر وعلق تمثال الاسكندر على جميع الميادين والهياكل والمعابد وسمى نفسه الاسكندر لتكون هذه التماثيل رموزا له معنونة بعنوانه ومال الى الغزو على منوال مافعله الاسكندر فنزل على بلاد الغالية وأهلك فيها الحرث والنسل وأفنى فى محاربتها الجنود وسار فى البرارى حتى نزل على بلاد جرمانيا فلم يقدر على الجرمانيين اذ تأهبوا لصده وعبروا نهر الرين ليهزموه شر هزيمة ويخلعوه من الملك فلما أحس منهم بذلك واساهم ورشاهم بالمال فرجعوا عنه فدخل بلاد المجر والفلاق وبلاد الاردل المجاورة لبلاد الجرمان فوجدها جميعها

خاضعة للغوطية وكادوا يبطشون به فرجع عنهم ولم يظفر الا بمملكتين صغيرتين لا يفيان بما أهلكه من الرجال ونزل على بلاد فارس فخاب منه الامل وركن الى الصلح بعد الهزيمة ثم وثب على ديار مصر وأعمل السيف فى أهل الاسكندرية بلا موجب ولاسبب سوى مابلغه من أنهم يسمونه بالهوس ويصفونه بالخفة والطيش وقد أباحهم للعسكر فأعملوا فيهم الذبح يوما وليلة لم يرحموا طفلا ولم يحنوا على عاجز وانتهت غزواته بالخيبة والفشل والعجز عن العمل وقام عليه العجم يريدون أخذ الثار فلما رأى جنوده ماسيلحق بهم من العار ومايزايل ملكهم من الخيبة والبوار أجمعوا الكلمة على قتله فقتلوه وهو راجع من هذه الغزوة وذلك سنة تسع عشرة ومائتين للميلاد أى سنة خمس وأربعمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه ست سنوات ليس فيها غير المذلة والانحطاط للدولة

وكان يلبس على رأسه فى جميع غزواته مغفرا على زى بلاد الفرنسيس من النوع المسمى قراقله فاشتهر بهذا الاسم فى كتب التاريخ وكان حين اشترك مع أخيه جيكا فى الملك رسم العلامات الملوكية والطغراء فى جميع البلاد باسمه واسم أخيه معا ورسمها أيضا على المبانى فى سائر الجهات فلما مات أخوه قتيلا على ماتقدم ذكره أمر بمحو اسمه من سائر الانحاء وانما بقى فى مصر دون غيرها آثار محو على بعض الاحجار يمكن المتأمل قراءتها وكان بسيانوس آخر قيصر بقيت آثاره على مبانى الديار المصرية ولم يكن لقيصر بعده فيها اسم ولارسم ولما مات تولى الملك بعده (مقرينوس) رئيس جند الحرس الملوكى

(فى الملك أوبليوس مقرينوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر أوبليوس مقرينوس بويع له بالملك فى ساحة الحرب فى نفس اليوم الذى قتل فيه بسيانوس بايعه الجند ونادوا بملكه سنة سبع عشرة ومائتين للميلاد أى سنة خمس وأربعمائة قبل الهجرة قيل وهو الذى أغرى الجنود وجعل لهم جعلا جسيما فقتلوا الملك وكان الحامل له على ذلك أن كاهنا من أهل العرافة أخبر أوبليوس المذكور أنه سيكون يوما ملكا على جميع الرومانيين ففعل مافعل استمسا كا بقول ذلك الكاهن

وكان مولد أوبليوس المذكور بمدينة الجزائر بالغرب وكانت تسمى قصيرة وكان مثقوب الاذن فلذلك سموه (مقرينوس) وسمى أيضا (مقرين) ومعنى مقرين فى لغة برابرة المغاربة مثقوب الاذن وكان سعيد الطالع ميمون الطلعة فارتقى المناصب العالية فى زمن يسير جدا وكان صاحب علوم ومعارف متضلعا من الفنون العالية فقد خدم خطيبا فى المجالس فكان له فى الخطابة الباع الطويل وانتدب عدلا فى المحاكم ورئيس محكمة وغير ذلك من المناصب العالية والرتب السامية

وكان أوبليوس فى أيام ﴿قراقله﴾ الملك قاضيا فأخذه وسلمه منصب امارة الجنود ورياسة الجيوش واستخدمه فى بطانتـه ثم رقاه الى أعلى المناصب وجعـله أميرا على جنـد الحرس الخصوصى فتمكن بذلك من فعل مافعله بقراقله

وقـد كان فريق من جند الحرس نكص عن مبايعته فاستعمل معه الحيلة فلم ينجح فتركه واشتغل بأمور المملكة فبدت منه دلائل الجفاء والشدّة على الرعية فشكى جميع الناس منه وتمكنت من قلوبهم الوحشة فلم يلتفت اليهم وسار لمحاربة ﴿اردوان﴾ ملك فارس اذ كان قد هجم على الحـدود وكاد يدوّخها فلما التقى الجمعان انهـزم أوبليوس هزيمتين متواليتين مات فيهما كثير من جنده فطلب الصلح مع ﴿اردوان﴾ ملك فارس فاستقرت قاعـدته بينهما على أن يدفع أوبليوس ثمانين ألف ألف من دراهـم الفضة فحملها الى ﴿اردوان﴾ من يومـه فنقمت عليـه الرعية وكرهه لذلك أهـل البلاد وسموه بالجبن والخيانة وتقوّى عليـه الفريق الذى كان قد نكص عن مبايعته * ومحا وأثبت فى قوانين المملكة وقواعد العسكرية واستعمل الشدة فى انتخاب شبان الجندية المستجدّة وأهمل تسريح العسـاكر المتمرّنة على القتال ونبذهم فحقد عليه الجنود وأبغضوه وصمموا على الانتقام منه ولبثوا يراقبون الفرص

واتفق أن نزل بقرب مدينة حمص فريق من الجنود الرومانية رباطا وكان أهل حمص يومئذ صابئين يعبدون الشمس وكان لهم كهان لخدمة هيكلهم ومن هؤلاء الكهان شماس له من العمر ثلاث عشرة سنة اسمه ﴿بسيانوس﴾ جميل الشكل حسن الصورة اذا لبس ملابس الكهنوتية المكللة باللؤلؤ والمرجان شخصت اليه الابصار ومالت اليـه القلوب فكانوا يشبهونه بالقمر المنير ويحفلون به وقت تقديم القربان ويرقصون حوله ويغنون بالألحان وكان لهـذا الغلام جدّة اسمها ﴿يوليه موزه﴾ هى أخت ﴿يوليه رومنا﴾ زوجة سويرس قراقله قيصر وكانت جدته من العجائز ربات المكر والدهاء فكانت تدّعى أن هذا الغلام ابن قراقله الملك كى تستميل اليه الجنود الحالة هنالك وقد كان مجهول الاب فكان يسمى بسيانوس هيلوغباله يعنى الشمس وهومشهور فى كتب التاريخ بهذا الاسم فلما تمكن حبه من قلوب الجنود أخذته يوما وذهبت به الى المعسكر وكلمت الجنود فى أمر أبيه قراقله الملك وأن يبايعوه بالملك فأجابها الجنود الى ذلك وبايعوه ولقبوه ﴿أغسطس﴾ فلما وردت الاخبار بذلك الى مقـرينوس الملك جمع أحزابه وسار بهـم عاجلا لمقاتلة أغسطس المذكور على مقربة من انطاكيـة فكانت الحرب بينهما سجالا وبقى الحـال هكذا مدة حتى كانت عزيمـة مقرينوس واستولى على جيوشه الجبن فهرب هو وأصحابه ولم يقف الا عند قاضى كوى فى ايالة بروسه حيث لحقته جيوش أغسطس وفتكوا بأصحابه فتمكنوا وقتلوه فى وسطهم وذلك فى سنة ثمان عشرة وأربعمائة للميلاد أى سنة أربع وأربعمائة قبل الهجرة وخلا الجوّ لأغسطس بسيانوس هيلوغباله فتمكن من المنصب وكانت مدة أوبليوس مقرينوس المذكور سنة واحدة وأياما

(فى الملك بسيانوس هيلوغياله)

(قيصر)

ثم قام بالامر بسيانوس هيلوغياله بويع له بالملك بين عساكر حمص ثم بايعته بقية العساكر وصدق على ذلك مجلس رومة وذلك سنة ثمان عشرة وأربعمائة للميلاد أى سنة أربع وأربعمائة قبل الهجرة فلما استقر به المنصب أمر بأقارب مقرينوس الملك فقتلوا جميعا وتتبع أحزابه وكثيرا من الامراء والاعيان بالقتل حتى انقرضوا ولم يتنازل عن رياسة هيكل الشمس وأبقاها لنفسه كالخلافة فكان جامعا بين الملك والكهنوتية وقد صنع لولايته على الملك مواسم وأعيادا بقيت ستة أشهر وأمر بان يكون أجل المعبودات وأكبرها فى جميع البلاد صنم الشمس ورتب ذلك برومة ومصر فكان هذا الصنم عبارة عن حجر أسود لاصورة به ولا شكل وبنى له برومة هيكلا عظيما وجعله سيد الاصنام وكبيرهم ثم زوجه لصنمة الزهرة التى هى أكبر معبودات بلاد افريقية ورتب لها عرسا عظيما ومواسم وأعيادا سنوية وجعل مصرف هذه الافراح على جميع الاهالى يوزع عليهم وكان هذا الصنم فى بلاد الشام أصل الزيغ والبدع فنقله الى رومة

ودخل بسيانوس المذكور الى رومة وهو فى سن الرابعة عشرة لابسا حلة كهنوتية من الحرير المقصب المنقوش بانخر النقوش فكان أول من لبس الحرير من الملوك فى رومة وكان فى يده أساور من ذهب وفى عنقه أطواق من ذهب أيضا وكان مزجج الحواجب مكحول العينين يتزيا بزى العذارى تارة وبزى المردان أخرى وليس فيه من صفات الرجولية شئ وكان ينشر فى قصره دائما أنواع الزهور والرياحين وينثر تحت رجليه الذهب والفضة فكان فى التكسر أقرب شبها الى النساء منه بالرجال ولم توجد أخلاقه الذميمة فى أحد من القياصرة الذين قبله فكان اذا أراد النزاهة وترويح النفس دعا الى مائدته ثمانية أشخاص من العور ومثلهم من العرج ومثلهم من الصم ويسخر بهم ماشاء وكان فى كثير من الاحيان فى وقت انتظام الديوان واحتفال الجلساء يطلق بغتة الاسود والنمور وقد كانت مقلمة الاظفار مخلوعة الانياب فيضطرب الحاضرون من منظرها الهائل وينسر هو وكان يزعج خواصه وأتباعه على الدوام بهدايا وتحف مملوءة من الهوام والحشرات حتى اذا فرحوا بها وفتحوها أرهبتهم وأورثتهم المضار وكان اذا اجتمع الاهالى فى ميادين الالعاب أمر أعوانه فيطلقون الثعابين فتضطرب الناس وتتفرق * وقد تقدم القول على أن بسيانوس المذكور ابن دعى منسوب الى سويرس قراقله نسبة كاذبة وان قراقله كان زوج خالته وكان لخالته بنت لها ولد يسمى الاكسندرسويرس فلما كثرت قبائح بسيانوس وعم ظلمه جميع الرعية

وزاد

وزاد طغيانه طلبوا منه أن يشرك معه الاكسندر سويرس فى حكم البلاد وتدبير أمورها فقبل ذلك كرها فرأى من الاكسندر خصما عنيدا فدبر لقتله فانكشف سره وفشا أمره فقام الاهالى على ساق وقدم وهموا بقتل بسيانوس فاختفى فى مكان خفى ففتشوا عليه وأمسكوه وذبحوه وألقوا جثته بعد تثقيلها بحجر فى نهر رومة وذلك سنة اثنتين وعشرين ومائتين للميلاد أى سنة أربعمائة قبل الهجرة فتولى بعده ابن خالته الاسكندر سويرس الثانى وكانت مدة بسيانوس أربع سنين تقريبا

(فى الملك الاسكندر سويرس)
(قيصر الثانى)

ثم قام بالامر ابن خالته الاسكندر سويرس الثانى بويع له بالملك فى اليوم الذى مات فيه بسيانوس وكان أول من بايعه أرباب مجلس رومة لاطوائف الجنود كاسلافه وذلك سنة اثنتين وعشرين ومائتين للميلاد أى سنة أربعمائة قبل الهجرة وكان حسن السيرة والسياسة كامل التدبير موفقا فى جميع أقواله وأفعاله وكانت أمه نصرانية اسمها (مامه) فكان يستشيرها فى جميع أطواره وأحواله ويستنصحها فى جميع مشروعاته وأفعاله ويعمل برأيها فأبطل جميع الامور المغايرة للآداب التى كان بسيانوس قد أحدثها وأعاد صنم الشمس الى حمص وأخرج جميع الاصنام الاجنبية من رومة ومنع اباحة التعبد بها فى غير محالها ولم يرض أن تتمسك رومة من الاديان الاجنبية عنها بغير دين المسيحية يعنى أنه يباح لهم التمسك بدين جاهليتهم القديم ولا يباح لهم غيره من الاديان الا الديانة المسيحية وأصدر بذلك أمرا رغما عن معارضة كهنة الاوثان الرومانية

ثم سن القوانين النافعة بالنسبة للاخلاق والعوائد ونظم أحوال بيت المال وسياسة البلاد على أحسن ترتيب وسلك فى أحسن المسالك مستمسكا بالاحكام المتينة مراعيا لجانب القوانين فاقتدى به رعاياه وسلكوا سبل العدل والانصاف وطرد من دواوينه أهل السخرية وأرباب اللهو والمغنين ولم يقرب من مجلسه الا أهل المعارف وأصحاب الحكمة وكان لا يضيع أوقاته الا فى مطالعة كتب الآداب أو التمرينات الحربية وكان لا يجسر أحد على التكلم فى مجلسه بشئ من العوائد القديمة ولا احداث شئ من البدع الذميمة وكان يعظ الناس جهارا بالخطابات والمقالات كما كان يفعل عظماء الدولة الرومانية أيام انتظام دولتهم وكان يستشير مجلس رومة فى كافة أمور البلاد ويسترشده فى جميع مصالح الرعية وخفف عن الاهالى العوائد والمكوس والجبايات وكان يحيى قلوب أهل الصنائع والفنون بالجوائز تشويقا لهم وترغيبا وكان يقظا نشطا ساهرا على تدارك ما ينجم عن أعمال العمال والولاة كثيرا الاعتناء

بأمور الجنـد والعساكر وصرف جوامكهم وعلوفاتهم فى أوقاتها وكان يزور المرضى منهم فى خيامهم وكان يقول

يجب على الجندى كمال الطاعة بقدر الاستطاعة ويجب له أيضا على الدولة أن يكون حسن اللباس جيد السلاح مستور القدم حاصلا على قوته على الوجه الاتم وأن يكون فى جيبه شئ من الدراهم لحاجة نفسه * فكانت العساكر فى أيامه مستحوذة على جميع ماقاله وكان لذلك اذا صدر من أحـدهم هفوة شـدد فى جزائه وعاقبه بما يقتضيه جرمـه من جلد أو قتل

وبينما كان الاسكندر سويرس مشـتغلا بأمور البلاد وتهذيب أخلاق الرعيـة وترويج سوق التجارة وتحسين أحوال الصناعة وتقديم القوانين وتوطيد أركان الشريعـة إذوقع من الانقلاب السريع فى البلاد المشرقيـة مالم يكن فى حساب وذلك أن ازدشير بن بابك رأس الدولة الساسانية قام على أمـة «البرث» وهى أمة قديمـة العهد تنسب الى فارس أوهى الفرس الاولى واسـتولى عليها وأزال دولتها وأخضعها اليـه وكان ازدشير هذا قبـل وثوبه عاملا على اقليم من أقاليم اصطخر وكان قد أخبره بعض المنجمين أن ملك فارس سيصير اليه يوما فاستمسـك بهـذا النبأ ووثب على ملوك الطوائف وأخـذ منهـم بلادهـم فملك اصطخر وهمذان والجبل وأذربيجان وأرمينية والموصـل والسواد وبنى مدينة على شاطئ دجلة شرقى المـدائن ثم رجـع الى اصطخـر ففتح سجستان ثم جرجان ثم مرو وبلخ وخوارزم الى تخوم خراسان ثم رجـع الى فارس ونزل صول وأطاعـه ملك كوستان ومكران ثم ملك مدينة البحرين بعـد حصار طويل ألقى فيـه ملكها بنفسـه فى البحر ولم يزل مظفرا قاهرا لجميع الملوك الذين حوله * وقـد مدّن المدن واستكثر من العمارة وقتـل أردوان الاشغانى وغيره من الاردوانيـين واستولى على جميـع ملك الاردوانيـين الذين هـم أنباط السواد يعـنى السريانيين وكان على طوائف الارمن ملك اسمه «بابا» والارمن هـم أنباط من نبط الشام وكان بـين أردوان وبابا حروب مسـتمرة فاتحـدا على قتال ازدشـير المذكور فحارباه مناوبة فكانت الحرب بينهـم سجالا فبعث ازدشـير الى بابا فى طلب الصلح على أن يدعـه فى الملك ويخـلى بابا المذكور بينـه وبين أردوان واستقرت القاعدة بينهـما على ذلك ثم جرد أزدشير على اردوان فقتـله واستولى على السواد فأطاعـه بابا بالشام وانقاد له بعـد أن كان تحت طاعة الرومانيـين ودان له سائر المـلوك وقهرهـم قهرا قال أهـل التـاريخ ثم انقلب على أمراء العرب وكانت بيوتهم على ريف العراق الى الحـيرة وكانوا ينقسمون فى هذا الحين الى ثلاث فرق متمايزة الاولى قبيلة تنوخ ومنهم قضاعـة وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويضـعونها غـربى الفرات بين الانبار والحـيرة وما فوقها وكانوا واسـمى الحزبية جدا فلما ملك أزدشـير هـذه الاصـقاع أنفوا من الاقامـة تحت قبضـته فخرجوا من البـرية هـائمين الثـانية العباد وكانوا يسكنون الحيرة متوطنين فيها الثالثة الاحـلاف الذين نزلوا

بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ النساكين عن طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا لهم فتلك الاحلاف المذكورون الحيرة والانبار وكان منهم عمرو بن عدى وقومه فنزلوا بها وخربوها وكانت من بناء العرب من عهد بختنصر ثم عمرها بنو عمرو بن عدى لما صيروها دارا لملكهم الى أن صبحهم الاسلام واختط الخلفاء مدينة الكوفة فدثرت الحيرة كما سيأتى الكلام على ذلك فى محله

ولما زحف ازدشير على ممالك الرومانيين كمملكة الارمن وغيرها وعظم أمره وساعدته الاقدار على اتساع ملكه وأسس دولة الفرس الساسانية الجديدة ولقب نفسه (بالملك الاكبر) وعظمت صولته فى البلاد المشرقية وهابه جميع مجاوريه وخشى الاسكندر سويرس بأسه وخاف أن يتسلط على ملكه فسار الى بلاد المشرق مسرعا لايقاف ازدشير عند حده فلم يستقر به المقام حتى أرسل اليه أزدشير سفراء يطلبون منه اعادة جميع بلاد فارس التى كانت ملحقة بها الى زمن كورش وهى الممتدة الى جزائر الروم فتعجب سويرس من فحة أزدشير وجراءته وجدّ فى السير لقتاله واتفق وهو فى الطريق أن بعض العساكر خالفوا الاصول والنظامات الجندية فعقد سويرس لذلك مجلسا للحكم عليهم وأحضرهم أمام المجلس فى السلاسل والقيود وقام فى وسط المجلس وقال ان السكوت عن اهمال الجنود واجباتهم يزرى بشرف المملكة ويهدم ناموس الامة وكان العامة فى ذلك اليوم قد اجتمعوا ليروا ماسيكون من أمر المخالفين فلما سمع الناس ماقاله الملك ارتفعت أصواتهم بالصياح وعلت الضوضاء وقالوا لاتحل لك هذه الفعال فأشار أرباب المجلس الى الجنود أن اضبطوا هؤلاء الصائحين ووجهوا بهم صوب الاعداء لقتالهم عوضا عن أن يعارضوا الملك ويقاوموه فاشتد غضب الاهالى وتمادوا على غيهم واستطالوا على الملك وأقاموا فى وجهه السلاح فبرز لهم ووقف فى وسط الضوضاء وقال اغمدوا سلاحكم فانى لا أرهب التهديد ولا أخشى الوعيد فلما رأوه على هذا الحال ألقوا سلاحهم وسكنت الفتنة وحصل الهدوّ والراحة واستقرت هيبته فى قلوبهم ثم سار بعد ذلك بجيوشه الى العجم يريد قتالهم فتلاقى معهم وانتصر عليهم نصرة عظيمة وهرب أزدشير ونكص على أعقابه ولبث لايحرك ساكنا ولا يطلب ثارا ورجع الاسكندر سويرس الى رومة مؤيدا منصورا فتلقاه أهلها بالافراح ودخل المجلس الاعلى بغتة ووقف بين رجاله خطيبا فقال ياأعضاء مجلس رومة قد هزمت لكم الفرس شر هزيمة ولا حاجة لبسط الكلام فى هذا المعنى بل أقتصر على أن أذكر لكم قوة العدوّ وجنوده وما ظفرنا به عند ماأتاح الله لنا النصر عليه والظفر به فقد كان للفرس فى هذه الوقعة سبعمائة من الافيال يقاتلوننا بها فقتلنا منهم مائتى فيل وسلبنا ثلثمائة وقد أحضرنا منهم الى رومة ثمانية عشر وكان معهم ألف عربة مسلحة بالمناجل مطقمة بالعساكر المقاتلين بهذه الآلات فهزمناهم وأخذنا منهم مائتين ولم أحضرهم الى هنا اذلا فائدة فى ذلك وقد هزمنا أيضا فرسانهم وكانوا مائة وعشرين ألفا فبددنا جموعهم وقتلنا منهم عشرة آلاف مدرعين

وسلبنا منهم دروعهم وجعلناها عـدّة لعساكرنا وأسرنا من عسكرهم رجالا كثيرين بعناهـم عبيدا وقد أعدنا ولله الحمد لدولتنا بلاد الجزيرة الفراتية التى أخذت على عهد القيصر سلفنا وقد بددنا شمل أزدشير مع ما اشتهر به فى المشرق باسم «الملك الاكبر» وقد ولى الادبار ذليلا حقيرا وقد رفعنا أعلامنا وبنودنا على جميع البـلاد التى كانت تحت سلطاننا واستولينا على جميع أعلام أزدشير فهذه بضاعتنا ردّت الينا وقد أنسى عسكرنا المظفر هذا الانتصار ما كابده من المشاق والاخطار فعلى المجلس أن يأمر فى المعابد والمشاهد بنشر أنواع الشكر والمحامد فى مقابلة هـذه النعمة التى لا ينكرها الا جاحد معاند فأجاب أرباب المجلس عن هذه المقالة بقولهـم أيها القيصر قد استحقيت الامتياز بلقب الفارس الاول والاختصاص بهـذه المزية حيث انتصرت على الفرس نصرة حقيقية والفضل فى ذلك لحسن تدبيرك

ثم خرج من قاعة المجلس وذهب الى الميدان العام وارتقى منبر الخطابة فاحتفل به الناس وصاحوا صيحة الفرح وعلت الاصوات فقال يا أيها الناس قد هزمنا جند فارس ورجعنا بقومنا سالمين فنعدكم بالانعام والاكرام وستشاهدون غدا الافراح بهذه النصرة العظيمة فصاح الناس قائلين بالسعادة رومة بطول عمر ملكها المنصور

ثم بعد هذه الغزوة جرد عساكره أيضا لغزو جرمانيا وسيرهم اليها جندا بعد جند وكانت قد شقت عليه عصا الطاعة مرة واحدة فلم ينل منهم مراما بل كانت الدائرة عليه وعلى جنوده وذلك أنه لما وصـل الى مدينة ميانه من بلاد الفرنسيس وقعت الفتنة بين جنوده فى المعسكر وقام بعضهم على بعض وهاجوا وعصوا ودخلوا على الملك فى خيمته وذبحوه ذبح الشاة وكان مقتله فى سنة تسع وأربعين ومائتين للميلاد أى سنة سبع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه نحو ثلاث عشرة سـنة وبموته انقرضت سلسلة القياصرة الشاميـة الذين هم فى الحقيقة من بلاد افريقية لا من الديار الشامية كما اشتهروا بذلك

وفى أيامه حصلت مصر على نوع من العمارية والتقدّم فى المعارف والعلوم من أدبيات وفلسفة وغـيرها واكتسبت من النجاح والتمدن أكثر مما اكتسبته رومة وغـيرها من المدن الداخلة فى حكم الدولة الرومانية وكذلك حصل فى بقية البلاد التى كانت تابعة له

وفى أيامه مات يوليانوس بطرك الاسكندرية فى ثامن شهر برمهات فكانت مـدته عشر سنين فاقيم بعده ديمتريوس وهو ثانى عشرهم وكان فلاحا أميا وله زوجة ذكر أنه لم يقترب منها قط وهو الذى رتب حساب الكرمة وقد وقع فى أيامه من الحوادث ما سيذكر فى محله

ولما قتل الملك الاسكندر سويرس تولى بعده مقسيمينوس قيصر الاول

(فى الملك مقسيمينوس)

﴿ قيصر الاول ﴾

﴿ ويسمى أيضا ﴾

(مخشيميان قيصر)

ثم قام بالامر مقسيمينوس الاول بويع له بالملك سنة تسع وأربعين ومائتين للميلاد أى سنة سبع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة فكان عاتيا فظا غليظا خارجا فى ضخامة الجسم عن حد العادة جافى الطبع والعقل والجسم فكان اذا تختم فى اصبعه تختم باساور زوجته واذا ضرب فرسا بقبضة يده أطار أسنانها وكان يسحق بيده الاحجار ويفلق الشجرة فلقتين بيديه وكان يسحب العربة الكثيرة الاحمال بيد واحدة وكان يأكل فى اليوم أربعين رطلا من اللحم ويشرب جرة من الخمر زنتها خمس وعشرون أقة

قال بعض أهل التاريخ فهذه الاوصاف وان كانت تشم منها رائحة الاطراء والمبالغة ولكنها لاتخلو من الصحة

وكان أبوه من الغوطيين وأمه من اللانيين وكان عمليق الهيئة وارتقى منصب الملك بنادرة عجيبة جدا وذلك أن سويرس الملك كان قد أقام عيدا مشهورا على ساحل الطونة لولادة ابنه جيطا وكان مقسيمينوس هذا يرعى الماشية بهذا الساحل فحضر يوما الى معسكر الملك وطلب قبوله فى عداد اللاعبين فى تلك الولائم فلما رآه الملك عجب جدا من ضخامة بنيته ومنظره الهائل ورأى أن مثله يليق للمنازلات والحروب فأمر أن يتصارع مع أقوياء الجند ليجربه فطرح ممن بارزهم على الارض ستة عشر صنديدا واحدا بعد واحد وغلبهم من غير تخلل زمن للاستراحة فأعجب الملك ذلك جدا وأمر بقيد اسمه فى سجل الجنود فبقى فى أفراد العسكرية الى أيام الاسكندر سويرس فسلمه الاسكندر المذكور رياسة أحد الجيوش ليعلمه وينظمه ويربيه التربية العسكرية فرباه أحسن تربية ونظمه أحسن نظام وضبطه ضبطا كاملا وعلم رجاله الحركات العسكرية وتدبيرات الحيل الحربية وكان يناضل الشبان منهم بنفسه فلما مات القيصر الاسكندر سويرس المذكور بايع مقسيمينوس هذا جنوده فى اليوم الذى مات فيه سويرس عند شطوط نهر الرين ثم بايعه الجنود والاعيان وأرباب المجلس طرا

فلما استقر به المنصب عبر نهر الرين وأمر باحراق القرى والبلدان فى طريقه ثم تقدم الى

ايطاليا وجعل معسكره فى النمسا وأمر أن يرسلوا اليه على جناح السرعة جميع أعيان ووجهاء ايطاليا فحضروا اليه فى المعسكر فأمر بصلب البعض والقاء البعض الآخر للوحوش المفترسة بغير موجب ولاسبب ظاهر ثم اقتفى أثر النصرانية فقتل خلقا كثيرا جدا وكان معظم القتلى من القسيسين والاساقفة فقد كان يلقى بهم للوحوش المفترسة وكان يحتقر النوع البشرى ولا يقدره قدره فكان الانسان عنده كالبعوضة أو أدنى وكان ظلوما غشوما بغيضا للعدل فهو أشد القياصرة لؤما وخسة وأقلهم مروءة فقد قال يوما لبعض الأعيان (انى أحب أن لاأحكم الا على رعية مستعبدة ذليلة أسومها الخسف)

فلما اشتدت وطأته على الرعية قاموا عليه ومعهم الجنود وطلبوا خلعه فخلعوه وذلك سنة خمس وأربعين ومائتين للميلاد أى سنة أربع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه أربع سنين لاغير وولوا مكانه اثنين وهما غرديانوس الاكبر وغرديانوس الاصغر

(فى الملك غرديانوس الاب)
(والملك غرديانوس الابن)

ثم قام بالامر غرديانوس الاب وابنه غرديانوس الاصغر بويع لهما بالملك عقب خلع مقسيمينوس الاول سنة خمس وأربعين ومائتين للميلاد أى سنة أربع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة وتحرير الخبر أنه كان فى افريقية بمملكة قرطاجه من قبل الرومانيين شيخ هرم من وجوه العائلات وأعيانها اسمه غرديانوس وكان له ابن اسمه غرديانوس الاصغر وكانا حسنى السيرة بين أهل رومة فاستقر رأى مجلس رومة عقب خلع مقسيمينوس الاول على توليتهما معا المنصب الملوكى واشراكهما فى حكم البلاد فوليا وبويعا معا وسميت مدتهما بالمدة الغرديانوسية وكان على قرطاجه نائب للرومانيين اسمه قابليانوس وكان هذا النائب طاغية من دهاة الرجال فخرج عليهما وشق عصا الطاعة فسارا لقتاله فقاتلهما وهزمهما شر هزيمة ثم أوقع الافتتان بينهما حتى اقتتلا وقامت بينهما الفتنة على ساق وقدم واشتد الخلاف واستحكم البغض فقتل كل منهما صاحبه وكانت أيامهما كلها حروبا وكروبا وخطوبا وكان لمقسيمينوس الاول اليد الطولى فى اضرام نار هذه الفتنة ليعود هو الى منصب الملك فلما قتل غرديانوس وابنه وخلا المنصب اتفقت كلمة أرباب مجلس رومة على مبايعة بوبيانوس وقلودس بلبينوس بالملك وتشريكهما معا فى حكم البلاد فوليا المنصب وبايعهما الوجهاء والاعيان وكلاهما من عائلة خاملة دنيئة الاصل فقد كان والد بوبيانوس اقفاليا يصنع أقفال الابواب ونحوها وكان والد بلبينوس من أولاد الموالى قال بعض أهل التاريخ فلما

بلغ

بلغ مقسيمينوس خبر مبايعتهما وخيبة آماله صاح ومزق ثيابه ولطم وجهه حتى اختبل عقله ثم أفاق وجدّ فى السير مع من بقى معه من العساكر لقتال بوبيانوس وبلبنيوس فافتتن فى الطريق جيشه وعظمت الفتنة بين الجند فقاموا على مقسيمينوس وقتلوه وألقوا جثته فى الطريق وذلك سنة اثنتين وخمسين ومائتين للميلاد أى سنة أربع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة فتم الامر لبوبيانوس وبلبنيوس

ولما استقر بهما المنصب وشرعا فى نظر مصالح البلاد تحركت العساكر وطلبوا خلعهما حيث لم يتوليا الملك الا بمبايعة أرباب المجلس وأعيان البلاد ولم تبايعهما العساكر ولذلك أبوا اقرارهما وطلبوا خلعهما ووسموا المجلس بالاستبداد والخروج عن الحدود واتفق فى هذه الاثناء أن دخل أميران من أمراء الجنود على أعضاء المجلس بغير اذن فغضب أرباب المجلس لذلك وعدّوه اهانة وتحقيرا وحكموا على الأميرين المذكورين بالقتل فوصل الخبر لجميع أمراء الجيوش فقامت الفتنة فى الحرس الملوكى ودخل بعض العساكر على بوبيانوس وبلبنيوس وقتلوهما وذلك فى سنة اثنتين وخمسين ومائتين للميلاد أى سنة أربع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة ونادوا فى الحال بولاية غورديانوس الثالث ابن حفيد غورديانوس الاكبر فكانت مدة بوبيانوس وبلبنيوس أياما لم تذكر ولم تعتبرها جماعة المؤرخين مدة صحيحة

(فى الملك غورديانوس)
(قيصر الثالث)

ثم قام بالأمر غورديانوس الثالث ابن حفيد غورديانوس الاكبر وله من العمر خمس عشرة سنة بايعه الجند فى اليوم الذى قتل فيه بوبيانوس وبلبنيوس سنة اثنتين وخمسين ومائتين للميلاد أى سنة أربع وثمانين وثلثمائة قبل الهجرة فبايعه بعد ذلك أرباب المجلس وأعيان الاهالى ولما كان شابا قاصرا لم يبلغ رشده استوزر له فى المجلس وزيرا حسن التدبير فصيح اللسان كامل المعارف اسمه ميسوطش ليعينه على تدبير الملك وسياسة البلاد فسار هذا الوزير سيرة حسنة وانتظم فى أيامه حال المملكة وارتفع شأنها وقويت شوكتها وهابها العدو وعادت الى ما كانت عليه من بعد الصيت وفى أيامه قامت الفرنجة وهم الامم المتبربرة التى جاءت من البلاد البعيدة وأغارت على بلاد الفرنسيس ونزلت بها فهجموا على اقليم جرمانيا الرومى وقصدوا التغلب عليه فسير لهم غورديانوس جيشا تحت قيادة الامير أورليانوس فهزمهم شر هزيمة وردّوا على أعقابهم خاسرين ثم تجهز أيضا بنفسه لغزو سابور بن ازدشير كسرى فارس وسار فى جيش عظيم جدا فانتصر على سابور المذكور نصرة عظيمة وحارب كذلك أمم السرماطية والغوطية الذين قاموا على بلاد الروم الى مع قبيلة اللان فقهرهم وظفر بهم

وبدد شملهم ثم سار الى الشام وأخذها من الفرس وطرد عمال فارس عنها واقتفى أثرهم فاسترد منهم أيضا الجزيرة وعدة مدن أخرى عظيمة وعاد الى رومة يجرّ أذيال الفخر ففرحت به الرعية وقابلوه بغاية الترحيب والسرور وكان قد تزوّج بابنة ميسوطش وزيره فبقى نفوذ الوزير المذكور على ماهو عليه بل زادت عند غورديانوس منزلته وكان من أمراء الجيوش الذين شهدوا مع الملك جميع هذه الغزوات أمير اسمه فليبش أصله من العرب فكان هذا الامير يبغض الوزير جدا ويعمل على موته وخلع الملك واختلاس المنصب الملوكى لنفسه وكان هذا الامل يتقوى فيه يوما عن يوم ومازال كذلك حتى دس للوزير السم فى الدسم وكان ذلك فى مأدبة فمات ثم أخذ يعمل على خلع غورديانوس وبالغ فى الدأب والاجتهاد فى ذلك حتى أوقع الفتنة بين عساكره ومازال يقوّى ضرامها حتى افتتنوا فتنة عظيمة فأغراهم على قتل الملك فقاموا عليه وقتلوه وذلك سنة ثمان وخمسين ومائتين للميلاد أى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكم غورديانوس الثالث المذكور ست سنوات

فلما مات حمل فليبش الجنود على أن يبايعوه قهرا وتولى المنصب فى نفس اليوم الذى قتل فيه غورديانوس

(فى الملك فليبش)

(قيصر)

ثم قام بالامر فليبش بويع له من الجنود فى اليوم الذى مات فيه غورديانوس سنة ثمان وخمسين ومائتين للميلاد أى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة قبل الهجرة وكان فليبش المذكور عربى الاصل وكانت ولايته ضربة من ضربات الدهر وداعية الى تثبيت أركان الاختلال وسنة سيئة لكل من أراد اغتصاب المنصب الملوكى من ذوى الاقتدار حيث صار المنصب الملوكى منذ ذلك العهد غنيمة يستلبها رؤساء الجنود وقواد العساكر بلا حق ولا اكتراث بحقوق الامة وأهل البلاد فكان يتولى المنصب منهم من غلب ويتصرف فى الملك من قدر على التصرف ولم يستقر بفليبش المنصب حتى ظهر له خصمان معاندان ينازعانه وهما بطيبانوس ودوقيوس أما الاول فانه لم تطل مدته ولم يتم ظهور أمره اذ قام عليه جنده وقتلوه لاسباب لم يذكرها أصحاب التاريخ وأما الثانى وهو دوقيوس وقد كان من أعضاء مجلس رومة فانه استظهر على فليبش بجنود الرومانيين المرابطين فى بلاد البوشناق والصرب والبلغار وكانوا مائلين اليه متحزبين له فقامت الحرب بين الفريقين على قدم وساق وطالت أيامها فعمت الفتنة وسرى عرق الخلل فى أحوال البلاد واستفحل الخطب ومازالت الحرب بينهم حتى مات فليبش فى واقعة على مقربة من مدينة

ويرونه من مملكة البنادقة وسقط تحت سنابك الخيل وذلك سنة ثلاث وستين ومائتين للميلاد أى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة قبل الهجرة

وكان قبل موته قد عقد الصلح مع سابور بن أزدشير بلاد الفرس وعاد بعد عقد الصلح الى رومة وسلك سبل التحبب مع كبارها وأعيانها رجاء ميلهم اليه وقد أعطى فى أيامه المناصب العالية لاقاربه وأصحابه ليعضدوه ويكونوا له عونا فلم يفز ولم ينجح له عمل ومات قبل أن يستقر به المنصب فكانت مدة حكمه خمس سنين غير كوامل وتولى بعده دوقيوس المذكور

(فى الملك دوقيوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر دوقيوس بويع له بالملك فى نفس اليوم الذى قتل فيه فليبش سنة ثلاث وستين ومائتين للميلاد أى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة قبل الهجرة وأصله من بلاد أوستريا من أعمال النمسا وكان من عائلة خاملة الظهور فتولى منصب القنصلية يعنى الحاكم الاكبر بمعارفه وآدابه لابحسبه وكان سفاكا للدم غادرا خائنا غشوما لايبالى بشئ ولايرعوى من شئ وكثرت فى أيامه الحوادث وعظم أمر الخوارج حتى كادت تتخلخل أركان الدولة وقامت أمم الغوطية والهيرولية والبرغولية وخرجوا من بلادهم ناحية الشمال واجتازوا نهر الطونة مع مقدمهم اقليوه فأهلكوا الحرث والنسل فسار دوقيوس بجيشه لقتالهم وردهم عن البلاد فالتقى الفريقان عند روم ايلى واشتبك بينهما القتال فانتصرت جنود دوقيوس عليهم نصرة عظيمة وهزمتهم وظهرت عليهم كمال الظهور فطلبوا الصلح فلم يرض دوقيوس وأصحابه وأبوا الاقتالهم فاقتتلوا فعادت الهزيمة على أصحاب دوقيوس وكانت شر هزيمة هلك فيها دوقيوس ومعظم جيوشه وتشتت من بقى منهم وتفرق أيدى سبا وكانت أيامه كلها محنا ورزايا وفتنا واضطرابات وشقاقا أراق فيها من الدماء شيأ كثيرا واشتد على النصرانية شدة عظيمة جدا فأعمل فى جميع النصارى القتل والصلب وتقطيع الاعضاء والسلب حيث رأى منهم ميلا لذكر فليبش وحفظا لاسمه بعد موته فقد ذاقوا فى أيامه من الرحمة والعدالة ما أنساهم الشدة التى كانوا فيها قبله وكان قد منحهم الحرية المطلقة فى اقامة شعائر دينهم وسهل لهم الامور وخفف عنهم الاثقال فكانت أيام دوقيوس على عكس ذلك فلم يذق النصارى من النكبات شدة أعظم مما ذاقوه فى أيامه ولا ضيقا أشد مما عانوه فى سلطانه حتى كادوا يفنون لولا رحمة الله بهم

وكان المصريون فى هذا الحين شديدى التمسك بعقائدهم القديمة وعوائدهم الدينية لايبغون بها بديلا وكان دعاة الدين المسيحى يعملون على استمالة جميع المصريين الى التمسك

بالديانة المسيحية وكان لهم فى مصر أحزاب يدعون الى الانجيل وكانت أعمالهم ناجحة نامية فظهر فى هذه الاثناء من بين ظهرانى المصريين داع لاحياء الدين القديم فسعى وأجهد النفس وبالغ فى الداب واستمال الكثير من أهالى البلاد على ترك الديانة المسيحية ودعاهم الى الردة فاستفحل أمره واستحكم بسببه الخلاف بين النصارى والوثنيين وقامت قائمة الفتنة فخرج الوثنيون على النصارى ونهبوا بيوتهم وكثر النهب بمدينة الاسكندرية حيث كانت يومئذ مأوى المتنصرين وكان نظام الاسكندرية قد اختل قبل عهد دوقيوس المذكور وعظمت الفتنة الى أن صار أمر اراقة دماء المسيحيين من الواجبات الدينية وتتبعوا أمرهم وكثر الفحص عنهم فخرجوا على وجوههم فى صحارى الصعيد الاعلى وانزووا فى أقطارها وأنكمشوا أياما

ويقال ان الذين أثاروا الفتنة وأوقدوا نارها على المسيحيين هم اليهود والمصريون عباد الاوثان وكانت الحكومة الرومانية بديار مصر تسر جدا باستمرار الشقاق بين صنوف الاهالى بمصر وتأكيد العداوة بين أهل الاديان لتدوم شوكتها وتتأيد دولتها فتقبض على سياسة البلاد بيد من حديد وكان هذا دأبها فى كل بلد ومملكة دوختها وفى خلال هذه الشدائد والمحن ظهر الراهب انطانيوس المصرى وهو أول من ابتدأ بلبس الصوف وعمارة الديارات بالبرارى وابتدع زى الرهبنة وأنزل بدياراته الفرق الهاربة من أهالى مصر ولم تكن الرهبانية اذذاك مشروعة ولا معروفة * واشتد البلاء على النصارى اشتدادا لم يسبق له مثال قال بعض أهل التاريخ وفر فى هذه الايام الفتية أصحاب الكهف من مدينة افسس واختفوا فى مغارة شرقى المدينة وناموا فضرب الله على آذانهم فلم يزالوا نائمين ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا * قلت ولم أر فى كتب النصرانية لهذا الحادث الغريب ذكر البتة

وفى أيامه أبدل صورة الحكومة المصرية بصورة أخرى فأقام أميرا على العساكر يكون من وظيفته تدبير الجيوش والقيام بأمورهم بدون تداخل فى أمور البلاد السياسية وأقام أميرا آخر مصرى الاصل فى منصب الملوكية يأمر وينهى فى الشؤن الملكية بدون تحرش لما يختص بأمور العساكر وهذان الاميران كانا علاوة على النائب العمومى عن ذات القيصر فى بلاد مصر ولكنه أصبح مع اقامة هذين الاميرين ضعيف الكلمة خامل الشهرة والذكر ليس له من النيابة الا الاسم

وقد كانت عبادة الشمس والقمر بديار مصر الى هذا الحين شديدة الانتشار لم يعترها ضعف ولاوهن لاسيما فى عهد غورديانوس الثالث وفليبش ومن بعدهما أيضا وكان التمسك بها لم يذهب من هيا كل مصر والنوبة فكانت هذه العادة من أكبر الاسباب الدافعة بأمم المصريين الى اثارة الفتن وتعميم المحن والباعثة لهم على القيام على كل من خالف دينهم وشق عصا طاعة الهيئة الحاكمة والخروج عليها من وقت الى آخر وكانوا لايألون جهدا فى تعضيد كل من خرج على الحكومة من أمراء البلاد أو الاعراب ويعاونون كل من أراد اغتصاب المنصب الملوكى وينصرونه على ذلك بالنفس والنفيس قيل والغالب أن أصحاب هذا

الاقتيات انما هم الاعراب المستوطنون للبلاد فكانت لذلك لاتنقطع من ديار مصر الحروب الداخلية والاضطرابات العمومية ولامايترتب على ذلك من القحط والوباء حتى أهلك أهلها وقلل عددهم وكان الباعث على ذلك أيضا خسة الملوك ودناءة أصولهم واغتصابهم المنصب بغير أهلية ولااستحقاق وسيرد عليك من قبح سيرة مثل هؤلاء الملوك شئ كثير عند الكلام على زنوبيه ملكة تدمر عند ذكر أوليانوس قيصر

وكان موت دوقيوس الملك سنة خمس وستين ومائتين للميلاد أى سنة احدى وسبعين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه نحو السنتين وخلفه فى الملك غالوس

(فى الملك غالوس)
(قيصر)

﴿ ويقال له أيضا ﴾

(والوس)

ثم قام بالامر غالوس واسمه أيضا والوس بويع بالملك فى اليوم الذى قتل فيه دوقيوس سنة خمس وستين ومائتين للميلاد أى سنة احدى وسبعين وثلثمائة قبل الهجرة * وتحرير الخبر أنه لما انتصر اقليوه مقدم القبائل الشمالية على دوقيوس وأصحابه وهلك دوقيوس على ماتقدم بيانه تجلت العساكر مما لحقها من العار ولم تسرع بمبايعة أحد من قوادها وانتظرت ما سيكون من أرباب مجلس رومة وكان غالوس هذا معدودا من قواد الجنود الرومانية وقدارتقى بغيرته واجتهاده الى درجة سامية فى المملكة فحمل من معه من العساكر على مبايعته فبايعوه فأشرك معه هوسطليانوس بن دوقيوس فى ادارة أمور المملكة وعهد لابنه وولسيانوس بالملك من بعده وحلفت له العساكر بذلك وقدتم هذا كله فى معسكر بلاد النمسا ثم سار من هنالك واستصحب معه شريكه هوسطليانوس الى رومة ليأخذ البيعة لنفسه من أرباب مجلسها

وكان اذ ذاك فى البلاد الرومانية وباء عظيم جدا فبينما غالوس وشريكه هوسطليانوس سائران اذ وسوس الشيطان فى صدر غالوس بقتل هوسطليانوس فقام عليه وخنقه وأشاع خبر موته بين الناس بالوباء ثم دخل مدينة رومة فبايعه أرباب المجلس بيعة صحيحة وكانوا يؤملون فيه انقاذ البلاد من أيدى الاعداء فخاب فيه الأمل

ولما استقر به المنصب أمر بقتل البابا (مارقور نيليوس) ولم تذكر جماعة المؤرخين لذلك سببا مع أن قتل البابا فى تلك الظروف لم يكن بالامر اليسير وعقد مع الغوطية صلحا ذهب بشرف الامة أدراج الرياح حيث ضرب للغوطية على الرومانيين خراجا يحمل

اليهم فى كل عام كيلا تحصل منهم الاغارة على بلاد رومة ورجع غالوس بعد عقده هذا الصلح الى رومة مذموما مدحورا فكان فى هذا الصلح كمال الصغار للرومانيين وحصل لهم كمال الخزى والعار وقد قصد غالوس بتعجيله الصلح مع الغوطية على هذا الوجه التفرغ لحظوظه وشهواته ولم يراع حاجات الوطن والامة ومع ذلك فان الغوطيين لم يحفظوا لهذا الصلح شأنا ولم يحترموا له حرمة بل نقضوه وأغاروا على بلاد البوشناق والصرب والبلغار وكان أمير الجيوش بتلك الجهات يومئذ الامير ((املیانوس)) المغربى فذب ودافع عنها خير دفاع وضرب الغوطيين فهزمهم شر هزيمة وفرحت جنوده بالنصر واستبشروا بطالع قائدهم املیانوس المذكور فبايعوه بالملك فى ميدان الحرب الذى انتصر فيه على أعدائه ونادوا بملكه فلما وردت الاخبار بذلك الى غالوس الملك سار اليه بجيوشه ليؤدبه على اعتدائه وتهافته على المنصب بغير استحقاق وبينما هو فى الطريق وقعت الفتنة بين جيوشه فافتتنوا وقاموا على غالوس وابنه فقتلوهما بطعن الخناجر وذلك سنة ثمان وستين ومائتين للميلاد أى سنة ثمان وستين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه سنتين لاغير وتولى بعده الامير املیانوس المذكور

(فى الملك املیانوس)
((قيصر))

ثم قام بالامر املیانوس سنة ثمان وستين ومائتين للميلاد أى سنة ثمان وستين وثلثمائة قبل الهجرة ولم يبايعه سوى جنوده الذين كانوا معه فى غزوة الغوطيين فلم يستقر به المنصب حتى سار لقتاله ((والريانوس)) قائد العساكر الرومانية ببلاد الغلية بجيشه المرابط فى تلك البلاد فخرج املیانوس لقتاله ومعه جنوده وابنه فلما التقى الفريقان واقتتلا انتصر عليه والريانوس القائد نصرة عظيمة وقتله هو وولده فى ميدان القتال وداست جثتهما سنابك الخيل فى السنة التى تولى فيها فكانت مدة حكمه أربعة أشهر فقط وتولى بعده القائد والريانوس المذكور

(فى الملك والريانوس)
((قيصر))

ثم قام بالامر والريانوس بايعه عساكره بالملك فى اليوم الذى قتل فيه املیانوس وابنه سنة ثمان وستين ومائتين للميلاد أى سنة ثمان وستين وثلثمائة قبل الهجرة وبيان ذلك أنه

لما قتل امليانوس ورأت جيوش والريانوس منه بطلا شجاعا فى الحروب واقتحام المعارك والخطوب فضلا عن أنه شيخ معمر حنكته التجارب توسموا فيه المقدرة على توطيد دعائم المملكة وتمكين شوكتها وتخليصهامن غوائل الفتن المتراكمة والخطوب المتوالية فأقاموا له البيعة ونادوا بملكه وسار من ميدان الحرب الى رومة بجيشه فبايعه الاهالى وأرباب المجلس وتم له الامر وارتقى سرير الملك بين مظاهر التعظيم

فلما استقر به المنصب جهز جيشا عظيما وسار لغزوة سابور ملك فارس ابن أردشير فكانت هذه الغزوة من شر الغزوات وأتعسها على الدولة الرومانية وتحرير الخبر أنه لما تقلد سابور الملك بعد أبيه اردشير ورأى اختلاف كلمة الدولة الرومانية وتسلط قواد الجيوش على منصبها الملوكى وزعزعة أركان سياستها الداخلية والخارجية سار بجيوشه الى بلاد أناطلى على مهل وكان كلما مر ببلد أو مدينة قتل ونهب وأحرق وأهلك الحرث والنسل حتى نزل بانطاكية فدمرها وسار منها الى حمص ليخربها أيضا فلما وردت الاخبار بذلك الى رومة قام الملك والريانوس بجيشه مسرعا الى حمص ليدفع سابور عنها فأظهر سابور الخوف والقهقرى ووالريانوس يتبعه بجيوشه حتى دخل والريانوس بجنوده فى موضع حرج للغاية فهجم عليه سابور بعسكره وهزمه شر هزيمة وأخذه أسيرا فعامله معاملة سيئة للغاية وضرب عليه ضروب الذل والصغار فكان يصحبه أينما حل وحيثما ارتحل وكان يلبسه أنخر ثيابه الملوكية وكان اذا أراد ركوب عربته أوجواده استحضره وطرحه على الارض وجعله سلم ركوب فكان يدوسه عند الركوب بقدمه ولاينظر الى شيخوخته ولبث على هذه الحال من الاهانة والتعذيب ثمان سنين كاملة وكان أسره ووقوعه فى يدى سابور فى سنة أربع وسبعين ومائتين للميلاد أى سنة اثنتين وستين وثلثمائة قبل الهجرة

قال بعض أهل التاريخ ومن غرائب الاتفاق أن والريانوس كان أمر بتتبع النصارى وتعذيبهم واذلالهم فقتل منهم خلق كثير وذلك فى السنة الرابعة من ملكه ولم يمض على هذا الفعل الا القليل حتى سار لحرب سابور ووقع فى الاسر والتعذيب فكان صبورا على تحمل هذه البلوى لايتململ ولما مات أمر به سابور فسلخ ودبغ جلده وصبغ باللون الاحمر الارجوانى الذى هو لون لباس الملوك وحشوه بالتبن ليكون دائما على شكله لايتغير تمثيلا به وعبرة لمن يأتى بعده من ملوك الرومان

وفى أيامه ظهرت قبائل الفرنجة وسارت للغزو وتخريب البلاد فوصلوا بعد أسره الى بلاد الغلية واسبانيا وافريقية وانقسموا الى عدة طوائف لكل طائفة منهم ملك وكان كل ملك من ملوكهم يمتاز عن رعيته وقومه بهنداسة فى يده يقبض عليها دائما وكانت وظيفته أن يمشى بهذه الهنداسة أمام جنوده وأن يقضى بين الاخصام على دكة وبيده هذه الهنداسة فيشير بها الى صاحب الحق عند الحكم له

وكان لوالريانوس ولد اسمه (غليانوس) واليا على بلاد الغلية فلما يئس الرومان من

خلاص والريانوس من أسر سابور ملك فارس سيروا فى طلب غليانوس المذكور ليولوه بدل أبيه فجاء مسرعا الى رومة ودخلها فى موكب حافل للغاية فكانت مدة حكم والريانوس الى يوم أسره خمس سنوات

(فى الملك غليانوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر ابنه غليانوس بويع له بالملك سنة خمس وسبعين ومائتين للميلاد أى سنة احدى وستين وثلثمائة قبل الهجرة وقد كان قبل ولايته عاملا للرومانيين على بلاد الغلية فسار منها الى رومة فى موكب حافل جدا فلما دخلها بايعه أرباب المجالس والوجهاء وأهل البلاد واستقرّ به المنصب فعكف على مالاخير فيه وألهته خمرة المنصب عن غيرها قال بعض أصحاب التاريخ

وبينما كان والريانوس الشيخ الكبير أبو غليانوس هذا يكابد ما يكابد من ذل الاسر ومضض الاهانة والضيق ببلاد فارس كان غليانوس ابنه منهمكا فى الالعاب مولعا بالولائم والاحتفالات يدعو اليها جميع ندمائه وجلسائه لاقتسام اللذات والشهوات وكان يقضى يومه وليلته فى السكر والعربدة ويتسلى ببناء القصور من باقات الزهور والرياحين ويزرع البطيخ فى الشتاء حيث تشتهيه نفسه فى ذلك الفصل وقد كانت فى هذه الاثناء تنصب على هامة المملكة أنواع المصائب والنكبات من كل صوب وحدب حتى كادت تشرف على الدمار فقد انتشر بها القحط وطغيان الانهار والوباء والفتن الداخلية فكان يهلك بالطاعون فى مدينة رومة وحدها فى كل يوم خمسة آلاف نفس ومع هذه الخطوب والكروب والمصائب العظيمة كان غليانوس الملك لا ينفك عن ملاذه وشهواته متغاضيا عن اغارة الاعداء على بلاده حتى مزقوا المملكة وكادوا يبتلعونها فكان اذا كلمه أرباب الدولة وكبار الجند فى ذلك وحببوا اليه كبح جماح الاعداء وردّهم عن البلاد قال لهم لا تكثروا العتب واللوم فانى لا أهتم الا باقليم ايطاليا دون غيره فكانت أيامه شديدة الازمة على البلاد الرومانية بأسرها كثيرة الرزايا والاحن وسار غليانوس للحرب مع افرنج الغلية لشنهم الغارة على حدود المملكة الرومانية فانتهز امليانوس أمير الجنود الرومانية المرابطة بمصر هذه الفرصة فخرج على غليانوس وشق عصا طاعة الدولة فكاتبه غليانوس فى الرجوع الى الطاعة فلم يرجع وأصر على العناد فأرسل اليه طيودوطس القائد فى جيش عظيم فهزمه وقبض عليه وأرسله الى رومة فسجن فيها ثم قتله غليانوس وهو بالحبس صبرا * ومنح ادنياطوس ملك تدمر لقب أغسطس حيث كان محالفا للرومانيين وهو الذى هزم العجم الذين كانوا قد أغاروا على أملاك الدولة الرومانية وطردهم حتى أرجعهم الى بلادهم وكفى الرومانيين شرهم فانتقل هذا اللقب أيضا الى زوجته (زنوبيه)

وأولاده اذ كان متوارثا فيهم بعد موت اذنياطوس فصار كل من يتولى ملك تدمر يلقب بلقب اغسطس فبدأت من هذا الحين مدينة تدمر فى التقدم ورفعة الشأن واتساع نطاق التجارة ولاسيما فى عهد زنوبيه كما سيأتى الكلام عليها مفصلا

وقام عليه فى خلال ملكه كثير من أمراء الجنود الرومانية واغتصبوا منه الملك فكان منهم من قبض عليه وقتل ومنهم من قتله جنوده قبل أن يصل الى رومة ولما اشتد بالرومانيين الخطب وولاهم الذل والعار بسبب فعال غليانوس المذكور وسوء تدبيره وفساد رأيه أغروا طوائف الجند على الخروج عليه وقتله فقاموا عليه وقتلوه وألقوا بجثته أمام قصره وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائتين للميلاد أى سنة أربع وخمسين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدته سبع سنين

وفى أيامه مات ديمتريوس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتين وثلاثين سنة وفى أيامه طارت الاخبار بقتل جميع النصارى الذين فى ممالك رومة فوقعت فيهم مذبحة عظيمة جدا وكانت هى الشدة الخامسة وقد ابتدأت أولا من بلاد مصر حيث قتل جميع من فيها من النصارى حتى لم يبق الا من لجأ الى الجبال واختفى فى المقابر والكهوف ثم سرت الى بلاد الغلية والى افريقية فقتل فى تلك البلاد مالا يحصى عددا لاسيما فى مدينة ليون احدى بلاد الفرنسيس وفى قرطاجنه ببلاد المغرب فكانت شدة عظيمة للغاية فلما مات ديمتريوس أقيم بعده « بادكالوس » أو « بادكلاس » وهو ثالث عشرهم وأصله من مدينة الاسكندرية وهو أول من سمى بابا على المشهور وكان ورعا تقيا ووقع من الحوادث فى أيامه ما سيذكر فى محله

ولما مات غليانوس الملك كما تقدم تولى بعده قلودس الثانى

(فى الملك قلودس)

« قيصر الثانى »

ثم قام بالامر قلودس الثانى بويع بالملك بعد قتل غليانوس سنة أربع وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة قبل الهجرة فكان أول سلسلة القياصرة « الليريه » يعنى القياصرة السواحلية وكان أصله من اقليم دلماشيا وكان معدودا من فحول رؤساء الجيوش الرومانية وهو الذى حارب الغوطية وقهرهم وبدد شملهم فكان أول من بايعه بالملك العساكر ثم حضر الى رومة فى عسكره فأقره أرباب المجلس وبايعوه وفرحوا به واستبشروا بولايته ولم يستقر به المنصب حتى جمع الغوطيون جيشا جرارا عند نهر آق كرمان ونزلوا عند سواحل البحر الاسود وأغاروا على المدن الرومانية القريبة منها وزحفوا على بلاد اليونان التابعة لرومة وأغاروا عليها أيضا فسار قلودس الملك مسرعا لقتالهم فانتصر عليهم نصرة عظيمة

سميت نصرة ﴿نسيا﴾ وهى مدينة ببلاد الصرب وقد كثر فيها اراقة الدم عند اشتباك القتال بين الفريقين الى حد تولد عنه وباء عظيم جدا فأصاب قلودس الملك فرض ومات به فى مدينة سرمش جهة بلاد الصقالبة وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة خمسين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدته سنتين وتولى بعده أورليانوس قيصر

(فى الملك أورليانوس)

﴿ قيصر ﴾

ثم قام بالامر أورليانوس بايعه العسكر فى اليوم الذى مات فيه قلودس سنة اثنتين وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة خمسين وثلثمائة قبل الهجرة وتحرير خبره أنه لما كان قائدا من قواد الجنود العارفين بأساليب الحروب وكان مقاتلا مهيبا تخشى سطوته ويخاف بأسه طار صيته فى الآفاق فتعلقت الآمال به واجتمعت الكلمة على مبايعته فبايعوه وكان شديد المراس على طوائف الجنود يخافه القريب منهم والبعيد

فلما استقر به المنصب أغارت طوائف الالمان على ايطاليا وظفروا بجيش عظيم من جيوش الرومانيين وبددوا شمله وأعملوا النهب والسلب فى جميع مدن ايطاليا فانتهز أورليانوس اشتغالهم بالنهب وجمع ماتفرق من عساكره وانقض عليهم ولا انقضاض البازالاشهب وبدد شملهم وأعمل فيهم السيف حتى ركنوا الى الفرار وعادوا يعبرون نهر طونة كما حضروا فسلمت البلاد من شرهم

وكان غليانوس قبل موته بنحو سنة اتفق غليانوس مع زنوبيه ملكة تدمر وتحابا حيث كان زوجها محالفا للرومانيين ومظاهرا لهم على الفرس فظهرت زنوبية المذكورة بعد موت زوجها ظهورا عجيبا فى البلاد المشرقية وقويت شوكتها واستفحل أمرها وانتظم ملكها وصارت مدينتها التى هى تخت ملكها فى صحارى الشام الرومانية عامرة آهلة زاهرة بهية حتى كأنها جنة من جنان الدنيا واتسعت دائرة ملكها من ساحل بلاد صور والشام الى نهر الفرات والعراق برا وبحرا واهتمت باعانة التجارات واتساع دائرة المعاملات فأحرزت بلادها مالامزيد عليه من الرونق والبهجة واكتسبت مدينة تدمر فى أيامها من الفخر والزينة مالم تكتسبه فى أيام سليمان عليه السلام وكانت زنوبية قد تزوجت بالملك ادنياطوس الذى هزم سابور ملك فارس وانتصر عليه فى عهد الملك غليانوس كما سبقت الاشارة الى ذلك فى محله فلما مات زوجها سلكت مسالك الجد وتقوت عزيمتها واتصفت بصفات الرجولية وحلت محل زوجها فى الحماسة والشجاعة والبأس والشوكة حتى أحرزت بلادها كمال الشهرة وبعد الصيت وثبتت دعائم ملكها بتلقيبها بلقب

قيصرة وكانت تزعم أنها ماولت الملك الا باستحقاق وأنها صاحبة أصل ينتهى الى فراعنة مصر وملوكها فكانت فى زمانها نادرة تخطب فى العساكر بأبلغ خطابة وأفصح لسان وتحثهم على اقتحام الخطوب وتضمن لهم الفوز والغلبة شأن القائد الحازم وكانت تضع على رأسها خوذة الحرب كالابطال حاسرة عن ذراعيها كالفتيان من الرجال وكانت قوية الجأش ثابتة الجنان لها فى السياسة اليد الطولى وكانت شديدة الامل كثيرة الطمع فى أن تحكم يوما ما جميع الممالك الرومية وكانت بلاد مصر فى هذا الحين تحاول الخروج عن طاعة الرومانيين وتزاول الاستقلال بنفسها فلما علمت زنوبيه بذلك وجهت أطماعها نحو ديار مصر وأخذت تبذل الاموال الكثيرة والرشا التى لاتدخل تحت حصر رجاء أخذها بالتى هى أحسن فلم تنجح فاستعملت القوة وسيرت جيشا جرارالغزوها فانتصرت عساكرها على العساكر المصرية واستولت على سرير الاسكندرية فلم يستقربها المقام حتى عادت الجنود المصرية الى مقام الاقتتال وطردتها من مدينة الاسكندرية وزحزحتها عنها فعادت اليها بعد قليل حيث جاءها من تدمر المدد من الرجال والذخيرة ومعدات القتال وتغلبت عليها واستولت على تخت الملك وذلك كله فى عهد أورليانوس الملك فقام أورليانوس من رومة وسار الى الشام وحارب زنوبية واقتتلا قتالا شديدا جدا فانتصر أورليانوس عليها نصرة عظيمة فهربت من حمص الى تدمر وتترست عساكرها وراء حصونها فضيق أورليانوس حصارها ومنع عنها الميرة فنفد مافى المدينة من الزاد وأيست من الذخيرة والامداد فحاولت الخروج والفرار فأحس بها وقبض عليها وهى هاربة فلما مثلت بين يديه قالت له قد ساعدتك بالنصر علينا الاقدار أيها الملك فها أنا معترفة لك بالولاء ولقد كان الخروج على أسلافك من الامور اللازمة اذهم لم يبلغوا ماوصلت أنت اليه من النجابة والبسالة وكانت فى هذه الاثناء تحدق بها العسكر من كل جانب فصاحوا جميعا اقتلوها اقتلوها فما هى الاساحرة ماكرة فأشار أورليانوس أن اسكتوا وقال انى لأحب الابقاءها فاستبقاها ولكنه أذلها وأدخلها رومة فى موكبه ضمن الغنائم ثم أنزلها فى قصر فى رومة ولبثت هنالك الى أن ماتت وبقيت ذريتها من بعدها الى أن أوشك الاسلام أن يفتتح الشام

وكان أسر زنوبيه وزوال ملكها جميعه فى سنة أربع وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة خمسين وثلثمائة قبل الهجرة

وبعد هذا الحادث بقليل ظهر تاجر من تجار الاسكندرية وقصد الاستبداد بحكم البلاد وكان صاحب ظهور وخروج عالى الكلمة فنادى لنفسه بالرياسة وعمل على حكم البلاد فانتهى اليه من ديوان مصر الامر والنهى فى جميع الامور وخضع له من أهل البلاد السواد الاعظم وقام يدفع جوامك جميع الجنود وزعم أنه يتكفل بجميع ذلك من ربح صناعة ورق الكتابة المتخذ يومئذ من البردى فلبى دعوته جميع المصريين وعقد المعاهدات مع المجاورين من ملوك العرب وضرب السكة باسمه واستعان بروم الاسكندرية فأطاعوه

وانتصروا له تخلصا من حكم الدولة الرومانية لخارب الدولة وتلاقى مع جندها فى ثلاث مواقع فظهر عليهم فى نصرة ثم انهزم شر هزيمة ووقع فى يد قائد الجيوش الرومانيـة فقتـله وعادت مصر الى قبضة الرومانيين وتقلد نيابتها أمير من قبل أورليانوس اسمه (أورليوس بروبوس) فأصلح ماأفسدته الحروب والوقائع وعمر المبانى بالتجديد والترميم وأصلح النيل بالعمليات الهندسية وشغل فيهـا الجنود فسارت السفن وانتظمت أحوال الملاحة بعد أن تعطلت أوكادت زمنا ليس بقليل وكانت سيرة أورليانوس الملك أحسن سيرة وقد دبر البلاد أحسن تدبير فحازت فى أيامـه الصيت وكمال الشهرة وسار فى آخر أيامه لغزوة الفرس بعـد انتصاره على عصاة مصر والشام فبينما هو يسير بجيوشه اذ أثار عليه منسبطس كاتب سره فتنة من جنوده فقام الجند على أورليانوس وقتلوه وذلك سنة ثمان وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه أربع سنين لاغير

وفى السنة الاخـيرة من ملكه كان تعذيب النصارى بالشدة السابعة التى سفكت فيها الدماء الهائلة وقتـل فيها ساندنيس رئيس أساقفـة باريز وكانت من أعظم الشدائد وأنكاها بالنصرانية

ولما مات أورليانوس على ماتقـدم بيانه تولى بعده طاقيطوس أحـد أرباب مجلس رومة بعد أن لبثت البلاد بلا ملك مدة ثمانية أشهر

(فى الملك طاقيطوس)
(قيصر)

ثم قام بالامر طاقيطوس بويع له بالملك بعد فترة ثمانية أشهر فكان ذلك فى سنة سبع وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة سبع وأربعين وثلثمائة قبل الهجرة وتحرير الخبر أنه لماقتل الجنود أورليانوس عند ذهابه لغزوة فارس وردهم عن الاملاك المشرقية التى كانوا قد أغاروا عليهـا لم يستـطع أحد مبايعة أحد بالملك خوفا وخجلا فبقى سرير رومة خاليا وهذه أول مرة خلا فيها سرير الملك عمن يشغله وكانت مدة خلوه ثمانية أشهر فاعتبرت عند جماعة المؤرخين فترة

وقد حدث فى خلال هذه الفترة أن ظهرت طوائف الفرنج وعبروا نهر الرين للتغلب على بلاد ايطاليا واغتيالهـا فلما أحس أعضاء مجلس رومة بهم اجتمعوا برؤساء الجنود وتشاوروا فى الامر فاتحدت كلمتهـم على مبايعـة طاقيطوس بالملك وقد كان من أعضاء المجلس فبايعوه وكان حكيما عاقلا كيسا حسن المقاصد سليم النية خالص الطوية يفخر على غـيره من جهة أنه من ذرية طاقيطوس المؤرخ وكان هرما بلغ من العمر خمسا وسبعين سـنة ولم يكن مجربا للحروب ولا مارس الخطوب وكان له معرفة تامـة بالانشاء والمحاضرات والادبيات والخطابات

فكانت لذلك نفوس العساكر غير مائلة اليه ولم يلبث أن وقعت بينه وبينهم الوحشة والنفور فكانوا لايهابونه ولاينظرون اليه الا بعين المقت والاحتقار ثم لم يمض الا قليل من ولايته حتى أضرموا نار الفتنة وبسطوا راية العصيان فوقف رئيسهم بينهم موقف الخطيب وصار يحضهم على السكون ويستميلهم الى الطاعة ويقول كيف ترضون طاقيطوس ملكا عليكم بالامس واليوم تطلبون خلعه وهو يعدكم بالعطايا والنعم الجزيلة فلم تؤثر فيهم خطابته ولم يقدر على تسكين الفتنة ثم دخل على طاقيطوس فريق منهم وقتله بالقصر وألقوا جثته على باب حجرته فنقل ودفن وذلك سنة ست وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة سبع وأربعين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت أيام ملكه سنة غير كاملة وتولى بعده بروبوس

(فى الملك بروبوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر بروبوس بويع له بالملك فى اليوم الذى قتل فيه طاقيطوس سنة ست وثمانين ومائتين للميلاد أى سنة سبع وأربعين وثلثمائة قبل الهجرة وقد كان أبوه بستانيا فدخل هو فى خدمة الجندية الرومانية وأقبل على تلقى فنونها وضروبها فارتقى درجاتها واحدة بعد واحدة وسمى فيها باسم بروبوس يعنى الصالح وكان مستقيم الحال حسن الفعال جديرا بذلك العنوان وقد تحققت شجاعته لدى جميع الجنود بحصاره المدائن والثغور وحروبه وفتوحاته العظيمة فكان مهيبا محترما محبوبا

ولما أحضروا له الحلة الملوكية ليلبسها يوم بويع بالملك امتنع وقال هى أكبر منى فألحوا عليه فى ذلك فأخذها وقال لعلكم قلدتمونى المنصب قبل أن تعرفوا أحوالى وتختبرونى وقد أرى أنكم ستندمون على ذلك فانى لاأراعى أحدا منكم فى الاحكام ولاتأخذنى فى الله لومة لائم

فلما استقر به المنصب شرع فى تحصين الحدود وحماية الثغور والعناية بها ودفع الاعداء ومنعهم من الاغارة عليها ثم تجهز بعد ذلك لحرب الغوطية والصقالبة والافرنجة والالمان وزحف بجيوشه عليهم مرة واحدة فانتصر على الجميع وأرسل كثيرا من القبائل الرومانية الى ماوراء نهر الرين ليتوطنوا بالبلاد التى وراء ذلك وأرسل قبائل أخرى المانية الى الاقاليم الشرقية الرومانية وأذل الفرس وقهرهم وأهانهم اهانة عظيمة وقاتل أهالى صعيد مصر حتى أدخلهم تحت الطاعة وقد كان خروجهم من عهد أورلياس قيصر وعاقبهم أشد العقاب ولاسيما أهل مدينة قفط واخميم ومنشأة اخميم ثم عاد الى رومة مؤيدا منصورا ودخلها فى موكب عظيم للغاية سار فيه أمام عربته أسرى الامم وغنائم الدول التى هزمها بسيفه وكان بعد

انتصاره على أهل مصر فدولى عليهم واليا اسمه الامير «ساطرنيوس» فاستعان ساطرنيوس المذكور عن استمالة لنفسه من أروام الاسكندرية على الخروج عن طاعة الملك والاستقلال بملك البلاد ولكنه لم يلبث أن قامت عليه فتنة عاجلة فقتل فيها وعادت الكلمة فى البلاد للقيصر فاستعمل مكانه أميرا آخر اسمه «اخليس» فلم يستقر باخليس هذا أيضا المنصب حتى حدثته نفسه بطلب الاستقلال والخروج عن الطاعة وعمل على ذلك واستمال اليه أرباب المظاهر فى البلاد فبايعوه على ذلك بمصر ثم قامت عليه فتنة فقتل فيها أيضا وعادت كلمة القيصر الى مقامها الاول فهابته الدول وخافه سائر الرعية وعلت كلمته وانبسطت يده على جميع أمور الدولة فاستتب الامن فى داخل البلاد الرومانية واستولت الطمأنينة على جميع الاهلين وانتظم حال التجارة والصناعة والفلاحة وكثر غرس الكروم لاسيما فى بلاد الغلية والجرمانية والبلاد الاندلسية وزادت محاصيل العنب زيادة عظيمة للغاية وكان لايترك الجنود فى البطالة والكسل بل كان يستعملهم فى الخدم العمومية كتنشيف البرك وردم المستنقعات وعمارة القناطر والجسور وفتح الترع والخلجان وتطهير الانهر وتحسين مجاريها وكان لايدعهم للاستراحة طرفة عين وقد كان أنذرهم قبل مبايعته بجميع ذلك اذ قال لهم * ولعلكم قلدتمونى المنصب بدون روية * فسئم الجند من استدامة الخدمة وأغضبهم استمرارهم على هذا الحال وامتلأت صدورهم حقدا عليه وكرها له فذهب يوما ليرى عملية تطهير بعض البحيرات فقام عليه الجند وقتلوه قيل وكان مما حمل الجند على قتله أنه قال لقوادهم فى محفل «سيأتى على يوم لاأحتاج فيه الى جندى منكم ولا جنود» يريد بذلك أنه بالعدل تقل حاجة الملك الى العساكر مصداقا لقول القائل

«لو أنصف الناس استراح القاضى * وبات كل عن أخيه راضى»

وكان قتله فى سنة ست وتسعين ومائتين للميلاد أى سنة أربعين وثلثمائة قبل الهجرة وهو من الحوادث المشؤمة على الدولة الرومانية وكانت مدة ملكه سبع سنين وتولى بعده قاروس

(فى الملك قاروس)
«قيصر»

ثم قام بالأمر قاروس بايعه جند الحرس الملوكى عقب قتل بروبوس سنة ست وتسعين ومائتين للميلاد أى سنة أربعين وثلثمائة قبل الهجرة وقد كان رئيس جند الحرس المذكور فسار الى رومة بعسكره وطلب من أرباب المجالس البيعة له فبايعوه عن اخلاص وقد كان مولده فى مدينة اربونة بمملكة الغلية ولم يكن ذا بيت عريق فى المجد وكان له ولدان أحدهما

اسمه قارينوس والثانى اسمه نومريانوس فلما استقر به المنصب قلد ولديه منصب الاغسطوسية ونادى لهما بذلك

وعاد الفرس والصقالبة فى السنة الاولى من ملكه الى الاغارات على البلاد الرومانية فسار بنفسه الى بلاد آسية وقاتلهم قتالا عنيفا فهزمهم وأخذ بعض مدنهم وعاد الى رومة فقام عليه بعض جنوده فى الطريق وأخذوه غيلة وقتلوه وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين للميلاد أى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه سبعة عشر شهرا فتولى الملك بعده ولداه قارينوس ونومريانوس

(فى الملك قارينوس)
(قيصر)
(والملك نومريانوس)
(قيصر)

ثم قام بالامر ولداه قارينوس ونومريانوس بويع لهما بالملك عقب قتل أبيهما فى أثناء سنة سبع وتسعين ومائتين للميلاد أى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة قبل الهجرة وقد كان مريانوس معتدل المزاج لين العريكة سهل الاخلاق فصيح المنطق بليغ المقال الى حد أكسبه شهادة مجلس رومة بأنه خطيب عصره ونادرة مصره وقد كانت الخطابة عند اليونان والرومان فى ذلك الحين أصلا عظيما من أصول الدولة يعين على التحسين والتمكين وقد خلد التاريخ فصاحة مريانوس وبيانه وجعل شهادة المجلس له بذلك دليله وبرهانه

وأما قارينوس فقد كانت أوصافه على خلاف أوصاف أخيه فكان منهمكا على القبيح فاسد الاخلاق مخالطا لاهل السخرية والاغانى لايصحب الامن لاخلاق له وكان يتزيا بزى النساء فيلبس اللآلئ النفيسة والجواهر الكريمة ولاينام الاعلى بساط الزهور والرياحين وكان يتحبب الى الجند وأهل البلاد بالاكثار من الولائم والضيافات فكانوا لذلك يتغاضون أحيانا عن معايبه

ولما استقر المنصب بنومريانوس سار الى بلاد فارس حيث كان أهلها قد قاموا على البلاد الرومانية وأخذ معه آبروس أبا زوجته فلما رأى آبروس المذكور ما عليه نومريانوس من أبهة السلطنة وعزة الملك تاقت نفسه الى ذلك وسولت له الفتك بنومريانوس فقام عليه وهو فى طريقه الى فارس وفتك به وكان مع نومريانوس فى هذه الغزوة دقليانوس رئيس غلمانه فلما علم بما فعله آبروس قام عليه وقطع عنقه انتقاما منه وأخذا بثأر

سيده وفى رواية أنه لم يكن ضربه عنق آبروس محض انتقام لسيده بل ان الاصل فى ذلك أن كاهنة من بلاد الغلية بشرته بأنه سيملك على بلاد عظيمة جدا اذا يسر له القدر قتل الخنزير فكانت كلمة آبروس باللغة اللاتينية معناها خنزير ونقلت الى العلمية من معناها الاصلى فكان قتله لآبروس المذكور تحقيقا لما قالته وبشرته به الكاهنة وقد تولى الملك بعيد ذلك ولكن على بلاد الغلية فقط قيل ولم يقصد الاستيلاء على رومة ولا بسط يده على جميع البلاد الرومانية كما كان الناس يظنون

ولما تمكن دقليانوس من الجند وكبارهم سار بهم الى قارينوس ودنا من مقره وأصر له السوء فأحس قارينوس بذلك وصحا من سكر الغفلة وأقلع عما كان عليه من الخسة واللهو والاشتغال بالدنايا وبرز لمحاربة دقليانوس واستعمل البأس والشدة فكانت الحرب بين الفريقين سجالا ثم ظهر على دقليانوس وهزمه وكسر عساكره * وبينما هو يطارد دقليانوس وعساكره قامت فتنة بين جنوده فقتلوه فى الطريق وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين للميلاد أى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكهما أشهرا قلائل وتولى بعدهما دقليانوس واستقل بحكم البلاد

(فى الملك دقليانوس قيصر)

(ويقال له أيضا)

(دقلطيانوس ودقله والملك مقسيميانوس هرقل أغسطس)

ثم قام بالامر دقلطيانوس بويع له البيعة العامة بعد قتل قارينوس سنة سبع وتسعين ومائتين للميلاد أى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة قبل الهجرة وكان مولده بمدينة دقلياد لماجيا ببلاد النمسا من عائلة خاملة الذكر عاطلة من حلية المجد والحسب فدخل فى خدمة العسكرية من زمن صباه واشتهر بالبراعة فى الفنون الحربية والسياسة الملكية ولكنه لم يشتهر بالشجاعة فى المواقع المهمة ولا عرف فضله بالفتك بالاعداء فكانت سياسته كسياسة أغسطس أول قياصرة الروم يميل الى حسن التنظيم واحكام الامور والتمسك بالحزم والتبصر فى العواقب وكان ميالا الى السلم والصلح وتنسيق الاحوال فكان معدودا لذلك من أكابر مدبرى الدولة الرومانية ولم يسبق له مثيل بين رجالها وكان عمره حين تولى الملك أربعين سنة وقد أحس باحتياجه مع ذلك الى عضد يقوى ساعده وظهير يقتسم معه حمل أعباء المملكة وكان من أمراء شجعان العسكر الرومانى أمير اسمه مقسيميانوس هرقل من أبناء بلد دقلطيانوس ولكنه كان فظا غليظا دنىء الاصل لان أباه كان من رعاة الماشية فتربى مقسيميانوس المذكور فى

الجندية ومازال حتى انتظم فى سلك الشجعان فأدناه دقلطيانوس منه وقاسمه الملك قسمة مهايأة وتراض فأبقى دقلطيانوس لنفسه الاقطار المشرقية وترك لمقسميانوس تدبير الاقطار المغربية وجعل مقر حكومة مقسميانوس مدينة ميلان من أعمال ايطاليا

وامتاز دقلطيانوس عن مقسميانوس بملاحظة عموم المصالح وأمور كافة البلاد الرومانية مشرقية كانت أو مغربية وجعل دار اقامته مدينة ازمير من أعمال برسه فهجرت عندئذ مدينة رومة وانسلخ عنها كونها دار الملك ومقر السلطنة الرومانية فى عهد هذه المقاسمة وكان ذلك فى سنة ثلاث وثلثمائة للميلاد أى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قبل الهجرة وكان كل من دقلطيانوس ومقسميانوس فى تدبير أمور المملكة وقضاء مصالح خلق الله على وفاق عام وتواطؤ فى الرأى تام فكان دقلطيانوس يومئذ رأس الدولة ومقسميانوس عضدها

ولما ذهب مقسميانوس الى مقر حكومته بالاقطار المغربية رأى من خروج فلاحى بلاد الغلية وعصيانهم واثارتهم للفتن ما ألجأه الى تجهيز الجيوش واعداد معدات الحرب لقتالهم فضربهم وانتصر عليهم وأدخلهم تحت الطاعة ثم سار الى قتال فارسيوس الخارجى ببلاد الانجليز حيث استفحل أمره واجتمع معه عصب الاشقياء من أهل الصيال وقطاع الطرق وتعدى معهم للايذاء والسلب رجاء أن يكثر قومه ويستقل بملك البلاد وفصلها من حكم الرومانيين فحاربه مقسميانوس وأجهد النفس فى قتاله فلم يقدر على ادخاله ومن معه من الفرنج تحت الطاعة فاضطر أن يشرك معه فى الملك شريكين آخرين أحدهما قسطنقيوس خيورس من أهالى سواحل ايطاليا من بيت مجد وشرف وثانيهما اسمه والبرس الراعى ويقال له أيضا غالبرس وألبسهما حلة الملك ليكونا له عونا على الاعداء وكانت هذه المقاسمة والتشريك فى سنة ست وثلثمائة للميلاد أى سنة ثلاثين وثلثمائة قبل الهجرة فاجتمع على حكومة الدولة الرومانية فى هذا الحين أربعة ملوك ملكان كبيران يلقب كل منهما بلقب أغسطس وهما مقسميانوس و دقلطيانوس وملكان دونهما فى الرتبة يلقب كل منهما قيصرا وهما قسطنقيوس وغالبرس وكانت تسمى هذه الحكومة اذذاك بالدولة الرباعية فكان هذا الترتيب المشتمل على قسمة المهايأة تمهيدا لانفصال رومة وقسطنطينية وامتياز كل منهما بعد ذلك بملك مستقل قائم بنفسه كما سترى ذلك فى محله

وكان لهذه الشركة الرباعية أثر مهم جدا اذ تقوت بها الدولة وعظم شأنها وامتدت كلمتها وهابها العدو وصارت فى مأمن من الغارات الخارجية فقهر قسطنقيوس الفرنج وهزمهم ودفع غالبرس الفرس وغلبهم وبدد شملهم وأعاد للدولة مجدها الاول ورونقها القديم وقد كان دقلطيانوس فى هذه الاثناء أيضا يعمل على تحسين أحوال الادارة الملكية وتهذيب الاحكام والقوانين السياسية واقامة حدود العدل للمساواة بين صنوف الرعية وادخال الجند تحت القوانين الرابطة ونشر بنود الضبط والعمارية وعمل أيضا على تحسين أحوال مدينة ازمير

وأنطاكية وحص وقرطاجة وأدخل فى الديوان الرسوم والآداب المشرقية وأبهة الملك على عادة سلاطين المشرق من الفرس وغيرهم ولم تكن هذه الآداب معهودة من قبل فى دواوينهم

ووقعت مصر فى هذه المقاسمة الرباعية من نصيب دقلطيانوس حيث صارت من ضمن بلاد المشرق وكان العامل عليها يومئذ رجل اسمه اخليوس ويقال له أيضا آجله وكان فى خلال هذه الحوادث قد تغلب عليها لنفسه واستبد بحكمها فسار دقلطيانوس لقتاله وحاصر مدينة الاسكندرية وضيق عليها تضييقا شديدا فقطع خلجان النيل لتصريف مياه النيل التى تجرى فيها السفن ليمنع الميرة والذخيرة عن المدينة واستولى عليها بعد حصار ثمانية أشهر فلما فتحها استعمل الظلم والعسف وتجاوز الحدود فى ذلك وارتكب مالايخطر لاحد على بال من المآثم والمظالم وأحرق المدينة وسبى أهلها سبيا وأباحها لجنوده ليفعلوا مايشاؤن فعاثوا فى الارض وأهلكوا الحرث والنسل وقتلوا وفتكوا وسبوا ونهبوا وأراقوا الدماء أنهرا واشتدوا شدة لم يسبق لها مثيل * وحكى بعض أحبار مسيحى مصر أن دقلطيانوس ركب ظهر فرسه وأمر جنده أن لايتركوا القتل حتى تسيل الدماء على الارض وتعلو حتى تصل الى ركبة فرسه * قال بعض المؤرخين فكان من الالطاف الالهية أن سقط به فرسه على الارض فتلوثت ركبتاها بالدم فتم قوله معنى وأبطلوا القتل

واعتبر قبط مصر حكم دقلطيانوس على الدولة الرومانية تاريخا تؤرخ به الوقائع ويسمونه تاريخ الشهداء لكثرة ماسفك فيه من الدماء ولاسيما دماء المسيحيين وهذا التاريخ يوافق تسعا وثلاثين وثلثمائة قبل الهجرة وتسعا وثلاثين يوما * قال بعض الكتاب وكانت نصرة دقلطيانوس على آجله عامل مصر فتوحا جديدا للبلاد ومفتاحا لخير أهلها فانه بعد أن أجرى ماأجراه من الجور والعسف عاد الى سبل الاستقامة والرفق بالرعية فعمل لهم قوانين خصوصية وصالح أهل الصعيد وترك لهم من جنوب اسوان جهة الشلالات يستبدون بحكمه ويرابطون فى الثغور والحدود يحفظونها ورتب لهم الجوامك والعلوفات فى مقابلة ذلك

وأما والبروس فقد كان فظا غليظا جهورى الصوت مزعجا فى حركاته وسكناته وكان يحسد دقلطيانوس على ماأحرزه من لقب أغسطس فسعى ليحرز هذا اللقب أيضا وقد كان هو علة تعذيب النصارى وتنكيلهم فى الشدة العاشرة التى هى أعظم الشدائد وأفظعها وآخرها فعذبهم بأنواع العذاب مما لم يسبق له قط مثال وكان يحملهم على الردة عن دين المسيح والرجوع لعبادة الاصنام وأحرق القصر الملوكى مرتين واتهم أهل الديوان بتحريض أهالى البلاد على قتاله وأكثر من سفك الدماء فى سائر الاقاليم ثم ان الشدة على النصارى بديار مصر فى أيام دقلطيانوس وان كانت لنكبة المسيحيين دون غيرهم وتمزيق شملهم غير أنه قد عم جورها جميع أهل البلاد وحلت بسائر أرباب العقائد النكبات ونزلت النقمة بالجميع بلا استثناء فكان ذلك باعثا على تقارب المسيحيين والوثنيين من بعضهم وتودد بعضهم لبعض وعداوتهم للحكومة

الرومانيــة وقد طالت شــدّتهم زهاء عشر سنين فدل هذا الحادث على شدّة ارتباط الفريقين واخلاصهما لبعض فقد أنفــذ الوثنيون يومئذ طائفة المسيحيين الذين ركنوا اليهم ولجؤا الى حماهم ولم يمكروا قط بهــم كما كان يؤمّل ولم تكن هذه الشدائد مانعة لانتشار دين المسيحية فى الاقطار بل بالعكس فقــد كان كلما اشــتدّ الضيق وعم الويل وتطاولت على النصارى يد الايذاء كان الدين ينتشر انتشارا عظيما جــدا ولم يكن الدين موجبا لضــعف الدولة الرومانية ورجوعها الى الوراء الا تبعا وانما الذى أضعف بالاصالة هذه الدولة على التــدريج هو تقسيم المملكة بين ملوكها الاربعة كاشارة دقلطيانوس ثم ان تقسيمها على ذلك الوجه وان كان سببا فى رفعة شأنها واتساع نطاق كلمتها وازاحة العدوّ عنها الا أنه قد ترتب عليه طمع رؤساء الاقاليم وعمــال البــلاد فى الاســتقلال والخروج عن طاعة الدولة وقد حدث عنه أيضا مالايطاق من الحروب الداخلية والخارجية فضلا عمــا كان فيه من المصائب الخصوصية فكان ارتقاء هؤلاء الملوك الاربعة على سرير الملك ضربا من ضروب المصائب على الحكومة وبقى الامر على هذا الحال من أيام دقلطيانوس الى أيام قسطنطين الملك

ولمــا كان دقليطانوس الملك حين حقــد غالبرس عليه وناوشه الخصام قد كبر ســنه ووهن عظمه وكان لايمكنه مقاومتــه ولاصــدّه عن مقاصده ولا أن يجيبــه الى مطالبــه الطويلة العريضة ولايستطيع مخالفته خلع نفسه من الملك طوعا فى سنة خمس عشرة وثلثمائة للميلاد أى ســنة احــدى وعشرين وثلثمــائة قبــل الهجرة وانزوى فى اقطاعاته واشــتغل بالزراعة والفــلاحة فاقتدى به شريكه الثــانى مقسيميانوس وخلع نفسه وانزوى فى أملاكه أيضا فلم يبق بعدهــما من الشركة الرباعية الا غالبرس وقسطنقيوس خيورس فصفا الوقت لغالبرس وتصرف فى الامور واستبد كما شاء

قلت وقد قال المقريزى فى خططه عن دقلطيانوس المشار اليه ماتحصله* ان دقلطيانوس أحد ملوك الروم كان من غير بيت الملك فلما ملك تجبر وامتــدّ ملكه الى مدائن الاكاسرة ومدينة بابل واتخذ تخت ملكه مدينة أنطاكية واستخلف على مدينة رومة وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب وخالف عليــه أهل مصر والاسكندرية فبعث اليهــم جيشا جرارا وقتل منهم خلقا كثيرا جدّا وأوقع بالنصارى فأسال دماءهــم وغلق كنائسهم ومنع من دين النصارى وحمل النــاس على الردّة وعبادة الاصنام وأسرف جدّا فى قتل النصارى وهو آخر من عبــد الاصــنام من ملوك الروم ويقال ان رجلا اسمــه آخيله ثار بمصر وخرج عن طاعة الروم فسار اليــه دقلطيانوس وحاصر الاسكندرية ثمانية أشهر حتى أخــذ آخيله وقتله وعم أرض مصر كلها بالســبى والقتــل وكانت أيامه كلها شنيعة للغاية قتل فيها من أصناف الامم وهــدم من بيوت العبادة مالا يدخــل تحت حصر وكانت واقعتــه بالنصارى هى الشــدّة العــاشرة وهى أشنع شدائدهم وأطولها لانها دامت عليهم مدّة عشر سنين لايفتر يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم ويعذب رجالهم ويطلب من اســتتر منهم أوهرب ليقتــله يريد بذلك قطع

دابرهم وابطال دين النصرانية من الارض فارتد خلائق كثيرة جدا وصار قتل دقلطيانوس لنصارى مصر تاريخا تؤرخ به قبط مصر الى يومنا الذى نحن فيه * وبين تاريخ دقلطيانوس يعنى أول يوم منه وبين يوم الخميس أول يوم من سنة الهجرة ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قرية وتسعة وثلاثون يوما اه

وبعد خلع دقلطيانوس لنفسه وانصرافه عن الملك وتركه الحكومة لغاليرس خصمه كما تقدم وانعكافه على الفلاحة والزراعة أعاده مجلس رومة ودعاه الى العود للمنصب فتنصل وتنزه وأظهر الأنفة عنه والعزة وأبان أنه لم يكن ترك المنصب وفى نفسه حاجة اليه وأنه ماهجره الا حلما لاسفها فحسبت له هذه الفعلة من المفاخر عند جماعة المؤرخين وكانت مدة حكمه ثمان عشرة سنة * وفى أيامه مات بادكلاس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام ست عشرة سنة فخلا الكرسى بعده سنة وأقيم ديونيسيوس وهو رابع عشرهم وكان وثنيا ثم اعتنق الديانة المسيحية وتعبد وتزهد وعمل صالحا حتى اختاروه لهذا المنصب وكان فى أيامه من الحوادث ماسيذكر فى حينه

قلت وعلى مارواه صاحب الخطط عند تتبعه سير بطاركة الاسكندرية يكون البطرك الذى مات فى أيام دقلطيانوس هو بطرس خاتم الشهداء وهو ثامن عشرهم لابادكلاس مع أننا اذا تتبعنا سنى كل ملك أى مدة حكمه من تاريخ دخول مرقس الحوارى مدينة الاسكندرية ومناداته بالديانة المسيحية الى جلوس دقلطيانوس على سرير الملك يتضح أن موت بادكلاس كان فى أيام دقلطيانوس لافى أيام أورليانوس كما جاء فى كتب الكنيسة القبطية والله سبحانه أعلم بالحقائق

(فى الملك غاليرس)

((قيصر))

(والملك قسطنقيوس خيورس)

((قيصر))

استقل هذان الملكان بالمنصب عقب خلع دقلطيانوس ومقسميانوس لانفسهما من الملك وذلك سنة خمس عشرة وثلثمائة قبل الميلاد أى سنة احدى وعشرين وثلثمائة قبل الهجرة ولما استقر بغاليرس المنصب ورأى من أعباء الملك ومشاق المنصب مالايمكن معه الاستقلال بالرياسة أشرك معه قسطنقيوس خيورس الذى كان يومئذ ملكا على بلاد الغلية شركة تامة عامة له ماله وعليه ماعليه فى حكم البلاد ثم انتخب أيضا شريكين آخرين أحدهما

اسمه سوبرس أوسوريانوس وكان جنديا ولكنه مجرد عن الفضل والشجاعة والثانى مقسيمنوس وكان من رعاة الغنم انقطع عن الرعاية منذ عهد ليس ببعيد وانتظم فى سلك العسكرية بلا فضل ولامزية فعادت اذذاك الدولة الرومانية رباعية الحكم كما كانت وكان غالبرس كبيرها ورأسها المشار اليه فى مهام الأمور

ولما تم لغالبرس الامر على ما أراد أحصى أهالى البلاد كلا باسمه وصفاته وضرب عليهم المغارم وصادرهم فى أموالهم فكانت هذه البدعة فى البلاد تعد من الغرائب وتحسب من أشد المصائب ومسح جميع الاراضى والمزارع وضرب عليها المغارم الجسيمة وقاس كروم العنب وضرب عليها كذلك المغارم وأحصى الاشجار والمواشى وغيرذلك ورسم بأن كل رب عائلة وكبير بيت يحرر سجلا بعدد أولاده وعبيده وخدمه وتقييد مايمتلكه من العقار والمتاع فى سجلات بيت مال الدولة وكان يستنطق الاولاد والخدم والعبيد على مايمتلكه آباؤهم وساداتهم عسى أن يخالف قولهم قولهم ويظهر المخبأ بل ربما أغراهم المغرون على عدم المطابقة لعلهم يصيبون أكثر وقد عين لذلك كله محال معدودة يحضرون فيها المرضى وأرباب الامراض المزمنة والعواجز لتقييدهم فى دفتر العوائد وتمويلهم وكانت المغارم مضروبة على المولودين والاموات فلم يكن أحد فى تلك الايام مستثنى من المغارم والمصادرات وكان اذا مات أحد من المسجلين بسجل هاته المغارم أونفق حيوان من الحيوانات التى عليها عوائد وزع مايخصه على الاحياء بدون ترك شئ من المتأخر منها فلم يخل انسان ولاحيوان من ظلمه وعسفه حتى شمل جوره جميع طوائف الشحاذين والمعوزين والفقراء والمساكين وكان اذا عجز أحد عن أداء المطالب وأظهر الفقر والمسكنة وسأل الناس مافى أيديهم أمر بجمعه وجمع أمثاله وأنزلهم فى سفن وأغرقهم فى البحر ليجتنب الناس التخلق بالمسكنة والفقر كيلا يتخلص أحد من المغارم ودفع ماضرب عليه واشتد بالناس عسفه وجوره الى حد لايطاق ولايحتمل * قال أهل التاريخ أما قسطنقيوس خيورس شريكه فقد كان على عكس ذلك فانه كان عادلا يحب رعيته ويرفق بهم ويشفق عليهم ويوردهم موارد السعادة فى الرفاهية ومازال على هذا الحال من الرفق برعيته حتى مات فى مدينة بورك من أعمال بلاد الانجليز بعدأن عاش عيشة مرضية فخلفه ابنه قسطنطين الملقب بالاكبر

واتفق فى هذا الحين أن ثارت فتنة عظيمة فى ايطاليا قتل فيها سويرس أحد الشركاء فى المنصب الملوكى فتولى بعده مقسنقوس بن مقسيميانوس الذى كان شريكا لدقلطيانوس فاغتاظ غالبرس من ذلك غيظا عظيما واستغاث بدقلطيانوس وكان دقلطيانوس مقيما فى مدينة سالونه منزويا مشتغلا بالحرث والغرس وهو فى عيش هنئ فكتب اليه يستقدمه ويعرض عليه المنصب الملوكى بالمشاركة فرد عليه يقول * أحب أن تحضر الى أيها الملك لترى الخس المورق المخضر الذى غرسته بمدينة سالونه فلعلك لوسرحت الطرف فى هذا الغرس النضير لاتخاطبنى أبدا فى

شأن الملك * فلما رأى منه الامتناع والاصرار على الاباء اختار شخصا اسمه ليقينوس ولقبه بعنوان أغسطس فوافتـه المنية بعد ذلك حيث مرض مرضا شديدا على حين غفلة واندمل جسمه وتقرح وقاسى ماقاسى من شدة الألم الذى اشتدبه ومات ولم ينل من اختياره لليقينوس المذكور أربا ولامغنما وذلك فى سنة خمس عشرة وثلثمائة للميلاد أى سنة احدى وعشرين وثلثمائة قبل الهجرة وولى بعده مقسيمينوس الثانى شريكه واستولى على الرياسة العليا فكانت مدة حكمه نحو ثلاث وعشرين سنة

وفى أيامه مات ديونيسيوس بطرك الاسكندرية وكان موته فى الثالث من توت بعد أن أقام تسع عشرة سنة كابد فيها من الاهوال والشدائد مالايدخل تحت حصر وظهر فى أيامه بولا الخارج فكتب ديونيسيوس الى مجمع أنطاكية رسالة يدحض فيها اعتقاد بولا و يفنده و يبطله فكان لهذه الرسالة وقع حسن جدا فأقيم بعده مكسيموس وهو خامس عشرهم وظهر فى أيامه رجل قال عن نفسه انه الروح البارقليط أى الروح المعزى فتبعه خلق كثير وكادت بدعته تعم وتعاليمه تؤثر فى الكثير من المعترضين ولكنه لم يلبث أن هلك وانمحت آثاره بالكلية

فى الملك مقسيمينوس الثانى وقسطنطين الاكبر ومقسنقوس وليقينوس

ثم قام بالأمر أربعة هم مقسيمينوس الثانى وقسطنطين الاكبر ومقسنقوس وليقينوس فكانوا شركاء فى حكم البلاد وسياسة الجمهور وكان ابتداء حكمهم فى سنة خمس عشرة وثلثمائة للميلاد أى سنة احدى وعشرين وثلثمائة قبل الهجرة ولكنهم لم يثبتوا على حسن الموالاة طويلا حتى اتحد أحدهم قسطنطين مع ثانيهم ليقينوس واتحد ثالثهم مقسنقوس مع رابعهم مقسيمينوس فحدث من هذا الاتحاد أن صاروا حزبين متخالفين قلبا وقالبا وكان مقسنقوس قابضا على زمام ايطاليا فسلك فى الايطاليين مسلك الجور والظلم واشتد عليهم وأنشب فيهم أظفار نكاياته فاستغاثوا بقسطنطين ليخلصهم من ظلمه وكان قسطنطين مشهورا بالرأفة وكمال الشفقة وغاية الشجاعة والبسالة وكان محبا للملة النصرانية محاميا عنها ولكن جيوشه كانت قليلة فلم يكن عنده منها يومئذ سوى أربعين ألف مقاتل وكان عدد جند مقسنقوس نيفا ومائة وستين ألف جندى فلما رأى من كثرة عدد جنود خصمه تردد فى الامر وخشى عاقبة اغاثة الايطاليين ولكنه عاد بعدذلك وصمم على الاخذ بناصرهم * قال بعض الكتاب ومما حبب اليه القتال أنه رأى يومئذ هو وكثير من عساكره شكل صليب على دائرة كوكب

الشمس

الشمس مكتوبا عليه بالرومية (أنت تغلب عداك) ثم رأى فى المنام أيضا حبرا من أحبار المسيحيين يأمره بأن يتخذ صورة الصليب شعار الملك على سلاح جنوده وعلى أعلامه وبنوده فتقوت عزيمته واشتد أمله بالنصر والغلبة وأمر فجعلوا شعائر الصليب على جميع الاسلحة والرايات فى المملكة الرومانية وقد كان قبل هذا شعار القياصرة عبارة عن صورة صنمية فاتخذ قسطنطين لنفسه بيرقا مطرزا بالقصب ومكللا بالجواهر على شكل صليبى ورقم عليه اسم المسيح بالحروف الرومية وصور المسيح متوجا بتاج من الذهب وأمر جميع جنوده أن يرسم كل منهم صورة المسيح على كنانته وسلاحه ففعلوا جميعا وسار بهم حتى اجتازوا جبال البة بايطاليا فالتقى بجيوش عدوه فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم جيش مقسنقوس شر هزيمة فساق قسطنطين خلفه يطارده ويعمل القتل حتى وصل جبلا تحت أسوار مدينة رومة اسمه جبل ميلوس وكان مقسنقوس قد صف هناك جميع عساكره وأجناده ليتقوى بهم على عساكر قسطنطين فحمل عليهم قسطنطين حملة واحدة فهزمهم وانتصرت عساكره عليهم نصرة عظيمة فلما كان صبح اليوم الثانى شوهد مقسنقوس غريقا مع كثير من جنوده وكان ذلك سنة خمس وعشرين وثلثمائة للميلاد أى سنة احدى عشرة وثلثمائة قبل الهجرة

قال أصحاب التاريخ وبعد مضى نحو السنة من هذا الحادث المهم قام مقسيمينوس يريد البطش بليقينوس رفيق قسطنطين انتقاما وأخذا بثأر رفيقه مقسنقوس فسار اليه ليقينوس وقاتله وقبض عليه وسجنه وشدد عليه فقتل نفسه فارتفع من هذا الحين شأن قسطنطين واستفحل أمره وقويت شوكته وعظم قدره فغار منه رفيقه ليقينوس وحسده وحقد عليه وناواه الشر وقصد صده ومنعه عن الغزو والفتوح فقامت الحرب بينهما واشتد القتال فانهزم ليقينوس وقتل بين جنوده فى ساحة الحرب فبقى قسطنطين منفردا بالملك وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة للميلاد أى سنة تسع وتسعين ومائتين قبل الهجرة فجمع عند ذلك جنوده ودخل مدينة رومة فى موكب عظيم جدا وجعل الصليب زينة موكبه وعلامة طالع كوكبه حيث انتصر به على أعدائه وفاز وعقد النية من هذا الحين على اتخاذ النصرانية ديناله فصور صورة نفسه فى شكل تمثال قابضا بيده على صليب فعد أهل رومة ذلك من أعجب العجائب اذ كانت العادة عندهم أنه اذا دخل الملك رومة منصورا لا يقبض بيده الاعلى رمح فلم تبطل هذه العادة عندهم الى أن أحدث قسطنطين عادة استعمال الصليب مع أنه الى ذلك الحين لم يكن قد تنصر

وفى هذه الايام مات مكسيموس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتى عشرة سنة فأقيم بعده ثاونا وهو سادس عشرهم وكان ورعا صائب الرأى محبوبا مطاع الكلمة وكان من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله

(وصــــــل)

(فى انفراد الملك قسطنطين الاكبر بملك الدولة الرومانية)

وانفرد قسطنطين بملك الدولة الرومانية بعد قتال وحروب تقدم بيانها وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة للميلاد أى سنة تسع وتسعين ومائتين قبل الهجرة ودخل مدينة رومة بجيوشه فلم يلق من أهلها بشاشة ولا ترحابا بل كانوا يسخرون منه و يقدحون فيه ويطعنون فى عرضه بلا موجب ولا سبب سوى ماراوه من محاماته عن النصرانية فغضب من وقوعهم فيه ورغبت نفسه عن رومة وصمم على أن يبنى مدينة أخرى عظيمة ويجعلها مقر حكومته ودار ملكه فطمح نظره الى مدينة بيزنيطا لحسن موقعها بين قارتى أوروبا وآسية ولكونها فى منتزه عظيم البقعة واسع الانحاء مطلة على أبحر ثلاثة فرسمها وأسرع فى بناء أسوارها وهياكلها وقصورها وحماماتها وسقاياتها وقصباتها وأتمها على أحسن مايوصف فرغب الاهالى فى سكناها وهرع اليها الناس من جميع الاقطار واشتهرت باسم القسطنطينية وكان اتمامها سنة أربع وخمسين وثلثمائة للميلاد أى سنة اثنتين وثمانين ومائتين قبل الهجرة فتحول اليها تخت الدولة الرومانية وعظمت عمارتها واتسعت حتى صارت من أعظم مدن العالم رونقا وبهجة

وكان قسطنطين الملك فى هذه الاثناء يعمل على اصلاح شأن الحكومة وترتيب أمور البلاد التابعة لها فاعتنى باصلاح شأن مصر وهذب حكومتها وأحسن حالها وبذل الجهد فى اصلاح أخلاق أهلها وكذلك أخلاق الرومانيين وأقام للبلاد المشرقية كافة رئيسا عاما يسوسها وينظر فى جميع مصالحها فكانت مصر بمقتضى هذه الحدود المرعية يومئذ داخلة تحت كلمة الرئيس المذكور وحكمه الا عسكرها فانهم كانوا تحت تصرف قائد مخصوص تابع مباشرة لرئيس عموم الدولة الرومانية لاعلاقة له بغيره * قال بعض الكتاب وذلك لان بلاد مصر كانت مأخوذة من البطالسة كما تقدم فعدها الرومانيون من الحدود والثغور التابعة لممالك رومة وكان للحدود والثغور والرباطات يومئذ أمير مخصوص مرابط من جانب رومة وكان منوطا بتحصيل العوائد وجباية الاموال من الحدود والثغور ليتوزع بعضها على الخزينة الرومانية يعنى بيت مال المملكة وعلى خزينة الملك الخصوصية

وكان لمصر فى هذا الحين أيضا نائب ملكى كالملك على البلاد وعليه جل أشغال العمليات الهندسية مما فيه اصلاح أحوال النيل وعليه ملاحظة رى الاراضى والزراعة والاسفار فى النيل ونقل الغلال من مصر الى القسطنطينية فكان رؤساء الاقاليم المصرية وحكامها وعمالها لاينقادون لهذا النائب فى كثير من الاحيان بل كانوا مولعين بمخالفته وكان حاكم الصعيد يرى نفسه أعظم قدرا وأجل شأنا من النائب المذكور فكان هذا الحال داعيا

لخلل نظام البلاد وعدم استقرار أمورها على قاعدة منتظمة فكانت الدولة الرومانية لذلك تعمل دائما على تغيير أسماء الاقاليم المصرية وتقسيمها الى أقسام صغيرة وتكثير العمالات لتتمكن دولتها وتتسع كلمتها ويسهل عليها ضبطها وحكمها كما تشاء فترتب على تكثير العمالات والعمال كثرة الظلم فى الرعية وانتشار الجور والعسف بهم فضلا عن كره المصريين للحكومة الرومانية وما يضاف الى ذلك أيضا من اختلاف المذاهب النصرانية وتشعبها الى شعب كثيرة متعادية متخالفة كما سيأتى الكلام عليها * وكان قسطنطين الملك ولعا بتتميم ما قد كان شرع فيه دقلطيانوس قبل موته من جعل المملكة الرومانية دولة ملوكية يستوى فى قوانينها وأحكامها جميع الرعايا فلا يكون هنالك حكومة أشراف ولا قضاة ولاملتزمون وانما تكون الحكام أمراء من طرف القيصر يوليهم ويعزلهم ان شاء فقسم المملكة أقساما ادارية بين أولاده الثلاثة وهم قسطنطين وقسطنطوس وقسطنطقوس وابن عمه دلماقوس وجعل لنفسه الرياسة الكبرى على هؤلاء الاربعة فانصلح حال الدولة وانتظمت أمورها على قاعدة مقررة ثم أصلح حال الجيوش والعساكر بأن قسمها الى فرق وجعل كل فرقة منها ألفا وخمسمائة عسكرى وجعل على كل فرقة أميرا فصار كل أمير فرقة على حدته لايخشى منه على الملك لانحصار امارته فى هذا القدر من العساكر خلافا لما كانت عليه قبلا فكان هذا الترتيب داعيا لادخال كثير من الغرباء فى مصاف العسكرية فقد تناقص عدد أهالى البلاد بالحروب الداخلية والخارجية ووصل الى حد لم يمكن معه تجنيد الجنود اللازمة للدفاع والحرب عند الحاجة * قال أهل التاريخ وكان فى ادخال هؤلاء الغرباء فى صفوف العسكرية الرومانية غاية الضرر على البلاد وأهلها

وفى آخر أيام قسطنطين تحركت دولة فارس لغزو الايالات المشرقية فتهيأ قسطنطين لقتالها فجيش الجيوش وجمع الجموع ومعدّات القتال وقبل أن يسير بهم الى العدوّ سار الى قرب مدينة ازمير واستقدم أسقفها وتدين بالديانة النصرانية على يديه فعمده بماء المعمودية وقد كان أصدر قبل عماده وهو فى مدينة ميلان سنة سبع وعشرين وثلثمائة للميلاد أى سنة تسع وثلثمائة قبل الهجرة مرسوما يبيح التدين بالدين المسيحى وبأن النصارى جميعا يكونون تحت حمايته الذاتية فانتشر من هذا الحين دين المسيح وصار دين الحكومة والهيئة الحاكمة ومعتقد أهل الحل والعقد وقد كانوا جميعا قبل ذلك عبدة أوثان ولازال الحال على ذلك الى أن جمع فى سنة تسع وأربعين وثلثمائة للميلاد أى سنة سبع وثمانين ومائتين قبل الهجرة فى مدينة نيقة بايالة بروسه المجمع الاول الذى تهذبت فيه علامة الامانة المسيحية الباقية الى يومنا الذى نحن فيه ولم ير فى القياصرة أشد من قسطنطين حمية على النصرانية لاسيما بعد دخوله فى مصاف أبنائها فكان يعظم الاساقفة ويجلهم ويجمعهم على خوانه ورسم بصلاة يوم الاحد فى جميع أطراف المملكة وجعل هذا اليوم عيدا فى الاسبوع تتعطل فيه جميع الاشغال فصار

العمل على ذلك سنة متبعة الى يومنا هذا عند سائر المسيحيين * وأبطل المصارعة وعيد الزهرة وهدم هيا كلها لما فى ذلك من العوائد الذميمة فجعل عباد الاوثان يتزاحمون على الدخول فى النصرانية * وأقام فى جميع أنحاء المملكة المرابطين والمحافظين من الامراء وأقطعهم الاراضى نظير ذلك وجعلها وراثة لمن بعدهم فى أعقابهم * ومنع جميع مافيه مفاسد الاخلاق وخفف العوائد والاموال وعدلها ولطف أمور المصادرات والاسر والاسترقاق وأبطل الربا * وكان محبا جدّا للعلوم والفنون فكان يعمل على تقدّمها وترقيها وعافى أهلها من جميع الرسوم والعوائد وخصهم بالمزايا العسكرية وأن يسكنوا فى خطط العسكر ومنازلهم وجعل هذه المزية لنسائهم وأولادهم أيضا وأخرج اليهود من بيت المقدس وأكرههم على التدين بالديانة المسيحية وقتل من امتنع منهم فأبى أكثرهم وقتل قيل ومن تنصر منهم لم يخل من النكبة أيضا حيث جمعهم وحشرهم فى كنيسة فى يوم عيد الفصح وأمرهم بأكل لحم الخنزير فامتنع أكثرهم فأمر بقتلهم فقتل الجم الغفير منهم فى هذه المحنة * قلت وهذه فرية من أهل الافتيات لان شدّة تدينه بالنصرانية تحول بينه وبين هذه الفعال

قال بعض الكتاب عند الكلام على قسطنطين المشار اليه وكانت أم قسطنطين هيلانه من أهل قرى مدينة الرها قد تنصرت على يد أسقف الرها وتعلمت الكتب فلما مر بقريتها أغسطس صاحب شرطة دقلطيانوس رآها فأعجبته فتزوجها وحملها الى بزنيطا مدينته فولدت له قسطنطين وكان جميلا فأنذر دقلطيانوس منجموه بأن هذا الغلام قسطنطين سيملك الروم ويبدّل دينهم فأراد قتله ففرّ منه الى الرها وتعلم بها الحكمة اليونانية حتى مات دقلطيانوس فعاد الى بزنيطه فسلمها له أبوه قسطس ومات فقام بأمرها بعد أبيه الى أن استدعاه أهل رومة فأخذ يدبر فى مسيره فرأى فى منامه كوكبا فى السماء على هيئة صليب وصوت من السماء يقول * احمل هذه العلامة تنتصر على عدوك * فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب على أعلامه وبنوده وسار لحرب مقسيميانوس برومة فبرز اليه وحاربه فانتصر قسطنطين عليه وملك رومة وتحوّل منها فجعل دار ملكه القسطنطينية فكان هذا ابتداء رفع الصليب وظهوره فى الناس فاتخذه النصارى من حينئذ وعظموه

وأكرم قسطنطين النصارى ودخل فى دينهم بمدينة نيقوميديا فى السنة الثانية عشرة من ملكه على الروم وأمر ببناء الكنائس فى جميع ممالكه وكسر الاصنام وهدم بيوتها وعمل المجمع بمدينة نيقيه وسببه أن الاكسندروس بطرك الاسكندرية منع اريوس من دخول الكنيسة وحرمه لمقالته ونقل عن بطرس الشهيد بطرك الاسكندرية أنه قال عن اريوس ان ايمانه فاسد وكتب بذلك الى جميع البطاركة فمضى أريوس الى الملك قسطنطين ومعه أسقفان واستغاث به وشكى الاكسندروس فأمر باحضاره من الاسكندرية فحضر هو وأريوس وجمع له الاعيان من النصارى ليناظروه فقال اريوس * كان الاب اذ لم يكن الابن ثم حدث الابن

فصارت كلمة له فهو محدث مخلوق ففوض اليه الاب كل شئ فخلق الابن المسمى بالكلمة كل شئ من السموات والارض وما فيهما فكان هو الخالق بما أعطاه الاب ثم ان تلك الكلمة تجسدت من مريم وروح القدس فصار ذلك (مسيحا) فاذن المسيح معنيان كلمة وجسد وهما جميعا مخلوقان

فقال الاكسندروس أيما أوجب أعبادة من خلقنا أوعبادة من لم يخلقنا فقال أريوس بل عبادة من خلقنا أوجب فقال الاكسندروس فان كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادته أوجب من عبادة الاب الذى ليس بمخلوق بل تكون عبادة الخالق كفرا وعبادة المخلوق ايمانا وهذا أقبح القبيح

فاستحسن الملك قسطنطين كلام الاكسندروس وأمره أن يحرم أريوس فحرمه وسأل الاكسندروس الملك أن يحضر الاساقفة فأمرهم فاتوه من جميع ممالكه واجتمعوا بعد ستة أشهر بمدينة نيقيه وعدتهم ألفان وثلثمائة وأربعون أسقفا يختلفون فى المسيح فنهم من يقول الابن من الاب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة أخرى فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية عنها وهذه مقالة سليوس الصعيدى ومن تبعه * ومنهم من قال ان مريم لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر بل مر باحشائها كمرور الماء بالميزاب وهذا قول اليان ومن تبعه * ومنهم من قال ان المسيح بشر مخلوق وان ابتداء الابن من مريم ثم انه اصطفى فصحبته النعمة الالهية بالمحبة والمشيئة ولذلك سمى ابن الله قال ومع ذلك فالله واحد قيوم وأنكر هؤلاء الكلمة والروح فلم يؤمنوا بهما وهذا قول بولس السمياطى بطرك أنطاكية وأصحابه * ومنهم من قال الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما وهذا قول مرقيون وأتباعه * ومنهم من قال المسيح وأمه الهان من دون الله وهذا قول المراعة من فرق النصارى (قلت) لاندرى أين هذه الفرقة من فرق النصارى وأين موطنها * ومنهم من قال بل الله خلق الابن وهو الكلمة فى الازل كما خلق الملائكة روحا طاهرة مقدسة بسيطة مجردة عن المادة ثم خلق المسيح فى آخر الزمان من أحشاء مريم البتول الطاهرة فاتحد الابن المخلوق فى الازل بانسان المسيح فصارا واحدا * ومنهم من قال الابن مولود من الاب قبل كل الدهور غير مخلوق وهو جوهر من جوهره ونور من نوره وان الابن اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصارا واحدا وهو المسيح وهو قول الثلثمائة وثمانية عشر * قال الراوى فتحير قسطنطين من اختلافاتهم وكثر تعجبه من ذلك وأمرهم فأنزلوا فى أماكن وأجرى لهم الارزاق وأمرهم أن يتناظروا حتى يتبين له صوابهم من خطئهم فثبت الثلثمائة وثمانية عشر على قولهم المذكور واختلف باقيهم فمال قسطنطين الى قول الاكثرين وأعرض عما سواه وأقبل على الثلثمائة وثمانية عشر وأمر لهم بكراسى وأجلسهم عليها وسلم اليهم سيفه وخاتمه وبسط أيديهم فى جميع مملكته فباركوا عليه ووضعوا كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة وفيهما يتعلق بالمحاكمات والمعاملات والمناكحات وكتبوا بذلك الى سائر الممالك وكان رئيس هذا المجمع

الاكسندروس بطرك الاسكندرية واسطاوس بطرك أنطاكية ومقاريوس أسقف القدس فوجه ساطوس بطرك رومة بقسيسين اتفق معهما على حرمان اريوس فحرموه ونفوه ووضع الثلثمائة وثمانية عشرة الامانة المشهورة وأوصوا أن يكون الصوم متصلا بعيد الفصح على مارتبه البطاركة فى أيام الملك أورليانوس قيصر ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة وكانت الاساقفة قبل ذلك اذا كان مع أحدهم زوجة لايمنع منها اذا جعل أسقفا بخلاف البطرك فانه لايكون له امرأة البتة وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة

ويقال ان الاكسندروس هذا هو الذى كسر الصنم النحاس الذى كان فى هيكل زحل بالاسكندرية وكانوا يعبدونه ويجعلون له عيدا فى ثانى عشر هاتور ويذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد الاكسندروس كسر هذا الصنم فمنعه أهل الاسكندرية فاحتال عليهم وتلطف فى الحيلة الى أن قرب العيد فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا لميكائيل رئيس الملائكة فان هذا خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذى جرت عادة أهل البلاد على عمله ولاتبطل ذبائحهم فيه فرضى الناس بهذا ووافقوه على كسر الصنم فكسروه وأحرقه وعمل بيته كنيسة على اسم ميخائيل الملك فلم تزل هذه الكنيسة بالاسكندرية الى أن أحرقتها جيوش المعز لدين الله أبى تميم معد لما قدموا فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة للهجرة واستمر عيد ميخائيل عند النصارى بديار مصر باقيا يعمل فى كل سنة الى يومنا هذا

وفى السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلانة الى بيت المقدس وبنت به عدة كنائس فدلها مقاريوس الاسقف على الصليب وعرفها ماعملته اليهود به فعاقبت كهنة اليهود حتى دلوها على الموضع فحفرته فاذا به ثلاث خشبات فلم يعرفوا الصليب قبل فوضعت الثلاث خشبات كل واحدة على ميت قد بلى فقام أحدهم حيا عندما وضعت عليه احداها فعملوا لذلك عيدا مدة ثلاثة أيام عرف بعيد الصليب وهو يعمل الى يومنا هذا وعملت له هيلانة غلافا من الذهب الخالص وبنت كنيسة القيامة التى تعرف بكنيسة قمامة وأقامت مقاريوس الاسقف على بناء بقية الكنائس وعادت الى مملكتها فكانت مدة مابين ولادة المسيح وظهور الصليب ثلثمائة وثمانيا وعشرين سنة على المشهور اه

ومات فى أيام قسطنطين الملك ثاونا بطرك الاسكندرية بعد أن أقام تسع سنين بطركا وفى رواية سبع سنين وهو أول من بنى الكنائس بمدينة الاسكندرية وكانت النصارى قبله تصلى بالاسكندرية فى المغارات والسراديب خوفا من القتل وسفك الدماء فلاطف ثاونا المذكور جماعة الروم وبالغ فى ملاطفتهم وأهدى لهم تحفا جليلة حتى بنى كنيسة السيدة مريم بالاسكندرية فصلى فيها القبط جهارا * وقد ذكر عنه أنه كان يصنع بعض العجائب وكان صاحب عزم وتدبير وحسن سياسة ومعرفة بالامور وطرد فى أيامه أهل الزيغ وأصحاب البدع

ولـه

وله مناقب كثيرة * فأقيم بعده بطرس المعروف بالاول خاتم الشهداء وهوسابع عشرهم فأقام عشر سنين ومات قتيلا وكانت أيامه كلها شدائد وكروبا وفتنا وخطوبا مات فيها من النصارى خلق كثير على قول بعض المؤرخين

فأقيم بعده ارخلاوس وهو ثامن عشرهم وقيل انه كان تلميذ بطرس فأقام سنة أشهر ومات وكان ورعا تقيا محبا للفقراء

فأقيم بعده الاكسندروس وهو تاسع عشرهم وكان تلميذ بطرس أيضا على المشهور وكان من الحوادث فى أيامه ماقد مرّ بك عند الكلام على قسطنطين الاول وأمه هيلانة

(فى الملك قسطنطين الثانى والملك قسطنطوس الاول)
(والملك قسطنقوس)

ثم قام بالامر أولاده الثلاثة قسطنطين الثانى * وقسطنطوس الأول * وقسطنقوس بعهد من أبيهم وذلك سنة احدى وخمسين وثلثمائة للميلاد أى سنة خمس وثمانين ومائتين قبل الهجرة وتحرير الخبر أنه لما مات قسطنطين تقاسم أولاده المذكورون الممالك الرومانية بينهم مساهمة ومحاصة وصار كل منهم ملكا على جهة مستقلا بها فأصاب قسطنطوس الايالات المغربية وخص قسطنقوس الايالات المشرقية وأقيم قسطنطين رئيسا على الاقطار المشرقية والمغربية معا فصار بذلك صاحب الكلمة على أخويه قسطنطوس وقسطنقوس

ولما استقر بكل منهم المنصب على هذا الوجه خافوا من بقية عائلة قسطنطين أبيهم وخروجهم فى طلب الملك فقتلوهم جميعا حتى لم يبق منهم الاثنان من الاقارب هما والوس ويوليانوس الملقب بالمرتد اذ تشفع مرقص أحد الاساقفة فى ابقائهما وخلاصهما من القتل * وتلقب بعد ذلك كل من هؤلاء الاخوة بلقب أغسطس ولكنهم ولم يلبثوا طويلا حتى وقع بينهم الخلاف وتفاقم حيث لم يرض قسطنطين بنصيبه من المملكة وتأهب لقتال أخيه قسطنطوس وجرّد عليه وسار اليه بخيله ورجله وقاتله قتالا هائلا فمات قسطنطين فى حومة القتال وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة للميلاد أعنى سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبل الهجرة وتم التمكين لقسطنطوس ولكن لم يخل له الجو حتى خرج عليه خارجى من إيالته المغربية اسمه منيقوس وأصله من الاسارى من سبى جرمانيا وتربى عند الرومانيين وترقى فى العسكرية وتقلب فى درجاتها العلية وادعى لنفسه ملك البلاد المغربية فتبعه خلق كثير فسار اليه قسطنطوس وحاربه واقتتل الفريقان قتالا عنيفا فمات قسطنطوس فى الحرب سنة أربع وستين وثلثمائة للميلاد أى سنة اثنتين وسبعين ومائتين قبل الهجرة

فلما أحس أخوه قسطنقوس بذلك تأهب للاخذ بثأر أخيه وبلاده بقتل منيقوس فسار

اليه فى عسكر جرار وركب عليه حتى قتله وانفرد بالملك بعد حرب هائلة ولكنه عاد فاشرك معه أحد أقاربه وهو والوس ولقبه بلقب قيصر وسلمه المحافظة على المشرق جميعه وأبقى لنفسه المغرب وسياسة البلاد كافة وتدبير أمور الدولة بتمامها فلم يفلح والوس المذكور حيث كان حديث نعمة فاسد الاخلاق وكان شره النفس سيئ التدبير فقام عليه قسطنقوس وقتله وذلك سنة ثمان وستين وثلثمائة للميلاد أى سنة ثمان وستين ومائتين قبل الهجرة * قال بعض أهل التاريخ وصارت الدولة فى هذا الحين على خطر عظيم يخشى عليها من التلف والانحلال بتحويل هذه الاحوال وكانت أمة الافرنجة تكر عليها من المغرب وأكاسرة الفرس تهددها من المشرق وكان الملك قسطنقوس وحده لايستطيع الذب عنها فرأى أنه لابدله من شريك فى الملك يشد به أزره ويصلح به أمره وكان قد بقى من أقارب قسطنطين الاول يوليانوس أخو والوس وكان فى مدرسة مدينة ازمير يتلقى العلوم وكان شابا متدينا بالدين المسيحى مشتغلا بالفلسفة والحكمة وقد حصل على مايمتاز به أبناء الاكابر من العلوم والمعارف والآداب فاستقدمه قسطنقوس وجعله قائدا لجنوده المنتخبة لقتال الفرنجة ورسم له بقتالهم فسار اليهم وقاتلهم قتالا شديدا وظهر عليهم ظهورا عجيبا وظفر بهم وأعمل فيهم القتل والسلب والنهب فحسده قسطنقوس على ذلك وحقد عليه وناواه وقصد أن يقلل جنده ليضعف بذلك شوكته وكان اذ ذاك سابور ذو الاكتاف قد زحف على ممالك الرومانيين بآسيه وأخذ مدينة (آمد) بالجزيرة وكان قسطنقوس يمانع عن هذه البلاد ويحميها فاغتنم هذه الفرصة مناسبة لما فى نيته وطلب من يوليانوس أن يبعث اليه بفريق من عساكره فلم تقبل العساكر ذلك ولم ترض الانفصال عن رئيسهم يوليانوس لمكانته من قلوبهم وخالفوا على الملك وأحدقوا برئيسهم وعانقوه ولقبوه بلقب اغسطس وبايعوه على ذلك فتمنع من قبول هذا المنصب وتضرع اليهم أن يعفوه وبكى وناح فلم يقبلوا منه وجبروه على الرضا وحملوه على أن يسير بهم الى المشرق عاجلا لقتال خصمه قسطنقوس والانتقام منه فسار اليه على كره والتقى الفريقان ووقع بينهما قتال عنيف للغاية فمات قسطنقوس بمدينة المصيصة وذلك سنة خمس وسبعين وثلثمائة للميلاد أى سنة احدى وستين وثلثمائة قبل الهجرة فتم الامر ليوليانوس واستقل بالملك فى هذه السنة وقد كان يوليانوس حين غزوه الافرنجة فى بلاد الغلية وما جاورها جعل مقر اقامته وتخت مملكته فى مدينة لوطيقه التى هى الآن مدينة باريس واشتغل مدة الغزو بتحسين حال هذه المدينة واصلاحها وتوسيع العمارة فيها فهى من مآثره الباقية الى يومنا الذى نحن فيه فكانت أحب البلاد اليه وقد بسط يده على ملك المشرق والمغرب وتصرف فى الحكم بلا معارض ولامنازع فكانت مدة حكم أولاد قسطنطين الاول الى انفراد يوليانوس بها نحو أربع وعشرين سنة

وفى أيامهم مات الاكسندروس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتين وعشرين سنة فأقيم بعده اثناسيوس وهو عشريهم وأصله من مدينة الاسكندرية وكان وثنيا متنطعا فى الدين

الوثنى ثم تنصر وكان من الحوادث فى أيامه ما سيذكر فى محله

(فى الملك يوليــانوس)
(قيصر المرتد)

ثم قام بالامر يوليانوس المرتد بايعه العساكر ونادوا بملكه فانفرد بعد موت قسطنقوس بحكم الدولة الرومانية سنة سبع وسبعين ومائتين للميلاد أى سنة تسع وخمسين ومائتين قبل الهجرة وقد فرح به جميع الناس واستبشروا بولايته لرسوخ قدمه فى الفضل وتمسكه بشعار العدل فلما استقرّ به المنصب أبعد عن ديوانه أهل السخرية وبطانة السوء وأدنى منه أهل الفصاحــة وأرباب البـلاغة وأصحاب الفلسفة والحكمة فصارت تأوى اليــه أرباب المعارف ويتقرب منه أهل الفضــل ويأتون اليه من كل فج فكان يؤاكلهم ويبالغ فى تقريبهم منــه والحفاوة بهم وكان قبل ارتقائه سـدّة الملك مظهرا للتمسك بالدين النصرانى فلما ملك واستبدّ بالاحكام ارتدّ ورفض الدين المسيحى وعاد الى الوثنيــة ففــرح عباد الاوثان بارتداده وانحاز اليه منهـم من لاخلاق له فامتــلأ ديوانه اذ ذاك من المنجمين وأرباب العيافة والعرافين حتى تقلد بنفســه الكهانة وصار رئيس هذا الدين وكان يفتخر بهــذا المنصب ويحن اليه جدّا ثم مال عن النصرانيــة وبالغ فى عداوته لهـا وبغضــه لاهلها ولكنه لم يبطل شيأ من عوائدهـا وطقوسها وبذل الهمة فى اعــلاء دين الاصــنام وتعميمه فلم يبلغ مقصوده ولم يتمكن من نيــل مراده لاسباب كثيرة

وسار لقتال فارس لشنهم الغارة على الاملاك الرومانية وجهز لذلك جيشا عظيما فرأى فى طريقه بمدينة قيصرية من اقليم قبادوقيه هيكلا للاصــنام خربا ورأى من أهالى انطاكية احتقارا للديانة الوثنية فهاله هذا الامر وأغضبه جدا وحقد على النصارى فأمرهم فتتبعوهم بالاذى والقتل والسلب واشتدّوا عليهم شدّة بالغة ثم دخل أرض فارس وجال فيها وأوغل كل الايغال فلاقتــه جيوش فارس وصــدمته فانهزم ورجع القهقرى فتبعــه سابور ذوالاكتاف فتشجــع يوليانوس وأرجعه على أعقابه ببسالة واقدام فشهدت له الاعداء وقد كان جرح جرحا بليغا وعلم بذلك سابور فأعاد الكرّة على جيوش يوليانوس واشتبك القتال بين الفــريقين وحمى الوطيس والتقت الســيوف بالسيوف فقتل يوليانوس فى ساحة الحرب وانفشل جيشه وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وثلثمـائة للميلاد أى ســنة سبع وخمسين ومائتين قبل الهجرة فكانت مدّة حكمه واستبداده بالولاية العمومية سنتين لاغير

وكانت مدّته فيها رحمة على من لم يكن تنصر من المصريين ممن بقى على دين آبائه فاستمر المصريون الذين لم يتنصروا على عبادة الاوثان بلا معــارض ولا منازع وكــان يوليانوس

يحترم العجل ابيس الذى هو معبود المصريين احتراما عظيما للغاية فانه لما كان على أهبة الركوب لقتال سابور ملك فارس وبعث اليه أوقديقس نائبه على مصر يخبره بأن المصريين عثروا على شكل العجل ابيس معبودهم الذى مات وأنه تبين لهم أنه معبودهم بعينه فرح بذلك فرحا شديدا واستبشر بالنصر على سابور اذ كان يحب العجل المذكور حبا كثيرا وقد دل على ذلك ما كتبه الى نائبه المذكور فى شأن اثناسيوس بطرك الاسكندرية الذى كان نفى منها وعاد اليها مانصه وحق العجل ابيس ان لم يخرج هذا البطرك من المدينة عاجلا لاضربن على عسكرك مائة رطل من الذهب غرامة وعقابا لهم اه

وكان فى عهده قد رجع دين النصرانية القهقرى وبقى على هذا الحال الى عصر طيودوسيس قيصر كما سيأتى بيانه فى موضعه ولما مات يوليانوس تولى بعده يويانوس

(فى الملك يويانوس)

(قيصر)

ثم قام بالامر يويانوس بايعه أولا الجنود الرومانية كافة وذلك سنة تسع وثلاثين وثلثمائة للميلاد أى سنة سبع وخمسين ومائتين قبل الهجرة وتحرير الخبر أنه لما مات يوليانوس فى ساحة الحرب حصل عونه فزع لجميع العساكر وكرب شديد للغاية وكانت العساكر المنصورة على جيوش سابور ذى الاكتاف يومئذ فى منقطع من الارض ليس عندهم شئ من الميرة ولا الزاد ولم يبق من العائلة الملوكية القوسطنقوسية فى هذا الحين وارث يتولى الملك فاختاروا سالسطوس والى البلاد المشرقية للمنصب الملوكى فامتنع ولم يقبل فألحوا عليه فشدد فى الامتناع فوقع اختيار الجنود على يويانوس المذكور وقد كان يومئذ رئيس الحرس الملوكى وبايعوه على اتفاق تام وأخلصوا له فى البيعة فلما استقر به المنصب أسرع فى عقد الصلح مع سابور ملك فارس ولكن على شروط مخلة بناموس الدولة وشرف الامة الرومانية ومحا جميع أوامر يوليانوس فى كل مايتعلق بعبادة الاصنام وفيما يتعلق باضرار دين النصرانية ونهى اليهود عن أن يشهروا شعائر دينهم وكان ضعيف العزم والرأى فقامت فى أيامه قبائل المغاربة فى بلاد برقة ونهبوا مدن طرابلس الغرب قال أهل التاريخ وكان من عماله على هذه الجهات الامير أوريقيوس نائب اقليم طرابلس الغرب فلم يتمكن من منع اغارة هذه القبائل ولاردهم عن البلاد ولا بدا من يويانوس الملك أيضا فى هذا الامر ماتطمئن به قلوب أهالى تلك الانحاء فأبغضوه ونقموا عليه واشتد بالاهالى الغيظ منه الى حد عظيم جدا فلما كان فى أحد الايام دخل عليه خدمه فوجدوه قتيلا على فراشه وخفى أمر قاتله ولم يوقف له على أثر وذلك سنة أربعين وثلثمائة للميلاد أى سنة ست وخمسين ومائتين قبل الهجرة وقيل ان سبب قتله هو

عقده

عقده الصلح مع سابور كسرى فارس فكانت مدة حكمه سنة واحدة لاغير وتولى بعده ولنطنيانوس وأخوه (ولنسوس)

(فى الملك ولنطنيانوس الاول والملك ولنسوس أخيه)

ثم قام بالامر ولنطنيانوس الاول وأخوه ولنسوس بويع الاول بالملك سنة أربعين وثلثمائة للميلاد أى سنة ست وخمسين ومائتين قبل الهجرة وبيان ذلك أنه لما قتل يويانوس الملك على ماتقدم بيانه اجتمع أعيان الرومانيين فى مدينة نيقه وبايعوا ولنطنيانوس المذكور بالملك وهو من الامراء وقد كان مولده ببلاد المجار وليس له من الصفات ما يحمد فانه كان فظا غليظا شديدا طويل القامة عجيب الخلقة فلما استقر به المنصب ورأى عدم قدرته على حمل أعباء الملك أشرك معه أخاه ولنسوس وخصه بملك البلاد المشرقية وأبقى لنفسه ملك البلاد المغربية واتخذ مقر حكومته وتختها مدينة لوطيقه التى هى الآن مدينة باريس وبعث من هذه المدينة أمراء وقوادا لحفظ حدود المملكة من غارات قبائل الفرنجة والانجليز والمغاربة وكان ممن بعث بهم الأمير طيودوسيس فقاتل هذا الأمير قتال الابطال واكتسب فى قتاله مع هؤلاء الامم منزلة رفيعة واتفق أن صدرت فى هذا الحين من ديوان باريس الاوامر مشددة بأن كل من اتهم بخيانة وطنه وقاتل مع الاعداء يعاقب أشد عقاب فصار التشديد فى البحث عن ذلك وكثر التجسس وبثت العيون وتزاحمت أقدام أهل السعاية على أبواب ولنطنيانوس وعمت البلوى البرىء والمتهم وبالغ ولنطنيانوس فى عقاب كل من رمى بالخيانة بلا اثبات بما لا مزيد عليه من العقاب مما لم يخطر على بال بشر فمن ذلك انه حبس دبين عظيمين مفترسين فى قفص وأجاعهما حتى اذا أراد قتل أحد من المتهمين أطلقهما عليه لافتراسه فيمزقانه تمزيقا وكان ظلوما غشوما ميالا لسفك الدماء شديدا على الرعية سريع الغضب حاد الخلق وقد غضب يوما واشتدت به حدة الغضب فمات فى الحال وذلك سنة تسع وثمانين وثلثمائة للميلاد أى سنة سبع وأربعين ومائتين قبل الهجرة

وأما أخوه ولنسوس فقد كان على خلاف ذلك يحب رعيته ميالا الى خيرها وايرادها موارد السعادة والرفاهية يسوسها بحسن السياسة حتى كان يقال انه لم يتول الشرق قيصر خير منه وقد خفف عن رعاياه المكوس والعوائد والخراج وأنقصه قدر الربع شفقة منه فتعلقت به قلوب الرعية وأحبته حبا شديدا

ولما كانت سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة للميلاد أى سنة أربع وأربعين ومائتين قبل الهجرة ظهرت أمة جديدة لم تكن الرومانيون تعرفها قبل الآن وهى أمة تتارية تسمى أمة الهونية خرجت من آسية خروج الجراد المنتشر فنزلت على قبائل الغوطية بسواحل نهر

طونة وطردتهـم فهرب الغوطيون منها واجتازوا الطونة وأتوا الى بلاد المشرق وزحفوا الى أملاك الرومانيين وأراضيهم وطلبوا منهم أن يقطعوهم أرضا ليعيشوا فيها فلم يقبلوا فساء الغوطية ذلك فقام رئيسهم المدعو افريطيجرن وسار بهم الى جهة أدرنه وأوقع بعسكر الرومانيين فسار ولنسوس الملك لقتاله ورده فأوقع افريطيجرن بولنسوس عند أسوار أدرنه وانتصر عليه نصرة عظيمة هلكت فيها العساكر الرومانيـة وجرح ولنسوس جراحا بليغة فنقله عساكره من ساحة القتال الى وكر وضعوه فيه فعلم بخبره الغوطية فقاتلوا حتى وصلوا الى ذلك الوكر وأضرموا فيه النار فهلك ولنسوس حرقا وذلك سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة للميلاد أى سنة أربع وأربعين ومائتين قبل الهجرة فكانت مدة حكم الاخوين المذكورين نحو أربع عشرة سنة وعادت بموتهما الدولة الرومانية الى شركة رباعية كما كانت من قبل

فى الملك غرثيانوس والملك ولنطنيانوس الثانى والملك طيودوسيس الاكبر والملك مقسيموس

ثم قام بالامر غرثيانوس بن ولنطنيانوس الاول * وولنطنيانوس الثانى * وطيودوسيس الاكبر ومقسيموس * وذلك سـنة اثنتين وتسعين وثلثمائة للميلاد أى سـنة أربع وأربعين ومائتين قبل الهجرة وبيان ذلك أنه لما مات ولنطنيانوس الاول سنة سبع وأربعين ومائتين قبل الهجرة خلفـه ولده غرثيانوس المذكور على ملك الاقاليم المغربية وقد كان عمره يومئذ سبع عشرة سـنة فكـان أخوه المدعو ولنطنيانوس الثانى ينازعـه الملك فتنـازل له عن ايطاليـا وبلاد السواحـل الايطالية المخصبة ولم يسـتقر بغرثيانوس المنصب بعـد أبيه حتى سار لقتال الغوطيـة اذ كانت الحرب لاتزال قائمـة معهـم على ساقها فكانوا دائما ظاهرين عليـه لم ينتصر قط يوما فلما أحس بضعفه عن قتالهـم اختار معـه طيودوسيس ابن الامير طيودوسيس ولقبـه باغسطس المشرق وقلده ملك الجهـات المشرقيـة سـنة ثلاث وتسـعين وثلثمائة للميـلاد أى سنة ثلاث وأربعـين ومائتين قبـل الهجرة قال بعض الكتاب فكان هـذا الاختيار من حسنات الدهر على الرومانيين عموما وعلى المسيحيين منهم خصوصا اذ كان طيودوسيس هذا كابيـه طيودوسيس الاول هماما مقـداما فى الخطوب على أن أباه كان من أمهر قواد الرومانيـين وأشجعهـم وله غزوات كثـيرة فى بلاد افريقـة وحروب هائلة حيث أدخل عصاة افريقة فى الطاعة وقتل غيلة فى مدينة قرطاجة وكان ولده طيودوسيس هذا قد ولد فى بلاد الاندلس وتربى فيها وخدم تحت راية والده وحارب معه وحضر المشاهد العظيمة فى الحروب والوقائع الهائلة فلما مات والده عاد هو الى موطنه بالاندلس حتى استقدمه غرثيانوس ليشركه معه فى الملك

وكـان

وكان طيودوسيس المشار اليــه على جانب عظــيم من البسالة والشجاعــة فى الحروب واقتحام الخطوب وكان يحب الدين المسيحى ويغار عليه ويجله حتى لقب «بالاكبر» فلما استقرّ به المنصب سار لقتال الغوطية فهزمهم شرهزيمة فى وقت يسيرجدا وأجلاهم عن المملكة وعكس آمالهــم وأفســد ما كانوا يدبرونه فعادوا الى المسايرة وانكفوا عن الغارات ورغبوا فى معاهدة الدولة الرومانية وعقدوا عقد المحبة والوصــلة معها ليكونوا يدا واحدة مع الجماعة

أما غرثيانوس فانه سار أيضا للقتال بعسكره فى مدينة ليون من بلاد الفرنسيس فقتــل فيها وذلك ســنة سبع وتســعين وثلثمائة للميلاد أى سنة تسع وثلاثين ومائتين قبل الهجرة فقام طيودوسيس باعبــاء الملك وكاد أن يســتبدّ بالملك هو وولنطنيانوس الثانى وكان القائد للعساكر الرومانيــة المرابطة فى بلاد الانكليز فى هــذا الحين الامير مقسيموس فلما وصل اليه خــبر موت غرثيانوس وانه لم يبق ســوى طيودوسيس وولنطنيانوس تاقت نفســه الى الملك فبايعــه العساكر بدلا مــن غرثيانوس ونادوا به ملكا فشارك طيودوسيس وولنطنيانوس فى حكم البلاد وتدبير الدولة * قال بعض أهل التــاريخ وبقى على هــذا الحال أكثر من خمسين سنة ثم سار اليه طيودوسيس بجيش جرار وقاتله فانهزم مقسيموس فتبعه طيودوسيس حتى قتــله وكان ذلك فى ســنة اثنتين وأربعمائة للميلاد أى سنة أربع وثلاثين ومائتين قبل الهجرة فلم يبق من شركاء طيودوسيس الا ولنطنيانوس الثانى وحــده مالكا لبــلاد المغرب الرومانية ومازال ولنطنيانوس يدبر الملك ويتصرف فى الامور ويغزو ويحارب ويصدّ الاعداء حتى قام عليه فى سنة أربع وأربعمائة للميلاد أى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين قبل الهجرة رجــل اسمــه اربوغست الافرنجى وقتــله بخنجره فتولى بعــده أوجينوس كاتب سر الديوان القيصرى على غــير رضــا من طيودوسيس فنوى طيودوسيس الانتقام من أوجينوس لتهافته على المنصب فجمع جيوشــه وسار اليــه وتلاقى به فى بلاد النمسا فقاتله وانتصر عليــه نصرة عظيمــة وأخــذه أســيرا فتم له الانفراد بالملك ســنة ثمان وأربعمائة للميلاد أى ســنة ثمان وعشرين ومائتين قبل الهجرة * قال أهل التاريخ وهو آخر قيصر ملك على الدولة الرومانية شرقا وغربا

وكان طيودوسيس المذكور محبا للعدل شديد التمسك بالدين النصرانى محبوبا عند أحباره وقد اتحــد بالبــابا سنت ســيريقوس على ابطال عبادة الاوثان فى جميع الاقطار الرومانيــة ورغب الى مجلس رومة أن يصدر مرسوما فى هذا الشأن فأبى عليه ذلك فأبطل طيودوسيس المجلس وألغاه وخلع أربابه ورسم بهــدم جميع معابد الاوثان وهيا كلهــم ونهى عن تقريب القربان لهــم فى البيوت وعن أن تقام فيها شــعائر دينية وأن تكون الديانة المسيحية الديانة الرسميــة فى سائر الاقطار الرومانية ونهى عن التفرق فى الدين وسلوك مذهب الاعتزال ونصب

جواسيس وعيونا تنقل له الاخبار فمن وجدوه متصفا بالتشيع والهرطقة أخرجوه من رومة وصادروه فى أمواله وعقاره ونهى البابا أيضا جميع القسوس أن يتزوجوا وجعل شعارهم الرهبنة على طريقة أنطونيوس المصرى

ورسم طيودوسيس فى سنة خمس وتسعين وثلثمائة للميلاد أيضا أى سنة احدى وأربعين ومائتين قبل الهجرة بمحو الديانة المصرية وأن لا يباح فى بلاد مصر الا التمسك بالدين النصرانى فأغلقت الهيا كل والمعابد المصرية وانعدمت شعائر الجاهلية وانمحت آثارها قال بعض الكتاب وكان للمصريين يومئذ أربعون ألف صنم للعبادة فحل محلها دين المسيح الآمر بالتوحيد ومع ذلك فقد بقى من العاكفين على دين الجاهلية كثير بصعيد مصر ولم يمح هذا الدين الا بتوالى الايام وكرور الاعوام وكان طيودوسيس عادلا محبا للرعية حائزا لجميع الصفات الفاضلة والخصال الكاملة فتقدمت فى أيامه الديار المصرية وحسن حالها الى حد زالت معه الفتن واستتبت الراحة وعمت الطمأنينة واتسع نطاق العمار وعادلها رونقها القديم وراجت تجارتها وعظمت ثروتها * ولم يتم على انفراد طيودوسيس بالملك سوى سنة واحدة حتى فاجأته المنية فمات حتف أنفه سنة تسع وأربعمائة للميلاد أى سنة سبع وعشرين ومائتين قبل الهجرة فكانت مدة حكم هؤلاء الملوك الاربعة نحو سبع وعشرين سنة

وأعقب طيودوسيس ولدين أحدهما اسمه ارقاديوس والآخر اسمه (نوريوس) فأورثهما ملك الدنيا بأسرها أى ملك الدولة الرومانية شرقا وغربا ومن هذا العهد لم يتول على المملكة الرومانية ملك واحد ولم تصرفيها وحدة الحكومة بل صارت مملكتين مستقلتين احداهما قيصرية المشرق وتختها القسطنطينية والثانية قيصرية المغرب وتختها رومة كما كانت وقدتم التقسيم على هذا الوجه فى السنة التى مات فيها طيودوسيس فكانت هاته السنة ختام حياة الدولة الرومانية الحقيقية * قال بعض أهل التاريخ وقد تسمت الدولة التى كانت على رأس القرون الوسطى بعد صدور مرسوم طيودوسيس بابطال الديانة الوثنية ومحو آثارها بالدولة الطيودوسيسية وأول قياصرتها فى المغرب هولوريوس بن طيودوسيس * قلت ولا حاجة لنا بالكلام عليه فانه ليس ممن ملك الديار المصرية ولا هى مما دخل فى حكمه من الممالك * أما أول ملوكها فى المشرق فهو الملك ارقاديوس بن طيودوسيس فصارت مصر فى قبضة قياصرة المشرق الذين عرفوا بقياصرة الروم وسميت دولتهم بالدولة الطيودوسيسية المشرقية وهى بالنسبة لمصر عبارة عن الدولة الخامسة والثلاثين وسيأتى الكلام عليها مفصلا

وفى نحو السنة السابعة من حكم هؤلاء الملوك الاربعة مات اتناسيوس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام ستا وأربعين سنة وفى أيامه جرت مناظرات طويلة مع ارسيانوس الاسقف أفضت الى ضربه وفراره جزاء تعصبه وقال انه لم يقل ان المسيح خلق الاشياء وانما قال به خلق كل شئ لانه كلمة الله التى بها خلق السموات والارض وانما خالق الله

تعالى جميع الاشياء بكلمته فالاشياء به كونت لأنه كونها وأما الثلثمائة وثمانية عشر فقد تعدّوا عليه

وتنصر فى أيامه جماعة من اليهود وطعن بعضهم فى التوراة المتداولة بينهم وقال انهم نقصوا منها وان الصحيحة هى التى نشرها السبعون عالما فأمر الملك باحضارها والملك يومئذ قسطنطين وعاقبهم على ذلك حتى دلوه على موضعها بعصر فرسم باحضارها فحملت اليه فاذا بينها وبين توراة اليهود نقص ألف سنة وثلثمائة وتسع وستين سنة زعموا أنهم نقصوها من مواليد من ذكرفيها لاجل المسيح

وغلبت فى أيامه مقالة أريوس على القسطنطينية والانطاكية والاسكندرية وصار أهل الاسكندرية وأهل مصر أريوسين ومنانيين واستولوا على ما بها من الكنائس ومال الملك لرأيهم والملك يومئذ قسطنطين الثانى بن قسطنطين الاول وحمل الناس عليه ثم رجعوا عنه وكتب ابرسيس أسقف بيت المقدس أنه ظهر من السماء على القبر الذى بكنيسة القيامة شبه صليب من نور يوم عيد القبرة لعشرة أيام خلت من أيار فى الساعة الثالثة من النهار حتى غلب نور الشمس ورآه جميع أهل بيت المقدس عيانا فأقام فوق القبر عدة ساعات والناس تشاهده فآمن يومئذ من اليهود وغيرهم ألوف من الناس

ولما ملك يوليانوس ابن عم قسطنطين اشتد اضطهاده للنصارى وقتل منهم خلقا كثيرا جدا ومنعهم من النظر فى الكتب وأخذ أوانى الكنائس والديارات ونصب مائدة كبيرة عليها أطعمة مما ذبحه لاصنامه ونادى من أراد المال فليضع البخور على النار ويأكل من ذبائح الحنفاء ويأخذ ما يريد من المال فامتنع كثير من الروم وقالوا نحن مسيحيون فقتل منهم خلائق ومحا الصليب من أعلامه وبنوده

وفى أيامه أيضا خرج القديس اباونوس الى برية الاردن وسكن فيها وبنى بها الديارات وهو أول من سكن برية الاردن من النصارى فلما ملك طيودوسيس وكان نصرانيا عاد كل من كان قد فرّ من الاساقفة وكتب الى اثناسيوس بطرك الاسكندرية أن يشرح له الامانة الصحيحة فجمع جميع الاساقفة وكتب له أن يلزم أمانة الثلثمائة وثمانية عشر فثار لذلك أهل الاسكندرية على اثناسيوس ليقتلوه ففرّ فأقاموا بدله لوقيوس وهو أريوسى أى على مذهب أريوس فأقام خمسة أشهر ثم اجتمع جميع الاساقفة وقاموا على لوقيوس المذكور وحرموه ونفوه وأعادوا اثناسيوس فأقام الى أن مات فخلفه بطرس الثانى وهو حادى عشريهم فوثب الاريوسيون عليه بعد سنتين من اقامته ففرّ منهم واختفى فأعادوا لوقيوس فلبث ثلاث سنين ووثب عليه أعداء الاريوسيين ففرّ منهم فردّوا بطرس فى نحو العشرين من أمشير فأقام سنة

وقدم أريوس أسقف أنطاكية الى الاسكندرية بمرسوم من الملك فأخرج منها جماعة من الروم وحبس بطرس بطركها ونصب بدله أريوس المعروف بالسمساطى ففرّ بطرس

البطرك من الحبس الى رومة واستجار ببطركها ثم مات فكانت مدته خمس سنين قضاها فى كيد وشدة

فأقيم بعده تيموثاوس وهو ثانى عشريهم وكان من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله

(وصـــل)

(فيما كانت عليه مصر أيام الدولة الرومانية)

لما صارت ديار مصر فى قبضة الدولة الرومانية على ماتقدم بيانه بذل الرومانيون الجهد فى إبقائها تابعة لهم ونظروا الى أنجح الوسائل الممكنة من ذلك فلم يروا خيرا من أن لايتعرضوا لامورها الدينيـة وأن يتركوها على عوائدها القـديمة وفنونها وصـنائعها وطريقـة كتابتها ولغتها وأن لايعاملوها بما عاملتها به الفرس من الحظر والمنع والتضييق عليها فى أمورها وعلى ذلك بنوا قاعدة سياستهم فأصلحوا ما كان اندرس من معالم الديانات وهيا كل العبادات وزادوا عـددها ومحوا ما كان من مشروعات الدولة البطليموسية ولم يقتصروا على العمائر بمصر فقط بل جددوا عمائر أخرى مهمة فى ديار النوبة من بلاد السودان رجاء استمالة المصريين اليهم وبسط ألوية السلطان عليهم وعلى النوبة فتم لهم بذلك الامر ورسخت قدم الدولة الرومانية بمصر رسوخ الاطواد وانبسطت يدها شرقا وغربا وقبضت على زمام الامور داخلا وخارجا وتصرفت تصرف المالك المطلق

وكان جنود مصر وأمراؤها هـم القائمين بحراسـة قلاعها وحصونها وثغورها وزمام المملكـة بين أيدى جمهورها فلما أمنت الدولة الرومانية من أهل مصر غوائل العصيان بمسايرتهم على مذاهبهم وعقائدهم ولم يبق للمصريين من سبب لاثارة الفتن رسمت بجعل محافظى القـلاع والثغور من عسكرها وأن لايتولى حكم البلاد الانائب رومانى ينتخبـه مجلس رومة وأن يكون النائب المذكور متصرفا فى حكم البـلاد تصرف القيصر مرخصا له فى الملكية والعسكرية ليكون شأنه بين المصريين شأن ملكهم القـديم فكان كل من ارتكب من هؤلاء الولاة هفوة عاقبه مجلس رومة بالعزل فلاجل ذلك لم تطل مدة ولاية الولاة المذكورين وكان النصب والعزل فيهـم سريعا جـدا لاقل سبب استرضاء للمصريين وكـان من قواعـد الدولة الرومانيـة المقررة عنـدها أن لايتولى على مصر أحد من أعضاء مجلس رومة ولامن عائلات المجـد الاولية خشـية أن يستبد بملكها ويطمع فى الاستقلال بها فلذلك لم تكن البـلاد فى أيام هـذه الدولة ذات رونق سياسى ولم تكن متمتعة بالثمرات الوطنية ولا حائزة على شئ من الحرية بل كانت على حالة الاسترقاق والاستعباد فلم تلبث أن اندرست مفاخرها القـديمة ونسيت أنها كانت سيدة جميع المدن والبـلاد قال بعض الكتاب ولم يبق لها من رمق الحياة الاهلية الا بعض لمحات روحانية اذ كان لمدارس الاسكندرية فى هذه المدة شهرة

لاسيما فى المذاهب الفلسفية. وكان لها على رومة ومملكة اليونان سلطة القوة العلمية وسطوة الحكمة على حين كانت حالتها الداخلية فى اختلال واعتلال ملازمين وخراب لامثيل له اذ كنت لاترى فى هذا الحين مدينة طيوة والعرابة المدفونة ولا منف ولا عين شمس الا آثارا خربة وأطلالا بالية ولم يبق من هاتيك العمائر العظيمة الا الرسوم من جميع المدن حتى من مدينة الاسكندرية التى كانت تحت السلطنة وصار لاعناية لاهل البلاد الا بالفلاحة والزراعة تخدم وتشفق لمدينة رومة فتميرها بالميرة وتعينها بالذخيرة كانها مخازن للغلال ومستودع للاقوات * ولم تفز مصر فى أيام هذه الدولة قط بفائدة تذكر غير أنها فى آخر الأمر دانت بالديانة النصرانية وقاست بأسبابها من الشدائد مالايدخل تحت حصر كما سيتلى عليك فى محله

وكان أول ملوك هذه الدولة أغسطس قيصر وآخرهم طيودوسيس وعددهم ست وستون قيصرا منهم من حكم على انفراد مستبدا بالملك ومنهم من كان له شريك ومنهم من كان له شركاء وكانت سنو ملكهم نحو أربعمائة واحدى عشرة سنة تقريبا باعتبار أن مصر ايالة تابعة مثل بقية الايالات المشرقية الداخلة فى حكم دولة الرومان * والى هذا الحين زالت الجاهلية وقامت بدلها المسيحية بصدور أمر الملك طيودوسيس قيصر بالتمذهب بهذا الدين وتعميمه فى جميع أنحاء مملكته فمن ذلك اليوم وانتشر انتشارا سريعا للغاية واشتهر أهل مصر من هذا التاريخ باسم (قبطة مصر) فطائفة الاقباط من أهالى مصر الآن هم المتنصرون من ذرية الامة المصرية القديمة وهم بقية ذلك الشعب الذى قدر واقتدر وفاز واشتهر واستمر الدين المسيحى متسلطنا بمصر مدة المائتين وتسع وخمسين سنة التى هى عبارة عن سنى ملك دولة الروم المسيحية المعروفة عند أصحاب التاريخ العائلة الخامسة والثلاثون

(الباب السادس)

(فى دولة الروم المسيحية التى قامت بالاسكندرية وفيه فصول)

الفصل الاول

(فى العائلة الخامسة والثلاثين)

كان ابتداء هذه الدولة التى هى دولة الروم المسيحية فى سنة خمس وتسعين وثلثمائة للميلاد أى سنة احدى وأربعين ومائتين قبل الهجرة وكان انتهاؤها بفتوح الاسلام لديار مصر سنة تسع وثلاثين وستمائة للميلاد أى سنة ثمان عشرة للهجرة فكانت مدة سلطنتها مائتى سنة وتسعا

وخمسين سنة كما قاله جماعة المؤرخين وأول ملوكها الملك ارقاديوس بن الملك طيودوسيس قيصر مؤسسها

(فى الملك ارقاديوس)

(قيصر)

تولى ارقاديوس قيصر الملك بعهد من أبيه طيودوسيس سنة تسع وأربعمائة للبلاد أى سنة سبع وعشرين ومائتين قبل الهجرة وقد اعتبره أهل التاريخ رأس هذه الدولة واعتبره آخرون ثانى ملوكها بعد أبيه طيودوسيس الذى شيد أركانها ووطد دعائم بنيانها وكان ارقاديوس هذا ضعيف العقل خامل الفكر فكانت المملكة فى أيامه ضعيفة كأنما ارتسمت فيها مرآة طبعه وقد فوض سياستها وتدبير أمورها الى أحبابه وأمراء عسكره وقواده وكانوا من غير الرومانيين فوقعت بينهم لذلك الفتنة وكان بعضهم عدوّا للبعض الآخر فاختل النظام وعز الوئام ثم تسلم زمام الدولة بعد ذلك حلا وعقدا رجلان أحدهما اسمه (روفين) ويلقب برئيس الدولة وثانيهما اسمه (أطروبس) صاحب ديوان الملك ولم يكن يعلو عليهما فى نفوذ الكلمة الا اروقسية زوجة ارقاديوس الملك وكان لاروقسية هذه شهرة كبيرة فى القسوة وغلظة القلب وهى التى عذبت القديس خروصوصطومس الذى سيأتى الكلام عليه

ولما عهد طيودوسيس لولده ارقاديوس المذكور بالملك كتب له وصية يقول فيها

لو كنت يابنىّ من أبناء ملوك فارس وعهد اليك بملكها وآلت اليك دولتها لكان عنوانك الكسروى كافيا فى حفظ سرير ملكك وصيانة تاج دولتك ولكن منبتك أرض الروم وحال أهلها يابنى معلوم فكن حازما فالحزم ينفع فاعله وان كنت ممن يجهل الامر فاسأل فاذا أردت أن تكون أهلا لان تحكم الامة وتسوسها فابدأ بنفسك واحكمها وأحسن سياستها قبل ذلك لتعلم كيف تغلبها فالعاقل من هذب نفسه وغلب عقله على هواه

والناس يابنى صنفان سوقة وملوك فالسوقة لاهم لهم الا اسعاد أنفسهم وأما الملوك أمثالك فهمهم اسعاد الرعايا فان سعادة الرعايا هى سعادة الملك فاذا تغلبت عليك يابنى الذنوب وجرّتك الى ارتكاب العيوب فأنت عبد هوى ولو تحليت بتاج القياصرة فاحترس من تغلب الشهوات النفسانية وخلها للرعاع من الرعية فان الشهوات الدنيوية تعرض للامراء والملوك وتكون فى كل حال نصب أعينهم فتغلبهم فاذا أردت أن تتخلق بأخلاق ملك الملوك وسلطان السلاطين فتخلق برحمته وحلمه واتبع دائما طرق العدل والاحسان ولا تلتفت الى فعل الخير لمجرّد المدح أو القدح من انسان فان العامة لا يتحاشون من مدح الملوك أو القدح

فيهم فكن باستكمال الفضائل ومكارم الاخلاق صورة العدل والاحسان وتخلق بأخلاق الملك الخلاق لكى تكون ذاسلطان على قلوب الرعية تستغنى به عن الارهاب بالسيف وشدة البأس فقد جرت عادة الرومانيين أنهم لاينقادون لذى كبرياء نخل أبهة الملك لملوك آسية والبلاد المشرقية وتحل بحلية عظماء القياصرة الرومانية وأوصيك اذا عاديت ملكا من الملوك فأحكم قيادة جنودك وأحسن فى الامرة والسلوك لتطاع منهم وينفذ أمرك فيهم واقتسم اقتحام الاخطار مع الجند فانهم بك يقتدون ويستسهلون المهالك ولا يبالون باقتحامها

ومما تتأكد به الوصية وتجب فيه النصيحة أن تواظب على قراءة تاريخ من سبقك من القياصرة لتعرف ما أصابهم من النصرة والهزيمة وتقف على أسباب العزة والهوان لتتفقه من ذلك ما يجب فعله وتتفطن لما ينبغى عليك اجتنابه اه

فلم يعمل ارقاديوس بهذه الوصية لسخافة عقله فكان مبغوضا عند سائر الرعية ممقوتا مذموما لايذكر اسمه الابااللعنات والتقبيح * وقد سبق الكلام على أن الذى كان قابضا على زمام الدولة هو الوزير روفين وأن الحل والعقد كان باستشارة الملكة اورقسية فكان الوزير المذكور يخشاها ويخاف منها جدا وكانت نفسه تحدثه دائما بأن يسلب الملك من زوجها ارقاديوس فكان يمنعه من ذلك شدة بأسها وحرصها ولكنه مع ذلك أخذ يمهد لهذا الامر الاسباب ويعمل سرا على اخراجه من حيز الخفاء الى عالم الظهور فصاغ النياشين باسمه ونقش عليها رسمه كأنه لابس التاج القيصرى وأعدها لوقت استقلاله بعد ظفره بخلع ارقاديوس والكفران بنعمته

وكان لطيودوسيس والد ارقاديوس الملك قائد عسكر اسمه اسطيليقوس أقامه فى حياته كفيلا على ولديه عند ماقسم الملك بينهما شرقا وغربا فلما توليا الملك بعد أبيهما كان اسطيليقوس مشغولا بقسمة الاموال والعساكر بينهما وكان يسمع بما يفعله روفين الوزير من الاستبداد والجور والعسف بالرعية ويحقد عليه كثيرا ويراقب الفرص للوقيعة به والانتقام منه

واتفق فى هذا الحين أن طائفة الغوطية اجتازت نهرطونة لحرب ارقاديوس وقتاله وسارت قاصدة بلاد القسطنطينية واقتربت منها ولم يمنعها فى الطريق مانع فرأى الامير اسطيليقوس هذه الفرصة موافقة لما فى نفسه من الانتقام من روفين الوزير فقام من ايطاليا فى جيش عظيم وسار الى مدينة القسطنطينية للانتقام منه فدفع الغوطيين عن البلاد وأذاع أنه قادم لرد الغوطيين وما زال سائرا حتى وصل الى مدينة سلانيك ثم انعطف بسرعة غريبة وهجم بحركة عجيبة على الغوطيين وحصرهم ومازال بهم حتى هزمهم شر هزيمة فلما تم له النصر أشاع الناس بانه يريد القسطنطينية بجيوشه فأحس الوزير روفين بانه انما يريد الحضور لقتله واغتياله وعلم مافى نيته نخاف وتقدم الى ارقاديوس الملك فى أن يرسم الى اسطيليقوس بسرعة ارسال الجنود الى القسطنطينية وأن لايحضر هو معهم فرسم له الملك بذلك فامتثل اسطيليقوس

أمره وبعث بجميع العساكر الذين كانوا معه الى القسطنطينية ولكنه كاشف كبارهم بما فى نفسه من نحو روفين الوزير وأسرّ الى غيناس قائدهم أن يقتل الوزير المذكور فعاهدوه على ذلك وعلى كتمان الخبر حتى يتم له الامر ويبطشوا به عاجلا وكتموا ماعاهدوه عليه بحزم شديد ولم يوحوا به لاحد حتى دخلوا مدينة القسطنطينية فحضر الوزير اليهم فاظهروا له غاية الطاعة وقابلوه بغاية الحفاوة والولاء فاغتر بظاهرهم واعتمد عليهم واتخذهم عونا على درك مقاصده من قتل زوجة الملك ومبايعته بالملك وكاشف كبارهم بذلك فوافقوه وأظهروا أنهم أعوانه على جميع مارغب وكتموا هذا الخبر أيضا عن ارقاديوس الملك لما علموه من خفته وطيشه فلما استقر بالعساكر المقام دخل قائدهم الامير غليان على الوزير المذكور وتمثل بين يديه وطلب منه أن يرسم بعرض العساكر على الملك وأن يسير بهم أمامه ليرى فى نظامهم فسر الوزير من ذلك ودخل على الملك وكلمه فى عرض الجند فقام الملك وحضر الى الميدان ومعه الوزير وسلم كالعادة على جميع البيرقدارية ثم صار يمر بين صفوف العساكر وينظر فى نظافة آلاتهم ونظام معدّاتهم والوزير ينظر لهم بعين التعاظم كأنهم صاروا أعوانه المقيدين بأمره فلما توغلوا الى قلب الصفوف أحاطت بهم العساكر احاطة السوار بالمعصم وبرز من بينهم فتى وانقض على الوزير فطعنه فى صدره فوقع صريعا تحت أقدام الملك * وشاع خبر قتله ففرح الناس فرحا عظيما وعلت الضوضاء فى ذلك الميدان ثم انعطف الامير غيناس ومعه طائفة من الجند الى أعوان الوزير فأوقع بهم وأعمل فيهم القتل والسلب وقامت الغوغاء على من بقى منهم ففتكوا بهم عن آخرهم وأخذوا جثة الوزير وطافوا بها سحبا على الارض فى الاسواق والشوارع ورفعوا رأسه على سنان رمح وطافوا بها وقطعوا يده اليمنى ليمثلوا به وجعلوا كفه ممدودة مبسوطة كأنه يسأل الناس المغارم والمطالب كما كان يفعل قبل موته * وهربت زوجته وابنته الى دير بيت المقدس فرارا من القتل فضبطت أمواله وأحصيت مقتنياته فكانت شيأ كثيرا وبعد قتله ولى الملك مكانه اطروبس الطواشى وكان قبل ذلك حاجب الدولة وكان اسطيليقوس زعيم الدولتين يرى أن له حق كفالة قيصر المشرق ويدعيها مستندا على وصاية طيودوسيس والده ثم رأى بعد ذلك أن فى تمسكه بهذا العزم مايوقع العداوة بين الاخوين ويثير نار الحرب بين الدولتين فترك ارقاديوس وشأنه مع وزرائه وزوجته ولم يتحرش قط بالسياسة ولا بالتدبير فكانت كل دولة من الدولتين ليس لها على الاخرى أمر ولا نهى فلم يكن لذلك بينهما جامعة قوية ولا رابطة تذكر * وكان آلاريق ملك الغوطية يترقب الفرص للانتقام من الدولة المغربية فلما رأى من ابتعاد ارقاديوس عن أخيه تحبب الى ارقاديوس واصطلح معه وانتظم فى سلك جنوده وحسب نفسه من أتباعه فجعله ارقاديوس رئيس عموم عساكره الرومانية المرابطة بسواحل ايطاليا المشرقية وكانت يومئذ تابعة للقسطنطينية قال بعض أهل التاريخ فأظهر الفرح بذلك وكمال المحبة لارقاديوس وهو فى الحقيقة عدو للطرفين حاقد عليهما ماكر مخادع ومازال حتى

تقوى أمره وتمكن من قلوب عساكره وقوى جأشه على القتال فسار الى رومة فى جيش عظيم لقتال قيصرها وظهر عليه وهزمه شر هزيمة وكاد يأخذ ملكه فشق هذا الامر على الامير اسطيليقوس وخشى ضياع الملك من يد القيصر وسقوطه فى يدى آلاريق فقام ومعه بعض الجنود وركب على آلاريق ومن معه وصدمه صدمة قوية وهزمه فى واقعة شر هزيمة وأخذ زوجته أسيرة وفر آلاريق ونجا بنفسه وتفرق من كان معه من الجنود أيدى سبأ وزال البأس عن القيصر

قال أهل التاريخ وكانت أيام ارقادبوس كلها متاعب ومصاعب وفساد أخلاق وظلما فى الرعية وكان العمال فى جميع جهات المملكة أرباب ظلم وخيانة منهمكين على اللذات والشهوات غافلين عن أمور البلاد وشؤن الرعية وكان الامر كله فى يد اطروبس الطواشى الوزير فكان هو رئيس المجالس والمحاكم وأمير الجيوش كافة وكان يكره الغوطية جدا ففرح الناس بتقلده منصب الوزارة ليأمنوا بتدبيره شر أعدائهم اذ كانوا لا يرون من ارقادبوس قدرة على ذلك ومع فرحهم به فقد تكدر خيار الناس وأهل الاستقامة من طوائف الجنود والعساكر والرعية من تقليده هذا المنصب لما يعلمونه فيه من أخذه للرشاوى والبراطيل وضياع حقوق الامة والوطن بل حقوق المملكة نفسها بان يبيع للاعداء من البلاد كلما يقدر على بيعه وكان من خصاله الاصغاء لوشى الوشاة وأهل السعاية بالنميمة ميالا الى أخذ المغارم غنيمة لنفسه وكان كثير السعى خلف الايقاع بكل من امتاز من أمراء الجنود فى أيام طيودوسيس بالاستقامة وشرف النفس والتمسك بالأصول والفتك بهم خوفا على نفسه منهم

وكان يعلم ما فى صدور العامة وأهل البلاد من بغضه والحقد عليه ويخشى القدح فى عرضه كما هو مذهب الكثير من الحكام فاسدى الاخلاق فكان لذلك يجاوز فى غدره ويحترس من الملامة ونشر مرسوما يقول فيه ان كل من طعن فى ذات الملك أو فى أهل ديوانه فجزاؤه القتل وأن من سعى بالشفاعة فى مذنب فجزاؤه الفضيحة وأذاع هذا المنشور وشدد على الحكام فى العمل بموجبه فلما علم الناس بما فيه غضبوا كثيرا وقاموا قومة واحدة وأضرموا نار الفتنة فسرى لهيبها فى جميع العمالات والاقاليم الرومانية وانحاز رؤساء الاحزاب الى زوجة الملك وطلبوا من القيصر أن يرسم بضرب عنق الوزير المذكور وأن لا تسكن نار الفتنة الا بقتله فلم يقبل فانكبت زوجته على أقدامه وبكت وشكت أيضا من أنه أى الوزير المذكور أساءها وخاض فى عرضها فحن الملك لها ورسم بقتله

وما ظهر الامر بقتله حتى أظهر له الشماتة كل من كان يتزلف اليه من أهل البلاد وأهل الديوان ولم يبق أحد الاوكان يوسعه سبا وطعنا وضربا وخرجوا به الى الميدان ليقتلوه وعلت الضوضاء وتزاحم الناس وأتوا للتفرج عليه من كل صوب وحدب فبينما هم على هذا الحال والوزير بين أيديهم اذ برز القديس خروصوصطومس وانكب عليه وحال

بينـه وبين الجموع المتزاحمة على قتـله ونادى قائلا تنحوا عنه أيها النـاس فان الدنيا لاتدوم على حال وان الطبيعـة البشرية ليست معصومة من النقـائص الدنيوية وسوء المقاصـد الى آخر ماقاله من المواعظ فى هـذا المعنى فانكف الناس عنه وبرز الامر بعـد ذلك بتغريبـه وابعاده الى جزيرة قبرص ولكنه لم يلبث فيها الاقليلا حتى قام عليه واليها وأهدر دمه وأراح العبـاد منه

فاستوزر الملك بعـده الوزراء من الاجانب والاغراب وسلمهم قيادة المملكة كما كان يفعل مع غيرهـم من قبل ثم أفضى الحال بعـد ذلك الى أن سـلم زمام المملكة لزوجتـه فحكمت واستبدت وأمرت ونهت وتصرفت فى جميع الامور وكانت تكره الاسقف خروصوصطومس وتعاديه فرسمت يوما بنفيه وتغريبـه فنفوه وكان معظما محبوبا من النـاس موقرا عندهـم فقامـوا لذلك جميعا واجتمعت الاهالى أحزابا وأشهروا السـلاح وأحاطوا بقصر الملك وعلت الضوضاء فخافت الملكة من ذلك وخشيت عاقبة هذه الفتنة وتمثلت بين يدى الملك وأشهدت على نفسها أنها أخطأت فيما فعلت وندمت وأمرت بعوده عاجـلا الى القسطنطينية فرجع فزين الاهالى لقدومه سواحل القسطنطينية شرقا وغربا فلما دخل المدينة ارتقى منبر الخطابة وخطب يعظ الناس بالصلح والسـلم * قال بعض الكتاب ولكن أنساه تعاظمه الدنيوى ذل حرفته وأذهله عن حقوق خرقته ولم يعمل بما جاء فى الانجيل حيث عرض بذم النساء كافة وذكر معايبهن وتطرف للخوض فى عرض الملكة وقذفها فقال انها محبوبة لبعض اللئام وان عشاقها عبدوها عبادة الاصنام قالوا ومع أن ذكر هـذا لايليق من مثل هذا الاسقف فقد أصغى الناس اليه بآذان واعية ولكنهم عادوا بعد ذلك فجمعوا مجمعا آخر وحكموا عليه بالنفى وساعد على نفيه جماعة الاريوسـية التابعون لمذهب أريوس اذ كانوا من حزب الملكة ومن أعوانها فاتفق بعد نفيه أن انتابت على البلاد المصائب وأتلف الجراد المزروعات وكثرت بها الزلازل فاعتقد الناس أنها انما حلت بالبلاد بسبب نفى هذا الاسقف

وقد ذكرنا فيما تقدم أن طيودوسيس الملك كان قد خفف فى أيامه عن مصر المحن وقطع أسـباب الاحن وأعادلها رونقها القديم بما منحها من المزايا وماجدده فيها من العمائر فلما تولى ارقاديوس منصب أبيه سار على سـيرته وأمر بأن تغلق جميع هياكل الاصنام فى ديار مصر ومنع من التدين الابالدين المسيحى فاستدعى أهل البلاد أن يتولى عليهم ملك من قبل الرومانيـين يسوسهم بما فيـه المصلحة وحسم الفـتن فبعث لهـم الملك قانونا شـديدا وحث الاهالى على الطاعة تحت حكم عماله ونوابه وأباح لهم بعض اباحات دينية لابد منها ورخص لهم أن يتخـذوا كهانا لعبادة الشمس والبقر وأقام على المسيحيين منهم (ثوفيلس) بطركا بالاسكندرية قال بعض أصحاب التاريخ فكان ثوفيلس هذا كثير الحميـة الدينية قليل الفضل والمعرفة فأظهر العداوة لاصحاب الدين الوثنى وتعرض لرخصتهم فى دينهم وتحصل على مرسوم

آخر من الملك بكسر الاصنام وهدم المعابد والهياكل فعادت الشدة على الوثنيين من المصريين وكان البطريرك توفيلس هو المأمور بذلك وكان تحت أمره متوليها وأميرها فبلغ توفيلس مااعتناه وبالغ فى هدم الهياكل وتخريب المعابد وتبعه فى ذلك كافة أساقفة مصر وقراها فحصل لدين الجاهلية بمصر مذلة وشدة وصار الفخر للبطريرك والاساقفة وفوض لهم الحكم فى الرعية وقد كانوا قبل ذلك من أيام قسطنطين الاول مفوضين فى التعليم والتربية وتهذيب الاخلاق وتحسين العوائد دون تنفيذ الاحكام وكان القضاة مأمورين أن ينفذوا ماتحكم به طائفة القسيسين فتم لهم النفوذ فى حكومة البلاد وكمل لهم التداخل فى المصالح كافة وصار الأمر منهم واليهم ولم تبق فوق يدهم يد

قال بعض الكتاب وباضمحلال الديانة الوثنية على التدريج صار يلمح بطرف خفى قرب زوال التمدن القديم وهو تمدن أزمان الجاهلية وقد عم ذلك جميع البلاد الرومانية وأخذت الامة القديمة على التدريج فى استبدال دينها القديم وقد زادها ضررا كثرة تداخل الاجانب فى أهلها لاسيما المتبربرون وتقلدهم المناصب الملكية والوظائف العسكرية فضلا عن احتلال البلاد من الفرنجة والغوطية وانتشارهم فيها من نهر الرين الى حد الفرات بالمشرق وشنهم الغارة على جميع إيالات المملكة من وقت الى آخر وتتبعهم النهب والسلب فيها حتى عمها الخلل ولازمها الارتباك وسرى فيها عرق الفساد الى حد أن تطاولت أيدى الرعية الى معاقبة الملوك والقياصرة تخلصا من تعديهم وظلمهم للاهالى ثم طردهم واستقدامهم للاغراب ليدخلوا بلادهم فانهم اختاروا أن يكونوا مستعبدين للافرنجة والغوطية ورضوا بذلك وآثروه على أن يكونوا أحرارا تحت أحكام ملوكهم الجائرين لاسيما وقد أثقلتهم الضرائب والمغارم بما لايطاق فضلا عن تعرضهم لمذلة عبادة الاوثان وقتل من يتمسك بهذا الدين وقد كسر أحد العساكر يوما صنم الشمس وكانوا يعتقدون أنه اله الدنيا بأسرها وأخرج منه جملة من الفيران مع مارسب فيه من فضلاتها فلم يترتب على كسره يومئذ فتنة لضعف أهل هذا الدين وفشلهم وقد اسود هيكل رومة العظيم المحلى بالذهب الخالص وعلاه التراب وصار مهجورا لايدخله عابد ولايوليه بالاشارة راكع ولاساجد وكذلك بقية هياكل الاصنام وتأيد دين المسيح بقدر ماقاساه من الشدة والمذلة وصار الناس يدخلون فيه أفواجا لاسيما فى أيام ارقاديوس على مافيها من العسف والجور

ومات ارقاديوس الملك حتف أنفه فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة للميلاد أى سنة أربع عشرة ومائتين قبل الهجرة وكانت مدته ثلاث عشرة سنة ويضاف الى هذه المدة أيضا مدة الاربع عشرة سنة التى هى من تاريخ مرسوم طيودوسيس الملك باتباع الملة النصرانية وهى المدة التى حكمها طيودوسيس أبوه فى القسطنطينية وقد أوصى قبل موته أن يكون يزدجرد بن بهرام المعروف بالاثيم كفيلا على ولده طيودوسيس الثانى ولعله قصد بذلك تداخل أهل فارس فى مصالح الروم والقسطنطينية تشفيا غير أن بعض المؤرخين أنكر هذه

الوصية وقال انها لم تصدر منه واستدل على ذلك بان كسرى فارس المذكور لم يطالب بالكفالة ولم يتداخل فى مصلحة البلاد مع ما كان عليه من الفظاظة والغلظة ولؤم الاخلاق قال ولو كان لهذه الوصية أثر لما تنازل عنها كسرى المذكور ولدافع عنها ببذل النفس والنفيس

ومات فى أيام ارقاديوس ﴿ تموثاوس ﴾ بطريرك الاسكندرية بعد أن أقام خمس سنين أو سبعا وفى أيام تموثاوس المذكور كان المجمع الثانى بالقسطنطينية فى سنة اثنتى عشرة ومائة لدقلطيانوس فاجتمع فيه مائة وخمسون أسقفا وحرموا مقدونيون عدوّ روح القدس وكل من قال بقوله وكان سبب ذلك أنه قال ان روح القدس مخلوق وحرموا معه أيضا أناسا آخرين لعقائد أخرى شنيعة تظاهروا بها فى المسيح وكان رئيس هذا المجمع تموثاوس بطريرك الاسكندرية

وزاد الاساقفة يومئذ فى الامانة التى رتبها الثلثمائة وثمانية عشر * ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب * وحرموا أن يزاد فيها شئ بعد ذلك أو ينقص منها شئ وكان هذا المجمع بعد مجمع ﴿ نقية ﴾ بثمان وخمسين سنة وبعد مولد المسيح بمائة وثلاث وسبعين سنة

وفى أيام تموثاوس بنيت عدة كنائس بالاسكندرية واستتيب جماعة كثيرة من مقالة اريوس وأطلق للاساقفة والرهبان أكل اللحم يوم الفصح ليخالفوا الطائفة المانية فانهم كانوا يحرمون أكل اللحم مطلقا وردّ ارقاديوس كل من نفاه الملك واليس من الاساقفة وأمر أن يلزم كل واحد منهم دينه ماخلا المانية ثم أقيم بعد تموثاوس ثاوفيلوس وهو ثالث عشريهم وأخو بطرس الثانى ويعرف بابن الخطاب وكان فى أيامه من الحوادث ماسيذكر بعد

(فى الملك طيودوسيس)

﴿ قيصر الثانى ﴾

ثم قام بالامر ابنه طيودوسيس الثانى بعهد من أبيه ارقاديوس وذلك سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة للميلاد أى سنة أربع عشرة ومائتين قبل الهجرة بويع وله من العمر تسع سنين وقد كان بحسب الشريعة الرومانية لعمه أرنوريوس قيصر المغرب حق الكفالة عليه فلم يرض أعيان مملكة القسطنطينية بذلك * وكان من الاغنياء المتزمين أصحاب الجاه والبأس بمدينة القسطنطينية رجل اسمه أنطميس وكان ذا معرفة وخبرة بالامور واستقامة وشهرة بالمعارف وكان قد تقلد نيابة المشرق ثم تخلى عنها فولاه وجوه القسطنطينية كفالة طيودوسيس ولكن لم تطل مدته حيث مال الى العزلة واختار الراحة والاشتغال بأموره الخصوصية وآثر ذلك

على

على نيابة الدولة فتنازل لبونخارية أخت الملك عنها حيث رغبت فى ذلك فاستولت بونخارية على سرير الملك ولم يكن عمرها اذ ذاك الاست عشرة سنة فقامت باعبائه خير قيام مع الشهامة والحماسة ولازمت جادّة العدل وساست الامور ودبرتها فأحسنت تدبيرها فلقبها المجلس بلقب (أغسطسة) وحكمت بالنيابة عن أخيها مع الوزراء نحو الاربعين سنة قال بعض المؤرخين فكأنها ورثت فضائل جدها طيودوسيس الاكبر ونالت من مكارم أخلاقه الحظ الاوفر كما ورثت عنه الشجاعة والبسالة فبلغت فى حسن التدبير درجة البراعة

وكان الناس يتوسمون فى طيودوسيس الملك سمة النجابة والخير للبلاد فلما بلغ رشده رأوا أن حاله كحال أبيه فى عدم الثبات وضعف العقل وقلة الادراك والتمييز فكانت بونخارية تجهد نفسها فى تهذيب أخلاقه واصلاح شأنه وتقويم أوده لعله يقوم بأمر الملك ويحسن تدبير الدولة فلم تنجح وكانت ذات عدل تكره الجور والعسف فأسكنت بعزمها جميع الفتن وأزالت كافة المحن فاطمأنت بها نفوس الرعية وانتظم حال الملك وانقطعت المنازعات واستقامت الامور فتعلقت بها قلوب الرعية وأحبوها حبا جما * ولم يشغلها عن الحوادث الخارجية الا إغارة طائفة الهونية من قبائل التتار وزحفهم من بلاد المجار على ممالك القسطنطينية تحت راية ملكهم آتيلا فصالحتهم بونخارية بتقرير خراج حتى تمكنت من ردهم وابعادهم عن البلاد * وكان من همها تقدم العلوم والفنون والصنائع وكانت تحسن اللغة اليونانية واللاطينية فشغلت أخاها بتلقى العلوم والمعارف والفنون لتكون الحاكمة عليه زمنا طويلا وجلبت اليه كبار العلماء ومشاهير الحكماء ممن لهم شهرة فى العلوم وكان ارقاديوس مع قلة فطنته مهيبا سالكا سبل الجد بعيدا عن المزاح حافظا لناموسه قابلا للتعليم وان لم يكن مستجمعا لصفات الرجال الراسخين فى صفات الكمال فكان ممدوحا بالعفة والقناعة والرفق والرأفة والحلم غير أن هذه الصفات لم تكن فيه غريزية بل اكتسابية فكان فى حياته كالطفل تحيط به الطواشية والخادمات من كل جانب وكان شغله فى كل يوم النقش والرسم والصيد وماشا كل ذلك وقد لقب بالخطاط لحسن خطه ولطافته وكان فاتر الهمة فى قضاء المصالح العمومية ميالا للكسل والدعة حتى كانوا اذا أحضروا اليه الاوراق ليوقع عليها أهمل قراءتها ووقع عليها بدون التفات ولا اكتراث فدست له أخته بونخارية يوما خطابا عن لسانه وأظهرت أن فيه مصلحة للبلاد مضمونه * انى خلعت نفسى عن المملكة وخلعت بيعتى من أعناق أهل البلاد * فوقع عليه ولم يقرأه ثم أطلعته عليه ومزقته أمامه ليقف على عيبه ويحاذر فى أموره * وكان ابتداء ملكه يبشر بنصر الروم ونجاحهم فانه غلب الهونية فى بلاد الروم ايلى وقهر ملكهم هولدين وضيق عليهم تضييقا كثيرا وحصرهم وقد كان هولدين المذكور أقسم أن لايدع الفتوحات ولايكف عن الغزو الا اذا بلغت فتوحاته مغرب الشمس فخنثه القيصر فى يمينه اذ أوقفه وطرده من روم ايلى فجاز نهر طونة وهرب راجعا لبلاده وقد هلك جميع عسكره ومزق فى هذه الواقعة كل ممزق

فلما رأت بولخارية أن أخاها قد نجح فى أموره واستحق الزواج بحثت له عن زوجة مشهورة بالفضل لابالنسب وكان فى مدينة أثينا فيلسوف اسمه ديونقوس وله ابنة من أجمل بنات اليونان اسمها آطنايس ذات علم وفصاحة كأبيها وتمتاز فى الخطابة بقوة البرهان وكان لابيها من الذكور ولدان فتبرع لهما بجميع أمواله ولم يورثها شيأ اكتفاء بجمالها ولكنها بعد موت أبيها المذكور وضيق ذات يدها طالبت أخويها بحقوقها وشكت للملكة بولخارية فلما رأتها تعجبت من لطفها وحسنها ووفور عقلها ووجدتها أهلا لان تكون زوجة لاخيها فلما بلغ الملك أمرها ولع برؤيتها فأتى متنكرا عند أخته فوقع بصره عليها وسمع خطابها حتى أخذت بمجامع قلبه فعقد عليها وعمدها وسميت من هذا اليوم ﴿ أودقسيه ﴾ فلما علم أخواها بأنها صارت زوجة للملك خشيا صولتها فاختفيا فبحثت عنهما وأرسلت من كشف عن حالهما فوجدا وتمثلا بين يديها فلاقتهما بالبشاشة والطلاقة وقلدتهما المناصب العالية وكانت عاقلة واسعة الفكر مواظبة على ماتعوّدت عليه أيام فراغها من مطالعة ودراسة فنظمت مافى التوراة وألفت تآليف جديدة مفيدة جدا وسارت الى بيت المقدس لحجت وذهبت الى أنطاكية وخطبت بمجلسها خطبة بليغة أثرت مواعظها ونصائحها فى القلوب والنفوس حتى أعجب كبار الاساقفة بمقالها وأصحبت معها من بيت المقدس الى القسطنطينية مايتبرك به من آثار الصلحاء والقديسين

وتاقت نفس أودقسيه بعد ذلك أن يكون لها الامر والنهى على زوجها وعلى الدولة بتمامها وقد كان الحل والعقد وتدبير الامور فى يد الملكة بولخارية كما تقدم القول فلم ترض بالتنازل لادوقسية وظلت ممسكة زمام الحكومة فوقع بأسباب ذلك الفشل والخلف بين الاثنتين وترتب على اختلافهما اختلاف الامراء والاحزاب فانقسم الديوان الملوكى الى حزبين أحدهما متعصب لزوجة الملك والآخر منتصر لاخته فغلب حزب الاخت على حزب الزوجة وتم لها النصر وصار لها تمام النفوذ فاتهمت الملكة مع أخصائها المتعصبين معها من أهل الديوان بالعشق والميل عن العفة وأغرت الملك بنفيهم وتغريبهم الى أقصى البلاد فنفوا وغضب على زوجته وأساء الظن بها فاستأذنت بان تخرج من قصر الملك وتعتكف فى بيت المقدس فأذن لها فذهبت واعتكفت هنالك فلم يتركها أخصامها وشأنها بل كانوا لها بالمرصاد فاتهموها أيضا بالزنا مع اثنين من القسيسين فرسم الملك بقتلهما فقتلا فغضبت وسعت فى قتل قاتلهما حيث كانت بريئة من هذه التهمة فتقويت التهمة بذلك وبلغت مبلغ التحقيق * ومكثت ست عشرة سنة معتكفة منزوية فى زوايا الاهمال وهى تشكوما دهمها من الظلم والجور بلاذنب ولا خطيئة

وقامت على طيودوسيس فى هذا الحين قائمة الحرب من كل الجهات منها الحرب مع بهرام جور بن يزدجرد الاثيم والحرب مع آطيلا ملك قبائل الهونية * قال بعض أهل التاريخ وقد كان من أمر بهرام جور المذكور أن أباه سلمه الى النعمان بن امرئ القيس أحد ملوك اليمن

من العرب وهو صاحب الخورنق ليربيه ويعلمه الفروسية فلما مات أبوه وكان هو غائبا تولى الملك كسرى خسرويه من ولد أزدشير فلما بلغ ذلك بهرام جور انتصر بالنعمان ووقع بين بهرام وخصمه مراسلات كثيرة ثم اصطلحوا على أن يجعل تاج الملك بين أسدين شبلين فمن تناوله منهما فهو الملك فوثب بهرام على الشبلين فقتلهما ولبس التاج واستقر على سرير الملك وكان عاقلا شديد البطش على أعدائه وكان يتقن نظم الشعر بالعربية

وكانت مدينة القسطنطينية فى تهديد دائم من قبائل الهونية فكانوا لا ينكفون عن الاغارة على بلادها وتكدير صفو راحتها وقيامهم على قدم الارهاب وكان رئيس هذه القبائل يومئذ أميرا اسمه روجلاس وكان مقره ببلاد الالمان وكان يبغض طيودوسيس ويتوعده بالاغارة وتخريب ممالكه فخافه طيودوسيس جدا وبعث اليه سفراء يسترضونه ويصدونه عن شن الغارة فلما وصل السفراء وجدوه قدمات وورث الرياسة بعده اثنان من بنى عمه هما آطيلا وايليد فلبثت السفارة أياما تطلب الاذن بمقابلتهما فقابلاهم وهما على ظهور الخيل كعادة ملوك هذه القبائل فلما مثل السفراء بين أيديهما اشترطا عليهم زيادة الجزية المقررة التى كانت تدفعها القسطنطينية من قبل للهونية وأن يتنازل لهما القيصر عن أحد الميناات الواقعة على نهر طونة لتكون خالصة حرة لا سيادة للرومانيين عليها وأن لا تعقد دولة القسطنطينية أى معاهدة مع أحد من أعداء الهونية فرضى القيصر بهذه الشروط مع ماهى عليه من المذلة والحيف بناموس الدولة قالوا فكانت هذه أول مرة رأى فيها الرومانيون آطيلا المذكور وقد كان بلغهم قبل الاجتماع به أنه فظ غليظ جبار عنيد مولع بالحروب يحسن سياسة الجنود ورياستهم فلما تأملوه وجدوه على صورة أهالى القلموق الذين يقال لهم الكلماكية عريض الرأس أصفر اللون أفطس الانف قصير القامة مربع القد يكاد الشرر يقدح من عينيه ولم يعض على آطيلا وأخيه فى تدبير أمور قبائل الهونية الا زمن يسير حتى قام آطيلا على أخيه وقتله واستبد بالحكم فانقادت له جميع قبائل الهونية وغيرها من القبائل التترية ثم تغلب بعد ذلك على سائر القبائل الجرمانية المعروفين بالالمان واستولى على كافة الامم الشمالية كالاسوج والنروج والدينمارقة وتهيبت منه أمم الغلية والرغونية القاطنون فى بلاد الفرنسيس وزحف على هذه البلاد بجيش جرار وتوغل فيها حتى وصل الى مدينة أورليان فاتحد ابطيوس قائد عساكر رومة ومرويه ملك الفرنسيس وطيودوبراق ملك الغوطية معا وحملوا عليه حملة رجل واحد فقهروه وأخرجوه عنوة وأوقعوا به بقرب شالون من بلاد شامبانيا مات فيها ربع جنوده ورجع القهقرى الى بلاد ايطاليا ومع ذلك فقد انبسطت يده على جميع الامم المتبربرة حتى تملك جهة نهرى الأنل وطونة وبحر الشمال ونهر الرين وجبال البه بايطاليا وزادت هيبته فى جميع الممالك وكانوا يعتقدون أنه صاحب خروج وأن له معرفة بالسحر والشعبذة وأنه متى قصد مملكة لا يصده عن التغلب

عليها أحد * قال أصحاب التاريخ وكان اذا قدم مملكة من الممالك شرقا أوغربا سجدت ملوكها بين يديه حتى تصل تيجانهم الى الارض وكانوا يفتخرون بحضورهم فى مجلس مشورته ويحسبون أنفسهم من وزرائه وأمرائه فكان الرؤساء والامراء من جميع القبائل يحدقون بقصره ويتباهون بالمحافظة على ذاته الملوكية وكانت قبائلهم وطوائفهم منظومة فى سلك جنوده داخلة تحت أعلامه وبنوده وكانت عساكره نحو ثلثمائة ألف مقاتل وغزا فارس وأغار على بلادهم فامتدت غزواته فى المشرق حتى وصلت الى الشام ولكنها كانت مجرد اغارات لافتوحات وكان قد وقع بينه وبين طيودوسيس الملك عقد مصالحة على قاعدة تقررت بينهما كما تقدم فعاد وادعى أن العهد انتقض بعدم وفاء القسطنطينية بشروطه وزعم الهونية أن الروم سرقوا منهم فى احدى موانى طونة الحرة خزينة أحد أمرائهم وطالبوا القيصر بهذا القدر من المال وأن يسلم لهم أحد أساقفة النصارى ليصنعوا فيه كيف شاؤا فامتنع ديوان القسطنطينية من الاجابة الى شئ من ذلك فأشهروا الحرب وأغاروا على بلاد الروم ودخلوا المدن القريبة من القسطنطينية وسلبوا فى طريقهم ونهبوا وقتلوا وأسروا وهدموا القلاع والقصور وسبوا النساء والاولاد ودمروا المدن التى بين البحر الاسود وخليج البنادقة فكانت جميع هذه النكبات لاتبعث همة طيودوسيس الملك على التحرك من ديوانه والخروج مع عساكره للذب والدفاع لخوفه وجبنه بل ناط أمراءه وقواده بذلك فكانوا اذذاك لايستطيعون جمع العساكر ولا يحسنون تنظيم الجنود ولاترتيب الصفوف للقتال فكانت هزيمتهم متتابعة وقد انهزموا فى واقعة بقرب نهر طونة وفى أخرى بسفح جبال البلقان وفى أخرى بسواحل روم ايلى وكانت هزيمة عظيمة جدا دمرت عساكرهم تدميرا فلم تبق منهم بقية

وعاث آطيلا فى أرض مقدونيا وأهلك الحرث والنسل وأحرق نحو سبعين مدينة وجال فى أرض روم ايلى حتى وصل الى رساتيق القسطنطينية وضواحيها فلم يمنعه عن دخول المدينة الا أسوارها لانه كان لايحسن الحرب الا فى السهول والفضاء وكان يجهل محاصرة المدن والقلاع وكانت محاربته تعد من العجائب عادة يعقبها خراب البلاد وهلاك العباد ولذلك تهيبت منه جميع أمم أوروبا وآسية وكان اذا انتصر على قبيلة أوأمة أخرى أباح لقومه أسر أهلها وأدخل فى عسكره كل من كان يصلح للخدمة العسكرية وضرب الرق على الشيوخ والنساء اذا لم يقتلوهم بلا شفقة ولا رحمة وكان الهونية اذا كثرت عندهم الاسرى وزاحموهم على الزاد والراحلة ذبحوا القدر الزائد ومع ذلك كله فقد اتحد بعسكر الهونية كثير من الرومانيين وامتزجوا بهم امتزاج الراح بالماء

وبعد توالى انهزام أصحاب طيودوسيس الملك بات ولم يبق عنده من العساكر مايدفع به عدوه وكان أضعف من أن يحيى قلوب رعيته وينعش نفوسهم ويقوى عزمهم ويحرضهم على قتال الاعداء ويجعلهم جميعا عسكرا يحامى عن الوطن فلما لم يستطع أن يفعل ذلك

اعتكف فى قصره كالراهب ولم يخرج منـه الا للكنيسة ثم عقد بعـد ذلك مع آطيلا صلحا يشـين بشرفه وشرف دولتـه وترك لدولة الهونيـة الارض التى فى جنوب نهـر الطونة من مدينة بلغراد الى داخـل ترخالة من بلاد روم ايلى وتعهد بأن يدفع فى كل سنة ألفين ومائتى رطل من الذهب وستة آلاف مجـلة وذلك غـير نفقات الحرب وكان قد ذهب مافى أيدى الاهالى واشتدت بهـم الفاقة لاسيما من فعال جباة الاموال والعوائد والمكوس فلذلك تأخر دفع هذه المغارم عن مواعيدها وتعذر على طيودوسيس دفعها

وكان مابقى من العساكر الرومانيـة أيضا قد داخله الجبن ولازمه الفتور وارتبك الحال على أهـل الديوان فانعكست أحوال الدولة وفشلت أمورها وذهب رونقها ولم تقم لهم من هـذا الحين قائمة الا أن أهالى مدينـة (أسومدوس) من أعمال روم ايلى دبت فيهـم النخوة الجاهليـة وتمسكوا بعروة الاتحاد الوثقى ولم يرضـوا بالدخول تحت شروط هـذا الصلح وأبوا أن يسـلموا للهونيـة الابحرب ثم خرجوا ووقف جمعهـم خارج الاسوار وطلبوا النزال فاجتمع عليهم كثير من العساكر الرومانية الفارين من ساحة الحرب ومن الاسرى الهاربين فعظم جمعهـم وضخم جيشهم والتقى بالهونيـة وأوقع بهم فى واقعـة هائلة ولا هول القيامة فهزمهم شر هزيمة وطردهم عن البلاد فشكا آطيلا ملك الهونيـة للقيصر من خروج أهالى هـذه المدينة وطلب منـه اكراههم على الانقياد وتسـليم المدينة على أصول ماهو فى العقد فأمرهـم القيصر بالوفاء فلم ينقادوا وأظهروا الجفاء وعصوه وأجابوا أن الصلح المبنى على الذل والعار والتحقير والصـغار لايعد من القوانين الواجبة الامتثال فتركوهم ولم يتعرضوا لهم بعد ذلك بمكروه

وكان من شروط هذا الصلح أن طيودوسيس التزم لآطيلا ملك الهونية أن يسلم له كل من فرعنده من الألمان والغوطية والطوائف التترية وكل من هرب من جيشه ودخل فى خدمة جيش طيودوسيس فلم يستطع الروم أن ينجزوا هذا الشرط لانه يترتب عليه هـلاك كثير من ضباط الهونيـة الكبار الذين أبلوا بلاء حسـنا فى حروب الروم وساعـدوهم على النصرة على الهونية وامتازوا فى ميادين الحرب بالبسالة والاقدام فألح آطيلا يطلبهم قياما بالعهد فأرسل اليه طيودوسيس سفراء يستعطفونه ويستميلونه الى الاغضاء ودس لبعض وزراء آطيلا ورشاهم بالمال ليقتـلوا آطيلا المذكور فلما وصل السـفراء الى آطيلا قابلهم بغـاية الازدراء والتحقير وأذلهـم غاية الاذلال ووضـع مقامهـم كما كانت الروم تفعل بسـفراء الملوك الاجنبية أيام عزهـم وأبقاهـم أياما خارجا عن مقر الحكومة قبـل أن يمثلوا بين يديه حتى أدركوا دلائل الاهانة ودواعى هذا التذليل وبعـد عدة أيام دعاهم فساروا اليه يشقون صفوف العساكر حتى وصـلوا ديوانه فوجـدوه لابسا ملابس الآحاد من التتر ولم يكن سريره الملكى الا كرسيا بسيطا فسجدوا أمامـه وخضعوا له وقبـلوا الارض وعرضوا عليـه رسالتهم وخاطبوه بألفاظ

العظمة والكبرياء على العادة الروميــة القديمة فلم يجبهم الا بالفاظ الوعيد والتهــديد وقال لهم وهو مغضب أتظنون أنى اذا أردت الشكاية هل أبقى لكم مدينة من مدنكم على وجه البسيطة فاذا أردتم لمدنكم التدمير ولسلطانكم السقوط فافعلوا ما تريدون فألانوا له القول وتلطفوا معه فى الخطاب فانطبع ورق فتعشموا الخير ودعاهم الى مائدته فاستبشروا بذلك قيل ومن صدف الاتفاق أنه كان بديوانه أيضا يومئــذ سفراء من رومة فأجلس سفراء الدولتين فى المجلس بعد أمراء الهونية تحقيرا لهم وتصغيرا وكان الندماء مدة تناول الطعام يطوفون بالشراب على عادة ملوك البلاد الشمالية وكان أصناف اللاعبين وأرباب الهزل والمزاح يكثرون من ألعابهم وحضر أيضا أسرى البلاد المغربيــة أمام أهل المائدة للمصارعة وعساكر التتار تعمل شكل محاربة والاغانى تتغنى بحروب طوائف الهونية وانتصار ملكهم آطيلا وتغلبه على سائر البلاد وكانت نساء الهونية جالسات على المائدة أيضا مع الرجال يتكلمن مع أهل المشرق بدون استحياء ولا احتفال واختلطن معهم ولا اختلاط الرجال مع الرجال

ثم أجاز السفراء طيودوسيس بالانصراف وبعث من قبله سفراء الى القسطنطينية كلهم مميزون بعلو المناصب والمراتب وعليهم رئيس اسمه ايديقون وكان فى هذا الحين قد انكسرت شوكة الملكة بونخارية أخت طيودوسيس وضعف نفوذها فى الديوان وصار الامر والنهى بيد خروساف الخصى وكان الملك فى قبضة يده فاتحــد خروساف المذكور مع بعض رجال الديوان والمقدم ويجلوس على أن يرشوا ايديقون رئيس السفارة المذكورة بالمال كى يثير فتنة على آطيلا الملك ويقتله ويخلص الروم من شره وأخبر طيودوسيس بما اتفقوا عليه فوافقهم رغما عما جبلت عليه طباعه من المسالمة وبغض الباطل وأهله فعلم آطيلا الملك بمكرهم ولكنه كان أكرم نفسا حيث وقعوا فى يده وعفا عنهــم وأعادهم الى القسطنطينية وصفح عن طيودوسيس ليريه أنه أشرف نفسا وأعلى همــة وذلك أنه لما انكشف سر الطواشى وقومه واتضح أمرهــم بعث طيودوسيس المقدم ديجلون الى آطيلا ومعه ثلثمائة رطل ذهب فدية المتعصبين على قتل الملك ولما كان ديجلون المذكور ممن اتفق مع الطواشى على هذه الفعلة قبض عليه آطيلا وسأله فى شأن ذلك وقرره فاعترف فعفا عنه وبعث سفارة أخرى الى القسطنطينية كان فيها الامير اسلار وآخر اسمه أغسطة فلما تمثلا بين يدى طيودوسيس تكلم اسلار يقول انى مأمور من طرف ملك الهونية أن أقول لكم ان القيصر طيودوسيس والملك آطيلا كلاهما من سلالة ماجدة ذات نسب رفيع وحسب منيع غير أن آطيلا قد أظهر مقام أجداده فى حروبه وغزواته وأبان مجدهم فى صولاته وغاراته وأثبت فخره بدليل العمل أما طيودوسيس فانه لطيشه وعدم تبصره فى عواقب الامور قد أبان أنه ليس أهلا لحيازة شرفه ونبله وانه لم يخلف آباءه الكرام بل بخس بنفسه وأخــل بناموسه وناموس أهل مملكته حيث رضى بالذل والهوان وأن يدفع لملك الهونية جزية توجب الصغار فكأنه بدفعها قد أشهد على نفسه أنه عبد رق الملك الهونية الذى رفع الدهر مقداره وأيد مجده وفخاره فكان يجب على القيصر حينئذ أن يسلك أمام أعين سيدنا مسالك آحاد الناس من

الرعية ويتمسك بالصداقة وحق العبودية ويظهر لسيده ﴿ آطيلا ﴾ كمال الطاعة والاحترام ولايليق به الكفران بنعمة وليه ويعمل على قتله فانه سار بهذا الفعل الذميم سير عبد السوء اللئيم

وكان طيودوسيس عند سماعه هذا الكلام جالسا على سرير جده طيودوسيس الاكبر المصوغ من الذهب صامتا ولم يكن قبل ذلك قد طرق أذنيه غير المدح والاطراء من قومه فلما أسمعه اسلار كبير السفارة هذا الكلام ثبت نفسه وقوى جاشه وأفرغ أذنه للسماع مع ما كان فيه من الخجل ومزيد الوجل ولم يظهر سآمة ولاملالة ثم رسم بتسليم وزيره خروساف الطواشى لارباب السفارة وانتخب عدة من أمراء ديوانه منهم ليونيوس خازندار المملكة وانطنيوس رئيس جند الحرس القيصرى وأرسلهم سفارة من عنده الى الملك آطيلا لتسكين غضبه واستجلاب رضاه * قيل وكان لم يزل فى الدولة المشرقية رمق الفخار وبقية من المجد القديم فكان لبعثة هذه السفارة وقع حسن عند ملك الهونية اذرأى فى ذلك غاية التعظيم له فسعى اليهم وسامح القيصر وعفاعنه وعن الطواشى والمقدم وجميع من اشترك فى هذه الفعلة وأحسن على طيودوسيس برد عدة مدن مما كان قد أخذه منه وفك كثيرا من الاسرى الرومانيين عدا ما كان قد طلبه من الهاربين من عساكره الى العسكر القيصرى وجدد عقد الصلح ولكنه طلب كثيرا من المال فدية عن قتل الطواشى لاتقدر الدولة على دفعه يومئذ * واتفق بعد عقد شروط هذا الصلح أن خرج طيودوسيس على جواد للنزهة فكبابه الجواد فسقط على الارض فانكسرت فقار ظهره وفارق الدنيا وذلك سنة أربع وستين وأربعمائة للميلاد أى سنة اثنتين وسبعين ومائة قبل الهجرة وله من العمر ثلاث وخمسون سنة فكانت مدة حكمه نحو ست وأربعين سنة قال بعض الكتاب وفى السنة الخامسة عشرة من ملكه كان ايقاظ أصحاب الكهف من رقدتهم واختلف فى حكايتهم المفسرون وأرباب السير والاخبار وتلخيص ذلك * أن بعض القياصرة الرومانيين شدد وطأة الجور على رعاياه واضطرهم الى عبادة الاوثان والذبح للطواغيت وكان فى الروم كثير من الناس على دين المسيح ومن أولئك القياصرة دوقيوس الملك وهو المسمى أيضا دقليانوس زاد فى العتو والشدة على النصارى وأمر بعبادة الاوثان وقتل كل من خالفه وكان ينزل بلاد الروم ليكره الناس على ذلك فنزل على مدينة افسس التى هى الآن أياصولوق أو مدينة منبج ببلاد أناطلى بقصد اكراه أهلها على ذلك فكبر هذا الامر على أهل الايمان فهربوا منه فى كل جهة فجعل الوثنيون من أهل المدينة يبحثون عن المختفين ليدلوا عليهم دقليانوس فيخيرهم بين القتل والذبح للطواغيت فمن اختار عبادة الله قتله ومن أطاعه فى ذلك تركه

فلما رأى ذلك الفتية الثمانية وكانوا من أبناء أشراف الروم وعظمائهم حزنوا حزنا شديدا واشتغلوا بالعبادة والتضرع الى الله تعالى فبينما هم يصلون فى مكان لهم اذ دخل عليهم

أعوان الملك فوجدوهم سجدا يتضرعون فرفعوا أمرهم الى دقليانوس فأمر باحضارهم فحضروا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا فقال لهم مابالكم لاتقتدون بغيركم من حيث الذبح للآلهة فاما أن تذبحوا لآلهتنا كما يذبح الناس واما أن أقتلكم فقال له كبيرهم مكسلمينا أما الطواغيت فلا نعبدها فاصنع مابدالك وقال بقية الفتية مثل ذلك فجردهم من ملابسهم ومن حلى الذهب والفضة وقال انى أراكم شبابا فلا أحب أن أهلككم قبل أن أجعل لكم أجلا تراجعون فيه عقولكم

وانطلق دقليانوس بعد ذلك الى مدينة أخرى قريبة لبعض أمور فلما علم الفتية بخروجه وأنه ان رجع يذكرهم فأتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق منها ثم يتزود بالباقى ثم ينطلقون الى كهف قريب بالمدينة يقال له منجلوس يعتكفون فيه لعبادة الله حتى اذا جاء دقليانوس الملك أتوه ليصنع بهم ماشاء ففعلوا ذلك وانطلقوا بنفقتهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا العبادة وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا كان من أجلهم وأجلدهم فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا ويذهب متنكرا ويتجسس لهم الخبر فلبثوا على ذلك مدة

وقدم دقليانوس الملك المدينة فأمر بالمسيحيين فذبحوا للطواغيت وكان تمليخا يومئذ فى المدينة فرجع مسرعا الى أصحابه وهو يبكى وأخبرهم بالخبر فحصل لهم الفزع من ذلك ووقعوا سجدا يتضرعون و يتعوذون بالله من الفتنة وكان تمليخا قد جاءهم بيسير من الطعام فقال لهم ارفعوا رؤسكم وكلوا وتوكلوا على الله تعالى ففعلوا وكان ذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون فبينماهم على هذه الحال اذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وهو باب الكهف فأصابه ماأصابهم

فلما كان من الغد تفقدهم دقليانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض أصحابه قدساءنى هؤلاء الفتية الذين ذهبوا ولو جاؤا فى الاجل المسمى وعبدوا الهى ما كنت لأجهل على أحد منهم ثم أرسل الى آبائهم وتوعدهم بالقتل فاخبروه بانهم انطلقوا الى الكهف فخلى سبيلهم فالقى الله تعالى فى نفس هذا القيصر أن يأمر بسد الكهف عليهم ليموتوا جوعا وأراد الله أن يجعلهم آية لمن بعدهم وأن يبين للناس أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور * وكان فى بيت الملك دقليانوس رجلان مؤمنان اسم أحدهما سندروس والثانى دوماس فأتمرا أن يكتبا أسماء الفتية وأنسابهم وخبرهم فى لوح من رصاص ويجعلاه فى تابوت من نحاس ثم يجعلا التابوت فى البنيان قالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين فيعلم من يفتح عليهم خبرهم

وبقى دقليانوس مابقى ثم مات هو وقومه ومضت عدة أجيال وخلفه عدة من القياصرة الى أن ملك على أهل تلك المدينة ملك صالح اسمه طيودوسيس قيصر الثانى وكان متمسكا

بدين المسيح فنى أيامـه ألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك الجبل الذى فيـه الكهف أن يبنى فيه حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان الاحجار التى على باب الكهف و يبنيان بها تلك الحظيرة حتى فرغ ماعلى فم الكهف من السدّ وفتح عليهم باب الكهف أذن الله أن يستيقظوا من رقدتهم ويجلسوا فى الكهف فجلسوا فرحين مستبشرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كانهم استيقظوا من ساعتهم التى يستيقظون فيها على عادتهم اذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون فيها ثم صلوا صلاتهم على عادتهم ولم يروا على وجوههم ولا ألوانهم شيئا يكرهونه بل هم كهيئتهم حين رقدوا وهم يظنون أن ملكهم هو دقليانوس

فلما فرغوا من صلاتهـم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم ائتنا ياأخى بالذى قاله الناس فى شأننا عشية أمس عند الجبار دقليانوس ظنا منهـم أنهم رقدوا كعادتهم وانما خيل لهـم أنهم طالت مدة نومهم عن العادة ثم قال مكسلمينا لتمليخا انطلق الى المدينة لتسمع مايقال فى شأننا بها هذا اليوم وماالذى نذكر به عنـد دقليانوس وتلطف ولا تشعرن بنا أحدا وابتع لنا طعاما وائتنا به فانه قد نالنا الجوع وزدنا على الطعام الذى جئتنا به على العادة فانه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا فأخـذ تمليخا ورقا من نفقتهـم التى كانت معهـم مما ضرب بطابع دقليانوس الملك وانطلق خارج باب الكهف فلما مر بالباب رأى الحجارة بعيدة عنه فعجب منها ولم يبال بها حـتى أتى باب المدينـة متنكرا لئـلا يراه أحـد من أهلها فيعرفه فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع رأسه فرأى فوق ظهر الباب علامة الصليب فجعـل ينظر اليها متعجبا ونظر يمينا وشمالا فلم ير أحـدا ممن يعرفه فـترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر فرأى مثل ذلك فخيل له أن المدينة ليست بالتى كان يعرفها ثم رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب منه ومن نفسـه ويقول ياليت شعرى أما هـذه عشية أمس وقد كان المؤمنون بالمسيح يخفون هـذه العـلامة ويستخفون بها ثم دخـل المدينة فجعل يمشى فى سوقها فيسمع كثيرا يحلفون بالله ثم بالمسيح فزاده ذلك عجبا ورأى كأنه حيران ولقى فتى من أهل المدينة فقال ما اسم هذه المدينة فقـال افسس فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التى كانت معـه فأعطاها رجلا منهم وقال له ياعبـد الله بعنى بهـذه الورق طعاما فأخـذها الرجـل ونظر الى نقشها وعجب منها ثم طرحها الى آخر فنظر اليها وهكذا فجعلوا يتطارحونها بينهم من رجـل الى رجل وهم يتعجبون منها ثم جعلوا يتسارون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا فلما رآهم يتسارون من أجـله ظن أنهم فطنوا به وعرفوه وأنهم يريدون أن يحملوه الى دقليانوس الجبار فارتعدت مفاصـله وقال لهم اقضوا لى حاجتى فقـد أخذتم ورقى والا فأمسكوا طعامكم فلا حاجـة لى به فقالوا من أنت يافتى وماشأنك والله لقـد وجـدت كنزا من كنوز الأولين وتريد أن تخفيه عنا فانطلق معنا وشاركنا فيه والا أتينا بك الى السلطان فنسلمك اليـه فلما سمع قولهم عجب فى نفسـه وصار لايدرى مايقول فلما رأوه لايتكلم طوقوه بكسائه فى عنقه

وجعلوا يقودونه فى سكك المدينة مكبلا فاجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم وهم يحدقون به ثم اختطفوه وانطلقوا به الى رؤساء المدينة * وكان للمدينة رئيسان صالحان يدبران أمرها اسم أحدهما أرسوس والثانى اصطفوس فلما انطلق به اليهما ظن تمليخا أنهم انما انطلقوا به الى دقليانوس فجعل يلتفت يمينا وشمالا والناس يسخرون به فلما تمثل بين يدى أرسوس واصطفوس ورأى أنه لم يذهب به الى دقليانوس كما كان يظن أفاق لنفسه فأخذ كل من أرسوس واصطفوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال له أحدهما أين يافتى الكنز الذى وجدته ان هذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا فقال تمليخا ماوجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائى من نقش هذه المدينة ووالله ماأدرى ماشأنى ولاماذا أقول لكم فقال أحدهما من أنت فقال تمليخا أنا من أهل هذه المدينة فقال له من أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم يجد أحدا يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل مفتر لاتخبر بالحق فنكس تمليخا رأسه الى الارض فمنهم من قال انه رجل مجنون ومنهم من قال انه يتغابى ليخلص منكم فنظر اليه أحد الرئيسين نظرا شديدا وقال أتظن أنا نرسلك ونصدقك فى قولك ان هذا مال أبيك ونقش هذا الورق قديم وأنت غلام شاب تظن أنك تسخر بنا ونحن ولاة المدينة وخزائنها بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولادينار فلابد من أن تعذب عذابا شديدا أو توثق حتى تقر بالكنز الذى وجدته * فقال تمليخا أنبئونى عن شئ أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم ماعندى فقالوا سل لانكتمك شيأ قال مافعل الملك دقليانوس فقالوا لانعرف اليوم على وجه الارض ملكا بهذا الاسم وانما كان وهلك من دهر طويل فقال تمليخا فوالله لم يصدقنى أحد من الناس بما أقول لقد كنا فتية الملك دقليانوس وأكرهنا على عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهربنا من عشية أمس فى الكهف فنمنا فلما انتبهنا خرجت لاشترى لاصحابى طعاما وأتحسس لهم الخبر فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معى الى الكهف أريكم أصحابى * فلما سمع أرسوس واصطفوس قوله قالا ياقوم لعل هذه آية من آيات الله سبحانه جعلها لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه ليرينا أصحابه فانطلق معه أرسوس واصطفوس وانطلق معهما أهل المدينة نحو أصحاب الكهف لينظروهم * ولما رأى أصحاب الكهف أن تمليخا احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن الوقت الذى كان يأتيهم فيه ظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقليانوس فبينماهم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وصهيل الخيل فظنوا أن القادمين هم رسل دقليانوس بعثهم اليهم ليأتوا بهم فقاموا حين سمعوا ذلك وقالوا انطلقوا بنا الى أخينا تمليخا فانه الآن بين يدى الجبار دقليانوس ينتظر حتى نأتيه مع الرسل فبينماهم على هذه الحال اذ وفد عليهم ارسوس وأصحابه ووقفوا على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا ليطمنهم فدخل عليهم وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فاخبرهم بخبره فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما باذن الله ذلك الزمن وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور

ثم

ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى عندهم تابوتا من نحاس مختوما بخاتم فضة فقام بباب الكهف ودعا رجلا من عظماء أهل المدينة وفتح التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا عليهما أسماء الفتية وأنهم هربوا من ملكهم دقليانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا فى هذا الكهف وان دقليانوس لما أخبر بمكانهم أمر بسد الكهف عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم ليعلمه من بعدهم ان عثر عليهم * فلما قرأوه عجبوا جدا ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا ووجوههم مشرقة ولم تبل ثيابهم فخر ارساروس ومن معه سجدا لله تعالى فأنبأهم الفتية عن الذى لقوه من ملكهم دقليانوس فبعث ارسوس وأصحابه بريدا الى الملك طيودوسيس أن عجل بالحضور لعلك تنظر آية فتية بعثهم الله تعالى وكان قد توفاهم منذ دهر طويل فلما اتصل الخبر بالملك قام لساعته ومعه أهل المدينة حتى صعدوا نحو الكهف وأتوه فلما رأى الفتية طيودوسيس الملك فرحوا به وخروا سجدا على وجوههم وقام طيودوسيس أمامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض ثم قالوا له نستودعك الله ونقرئك السلام حفظك الله وأمدّ فى أيام ملكك وبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم فقام الملك وجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل واحد تابوت من ذهب فلما أمسى المساء ونام أتوه فى المنام وقالوا له لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكن خلقنا من التراب والى التراب نعود فاتركنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وأمر أن يجعل على باب الكهف مسجد يصلى فيه وجعل لهم عيدا كل سنة فهذا حديث أهل الكهف على تعدّد رواياته وذلك من نومتهم الاولى فى أيام الملك دقليانوس الى يقظتهم فى أيام الملك طيودوسيس وهو المسمى تاودوسيوس أيضا وقد اشتهرت أيام طيودوسيس هذا بهذه الحادثة التى هى عبرة من العبر

وفى أيامه مات ثاوفيلوس بطرك الاسكندرية فى ثامن عشر بابه وقد أقام سبعا وعشرين سنة وكان صاحب حمية وشدة فى الدين قد خرجت به عن جادة الاعتدال فخرب هياكل الوثنيين بديار مصر وكسر أصنامهم كما تقدم بيانه ونفى فى أيامه يوحنا فم الذهب واشتد الملك ارقاديوس على الاريوسيين وضيق عليهم وأمر بأخذ الكنائس بعد أن حكموها نحو أربعين سنة وأسقط من جيشه من كان اريوسيا وطرد من كان فى ديوانه وخدمه منهم وقتل من الحنفاء خلقا كثيرا وهدم بيوت الاصنام فى كل موضع * وفى أيامه بنيت كنيسة مريم ببيت المقدس وبنى ارقاديوس الملك دير القصير الذى سمى بعد ذلك بدير البغل فى جبل المقطم شرقى طرا خارج مدينة فسطاط مصر وقد عفت آثاره الآن فلما مات أقيم بعده كيرلس وهو رابع عشريهم وهو أوّل من أقام القومة فى كنائس الاسكندرية وأرض مصر وكان فى أيامه من الحوادث ماسيذكر فى حينه

ولما مات طيودوسيس الملك على ماتقدم بيانه تولت الملك بعده أخته بونخارية وزوجها مرقانوس

(فى الملكة بونخارية والملك مرقانوس زوجها)

ثم قامت بالامر الملكة بونخارية بويع لها بالملك بعد موت أخيها طيودوسيس وذلك سنة أربع وستين وأربعمائة للميلاد أى سنة اثنتين وسبعين ومائة قبل الهجرة فلما استقر بها المنصب تزوجت بالامير مرقانوس وأشركته معها فى الملك وذلك سنة سبع وستين وأربعمائة للميلاد أى سنة تسع وستين ومائة قبل الهجرة * وتحرير الخبر أنه لما كانت دولة القسطنطينية قد تقهقرت وانحط شأنها على عهد الملك طيودوسيس أخى بونخارية وكان قد طمع فيها العدو وصارت على شفا جرف كما تقدم اتحدت كلمة وجوهها وأعيانها وأمراء عساكرها وأرباب مجلسها وكافة الرعية على مبايعة بونخارية عسى أن تقوى بسياستها شوكة البلاد ويعود لها رونقها ومجدها القديم وقد كانت بونخارية من الحزم وحسن السياسة على جانب عظيم وفى تدبير الامور وضبط مصالح الرعية آية فكانت أول أنثى جلست على سرير ملك الزومانيين فلما قبضت على زمام الملك نظرت فى أمور أعداء الدولة العاملين على تخريبها فأمرت فضرب عنق خروساف الوزير على باب الديوان بدون اقامة دعوى ولاعمل تحقيق ونظرت فى أمور غيره منهم فانطبعت لذلك هيبتها فى قلوب الرعية وخافها أصحاب الغايات وسارت كلمتها فى أرجاء الحكومة ونفذت ومالت اليها قلوب الرعية واستبشروا بأيامها وعظموا قدرها وظلت على هذا مدة * قال بعض أهل التاريخ ولكن لما كانت تعلم أن حكم الانثى على الروم هو على خلاف الاصول والعوائد وكانت تخشى أنه ربما يترتب على استمرار حكمها انفصام عروة الاتحاد التى بين الرعية وانحلال رابطة كلمتهم وكانت لا تنظر الالخير البلاد وسعادتها تزوجت بأحد أكابر المجلس وأعظمهم قدرا وهو الامير مرقيانوس وكان عمره اذذاك ستين سنة وألبسته الحلة الملوكية وعاهدته على أن يحترم على الدوام ناموس نفوذها وأن يحافظ على حقوقها الاشتراكية ولايعمل الاعلى تأييدها فى السياسة والتدبير وأن يتجاوز لها عن حقوق المباضعة التى تقتضيها الزوجية لانها كانت نذرت أن لاتمكن أحدا من أن يفتضها وأن تترهب مدة عمرها فعاهدها مرقيانوس على ذلك ووعدها أن لايمسها ووفى بوعده

وكان لبونخارية أختان وهما مرينة وارقادية فكانتا مثلها فى الرهبانية وقد كتبن صورة تنذر بحفظ توليتهن على لوح مصفح بالجوهر وبعثن به الى كنيسة أيا صوفية كأنه قربان لمريم العذراء أم المسيح عليهما السلام وكن لايحضرن مجلس الرجال أبدا وكان قصرهن

أقرب شبها بالديروديوا نهن عبارة عن معبد المترهبات وهن على غاية من النسك والتعبد مع العفة والتواضع * فلما استقر مرقيانوس المنصب أجرى السياسة فى البلاد على ماتشتهى بوخارية من الحزم وحسن السلوك ورتب من القوانين ما محا به الظلم وصرف به وجه العدوان عن الرعية وتحبب اليهم وتطراليهم نظر الأب الحنون على ولده فعلقت به قلوبهم وأحبوه حبا جما

وبعث اليه آطيلا ملك الهونية يطالبه بالخراج المقرر الذى كان يدفعه الملك طيودوسيس وشدد فى الطلب مع العظمة والكبرياء فردّ عليه يقول قد انجلى الزمن الذى كانت تنتهك فيه حرمة الدولة الرومانية وخلا الدهر الذى كان يخل بناموس المملكة القيصرية وأما فى عهدى هذا فاعلم انى لاأعطى شيأ الا بالطوع والاختيار وأن لايكون الا امدادا واعانة على صيانة بلادك كما هى القاعدة بين الملوك المتعاهدين معى الخادمين لحكومتى وليس عندى لغيرهم ممن يهدّدنى من الاعداء جواب الا أن أرسل عليهم جنودا من الصناديد قلوبهم كالجلاميد وأجسامهم من حديد وأى حديد * وبعث له أيضا سفراء يشافهونه بهذا الكلام فاغتاظ آطيلا وكاد يتميز غضبا وأقسمت قبائل الهونية وتعاهدت على تدمير الدولة الرومانية وتخريبها ومحو اسمها ورسمها من الدنيا * قال أهل التاريخ وكتب آطيلا الملك القسطنطينية وملك رومة يقول

انآطيلا مولاك وسيدك يأمرك أن تجهز له قصرك عاجلا لتلقاه فيه فهو حاضر ليأمرك بما تقتضيه المصلحة

ثم بعد أن بعث الجواب أتته الاخبار بما عليه ملك القسطنطينية من المنعة وماصارت عليه جنوده من الشدة والبأس نخافه وعاد الى مسايرته وأبقى معه شروط الصلح على ماكانت عليه وعقد النية على أن لايغير على دولة المشرق الا بعد الاستيلاء على مملكة المغرب فسار صوب المغرب وتبعه كثير من ملوك الامم المتبربرة وأمرائهم ورؤسائهم يريدون الحرب مع رومة وجرمانيا فقامت بينهم الحرب على ساق وحمى وطيسها فى ميدان شالون من أعمال بلاد الفرنسيس وبعد واقعة هائلة جدا بذلك الميدان وقف جند الملك آطيلا وجند أعدائه متقابلين نخرج آطيلا من مكانه وبرز فى وسط الصفوف وعليه الهيبة والوقار وخاطب رؤساء عساكره وقد كانوا مختلفى الاجناس فقال لهم لاتخافوا شيأ فانى رئيسكم وقائدكم وصنم الحرب حاميكم وقد تعوّدت النصر فيما مضى فلا أحرم النصر فيما بقى وقد كفل لكم أيضا النصر والتأييد جبن الروم وفتور هممهم فهزيمتهم لدينا محققة فمن يصادمنا من الاعداء فى حومة الميدان أو يطاردنا فى حلبة الرهان فان كانت الخشية من طائفة الافرنجة فبينهم الشقاق والاختلاس وسترون عن قريب أكثرهم منتظما فى سلك جنودنا داخلا تحت ظل أعلامنا وبنودنا وان خشيتم الغوطية والبرغونية فان شوكتهم قد

ضعفت وطالما هربوا خوفا من أصحابنا عند الالتحام فان قلتم انهم نزلوا هنا وهم مصممون على قتالنا فلا وما نزولهم الامحض الاستراحة من التعب وليس لهم قصد من حرب وقد اضطرمت بينهم نيران الفتن وظهرت علامات الخلل والمحن ولم يبادروا باطفاء ذلك ولم يعوّلوا على ماهنالك فسيروا أيها الشجعان على أعدائكم ثقة بالنصر والظفر واعتمادا على التأييد ولا مفر فليس فوق قوّتكم قوّة بشرية الى أن قال وقد أنطقنى من أنطق كل شئ أن أقول هذه الكلمة انى أطعن العدوّ برمحى قبل أن تقاتلوه وأقتل كل جبان شر قتلة

فلما فرغ من مقالته اتقدت نار الحمية فى صدور الابطال والتحم الصفان فهجم الرومانيون على الهونية من كل جانب فأذاقوهم عذاب الهون وصبوا عليهم صيب المصائب ومزقوهم كل ممزق فخرج آطيلا الملك وسط الجنود وصار يزأر كالاسد وينادى على عسكره بان يحملوا على العدوّ حملة رجل واحد فلم يفعلوا وعصوه ولم يصغوا لصوت ندائه وخاب منه الامل وكانت منه العزائم فكانت هذه أوّل مرة حرم فيها الطاعة من قومه ثم ولوا مدبرين فتتبعهم العدوّ وأعمل فيهم القتل حتى خرجوا عن البلاد وعادوا من حيث أتوا وجعل الروم يقتلون ويأسرون ويذبحون الاسرى صغارا وكبارا ذكورا واناثا ويسلبون ماشاؤا حتى قتلوا من النساء مائة صبية تحت سنابك الخيل وهذا كله من جهة بلاد الفرنسيس وماجاورها من الاقاليم * ولم تضعف الهزيمة عزم آطيلا بل سار الى ايطاليا قاصدا حربها واجتاز الالب وركب على المدينة المنجنيقات وكانت هذه أوّل مرة أغار فيها الهونية على ايطاليا بقصد فناء الرومانيين وكان قيصر رومة اذ ذاك ضعيف الشوكة والبأس لفتور همة الرومانيين وخمولهم بعد العز حتى صاروا لايستطيعون أن يقاتلوا الهونية بغير الاستعانة بعساكر أجنبية فاستغاثوا بالملك آلاريق الغوطى ملك الغوطية واستنجدوا بجنوده فأمدّهم فقويت عساكر الرومانيين واشتدت عزائمهم وهاجموا الهونية مهاجمة الابطال ولازالت الحرب سجالا ثلاثة أشهر لم يحصل منها للهونية فائدة فقام العساكر على آطيلا وطلبوا منه أن يرفع الحصار عن المدينة ويرجعوا الى أوطانهم فراجعهم فلم يقبلوا وبينماهم على أهبة الرحيل اذ لمح آطيلا طائرا أهليا يحوم على أبراج المدينة ويبعد عنها ثم يعود فقال لكبار عساكره انظروا ان طيران هذا الطير هو فأل السعادة والخير يبشرنا بقرب النصر والنجاح ويعدنا باليمن والفلاح فكانه ألهم أن هذه البلاد قريبة الدمار سريعة البوار فلنقو عزائمنا ونحمل عليها حملة رجل واحد والنصر يحادينا * فصدق الجند مقله واعتقدوا يمن الطائر وفاله وقوى عزمهم وهجموا على مدينة اكيله وكان الملك محصورا بها فاخذوها عنوة ونهبوا وسلبوا وأسروا أهل المدينة ودمروها بالنيران فسهل بذلك الامر على آطيلا وصار يتغلب على جميع مدن ايطاليا ويفتحها قوّة واقتدارا حتى وصل بعسكره الى مدينة ميلان فألقت اليه مقاليدها ولم ترفع فى وجه قومه سلاحا * قال بعض أهل التاريخ * فلما دخلها وجد فيها لوحا منقوشا عليه صورة القيصر على سريره وأمامه ملوك التتار يسجدون له فغضب وأحرق هذه الصورة وأمر أن يضعوا مكانها صورته

على كرسيه حين يستقبل وفادة القيصريين عند دفعهم الجزية التي تقررت عليهم * ولم تكتف الهونية ومن صحبهم من القبائل المتبربرة بالسلب والنهب والقتل بل أهلكوا الحرث والنسل وخربوا الديار وقطعوا الاشجار وأحرقوا القرى والامصار وكان ملكهم آطيلا يحرضهم على العتو والفساد ويقول لهم انه لا ينبت زرع في مكان وضع فيه جوادى قدمه فكان أهل ايطاليا يهاجرون من بلادهم وهاجر كذلك أهل البنادقة الى جزائر خليجهم وأسسوا بها مدينة البندقية التي يقال لها وندنق وبنوا مساكنهم على سدود وقناطر وعمروا البحر بالمدائن والعمائر واجتمع عليهم من ألجأته الضرورة فصاروا شعبا وتألفت حكومة بلادهم من جمهورية مؤلفة من عشرين جزيرة متحدة وكل جزيرة محكومة بحاكم وكثرت عندهم الصنائع والزراعة واتسع نطاقها ثم قويت تلك الجمهورية وصارت غنية مثرية تسير بذكرها الركبان

وبعد انتصار الهونية هذه النصرة العظيمة على بلاد الرومانيين بعث قيصر رومة الى آطيلا ملك الهونية سفراء يلتمسون منه الصلح على قاعدة تتقرر بينهما فأجابه الى ذلك وعقد صلحا كان من شروطه أن يتزوج آطيلا بينت من بنات قيصر رومة اسمها الاميرة هو نورية وكان قد سبق له أن خطبها من أبيها ورده فتزوجها في هذه الدفعة ومادرى أن السم في الدسم قال أهل التاريخ اذ كانت علة موته وسبب هلاكه * فلما جلت اليه عمل لها الافراح يوما وليلة وأكثر فيها من الشراب ولم يزل يشرب ويتفكه حتى سكر وأخذت منه الخمرة مأخذها ثم قام وأخذ بيدها الى محل فراشه وقد كانت تبغضه جدا وتنفر منه فبات ليلته تلك معها وفي الصباح قام الخدم ينتظرونه فلم يخرج على عادته فلما أبطأ وعلم قومه بابطائه دخل بعضهم خيمته فوجدوه مضرجا بدمائه فقالت عشيرته انه مات بالسكتة وقال الروم انه مات قتيلا قال بعض أهل التاريخ ولو بقيت دولته لكانت أشبه بدولة الاسكندر في الغزوات والفتوحات ولكنها شابهتها في الانقراض المترتب على مقاسمتها بين أولاده وأمرائه اذ ضاع بينهم الملك وذهبت شهرته فارتاحت لذلك خواطر الروم في المشرق والمغرب وزال عنهم البأس بموته وزوال ملكه

وقد كانت دولة القسطنطينية في أيام مرقيانوس غاية في الامن والراحة وصفو العيش وكانت الديانة المسيحية منصورة مؤيدة فلما كانت سنة سبع وستين وأربعمائة للميلاد أي سنة تسع وستين ومائة قبل الهجرة ماتت بولخارية فكانت مدة ملكها منفردة ومتحدة مع مرقيانوس زوجها ثلاث سنين فانفرد مرقيانوس بالملك سنة سبع وستين وأربعمائة للميلاد أي سنة تسع وستين ومائة قبل الهجرة الى سنة خمس وستين ومائة ثم مات في هذه السنة فكانت مدة حكمه منفردا أربع سنين وكانت مدة حكمه وحكم زوجته نحو سبع سنين وكان موته بعد زوجته بثلاث سنين وهو آخر قياصرة عائلة المشرق الاولى التي أولها ارقاديوس * وفي أيامه وأيام زوجته ظهر مذهب أوطاخي أحد القنوميين بمدينة القسطنطينية

وزعم أن جسد المسيح لطيف غير مساو لاجسادنا وان الابن لم يأخذ من مريم شيأ فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفا وحرموه وزيفوا مقالته

واجتمع فى هذه الايام بالاسكندرية كثير من اليهود فى يوم الفصح وصلبوا جسما على مثال المسيح وعبثوا به فثار عليهم النصارى واقتتلوا فقتل بين الفريقين خلق كثير فبعث مرقيانوس الملك جيشا عظيما فقتل أكثر يهود الاسكندرية ومزق شملهم وأذاقهم مر العذاب فانكمشوا وخافوا * وفى أيامهما أيضا كان المجمع الرابع من مجامع المسيحيين بمدينة خلدونيه وسببه أن دسقورس بطرك الاسكندرية قال ان المسيح جوهر من جوهرين وأقنوم من أقنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين وكان رأى مرقيانوس الملك أنه جسد وأهل مملكته أنه جوهران وطبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد فلما رأى سائر الاساقفة أن هذا رأى الملك خافوه فوافقوه على رأيه ماخلا دسقورس وستة أساقفة فانهم لم يوافقوه وكتب من عداهم من الاساقفة خطوطهم بما اتفقوا عليه فبعث دسقورس يطلب منهم الكتاب ليكتب فيه فلما وصل اليه كتابهم كتب فيه أمانته هو وحرمهم وحرم كل من يخرج عنها فغضب مرقيانوس وهم بقتله فاشير عليه باحضاره ومناظرته فأمر به فحضر وحضر ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفا فأشارت الاساقفة والبطاركة على دسقورس بالاذعان الى رأى الملك واستمراره على رياسته فقال ان الملك لا يلزمه البحث فى هذه الامور الدقيقة بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الامانة المستقيمة فانهم يعرفون الكتب وخيرله أن لا يميل مع الهوى ولا يتبع غير الحق فقالت بولخارية زوجة الملك وكانت جالسة بازائه يادسقورس قد كان فى زمان أبى انسان قوى الرأس مثلك فحرم ونفى من كرسيه (تعنى به يوحنا فم الذهب بطرك القسطنطينية) فقال لها نعم وقد علمت ماجرى لأمك وكيف ابتليت بالمرض الذى تعرفينه الى أن مضت الى جسد يوحنا فم الذهب واستغفرت فعوفيت * فحنقت بولخارية من قوله ولكمته فانقلع له ضرسان وتناولته أيدى الرجال فنتفوا أكثر لحيته وأمر به مرقيانوس الملك فاجتمعوا عليه وحرموه ونفوه وأقيم عوضه برطاوس وهو من القائلين بمقالة الملك

ومن ذلك اليوم افترق المسيحيون وصاروا ملكية على مذهب مرقيانوس الملك ومتأصلين على رأى دسقورس * وكان ذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين لدقلطيانوس * وكتب مرقيانوس الى جميع مملكته أن كل من لا يقول بقوله يقتل وكان بين المجمع الثالث وبين هذا المجمع احدى وعشرون سنة على ما قاله بعض الكتاب * وأما دسقورس فانه أخذ ضرسيه وشعر لحيته وأرسلهما الى الاسكندرية وكتب يقول للاحزاب بعد كلام هذه هى يا اخوتى نتيجة تعبى على الامانة فتبعه أهل الاسكندرية ومصر وتوجه الى محل نفيه فعبر من بيت المقدس وفلسطين وعرفهم مقالته فتبعوه وقالوا بقوله وقدم عدة أساقفة على أمانته ومات وهو منفى فى الرابع من توت فكانت مدته أربع عشرة سنة وبقى كرسيه بغير بطرك بقية أيام مرقيانوس وقيل بل تولاه برطاوس * ولما اختلف دسقورس فى مقالته ولم يقل بمقالة

مرقيانوس الملك دعا أصحاب مرقيانوس أصحاب دسقورس باسم العاقبة أو اليعقوبية وأطلقوا عليهم جميعا هذا الاسم واختلف فى تسميتهم بذلك فقيل ان دسقورس كان يسمى قبل بطركيته باسم يعقوب وانه كان يكتب وهو منفى الى أصحابه بأن يثبتوا على أمانة المسكين المنفى يعقوب * وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفى الى أصحابه فنسبوا اليه * وقيل بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطرك أنطاكية وكان على رأى دسقورس فكان ساويرس يبعث يعقوب الى سائر المسيحيين ويثبتهم على أمانة دسقورس فنسبوا اليه * وقيل بل كان يعقوب هذا كثير العبادة والزهد يلبس خرق البراذع فسمى يعقوب البراذعى من أجل ذلك وانه كان يطوف البلاد ويرد الناس الى مقالة دسقورس فنسب من اتبع رأيه اليه وسموا يعقوبية * ويقال ليعقوب أيضا يعقوب السروجى والله أعلم بالحقيقة * وفى أيام مرقيانوس الملك كان سمعان الحبيس صاحب العامود وهو أول راهب سكن صومعة وكان مقامه بمغارة فى جبل أنطاكية * ولما مات مرقيانوس وثب أهل الاسكندرية على برطاوس البطرك وقتلوه فى الكنيسة وحملوا جثته الى الملعب الذى بناه بطلميوس وأحرقوه بالنار لانه ملكى الاعتقاد فكانت مدة بطركيته ست سنين وأقاموا عوضه تيموثاوس الثانى وهو سادس عشريهم وكان متأصلا أى من القائلين بمقالة دسقورس بطرك الاسكندرية ووقع من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله

وقد خلف مرقيانوس الملك بعد موته ليون الاكبر المعروف بالاقدم

(فى الملك ليون قيصر الاكبر)

﴿ ويسمى أيضا ﴾

﴿ الاقدم ﴾

ثم قام بالامر ليون الاكبر بويع له بالملك سنة احدى وستين وأربعمائة للميلاد أى سنة خمس وستين ومائة قبل الهجرة وقد نشأ ليون المذكور ببلاد روم ايلى وكان الذى ساعده على ارتقاء هذا المنصب البطرك الامير اسبار الغوطى الذى كان فى خدمة الروم وكان معدودا من أماجدهم وأبطال قوادهم وهو رئيس الاساقفة وكان مسموع الكلمة نافذ الاشارة مهيبا فعمل على مبايعة ليون المذكور واستمال اليه الناس والامراء فبايعوه بعد عناء كثير

ولما استقر بليون المنصب أعاد الصلح مع أمراء الغوطية المشرقية اكراما لبطركهم الامير اسبار الذى أعانه على ارتقاء سرير الملك واستوثق على دوام الصلح معهم بأخذ طيودوريق بن طيودومير أحد ملوكهم رهنا فى القسطنطينية وأدخلهم تحت الطاعة وكان عمر

طيودوريق اذذاك ثمان سنوات ولم يفك أسره الا فى زمن الملك زينون ثم سار لقتال طائفة الوندال الذين هم أصول الاندلسيين واشتدت الحرب بينهم وكانت سجالا فبينماهم على هذا الحال من الطعن والنزال واشتداد القتال اذ علم ليون بخيانة الامير اسبار البطرك وعمله على تذليله وتنكيل قومه فسار اليه من فوره وقتله وقتل جميع عائلته ولم يراع له حرمة ولا معروفا فكان لما فعله أسوأ وقع فى قلوب الرعية ثم لم يلبث بعد ذلك أن مات فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة للميلاد أى سنة احدى وخمسين ومائة قبل الهجرة فكانت مدة حكمه أربع عشرة سنة وخلفه ليون الثانى الملقب بالسلوقى

(فى الملك ليون الثانى)

(الملقب)

(بالسلوقى)

ثم قام بالامر ليون الثانى الملقب بالسلوقى بويع بالملك سنة خمس وثمانين وأربعمائة للميلاد أى سنة احدى وخمسين ومائة قبل الهجرة * قال أهل التاريخ وهو سبط ليون الاكبر ابن زينون السلوقى نسبة الى سلوقية ببلاد أناطولى كان أمير العسكر المرابط فى احدى ولايات أناطولى وقد أشركه جده لأمه معه فى الملك مدة حياته ثم خلف جده وكان عمره اذذاك أربع سنين فكفله أبوه زينون وكان يحكم بالنيابة عنه ولم تطل أيام ليون المذكور حيث مات فى السنة التى ولى فيها فى حياة أبيه فانتقلت المملكة الى أبيه بالوراثة من ابنه ضد المعتاد فى الممالك فقد * يسمو بطيب الفرع طيب العنصر * فكانت مدة ليون الثانى المذكور عشرة أشهر لاغير

وبعض المؤرخين يسقط ليون الثانى هذا من عداد القياصرة فيجعل مدة التولية لابيه زينون قيصر أصيلة

(فى الملك زينون والملك باسيلقوس)

ثم قام بالامر زينون بويع له بالملك فى نحو سنة خمس وثمانين وأربعمائة للميلاد أى فى أواخر سنة احدى وخمسين ومائتين قبل الهجرة وقد كان زينون هذا أمير العسكر المرابط فى اقليم ايسوريا من أعمال أناطولى وكان صهرا لليون الاكبر فلما مات ليون المذكور وانتقل الملك بالوراثة الى ليون الثانى ولده الذى هو سبط ليون الاكبر ولى المملكة بالكفالة عن ابنه

فلما مات ابنه في حياته بعد عشرة أشهر كما تقدم وتولى هو الملك واستقر به المنصب قامت فتنة عظيمة في المملكة وتطاير شررها في جميع العمالات وكان الذي قد أثارها على زينون زوجة ليون الاكبر فقام رؤساء الاحزاب على زينون واتهموه بضعف العزيمة وفساد الرأي وعدم قدرته على حماية الوطن وتدابير الدولة طردوه وذلك سنة تسع وثمانين وأربعمائة للميلاد أي سنة سبع وأربعين ومائة قبل الهجرة فهرب من القسطنطينية ورجع الى أناطولي ولبث بها سنتين ففلد أرباب الفتنة بعد هروبه باسيلقوس الخارجي المنصب فكان ما عمله زينون المذكور في بحر ولايته الاولى التي حسبها له أهل التاريخ مدة أولى أنه أيد الدين المسيحي وعضده ونصره وأثبت وحدته بمرسومه المسمى ﴿ جمع الكاثوليكية واتحادهم ﴾ وعند أهل التاريخ انه لم ينشأ عن هذا المرسوم سوى الاختلاف في الدين وكثرة الفتن وتوالي المحن بما لم يسبق له مثيل * وبعد لبث زينون عدة سنين باناطولي هب الى استرجاع الملك واستنجد بالغوطية فأنجدوه وأمدوه بالمال والرجال فسار الى القسطنطينية وقاتل رؤساء الاحزاب فقامت الحرب بين الفريقين وانتصر زينون بعساكر الغوطية عدة نصرات ومازال حتى دخل المدينة وأعمل فيها السيف فقتل خلقا كثيرا جدا وجلس على سرير الملك ثانية وذلك سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للميلاد أي سنة أربع وأربعين ومائة قبل الهجرة * ولم يستقر به المنصب حتى طغى واستعمل الظلم والجور وتجبر وزاد الحدود في الطغيان ونسي ماصنعه معه الغوطية من الجميل فجرد عليهم وحاربهم واشتد في قتالهم ورجع فقهر جميع أصحاب الفتنة من أمرائه وبدد شملهم تبديدا فلما تمت له الامور على ماأراد انهمك على اللذات وانغمس في الشهوات فأبغضته الرعية وحقدت عليه وعملت على هلاكه * فبينما هو يوما مضطجع على فراشه سكران لايعي اذدخل عليه بعض قومه فحملوه ودفنوه حيا وذلك سنة خمس وخمسمائة للميلاد أي سنة احدى وثلاثين ومائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه عشرين سنة منها سنتان لباسيلقوس وحده * وقد أعز زينون في أيامه المتأصلين أصحاب مقالة دسقورس ورفع شأنهم لانه كان على مذهب دسقورس وكان يحمل الى دير بوقنا كل سنة مايحتاج اليه من القمح والزيت وغير ذلك فهرب ساويرس بطريك الاسكندرية الملكي في أيامه الى وادي هبيب ورجع تيموثاوس بطريك المتأصلين من نفسه الى كرسيه بالاسكندرية فأقام سنتين ومات فكانت مدة بطريركيته كلها اثنتين وعشرين سنة على المشهور فأقيم بعده بطرس الثالث وهو سابع عشريهم وأصله من الاسكندرية وكان ورعا تقيا كابد من الشدائد أكبرها ونفي ثم عاد ثانية فأقام ثمان سنين ثم مات في رابع هاتور وفي رواية سبع سنين وسبعة أشهر وستة أيام * فأقيم بعده اثناسيوس الثاني وهو ثامن عشريهم فأقام ست سنين وفي رواية سبع سنين ومات في العشرين من توت ولم يحدث في أيامه من الحوادث شئ يذكر * فأقيم بعده يوحنا وكان متأصلا وهو تاسع عشريهم وأصله من الاسكندرية وكان تقيا جدا وحدث من الحوادث في أيامه ماسيذكر في حينه * ولما مات زينون الملك خلفه انسطاش الأول

(فى الملك انسطاش الاول)

ثم قام بالامر انسطاش الأول بويع له بالملك سنة خمس وخمسمائة للميلاد أى سنة احدى وثلاثين ومائة قبل الهجرة وقد كان نشأ بمدينة ايليريا من مدن سواحل ايطاليا وهو من عائلة خاملة ثم دخل فى خدمة العسكرية وتقلب فيها الى أن صار من جملة ضباط القصر الملوكى المنوطين بمناظرة عدم رفع الاصوات والغوغاء وتسكين العامة حول القصر والزامهم الصمت فلذلك كان يلقب بالمسكت ومازال الى أن تزوج بالقيصرة اريانة أم القيصر زينون فسعت فى اظهاره واعلاء شأنه وعملت على تقليده المنصب الملوكى واستمالت الى ذلك أرباب المجلس فنادوا بملكه وبايعوه فى السنة المذكورة فكان فى مبدا أمره محترما لدينه وعدله ميالا للعمارية ولما استقر به المنصب سلك مسالك الجور وتغيرت طباعه وانعكست أحواله فظلم الرعية وضيق عليها واستعمل الحرص فى أموره فكرهته الرعية ومقتته وحقدت عليه وتمنت الخلاص منه

وقد كان قبل ولايته حاقدا على بطريرك أنطاكية وكان يريد الايقاع به فصدّ عن عزمه بالولاية فلما تمكن من المنصب وسار سيرته الرديئة من الظلم والعسف أجهد نفسه فى الايقاع بالكاتوليكية وانتصر للاوثودوكسية فعزل مقدونيوس بطريرك الكاتوليكية وضيق على هذه الطائفة وبالغ فى التنكيل بها فخرج فى هذه الاثناء خارجى اسمه ويطاليانوس متعللا بأخذ الثار للكثلكة وهو فى الحقيقة انما يطلب الملك فجمع الجموع الكثيرة وأوقع الفتن وأثار المحن وحضر بقومه وعساكره تحت أسوار القسطنطينية وأقام على هذه الحال مدة من الزمان حتى كادت تفشل عصابة انسطاش ثم أحس بقرب خروج الرعية عليه وشق عصا طاعته فجعل يستميلها بالرفق وحسن المعاملة وأزال عنها بعض المكوس والمغارم وأنواعا أخر من المظالم كبيع المناصب والرتب فغضوا عنه ولكنهم مع ذلك حاقدون عليه ومازالت أيامه فى اضطراب حتى مات سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للميلاد أى سنة أربع ومائة قبل الهجرة فكانت مدة ملكه سبعا وعشرين سنة كلها أكدار وأحزان

وفى أيامه مات يوحنا بطريرك الاسكندرية فخلا الكرسى بعده سنة لتفاقم الخلاف وكانت مدته تسع أو ثمان سنين وكان موته فى رابع بشنس فخلفه يوحنا الثانى المعروف بالحبيس وهو المتمم للثلاثين وأصله من الاسكندرية ولم يعلم من حوادثه شئ يذكر ومات فى سابع عشرى بشنس فكانت مدته احدى عشرة سنة وكان تقيا ورعا محبا للجميع فخلفه ديسقوروس وهو حادى ثلاثيهم وكان من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى حينه

ولما مات انسطاش خلفه فى الملك يوسطنيوس الاكبر ويقال له أيضا جوسطنيوس الاول

(فى الملك يوسطنيوس الاكبر)

(ويسمى أيضا)

(جوسطنيوس الاول)

ثم قام بالامر يوسطنيوس الاكبر بويع بالملك خدعة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة للميلاد أى سنة أربع ومائة قبل الهجرة وهو رأس الدولة المشرقية المسماة باسم الدولة (الجوسطيانوسية) وقد كان مولده فى بلاد روم ايلى وكان فى أول أمره راعيا للماشية ثم انتظم فى سلك العسكرية وارتقى المناصب العالية فى خدمة ليون قيصر الاكبر ثم ارتقى سرير الملك بالتحيل والخداع والرشاوى والبراطيل فلما استقربه المنصب سلك فى الرعية سبيل العدل والرفق وأسكن الفتنة الدينية التى مات عنها انسطاش الملك وعمل على استتباب الامن وتوطيد دعائم الراحة وأشرك معه فى الملك ابن أخيه المدعو يوسطنيانوس وسار سيرا حسنا للغاية فأحبته الرعية ومالت اليه القلوب ووقعت فى أيامه فتنة عظيمة جدا بين فرقتين من المسيحيين احداهما تسمى الملة الخضراء والثانية الملة الزرقاء وهما من الفرق الزائغة التى لاخلاق لها وكانتا على طرفى نقيض فيما لايستلزمه الدين المسيحى ولا التدين به فاشتدت يومئذ تلك الفتنة وعلا لهيبها وكادت تعم البلاد ويتفاقم أمرها فعمل على تسكينها وقطع دابر الاحزاب وقتل ويطاليانوس الذى كان رأس هذه الفتن فعاد الامن وسكنت الخواطر واطمأنت القلوب وبطلت تلك البدعة أو كادت

وكانت طوائف اللاظ الى هذا الحين يدفعون الخراج لكسرى فارس وكان لقيصر الروم حق الرعاية عليهم فكانت الروم تطلب ذلك فجعلت تسعى وتعمل حتى أدخلتهم فى حكم القسطنطينية فكان ذلك سببا لانتقاض الصلح بين فارس والروم وأعقب ذلك وفاة يوسطنيوس الملك وتولى ابن أخيه يوسطنيانوس بعده فهم الفرس عند ذلك بقتال الروم وركبوا عليهم فشبت الحرب بين الفريقين على ما سيذكر فى محله وكان موت يوسطنيوس سنة احدى وأربعين وخمسمائة للميلاد أى سنة خمس وتسعين قبل الهجرة فكانت مدة حكمه تسع سنين فاستقبل ابن أخيه يوسطنيانوس بالملك ولم تنل ديار مصر فى أيامه شيئا من المزايا المادية ولا الادبية غاية الامر أنها كانت حاصلة على بعض الراحة والطمأنينة بعد ازالة ما كان قائما بها من الفتن من الاحزاب * وفى أيامه مات ديسقوروس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام سنتين وقيل سنتين وخمسة أشهر وكان موته فى سابع عشر بابه وفى أيامه كتب ايليا بطرك بيت المقدس الى يوسطنيانوس الملك بأن يرجع عن مقالة ديسقوروس الى مقالة الملكية وبعث اليه جماعة من الرهبان بهدية سنية فقبل هديته وأجاز الرهبان بجوائز جليلة وجهز له مالا جزيلا لعمارة

الكنائس والديارات والصدقات وأوشك أن يقول بمقالة الملكية ويترك مقالة ديسقوروس فلما شاع الخبر بذلك جاءه ساويرس الذى كان بطركا للملكية واجتمع به وأعلمه أن الحق هو اعتقاد القائلين بمقالة ديسقوروس لا الملكيين فرسم بأن يكتب الى جميع مملكته بقبول قول ديسقوروس وترك المجمع الخلقدونى فبعث اليه بطرك انطاكية بأن هذا الذى فعلته غير واجب وأن المجمع الخلقدونى هو الحق فكبر هذا الامر على الملك ونفاه وأقام بدله

فأمر ايليا بطرك بيت المقدس بجمع الرهبان ورؤساء الديارات فاجتمع له منهم عشرة الاف وحرموا الملك ومن يقول بقوله فأمر الملك بنفى ايليا الى مدينة ﴿ آيلة ﴾ فاجتمع عندئذ بطاركة الملكية وأساقفتهم وحرموا الملك ومن يقول بقوله فلم يبال وظل على ماهو عليه من الشدة * وبموت ديسقوروس قام بعده تيموتاوس وهو ثانى ثلاثيهم وكان من المتأصلين ووقع من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى حينه

(فى الملك يوسطنيانوس)

﴿ قيصر الاول ﴾

استبد يوسطنيانوس الاول بالحكم بعد موت يوسطنيوس سنة إحدى وأربعين وخمسمائة للميلاد أى سنة خمس وتسعين قبل الهجرة وكان مولده فى مدينة طرسيس ولم يستقر به المنصب منفردا حتى قامت الفتنة بين الاحزاب وعظمت وظهر أصحاب الملة الخضراء والملة الزرقاء ثانية وقاموا يناظرون ويجادلون فى الدين فانعقدت المجامع واشتدت المناظرة ومازالوا على هذا الحال حتى نال أصحاب هذين اللونين بعض الامتيازات ومنحوا من الملك شيأ من الحقوق ولم تكد فتنتهم تزول حتى ظهر بعض المشاكل السياسية وتجرد الملك للغزو والقتال فأرسل قائد جيوشه بليساريس والطواشى نريس للغزو فغزوا قوطية ايطاليا ووندالية افريقية وانتصرا عليهما نصرة عظيمة وسار هو لقتال فارس وظفر بهم فاشتهرت سطوته وعلت كلمته ثم وجه عنايته الى ترتيب الاحكام السياسية وتهذيب القوانين الملكية فرتبها أحسن ترتيب واشتغل باصلاح الامور الدينية وتنقيح العقائد المسيحية وكان متعصبا فى دينه صاحب حمية وغيرة عظيمة * قال بعض الكتاب كانت حميته أقوى من معارفه * وتزوج بزوجة بديعة الجمال اسمها تيودوره فكان لها على قلبه كمال السلطة والولاء لا يكاد يخالف لها أمرا لاستيلائها على فؤاده فكانت سببا فى تدنيس عهد ولايته وأعمالها كالنقطة السوداء فى تاريخه

وقد أغار كسرى قباذ ملك فارس على عساكر الرومانيين وهم يبنون حصنا فى طريق مدينة دارا على مقربة منها وقصد الفتك بالرومانيين وتخريب ذلك الحصن فسار اليه بليسيرس

قائد

قائد جيوش المشرق ونائبه لرده وتخليص الحصن منه فوقعت الحرب بين الفريقين فانتصر أمير الروم على فارس نصرة عظيمة اشتهر بها بين الاقران وماتت هزيمة الفرس حتى وجهوا عساكرهم صوب ارمينية وكانت يومئذ منقسمة بين الروم والفرس ولما كانت ارمينية قريبة من الديار الشامية خاف الروم على الشأم من أهل فارس فحوّل بيليسيرس عساكره صوب أنطاكية لقتالهم هناك وحاصروا المدينة فلم ينتصر بيليسيرس فى هذه الوقعة ولم يظهر على خصمه ولكنه خلص الديار الشامية ومع ذلك لم تنكف فارس عن محاصرة انطاكية وهى يومئذ تحت الديار الشامية فلما رأى القيصر اشتداد الحال وتضييق فارس الحصار بعث قائده سبطاس بدلا من بيليسيرس فسار الى أنطاكية فلم يستطع أن يرفع الحصار عنها فى أيام قوباز بن فيروز مع ما كان عليه قوباز المذكور من المذلة والاحتقار بين قومه لعدم استقامته دينا ودنيا وبقى قوباز محاصرا لانطاكية أياما كثيرة الى أن قتله العرب فى مدينة الرى فخلفه ابنه كسرى أنوشران العادل فى نحو حدود سنة تسعين قبل الهجرة * قال بعض أهل التاريخ فتغيرت بتوليته أحوال دوان فارس بالمدائن * وذلك انه لما جلس على سرير الملك وكان صغيرا قال لاصحابه اعلموا أنى عاهدت الله على أنه ان آل الملك الىّ أعيد آل المنذر الى الحيرة وأقتل طائفة المزدكية الذين أفسدوا أحوال الناس وهم أصحاب مزدك الذى خرج على عهد أبيه قوباز فتبعه أبوه وكان خليفة المزدكية قائما الى جانب السرير فقال هل تقتل الناس جميعا هذا فساد فى الارض والله قد ولاك لتصلح لا لتفسد فذكر أنوشروان للخليفة المذكور معايبه وأمر بقتله فقتل بين يديه وأخرج وأحرقت جثته وأمر بقتل شيعته فقتل منهم خلق كثير وأثبت ملة المجوسية القديمة وكتب بذلك الى عماله وقوى جنده بالاسلحة وعمر البلاد وقسم أموال الزنادقة على الفقراء وردّ الاموال الى أصحابها وأرجع المنذر الى الحيرة وطرد الحرث بن حجر جدّ امرئ القيس عنها * قال بعض أهل التاريخ وكان الحرث كنديا فترتب على ذلك قتل حجر المذكور وزوال دولة الكنديين وماجرى لامرئ القيس بعد قتل أبيه كان فى عهد يوسطنيانوس قيصر الاول المذكور * وسنذكر قصة امرئ القيس على سبيل الاستطراد ومحصلها أن أباه حجرا كان قد طرده لما هوى ابنة عمه فاطمة الملقبة بعنيزة وكان له معها يوم بدارة جلجل فنظم معلقته التى مطلعها * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * فلما بلغ ذلك حجرا أباه دعا مولى يقال له ربيعة فقال له اقتل امرأ القيس وأتنى بعينه فأخذه ربيعة وانصرف ثم ذبح جوذرا وأتى بعينه الى أبيه فندم حجر على ذلك فقال ربيعة أبيت اللعن انى لم أقتله قال فأتنى به فانطلق فاذا هو فى رأس جبل وهو يقول

فلا تتركنى ياربيع لهذه * وكنت ترانى قبلها بك واثقا

فرده الى أبيه ثم قال قصيدته المشهورة التى مطلعها

ألاعم صباحا أيها الطلل البالى * وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وهل يعمن إلا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوجال

وفيها يقول

ولو أن ما أسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وكان أبوه قد نهاه عن قول الشعر والتشبيب بالنساء فلما بلغه انه لم ينقد لكلامه طرده وبقى مطرودا حتى قتل بنو أسد أباه فبلغه ذلك وهو بجبل دمون فى أرض اليمن فشق ثيابه وحزن عليه وحلف ان لايشرب خمرا ولايغسل رأسه حتى يأخذ بثأره ثم انه استنجد ببكر وتغلب على بنى أسد فأنجدوه ثم هرب بنو أسد وتبعهم فلم يظفر بهم فوضع السلاح فى كنانة وهم بنو عمهم حيث لجأ اليهم بنو أسد ونادى امرؤ القيس يالثارات الملك فقالت له عجوز لسنا لك بثأر فاطلب ثأرك فاستمر على وضع السلاح فى كنانة فقاتلوه وقيل انه أدركهم وقد تقطعت خيله وكثرت القتلى والجرحى وحجز الليل بينهم وهرب بنو أسد فأبى بنو بكر وتغلب أن يتبعوهم وقالوا قد أصبت ثارك فقال ما أصبت من كاهل ولا لأسد أحدا وكاهل من كنانة قال بعض الكتاب وهذا معنى قوله فى قصيدة بائية

ألا يالهف هند اثر قوم * هموكانوا الشفاء فلم يصابوا

يعنى يحق لهند أخته أن تتلهف على عدم ادراك بنى أسد وأخذ الثار منهم وقوله من قصيدة أخرى

والله لايذهب شيخى باطلا * حتى أبيد مالكا وكاهلا

ومع تخاذل بكر وتغلب عنه فقد طلبه المنذر بن ماء السماء فتفرقت جموع امرئ القيس خوفا من المنذر فلما رأى ضعف أمره وطلب القوم له ذهب يستنصر بقبائل العرب قبيلة قبيلة فلم ينصروه وقصد السموأل بن عاديا اليهودى فأكرمه وأقام عنده مدة ثم سار الى يوسطنيانوس قيصر الروم وأودع دروعه عند السموأل وأنشد فى مسيره قصيدته المشهورة التى منها

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لاتبك عينك انما * نحاول ملكا أونموت فنعذرا

ومات امرؤ القيس فى عوده من عند قيصر فى بلاد الروم عند جبل يقال له عسيب بقرب مدينة أنقرة بالروم وأنشد عند ماأيقن بالموت بجانب قبر أخبر بدفن امرأة غريبة فيه

أجارتنا ان الخطوب تنوب * وانى مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

قال بعض أهل التاريخ ان يوسطنيانوس عجل عليه بحلة مسمومة بالزئبق وهو بعيد وأبعد منه قولهم إن السبب فى ذلك اكتشاف يوسطنيانوس عشقه لابنته ونظمه قصيدته التى مطلعها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالى * وقد سبق أنه قالها بعد اجتماعه بأبيه قال بعض الكتاب ولعل من قال انه أنشدها عند قيصر بنى ذلك على قوله فيها ولو أن ما أسعى

البيتين

البيتين السالفين ولادلالة فيهما على ذلك لاحتمال أنه بعد زوال ملك أبيه عن الحيرة كان يتطلب الملك ويسعى فى الحصول عليه اه من بعض المؤلفات

ولنعد الى ما كنا فيه * فلما تولى كسرى أنوشروان الملك بعد أبيه خابره يوسطانيوس الملك فى أمر الصلح ورفع الحصار عن أنطاكية فأجابه كسرى لذلك حيث كان يومئذ فى شاغل بأمور مملكته الداخلية وعقد مع القيصر شروط المحبة الدائمة والسلم المستمر قالوا والحقيقة أنه لم يكن الا مجرد مهادنة ومتاركة وقد هاب الملوك أنوشروان وهادوه بالهدايا السنية وكان ممن ورد عليه رسول ملك الروم يوسطانيوس بهدايا وتحف فنظر الى ايوانه وحسن بنيانه فرأى اعوجاجا فى ميزانه فسأل عن سبب ذلك فقيل ان عجوزا لها منزل فى جانب الاعوجاج وان الملك رغبها فى الثمن فأبت ولم يكرهها وبقى الاعوجاج من ذلك على ماترى قيل فقال الرومى هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء * قال أهل التاريخ ولاربع وعشرين خلت من ملك أنوشروان المذكور ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو صاحب الشريعة الاسلامية فكانت ولادته فى عهد يوسطانيوس الملك وكذلك ولد صاحب الشريعة فى السنة الثانية والاربعين من ملك أنوشروان كسرى فارس المذكور وفى عهد يوسطانيوس الثانى قيصر الزوم

ولما تقررت قاعدة الصلح بين أنوشروان فارس ويوسطانيوس القيصر تجهز يوسطانيوس لقتال الوندال فى افريقية وهم قبائل الاندلسية وسار لذلك فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة للميلاد أى سنة تسع وثمانين قبل الهجرة فلبثت الحرب سنة ويوسطانيوس لاينفك عنهم حيث صمم على استرجاع جميع البلاد التى كانوا استولوا عليها وكانت فى هذا الحين قد استحالت شجاعة الوندال الى الجبن والفتور حيث داخلهم الميل الى الزينة الشرقية والتخلق بالترف والارتخاء وقد فقدوا النخوة والشهامة وركب بيليسيرس القائد السفن مع عساكره وسار الى قرطاجة فانتصر عليهم واستولى على المدينة وأخذ ملك الوندال أسيرا ثم طلبه ديوان القسطنطينية فسار اليها ودخل بموكب النصر الحافل فكان ملك الوندال فى زفاف هذا الموكب تحفة من تحف الموكب يقاد بين الاسرى الوندالية فى وسط الغنائم عرضة للمتفرجين ثم سار بعد ذلك الامير بيليسيرس القائد المذكور الى جزيرة سردانيا لينزعها من قبضة الوندال فظهر عليهم هنالك أيضا واستولى على الجزيرة وصيرها من ملحقات قرطاجة فلم يقبل المتأصلون من أهل الجزيرة الدخول فى زمرة الرومانيين ولم يرضوا أن يكونوا رعية الروم وأبوا أن يدخلوا فى دين المسيحية وأصروا على العصيان وبقوا على جاهليتهم مدة من الزمان الى أيام موريقوس الملك الذى تولى فى سنة ست وتسعين وخمسمائة للميلاد أى سنة أربعين قبل الهجرة

وتهيأ يوسطانيوس الملك بعد فراغ عساكره من حرب الوندال وظهورهم عليهم لقتال الغوطية فرسم الى الأمير بيليسيرس بفتح ايطاليا وأخذها من أيدى الغوطية وذلك سنة ثمان وأربعين وخمسمائة للميلاد أى سنة ثمان وثمانين قبل الهجرة فسار الامير بيليسيرس وبذل

الجهد وشدد في القتال فلم يتم الفتح على يديه فبعث يوسطانيوس الامير نرسيس ففتح الله عليه وظفر بالغوطية وقهرهم وكانت شوكة الغوطية قبل هذا الحين قوية جدا في ايطاليا وكان يخشى منها كثيرا ولكن مالبثت أن تقهقرت وانحطت وأخذت في التناقص فلم تقو على محاربة الرومانيين في هذه الحرب الاخيرة * وكان مركز قوة الغوطية في هذا الحين مملكة اسبانيا وكان لهم فيها ملوك أصحاب تدبير وحزم فتولى عليهم باسبانيا بعد ذلك ملك اسمه اطانا جلدوس كان قليل الحزم وملك آخر في ايطاليا اسمه آجيلا فكان خصما عنيدا لملك اسبانيا فتجهز كذلك آجيلا المذكور في سنة ست وستين وخمسمائة للميلاد أي سنة سبعين قبل الهجرة لقتال جلدوس فاستعان جلدوس بعساكر الروم على آجيلا ففرح يوسطانيوس بذلك وسير البطرك ليريوس الى ايطاليا فهزم آجيلا شر هزيمة وعاد منصورا فسيره يوسطانيوس الى اسبانيا فسار اليها وقاتل الغوطية فانتصر عليهم وأخذ منهم مدينة بلنسية وقرطبة وسائر مدن اقليم الاندلس الشرقية وأضيفت الى القسطنطينية وبقي قسم عظيم من الاندلس تابعا لدولة القسطنطينية الى سنة عشرين وستمائة قبل الميلاد أي سنة اثنتين قبل الهجرة * ونقض كسرى أنوشروان صلحه مع الروم باغراء الارمن والغوطية فقامت الحرب بينهم سنة ثمان وستين وخمسمائة للميلاد أي سنة اثنتين وسبعين قبل الهجرة وزحفت عساكر فارس على الديار الشامية وهاجمتها فردهم الامير بيليسيرس قائد جنود الروم وطردهم عن البلاد * قال بعض أهل التاريخ فانتهزت قبائل اللاظ هذه الفرصة وألقت بنفسها في أيدي كسرى أنوشروان هي ومن حولها من بلاد البحر الاسود وخرجت من تبعة الروم فتقوت بهم عزيمة كسرى وأنشأ مراكب الحرب بالبحر الاسود وعقد النية على تسخيرهم في تسييرها فلما أحسوا منه بذلك ندموا على دخولهم في قبضة يده وصمموا على العود الى طاعة الروم فنجحوا وتم لهم الامر وتألبوا جميعا على طرد الفرس من بلادهم ففازوا وذلك سنة تسع وستين وخمسمائة للميلاد أي سنة سبع وستين قبل الهجرة * واستمرت الحرب بين فارس والروم وطال أمدها وقتل فيها مالايحصى عددا من الابطال ثم انتهت في سنة ست وسبعين وخمسمائة للميلاد أي سنة ستين قبل الهجرة بعقد الصلح بين الطرفين واستقرت قاعدته بينهما على رجوع المملكتين الى حدودهما القديمة وارجاع كل شئ الى أصله

وانفق في سنة تسع وسبعين وخمسمائة للميلاد أي سنة ثلاث وستين قبل الهجرة أن اتحد البلغار بالصقالبة من أهل الجنوب واجتازوا نهر طونة في الشتاء وهو متجمد مثلج وأغاروا على ولاية روم ايلي التابعة لدولة الروم وكان قائد هذه الجموع يومئذ الامير زابرخان وكان في ذلك العهد قد غضب يوسطانيوس الملك على قائد جيوشه الامير بيليسيرس وصرفه من خدمته فلازم العزلة والانكماش فلما كثر فساد تلك الجموع وتوالت اغاراتهم على البلاد وعاثوا فيها حتى أهلكوا الحرث والنسل ضاقت صدور أهل البلاد واستولى عليهم الخوف

والوجل

والوجل واستغاثوا ولا مغيث وعلم الامير بيليسيرس بما حل بالمملكة وأنها فى خطب شديد فقام واستمال لنفسه جند الحرس الملوكى وكثيرا من الاهالى ممن حملهم على حمل السلاح وسار بهم لقتال تلك الجموع فظفر بهم وطردهم صوب نهر طونة ففرح به الاهالى فرحا عظيما وأحبوه حبا ماعليه من مزيد وفاز بالفخر والشهرة بعد الخمول ولكنه لم يلبث أن اتهمه أعداؤه بأنه يعمل على اثارة الفتن ضد القيصر وانه يحرض أهالى البلاد فقبض عليه يوسطانيوس واعتقله وصادره وسلب أمواله فمات محزونا مقهورا وترك له فى قلوب أهل البلاد أثرا لايمحى

ثم مات يوسطانيوس حتف أنفه سنة تسع وسبعين وخمسمائة للميلاد أى سنة سبع وخمسين قبل الهجرة وكان موته بعد موت الامير بيليسيرس بأشهر قلائل فكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة قيل وفى أيامه أناط بعض العارفين من أهل العلوم بتقنين القوانين وتنظيم اللوائح واستنباط القضايا المتنوعة والاحكام المتأصلة والمتفرقة واستخراجها من الكتب الرومانية وتنقيحها وتهذيبها فأجازت تلك القوانين لمن يتولى ملك الروم التصرف المطلق بحيث لايكون مقيدا يفعل فى سياسته مايشاء ويختار * وحدث فى أيامه طاعون هلك فيه كثير من الخلق ووقعت الزلازل الهائلة فكان منها زلزلة سنة خمس وستين التى هدمت أكثر المدن العظيمة ودمرتها تدميرا وقد حازت دولة القسطنطينية فى أيامه شهرة كبيرة جدا * وكان حبه لمصر عظيما ويحب نجاحها وتقدمها ولذلك تعاهد مع نجاشى الحبشة بقصد جلب التجارة الى مدينة الاسكندرية غير أن نائبه عليها كان عاتيا ظالما قد كلف أهل الاسكندرية مالا يطيقونه وأثقلهم بالمغارم وشدد عليهم فى أمورهم فكان ينفى من لايقوم بوفاء تلك المغارم الثقيلة وبعده وقد كان أقام عليهم بطركا اسمه طيودوسيس فقام جميع أهل الحرف والصنائع والاعيان ولم يقبلوه وتهددوا الوالى بالخروج ان هو أصر على ذلك فأمر قائد جنوده المدعو نرسيس فأحرق مدينة الاسكندرية وأقام طيودوسيس عليهم بطركا جبرا ولكنهم عزلوه وطردوه بعد موت يوسطانيوس الملك

ومات فى أيامه تيموثاوس بطرك الاسكندرية ونفى فكانت مدته سبع عشرة سنة منها ثلاث سنين فى النفى وقاسى شدائد عظيمة جدا فخلفه ابوليناريوس وكان ملكيا فجد واجتهد فى رجوع المسيحيين بأجمعهم الى رأى الملكية وبذل جهده فى ذلك وألزم نصارى مصر بقبول الامانة المحدثة فوافقوه ووافقه رهبان ديارات بومقار بوادى هبيب هذا ويعقوب البراذعى يدور فى كل موضع ويثبت أصحابه على الامانة المستقيمة والقول بمقالة دسقورس * وأمر الملك جميع الاساقفة بعمل الميلاد فى خامس عشرى كانون الاول وبعمل الغطاس فى ست تخلو من كانون الثانى وكان كثير منهم يعمل الميلاد والغطاس فى يوم واحد وهو سادس كانون الثانى قلت وعلى هذا الرأى طائفة الارمن الى يومنا هذا

وفى هذه الايام أيضا ظهر يوحنا النحوى بالاسكندرية وزعم أن الاب والابن والروح القدس ثلاثة آلهة وثلاث طبائع وجوهر واحد وظهر يوليان وزعم أن جسد المسيح نزل

من السماء وانه لطيف روحانى لايقبل الالم الاعند مقاومة الخطيئة والمسيح لم يقترف خطيئة فلذلك لم يصلب حقيقة ولم يتألم ولم عث وانما ذلك كله خيال فأمر يوسطانيوس الملك ثيموثاوس البطرك يومئذ أن يرجع الى مذهب الملكية فلم يفعل فأمر بقتله ثم شفع فيه فنفى كما تقدم القول وما زال ابوليناديوس يدبرشؤن البطريكية حتى مات فاقيم بعده بولس وكان ملكيا فأقام سنتين فلم يرضه المتأصلون وقيل انهم قتلوه وصيروا عوضاعنه ديلوس بطريركا وكان ملكيا أيضا فأقام خمس سنين ومات فبلغ يوسطانيوس أن المتأصلين غلبوا على الاسكندرية ومصر وأنهم لايقبلون بطاركة فبعث الى الاسكندرية أثوليناديوس أحد قواد جنوده وضم اليه عسكرا كثيرا فلما قدمها ودخل الكنيسة نزع ثياب الجند ولبس ثياب البطاركة وقدس فهم الناس برجه فانصرف وجمع عسكره وأظهر أنه قدأتاه كتاب الملك ليقرأه على الناس وضرب الناقوس فى الاسكندرية يوم الاحد فاجتمع الناس الى الصلاة حتى لم يبق أحد فصعد المنبر وقال

ياأهل الاسكندرية ان لم تتركوا مقالة اليعقوبية والا أخاف أن يرسل الملك من يقتلكم ويبيح أموالكم ونساءكم فهموا برجه وهو على المنبرفأشار الى العسكر فوضعوا السيف فيهم فقتل من الناس يومئذ مائة ألف نفس وفر منهم خلق الى الديارات بوادى هبيب وأخذ الملكية كنائس المتأصلين ومن يومئذ صار كرسى المتأصلين فى دير بومقاد بوادى هبيب * وفى هذه الايام أيضا ثار السامريون على أرض فلسطين وهدموا كنائس النصارى وأحرقوا مافيها وقتلوا جماعة من النصارى فبعث يوسطانيوس جيشا فقتلوا من السامريين خلقا كثيرا ووضع من خراج فلسطين جملة وجدد بناء الكنائس وأنشأ مارستانا ببيت المقدس للمرضى ووسع فى بناء كنيسة بيت لحم وبنى ديرا بطورسيناء وعمل عليه حصنا حوله عدة قلاع * قلت وهو باق الى يومنا هذا وكذلك رتب فيها حرسا لحفظ الرهبان

وفى أيامه كان المجمع الخامس من مجامع المسيحيين * قال بعض أهل التاريخ وسببه أن اريجانس أسقف مدينة نبج قال بتناسخ الارواح وقال كل من أسقف انقره وأسقف المصيصة وأسقف الرها ان جسد المسيح خيال لاحقيقى فحملوا الى الاسكندرية وجمع بينهم وبين بطريركها أوطس وناظرهم وأوقع عليهم الحرمان فأمر يوسطانيوس أن يجمع لهم مجمعا ورسم باحضار البطاركة والاساقفة فاجتمع مائة وأربعون أسقفا وحرموا هؤلاء الاساقفة ومن يقول بقولهم فكان بين المجمع الرابع الخلقدونى و هذا المجمع مائة وثلاث وستون سنة وأقام القائد أثوليناديوس بطريركا مدة سبع عشرة سنة على المشهور ومات فقام بعده يوحنا وكان منانيا فأقام ثلاث سنين ومات فتقوى المتأصلون بعد ذلك وأقاموا عليهم بطريركا اسمه تاودوسيوس وهو ثالث ثلاثيهم فلم يقف الملكية عند حدهم بل أقاموا أيضا بطريركا ثانيا اسمه اثيوس وشكوا المتأصلين فكتب الملك الى متولى الاسكندرية أن يعرض على بطريرك اليعاقبة أمانة المجمع الخلقدونى فان لم يقبلها أخرجه وأقام بدله اثيوس فعرض عليه ذلك

فلم

فلم يقبل فأخرجه وأبعده وأقام بعده بولس التنيسى فلم يقبله أهل الاسكندرية ومات فقفلت كنائس المتأصلين وأصابهم من الملكية مالايوصف من الاذى والشدة مما لامحل لايراده هنا * ولما مات يوسطانيوس الملك خلفه على سرير الملك يوسطينوس الثانى

(فى الملك يوسطينوس)
((قيصر الثانى))

ثم قام بالامر يوسطينوس الثانى بويع بالملك فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة للميلاد أى سنة سبع وخمسين قبل الهجرة وكان حسن السيرة حميد الخصال مستقيما عادلا منصفا أنسى باستقامة أحواله اعوجاج أسلافه ففرح به الناس وأخلصوا له فى المحبة وحسبوه منة من الله سبحانه على عباده بعد تلك الشدائد والخطوب ولكن لم يلبث أن تغيرت أحواله وتبدلت أطواره فانعكف على اللذات وأسرف فى الشهوات وجار وظلم وترك تدبير الدولة لزوجته صوفية فترتب على ذلك فساد حال الامة واضمحلال أحوال الدولة وذلك أنه لما كان ركن الدولة الرومية والمدبر لامورها والقائم باعلاء كلمتها انما هو الامير نرسيس الطواشى وكان هذا الامير ارتقى المراتب العلية فى أيام يوسطنيانوس قيصر وكان حازما مدبرا لامور الدولة ساعيا فى الصلح والحرب ميالا لرفعة شأنها واعلاء كلمتها فلما تولى الملك يوسطينوس وسلم زمام الدولة لزوجته صوفيه غارت منه وحقدت عليه وسعت به عند الملك وما زالت حتى غضب عليه وخلعه من منصبه فتقوّى بخلعه أعداء المملكة وصاروا يراقبون الفرص للايقاع بها * وقدمت فى هذه الاثناء رسل من طرف خان التتار الهبارة على القسطنطينية يرغبون فى معاهدة يوسطينوس فأظهر التعاظم والابهة ولم يرض بمعاهدتهم وعقد مع خان التركمان معاهدة وتحالف معه على مناصرته على كسرى فارس وكانت هذه المعاهدة تؤذن أيضا بفتح باب التجارة والمعاملة فى وسط بلاد المشرق مع الدولة الرومية وكانت المنافسات بين الروم وفارس مازالت قائمة على بعض الامور فانتشبت الحروب بين يوسطينوس وأنوشروان كسرى فارس لتنازعهما على بلاد أرمينية الفارسية فأغار أهل فارس على أراضى الروم وعاثوا وقتلوا ونهبوا وأسروا ثم انقطع الحرب بموت كسرى وقيصر الى حين فلما مات كسرى أنوشروان تولى الملك بعده ابنه هرمز الذى سيأتى الكلام على ماوقع منه فى محله ان شاء الله تعالى غير أنا نقول هنا حرصا على الفائدة انه يوم ملك هرمز المذكور نطق بالحكم فى مقالة مطلعها * الحكم عماد الملك * والعقل عماد الدين * والرفق ملاك الامور * والفطنة ملاك الفكرة * أيها الناس ان الله خصنا بالملك وعمكم بالعبودية وكرم مملكتنا فأعتقكم بهامن عبوديتنا وأعزنا وأعزكم بعزنا وقلدنا الحكومة فيكم وقلدكم الانقياد لامرنا * الى ان قال ولاتسموا النسك رياء

ولا الرياء مراقبة ولا الشر شجاعة ولا الظلم عزما ولا الرحمة نقمة ولا الصنع عفافا ولا الاخذ بالفضل ذلا ولا العناية غفلة ولا الغدر ضرورة ولا الورع اجتهادا ولا الخيانة غنما ولا القصد تقتيرا ولا البخل اقتصادا ولا الزهد مروأة ولا التوانى تؤدة ولا الحياء مهانة ولا السفه صرامة ولا العجب كمالا ولا مالايكون كائنا ولا المعاتبة مفاسدة أيها الناس اجتنبوا المرذول من هذه الامور المتشابهات وثابروا على ماتحظون به عندنا الى آخر ماقاله من الحكم البليغة والنصائح المؤثرة فى النفوس التى لم يسبقه اليها قائل

أما يوسطينوس * فقال أهل التاريخ * انه سار فى الرعية سيرة رديئة جدا فجار وظلم وسامها الخسف وألحت عليه زوجته صوفيه فتبنى طبيروس قسطنطين أمير جند الحرس الملوكى ثم مرض وأصابه الخبال فى عقله ولبث على هذه الحال الى أن مات حتف أنفه فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة أى سنة أربع وأربعين قبل الهجرة فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة فخلفه فى الملك طبيروس قسطنطين متبناه

(فى الملك طبيروس قسطنطين)

(قيصر)

ثم قام بالامر طبيروس قسطنطين قيصر بويع له بالملك فى اليوم الذى مات فيه يوسطينوس سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة للميلاد أى سنة أربع وأربعين قبل الهجرة وكان يوسطينوس قد عهد اليه بالملك من بعده باغراء من صوفيه زوجته كما تقدم القول وكان الحامل لها على ذلك حبها له وتعلقها به ورغبتها فى التزوج به بعد موت يوسطينوس زوجها فلما استقر بطبيروس المنصب أعرض عن التزوج بها وتمادى على اعراضه فطاولته واستمالته وتحببت اليه فلم يقبل فلما أيست أثارت عليه الفتن والشرور وعملت على تذليله وحرضت العساكر على خلعه فلم تظفر بمرامها ولم تنجح فى مسعاها ومع ذلك فانه لم يعاملها الا بالرفق واللين ولم يسلك معها الا سبل الحلم والصفح وكان حازما كريما متمسكا بالدين المسيحى أشد تمسك وكان يحب الديار المصرية كثيرا فلما علم أن أهلها شديدو التمسك بمذهب ديسقورس بذل الجهد فى تثبيت أركان هذا المذهب فيها وهم بان يجعله معتقد جميع نصارى مصر وأيد كنيستهم وعضدها وجعلها راسخة القدم كما هى الى يومنا هذا

وقد قلنا فيما سبق ان الملك يوسطينوس كان قد ناوى فارس على الحرب وان الحرب تأخرت بموته وبموت أنوشروان فلما تولى طبيروس الملك جرد جنوده على فارس وسار لقتال هرمز بن أنوشروان فقامت الحرب بينهما وكانت سجالا * قال بعض أهل التاريخ وكان هرمز

المذكور عادلا عاقلا كابيه ينتصف للمظلوم من الظالم وقد بالغ فى ذلك جدا حتى أبغضه خواصه ومن مآثره انه اصطنع صندوقا ليلقى المتظلم قصته فيه وكان يختم الصندوق بخاتمه لئلا تصل اليه أيدى بطانته وأمر باتخاذ سلسلة من الطريق نافذة الى مكانه وجعل بها أجراسا فكان المتظلم يجىء فيحرك السلسلة فيعلم به ويتقدم باحضاره وازالة مظلمته وكان مهيبا محسنا للسياسة جوادا أمضى من ملكه عشر سنين ولم يتحرك أحد من ولاته ولا خرج خارج من رعيته حيث كان أبوه قد مهد له الملك وسخر له الرعية ورتب له أمور الدولة ولم يخرج عليه الاطيبروس ملك الروم وآخرون من ملوك الخوارج وكان خروج طيبروس فى ثمانين ألف فارس فانتصر على هرمز نصرات متعددة وجند فارس لم تزل مثابرة على الحرب والروم تسعى فى عقد الصلح فلم تتمكن من ذلك وما زالت الحرب قائمة على ساقها الى زمن موريقوس قيصر كما سيأتى ذكر ذلك فى محله * وطرد طيبروس قيصر التتار الهبارة الايغورية عن بلاده أيضا وأبعدهم الى بلاد المجار والافلاق والبغدان وكانت أيامه مسعودة وغزواته موفقة فكانت الرعية تودلوتدوم عليها أيامه ويمتد سلطانه عسى أن يعيد للبلاد رونقها القديم وبهجتها الاولى الا أن المنية اخترمته فى أقرب وقت فمات حتف أنفه سنة ست وتسعين وخمسمائة للميلاد أى سنة أربعين قبل الهجرة فكانت مدة ملكه أربع سنوات وقد عهد قبل موته بالملك لزوج ابنته الامير موريقوس القائد الشهير لخلفه على سرير الملك

(فى الملك موريقوس وهو موريقس)

(ويقال له أيضا)

(مورثيوس طيبروس)

ثم قام بالامر موريقوس زوج ابنة طيبروس بعهد منه فى سنة ست وتسعين وخمسمائة للميلاد أى سنة أربعين قبل الهجرة وكان قائدا لفريق من الجيوش الرومية فاشتهر بالبسالة والاقدام وكان موفقا فى حروبه فانتصر على فارس عدة نصرات فأحبه طيبروس الملك حبا شديدا وزوجه ابنته وعهد اليه بالملك من بعده

فلما استقر به المنصب دبر فأحسن التدبير ورتب الامور وقد حاز غاية الفخر والشهرة لانه أعاد الى كرسى سلطنة فارس ابرويز خسرو بن هرمز بعد أن كان قد فر منها عقب فتنة عظيمة لابأس بايراد خبرها هنا لان لها علاقة بتاريخ بعض القياصرة المتأخرين * وبيان ذلك أنه لما خرج على هرمز ملك الروم وملك الخزر والترك وكانوا كلهم أعداء له ويخشى منهم على مملكة فارس أحضر اليه قائدا من قواده صائب الرأى مسموع الكلمة اسمه

بهرام جوبين * ومعنى جوبين اليابس الصلب * وكان بهرام جوبين المذكور شجاعا
مبارزا طويلا أعجف كأنه العود اليابس فأعده لقتال أعدائه فسار لقتال قبائل التركمان فاشتد
عليهم وهزمهم ونهب وسلب وأسر وأجلى الجم الغفير منهم عن البلاد واستولى على مدن
كثيرة وأرسل بذلك الى هرمز كسرى فخاف عند ذلك هرمز على ملكه من بهرام جوبين
المذكور وحقد عليه فقامت بينهما فتنة واشتدت حتى أدت الى القتال فانحاز أكثر
العساكر الى جانب بهرام وصاروا له عونا على هرمز وكان ابرويز بن هرمز مطرودا من
أبيه مقيما باذربيجان فبلغه ما كان عليه أبوه من حالة الضعف وخشي من استيلاء بهرام
جوبين على الملك فقصد ابرويز أباه وأمسكه وسمل عينيه ولبس التاج وجلس على سرير
الملك فكان من ابتداء ملك هرمز الى استقرار ابنه ابرويز في الملك نحو ثلاث عشرة سنة
ونصف سنة قال أصحاب التاريخ وصار ملك فارس الى ابرويز في السنة التاسعة عشرة من
مولد صاحب الشريعة الاسلامية وطال ملكه الى أن خلفه ابنه شيرويه في السنة السادسة
من الهجرة كما سيأتي ذكر ذلك في محله * وكان قد بعث اليه صاحب الشريعة الاسلامية
كتابه مع دحية الكلبي يدعوه الى الاسلام فمزقه ابرويز شذر مذر فدعا عليه صاحب الشريعة
بأن يمزق الله ملكه كما مزق هو الكتاب فأرسل ابرويز الى عامله باذان ملك اليمن أن يقتل
صاحب الشريعة فعين باذان الى المدينة قاصدا لينظر في انفاذ هذا الامر بطريق الحيلة
فلما جاء القاصد الى صاحب الشريعة أخبره صاحب الشريعة أن كسرى ابرويز قتله
أولاده اليوم فعاد القصاد الى باذان خاسرا خائبا وحدثه بالخبر فلما صح قيل ان باذان
أسلم وحسن اسلامه وخالف بهرام ابرويز كسرى المذكور وخرج عليه مظهرا أنه يريد الانتقام
منه نظير ما فعله بأبيه هرمز فجرت بينهما حروب هائلة كانت نهايتها تغلب بهرام على مملكة
فارس وأخذه تاج الملك فخشي ابرويز من بهرام أن يقيم والده الاعمى ملكا بالاسم ويتصرف
هو في الملك ويستفحل أمره فاتفق مع خواصه على قتل أبيه هرمز فخنقه ولحق بموريقس
ملك الروم مستنجدا به على بهرام جوبين فلامه موريقس على ما فعله بأبيه أولا وثانيا ومع
أن ابرويز كان من أشد أعداء موريقس فقد أخذ بناصره ولم يرده خائبا وأرسل معه جيشا
جرارا مقدمه الامير قومندبولس فانتشب القتال بينه وبين بهرام جوبين ولبثت الحرب ثلاث
سنين متتابعة حصل فيها ثلاث وقائع هائلة غير الحروب الصغيرة وتم الامر بانتصار خسرو
ابن ابرويز على بهرام فهرب بهرام الى خراسان عند ملكها شاريه شاه وكان جد ابرويز لامه
فدس لبهرام من يقتله بالسم فهلك بهرام بخراسان وعاد ملك فارس الى ابرويز ففرق في عساكر
الروم أموالا جليلة ثم أعادهم الى موريقس بعد ان أقاموا أربع سنين

وكان موريقس قد اشترط على كسرى أن يعيد اليه ما كان قد استلبه بهرام من البلاد
الرومية وعاهده على ذلك سنة خمس عشرة وستمائة للميلاد أي سنة احدى وثلاثين قبل
الهجرة وبذل موريقس الجهد في اخفاق تتار الهيارة وتمزيق شملهم فبعث اليهم قائد جيوشه

فظفر بهم على سواحل نهر طونة فى خمس وقائع غير أنه أسر فيها من عساكر الروم اثنى عشر ألف نفس وطلب خان الهيارة من موريقس الفداء وجعل على كل رأس منهم دينارا وكان موريقس شديد البخل فلم يرض بذلك فطلب نصف دينار فأبى أن يعطيه شيأ قال بعض أصحاب التاريخ فغضب خان التتار من فعال موريقس فامر بالاسرى فذبحوا عن آخرهم فقام الروم وصار يطلب الوالد ولده فلم يجده والولد أباه والزوجة زوجها والاخ أخاه فعلموا أن ما أصابهم من قبل التتار وأن السبب فى ذلك موريقس فقاموا عليه وكان الامير فوقاس القرمانى أحد قواد العساكر الرومية خارجا عن القسطنطينية فى هذا الحين فلما علم بخبر الفتنة وتحقق كراهة الرعية للملك وقيامها عليه سعى فى استمالة الجنود الخارجة عن طاعة الملك فمالوا اليه وبايعوه بالملك فزحف بهم على القسطنطينية وناوش من فيها ثم تملكها بعد حروب خفيفة جدا فلما دخلها قبض على موريقس الملك وأولاده وضرب أعناقهم جهارا وجلس على سرير الملك وكان أولاد موريقس الذين قتلوا معه يومئذ ستة كلهم ذكور

وفى أيام موريقس مات تودوسيوس بطرك الاسكندرية بعد أن أقام اثنتين وثلاثين سنة وقيل احدى وثلاثين قضى منها ثمانيا وعشرين سنة منفيا مبعدا عن الاسكندرية فى صعيد مصر وفى رواية أن مدة نفيه كانت أربع سنين لاغير وكان موته فى ثامن عشرى بؤنة وفى أيامه جدد المتأصلون كنيستين فى سنة ثمان وأربعين ومائتين لدقلطيانوس وخلف تودوسيوس المذكور بطرس الرابع وهو رابع ثلاثيهم وكان متأصلا فأقاموه فى خفية بدير الزجاج بالاسكندرية قدمه ثلاثة أساقفة وكان من الحوادث فى أيامه ماسيذكر فى محله * وظهر فى أيام موريقس الملك أيضا راهب اسمه مارون زعم أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وأقنوما واحدا فتبعه أهل حماة وقنسرين والعواصم وجماعة من الروم ودانوا بقوله فعرفوا بين المسيحيين الى يومنا هذا بالمارونية أو الموارنة فلما مات مارون هذا بنوا على اسمه دير مارون بحماة وهو قائم الى يومنا هذا

(فى الملك فوقاس)

(قيصر)

﴿ ويقال له أيضا ﴾

(فوقا)

ثم قام بالامر فوقاس قيصر جلس على سرير الملك فى اليوم الذى قتل فيه موريقس

وجميع أولاده سنة ست وعشرين وستمائة للميلاد أى سنة عشرين قبل الهجرة وكان فوقاس هذا عتلا زنيما منهمكا على اللذات والشهوات كثير الحرص والطمع قليل الحساب جبانا وكان يكره المصريين ويميل الى نكايتهم فرسم بان يحظر عليهم التقليد بالمناصب الملكية والرتب والوظائف وكافة الخدامات الميرية فقامت لذلك فتنة فى مدينة الاسكندرية

قال بعض الكتاب وكان معظم القائمين من يهود هذه المدينة فقام عليهم فوقاس وقهرهم وألزمهم الدخول فى الديانة النصرانية فدخلوها صاغرين وسكنت بذلك الفتنة وعادت الامور الى ما كانت عليه من قبل

وكان ابرويز خسرو بن هرمز ملك فارس قد رسخت قدمه فى ملك البلاد بعد انتصاره بجيوش الروم على عدوه فطغى وبغى واحتقر الاكابر وظلم الأصاغر وأهان الرعية وسامها الخسف وكان قد عقد مع موريقس صلحا كاذبا ولكنه لما علم بقتل فوقاس لصاحبه موريقس أظهر الأسف والحزن عليه وأنه يريد الاخذ بثاره من فوقاس فجرد على فوقاس عسكرا جرارا واسترد من بلاد فارس التى كانت بيد الروم اقليم ارقة والجزيرة وارمينة والشام وقطعة من أعمال أناضلى فنال الفرس من الروم وغلبوهم أشد الغلبة على بلادهم فصار أبرويز أعدى عدو لفوقاس ومع ضعف فوقاس عن مقاومته وعدم قدرته سير جيشا عظيما لقتاله وكانت جنود هذه الحملة جميعها تكره فوقاس وتتمنى انخذاله فساروا للقتال على كره فانتصر عليهم ابرويز وبدد شملهم فهربوا وتشتتوا وتقدم ابرويز بجنوده حتى صار على مقربة من قسطنطينية وكان بها رجل من ذوى الوجاهة والاعتبار اسمه فوتيوس وكان له زوجة بديعة فى الجمال عفيفة قد تعلق بها فوقاس الملك وفضحها لانهماكه على الفسق وانغماسه فى القبائح فلما حاصر ابرويز المدينة وضيق عليها وشدد على فوقاس قام فوتيوس المذكور مع بعض الروم وراسلوا الأمير هرقل والى بلاد افريقية سرا بان يقدم الى القسطنطينية ويخلصها من يدى العدو المحدق بها من كل جانب ويخلع فوقاس ويتولى الملك بدله وشددوا فى طلبه وحذروه من عاقبة التأخير كيلا تسقط البلاد فى أيدى الأعداء فلما وصل الكتاب لهرقل جهز عمارة سفن قرطاجة وسيرها مع ابنه من افريقية فرسا فى بوغازها وجاء الخبر الى فوتيوس بقدوم هرقل فاندفع فوتيوس ومن معه من الروم الى اضرام نار الفتنة فى جوف البلاد ضد فوقاس وما زالوا حتى اشتدت وعمت سائر الانحاء وقامت الرعية تطلب خلع فوقاس وتنصيب هرقل مكانه

ووصل هرقل وجعل يحتال على فتح البوغاز ودخول المدينة بينما كان فوتيوس يحاول مع أصحابه حصر فوقاس فى قصره فتم لهرقل الدخول من بوغاز المدينة حتى تم لفوتيوس القبض على فوقاس فأتى به الى هرقل فى سفينة وأوقفه بين يديه فنظر فوقاس الى هرقل شزرا وأغلظ فى القول وكانت العامة على الشاطئ تطلب قتل فوقاس فعلت أصواتهم عند ذلك وصاحوا بقتل الساعة فأمر هرقل أن يسلم لهم فضربوا عنقه فى الحال وعنق

جميع إخوته وأصحابه كما فعل هو بموريقس سلفه وبايعوا هرقل على ظهر سفينته بالملك وذلك سنة اثنتى عشرة قبل الهجرة أى سنة أربع وعشرين وستمائة للميلاد فكانت مدة ملك فوقاس ثمان سنين

وفى أيام فوقاس المذكور سير كسرى ملك فارس جيوشه الى الشام ومصر فخربوا الكنائس ببيت المقدس وفلسطين وكافة بلاد الشام وقتلوا المسيحيين بأجمعهم وأتوا الى مصر فأعانهم يهود مصر على قتال المسيحيين بها وتخريب كنائسهم فقتلوا ونهبوا وعاثوا وفعلوا مالا خير فيه وأقبلوا نحو القدس من طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة صور وبلاد القدس بأسرها فنالوا يومئذ من النصارى كل منال وأعظموا النكاية فيهم وخربوا لهم كنيستين ببيت المقدس وحرقوا أماكنهم وأخذوا قطعة من عود الصليب وأسروا بطرك بيت المقدس وكثيرا من أصحابه ثم سار كسرى بنفسه من العراق لغزو القسطنطينية كما أشرنا الى ذلك فيما تقدم فحاصرها وضيق عليها أربع عشرة سنة ولم ينل منها

ومات فى أيام فوقاس بطرس بطرك الاسكندرية فكانت مدته سنتين اثنتين لم يدخل فيهما الاسكندرية لتغلب الملكية وضعف المتأصلين فأقام الملكية يوحنا المعروف بالرحيم بطريركا عليهم واتخذل المتأصلون فلم يقدروا على اقامة بطريرك منهم فدبر يوحنا هذا أرض مصر كلها عشر سنين ومات بقبرس وهو فار من وجه الفرس بعد دخولهم بلاد مصر فخلا كرسى الاسكندرية سبع سنين لخلو أرض مصر والشام من الروم بأسباب الحروب وتوارى من بقى بها من المسيحيين خوفا من الفرس فحدث بسبب ذلك شدة عظيمة جدا

(فى الملك هرقل)
(قيصر)

ثم قام بالامر بعد فوقاس الملك هرقل بايعه الأهالى وأعيان المدينة والعسكر على ظهر سفينته ببوغاز القسطنطينية فى اليوم الذى قتل فيه فوقاس الملك سنة اثنتى عشرة قبل الهجرة أى سنة أربع وعشرين وستمائة للميلاد

قال بعض أهل التاريخ فكان مشؤم الطالع وقع فى أيامه من العجائب والحروب مايذهل العقول ويحير الالباب وقد ذكرنا فيما سبق أن ابرويز بن هرمز ملك فارس كان قد حضر على مقربة من القسطنطينية لقتال فوقاس والانتقام منه جزاء مافعله بصاحبه موريقس فلما علم بموت فوقاس وتولية هرقل تقوت عزيمته ولم ينكف عن اثارة الحرب وتقدم الى قتال هرقل فخابره هرقل فى عقد صلح فلم يقبل وتطاولت عساكره الى الاغارة على الشام حيث كانت بلاد الموصل اذ ذاك فى قبضة ملكهم ثم أغاروا كذلك على ديار مصر وهاجموا

الشام وأحرقوا أنطاكية ودمشق ومدينة بيت المقدس حتى وصلوا الى طريق الحجاز وكان فى عزمه أن يمجس جميع المسيحيين فى هذه الجهات أى يجعلهم عبادا للنار ويمحو آثارهم ويقطع شأفتهم ثم أرسل قائدا من قواده بجيش جرار الى ديار مصر وبلاد المغرب فنال من ذلك ما نال وانتصر عليهم نصرات عظيمة ثم صالح مصر على أن تدفع له مالا معلوما كما كانت تدفع الى الروم وأعاد الكرة على بلاد الاناضول فاستولى على بلاد بروسه الواقعة فى بوغاز قسطنطينية سنة ثمان وعشرين وستمائة للميلاد أى قبل الهجرة بثمان سنوات واستعان ابرويز على تدويخ الروم بقبائل التتار الهيارة الذين هم الاوارة وتعاهد معهم على أن يشنوا الغارة على اقليم روم ايلى فأغاروا عليه حتى وصلوا الى أسوار القسطنطينية وذلك قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين فتمت الهزيمة على الروم فى بلادهم بآسية وأوروبا وحوصروا برا وبحرا فأيس هرقل من النصرة وارجاع البلاد وعقد النية على المهاجرة الى تونس ببلاد المغرب اذ كانت يومئذ من أملاك الروم وأن ينقل سريره اليها فصده عن هذه النية بطرك القسطنطينية وما زال به حتى كف عنها

ولما منع بطرك القسطنطينية هرقل عن التخلى عن المملكة وعن الذهاب الى المغرب جمع البطريرك المذكور أموال الكنيسة وأمتعتها الثمينة وأمدّ بها هرقل على حفظ ما بقى من دولة الروم من الزوال وكان هرقل قد استيقظ من غفلته فقوّى جيشه وجأشه ونقل ميدان الحرب خلف جبل طورس وقاتل الفرس فانتصر عليهم فى الموضع الذى انتصر فيه الاسكندر على دارا فكانت هذه أول غزوة انتصر فيها الروم على الفرس بعد التغلب فى السنة الثانية من الهجرة ثم سير جنده بحرا حتى أرسى على طرابزان وتعاهد مع الخزر وأغار على خسرو ابرويز حتى كاد يتغلب على حدود مملكته وبدد شمل التتار المعاهدين لفارس وهزمهم على مقربة من القسطنطينية وكان قد تقوى بأربعين ألفا من الخزر فغزا فارس وأعاد جميع المدن والولايات التى كانت ملوكهم قد أخذوها وسار جنوده بعد ذلك الى المدائن بعد هزيمة الفرس عند الموصل * قال بعض الكتاب وكان بعض المنجمين قد أنذر ابرويز بان بعض ولده يغتاله فتشاءم ابرويز من جميع أولاده فحبسهم وكان فى سجونه ستة وثلاثون ألفا موثقين بالحديد فأمر لعتوه بقتلهم جميعا فنقم ذلك عليه أهل الدولة وأطلقوا جميع المسجونين مع أولاده ولم يقتلوا أحدا منهم وجمعوهم الى شيرويه أحد أولاده فجرى بين شيرويه وبين أبيه مراسلات وتقريع وقد قال شيرويه لابيه فى ختام المراسلة لاتعجب ان أنا قتلتك فانى انما أفعل كما فعلت أنت وأرسل شيرويه بعض أولاد الاساورة الذين قتلهم ابرويز وأمرهم بقتله فقتلوه فى السنة السادسة من الهجرة وكان قد خلف ابرويز ثمانية عشر ولدا غير شيرويه المذكور فقتلهم شيرويه كلهم وجلس على سرير الملك فلما استقر به المنصب عقد الصلح مع الروم على الشروط التى اقترحها هرقل كما شاء بلا خلاف فانحسم النزاع بين الفريقين وبطلت الحرب فى هذا العهد

ولم

ولم تكن أم شيرويه بنت موريقس قيصر الروم كما زعم كثيرون من مؤرخي الفرس وغيرهم حيث قالوا ان اسمها مارية وانه زوجها لخسرو ابرويز حين استنجد به على أعدائه فان هذا بعيد * ولم تطل مدة شيرويه ولم يتمتع بالملك الا قليلا من الاشهر فانه لما سكنت الفتنة وانقطعت الحروب واستقر به المنصب الملوكى وكان قد علق بحب شيرين زوجة أبيه فراودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها ورماها بالزنا وأراد قتلها ان لم تفعل فقالت أفعل على ثلاث خصال قال وماهى قالت تسلم لى قتلة زوجى فأقتلهم وتصعد المنبر فتبرئنى مما قذفتنى به وتفتح لى ناوس أبيك فان له عندى وديعة عاهدنى ان تزوجت بعده أن أردها اليه فدفع لها قتلة زوجها فقتلتهم وبرأها مما قاله لها وفتح ناوس أبيه وبعث معها الخدم فجاءت الى ابرويز فعانقته ومصت فصا مسموما كان معها فماتت من وقتها وأبطأت على الخدم فصاحوا فلم ترد عليهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة رحمها الله

وكان شيرويه المذكور سيئ المزاج كثير الامراض وكانت اخوته على خلاف ذلك قد كملوا فى الخلق والخلق والادب قيل فندم على مافرط منه من قتلهم وجزع عليهم جزعا شديدا واتفق انه دخل لينظر مافى خزينة أبيه فرأى فيها برنية مكتوبا عليها (نافع مجرب لتقوية الباه) وكان شيرويه المذكور مغرما بالنساء مولعا بحبهن فتناولها وكان الذى فيها سما وضعه أبوه ابرويز فلما ذاق منها مات لساعته فكانت مدة حكمه ثمانية أشهر لاغير ومات وعمره اثنتان وعشرون سنة فخلفه ابنه اردشير * قلت وعلى ذكر مافعله شيرويه المذكور بأبيه ابرويز وما جرى له بعد قتله لأبيه نذكرهنا حادثة ماجرى لمحمد المنتصر العباسى بعد قتله لابيه المتوكل وهى أنه لما قتل محمد المنتصر المذكور أباه المتوكل ليتولى الملك بعده تحدث الناس بانه لايطول عمره بعده وشبهوه بشيرويه بن ابرويز حين قتل أباه ولم يتمتع بالملك بعده فقيل انه بعد أن جلس المنتصر على سرير الخلافة بعد أبيه فرش له بساط لم ير مثله وعليه كتابة عجيبة بالفارسية فنظر اليها المنتصر نظر الاستحسان فاستحضر من يعرف الفارسية وأمره بقراءتها فأحجم عن ترجمتها فقال له المنتصر قل وما عليك من بأس فقال مكتوب على هذا البساط أنا شيرويه بن كسرى قتلت أبى فلم أتمتع بالملك بعده فتطير المنتصر من ذلك ونهض من مجلسه غضبان فلم تتم له مدة شيرويه حتى مات اهـ فان صح ذلك كان من غريب الاتفاق

هذا ولما اطمأن الروم من اغارات الفرس وارتاح هرقل الملك من العناء تفرغ لتحقيق العقائد الدينية التى كانت فى أيامه محلا للنزاع وأخذ يجمع الجموع من العلماء ويعقد المحافل وغير ذلك وظهر المتأصلون بديار مصر بعد الانكماش فأقاموا لهم بطريركا منهم بعد خلو كرسى الاسكندرية مدة وهو داميانوس خامس ثلاثيهم وكان راهبا بدير أبى مقار فلم يدخل الاسكندرية لقيام الملكيين وأخذهم جميع كنائسها فما زال يعمل مع قومه حتى دخلها واسترد مااستولت عليه الملكية من كنائس المتأصلين ورمم منها ماتشعث فى أيام الفرس وجعل من ذلك العهد اقامته بالاسكندرية وأرسل اليه اناسيوس بطريرك انطاكية هدية صحبة جماعة من

الاساقفة ثم قدم عليه زائرا فتلقاه وسرّ جدا بقدومه وصارت أرض مصر فى أيامه جميعها للمتأصلين لخلوها من الروم

وثار اليهود فى أثناء ذلك بمدينة صور وراسلوا الباقين منهم وتواعدوا على الايقاع بالمسيحيين وقتلهم فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود زهاء عشرين ألفا وهدموا كنائس النصارى خارج صور فتقوى النصارى عليهم وكاثروهم فانهزم اليهود شر هزيمة وقتل منهم خلق كثير وكان هرقل الملك قد خرج من قسطنطينية ليمهد الشأم ومصر ويجدد ما خربه الفرس بعد تلك الحروب الهائلة فخرج اليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمنهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم ثم دخل بيت المقدس وقد تلقاه المسيحيون بالصلبان والبخور والشموع المشعلة فوجد المدينة وكنائسها وقيامتها خرابا فساءه ذلك وتوجع له فأعلمه المسيحيون بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وايقاعهم بالمسيحيين وتخريبهم الكنائس وأنهم كانوا أشد نكاية عليهم من الفرس وقاموا قياما كبيرا فى قتلهم عن آخرهم وحثوا هرقل على الوقيعة بهم وحسنوا له ذلك فاحتج بما كان من تأمينه لهم وحلفه فأفتاه القسوس بان لا حرج عليه فى ذلك فانهم عملوا عليه حيلة حتى أمنهم من غير أن يعلم بما كان منهم وانهم يقومون عنه بكفارة يمينه بان يلتزموا ويلزموا المسيحيين كافة بصوم جمعة فى كل سنة عنه على ممر الازمان والدهور فمال الى قولهم وأوقع باليهود وقيعة شنعاء جدا حتى أبادهم جميعا ولم يبق فى ممالك الروم بمصر والشام منهم الامن فر واختفى فكتب البطاركة والاساقفة الى الآفاق بالزام المسيحيين بصوم أسبوع فى السنة فالتزموا بصومه الى يومنا الذى نحن فيه وعرف عندهم بجمعة هرقل وتقدم هرقل بعد ذلك بعمارة الكنائس والديارات وأنفق عليها مالا جزيلا حتى أعاد الكثير منها الى ما كان عليه من الرونق والبهجة ثم مات حتف أنفه سنة تسع عشرة للهجرة أى سنة أربعين وستمائة للميلاد فكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة وهو آخر من ملك مصر من ملوك القسطنطينية وكان فى أيامه فتح جيوش المسلمين لديار مصر كما سيأتى بيانه فى محله ان شاء الله

(خاتمـــــة)

﴿ فى ملاحظات تتعلق بديار مصر فى أيام هذه الدولة ﴾

﴿ التى هى دولة الروم المسيحية ﴾

﴿ وفيما كان سببا لسهولة فتحها على يدى عمرو بن العاص وخذلة الروم ﴾

اعلم أنه وان كانت ديار مصر لم تنـل فى أيام دولة الروم تمام حظها من الراحة والعمار والتمدن وذلك لتوالى المصائب وعدم استقرار الامور على حال من الاحوال غير أنها قد نالت مزية أخرى وفائدة كبرى ألا وهى انسلاخها من دين الجاهليـة وتدينها بالدين المسيحى فعم جميع مدنها وقراها واشتهر من هـذا العهد أهلها باسم القبط فكانت الديانة الرسمية فيها الديانة المسيحية وكان ابتداء ذلك من اليوم الذى أصدر فيه الملك طيودوسيس الاول مراسيمه بوجوب اعتناق ذلك الدين وجعله الدين الرسمى كما تقدم الكلام فبقيت بها الحكومة مسيحية الى السنة الثامنة عشرة من الهجرة أى سنة تسع وثلاثين وستمائة للميلاد عبارة عن مائتين وتسع وخمسين سنة وكانت مصر الى هذا الحين معدودة من الايالات التابعة لدولة الروم بمدينة القسـطنطينية وكانت فى جميع هـذه المدة محافظة على لغتها القديمة لاتتكلم الابها ولكنها أهملت طريقة الكتابة بالقلم البربائى واعتاضت عنه بالكتابة اليونانية على الطريقة المستعملة بمدينة الاسكندرية فكانت لغتها قبطية قـديمة وطريقـة كتابتها يونانيـة ولازالت على هذا الحال الى يومنا هـذا وقد تأخرت جدا الى أن صار لايستعمل منها الا العبارات الدينية عند المتأ ـسلين من الامة القبطية * قال بعض الكتاب واعترى بعض ألفاظها تغيير يسير بحكم التلقى وبقى الباقى منها على ما كان عليه

فلما انتشرت الديانة المسيحية واتسـع نطاقها وعمتها الراحـة واستتبت الطمأنينة حينا عادت فصارت علة للحروب والمنافسات وسببا فى اشتداد الخطوب والمجادلات وتفاقم المحن الداخلية وميدانا للخلاف بين أساقفة القسطنطينية وأساقفة الاسكندرية الى حد افترقت معه الفرق وخرجت بسببه الخوارج واعتزلت معـه المعتزلة وصرفت الاموال الطائلة من شـيعة الاحزاب وأصحاب الحل والعقد * وكان لفريق الاساقفة فى هذا الحين غاية النفوذ والاعتبار فى الدولة فكان ملوك الروم يعضدونهم على أغراضهم ويقومون بتنفيذ سائر رغائبهم ويبالغون فى تعظيمهم واجلالهم ويخضعون لهم الخضوع التام بصفة كونهـم أمناء الدين وكانوا يجنحون الى صاحب الشوكة والاعتبار منهم ويميلون الى حزبه ويساعدونه على تأييده ونصره فنجم عن

ذلك ضعف نفوذ الحكام وتعطيل سير الاحكام وعجزهم عن العمل الاعشورة أولئك القوم حتى انهم كانوا اذا استقلوا برأيهم فى شئ وعملوا بما تقتضيه مصلحة البلاد والشعب مثلا كان ذلك الطامة الكبرى على أولئك الحكام فيعزلون أويقتلون أويبعدون الى أقصى البلاد ولم يزل الحال على هذا الوصف حتى قامت الغيرة الدينية والحمية المذهبية بين الفرق على اختلافها وانتصر لكل مذهب من تلك المذاهب ملك من الملوك فى أيام سلطانه وحقد على باقى المذاهب وخالفها وعمل على تذليلها أومحو آثارها فكانت الفتنة لاتكف الاأياما ثم تهب باشدمما كانت عليه حتى افتتنت العائلات وحقد الاب على ولده والزوجة على زوجها والاخ على أخيه والابنة على أمها * هذا ما كان فى القسطنطينية وقد امتد عرقه الى ديار مصر وسرى فى أهلها وأمناء الدين بها فاختلفت فيها أيضا المذاهب وتشعبت المشارب وتفرقت الفرق وتحزبت الاحزاب وكان كل حزب منها له كمال النفوذ والسلطة على الحاكم السياسى فقامت من وراء ذلك الفتن وعمت الخطوب والاحن وأريقت الدماء هدرا فى الشوارع والازقة لاسيما بمدينة الاسكندرية وليس ذلك بين أمناء الدين والمجادلين من المسيحيين فقط بل بين اليهود والمسيحيين أيضا لما بين الفريقين من البغضاء والشحناء الكامنة فى الصدور وتربص كل فريق منهم الفرص للايقاع بالآخر * قال بعض الكتاب وبلغت سلطة أمناء الدين ونفوذهم يومئذ الى حد أن جماعة الاساقفة أوواحدا منهم افتات على نائب مصر من قبل الروم وجمع جموعا كثيرة جدا من رهبان دير البرّية فصاروا جيشا ضخما وسار بهم لقتال يهود الاسكندرية فهمّ النائب بمنع ذلك فلم يقدر اذ قام على أصحابه أولئك الرهبان وضربوا وجرحوا منهم خلقا كثيرا وقبضوا على خدامه ففرّ هاربا هو ومن كان معه الى مصر واستصرخ أهلها واستنصرهم فقاموا لنصرته وقبضوا على رئيس الفتنة فحوكم وحكم عليه بالجلد ومازالوا يجلدونه حتى قضوا عليه

وقد عظم الهول فى ديار مصر واشتدّ عليها الكرب فى القرن الذى قبل الهجرة اشتدادا عظيما رغما عن كل مابذله بعض ملوك الروم من العناية بمنع الشقاق والخصام وتوحيد رابطة الدين فى جميع البلاد المشرقية حتى انهم كانوا كلما شددوا فى ذلك زادت الشحناء وقويت حميتهم المذهبية وتزايد عنادهم وتفرقت كلمتهم لاسيما وقد كانوا لايعترفون لملوك الروم بحق التعرض للامور الدينية بوجه ما * قال بعض الكتاب وقد بلغ التعصب الى حد أن فرقة المتأصلين بكنيسة الاسكندرية تفرقت الى عشرة مذاهب مختلفة كان يسميها الملكيون قسوس الهراطقة كما كان المتأصلون يسمون أيضا الملكيين هراطقة ومعناها خوارج وكان القسيسون العشرة المذكورون فى كنيسة الاسكندرية فى أيام الملك زينون قيصر فلما علم بأمرهم وماهم عليه من الخلاف غضب وزاد المال المقرر على مصر فبلغ خمسمائة رطل ذهب فلما ملك انسطاش قيصر بعد زينون نظم دفتر العوائد تنظيما حتى أكثر الايراد كثرة بالغة واشتدت وطأة هذه العوائد على أهل البلاد فأصبحوا فى قلق دائم وكد ملازم ثم نهضوا الى

شق عصا الطاعة فاشتدت نار الفتنة وحدث من الحوادث ذات الشأن مالايكاد يسمع بنظيره فى غابر الزمان فعمت بذلك الفوضوية وتوالى قيام الاهالى فى الازقة والحارات وكثر الخوف بقطع الطرقات وتتابع الحريق والتخريب ونتج من ذلك كله ماترتب على حصول الفتن الداخلية من البلايا والرزايا والخراب ودرس معالم العمران والمدنية وماهذا الالاختلاف المذاهب وتفرق الشيع وتحزب الاحزاب وتعصب ولاة الامور لفريق دون الآخر وقد اجتمعت كلمة أصحاب التاريخ على انه لم يدب عرق هذا الفساد فى ديار مصر الا بعد أن فتحها ملوك القسطنطينية حيث كثر فيها الخلل وعمت القلاقل وفشا فيها الانهماك على الكبائر من الأعيان والأكابر والعربدة من الجنود والاصاغر ولم يكن لديها باعث آخر لاثارة نار هذه الفتن غير ماأوجبه الدين فكان هذا من أسباب فتوح الاسلام للبلاد ودخولها فى دور آخر غريب لم يكن لعامتها فى حساب وفى خلال هذه الخطوب المهمة والكروب المدلهمة وطئ العرب أرض الشام وطرقوها وقصد المغاربة ديار مصر وكادوا يحتلونها فقام عليهم عامل الروم ودهمهم بالعساكر المصرية وأبعدهم فكانوا يعاودون الكرة عليها حينا بعد حين ولاينفكون عنها طمعا فيما باتت فيه من الضعف وتفريق الكلمة

ولما اشتدت المنازعات الدينية وعلا لهيبها بين فريقى المتأصلين والملكية وطالت أيام الفتنة وضاق خناق أهل البلاد وأعيتهم الحيل من الاخذ والرد نهضوا الى الاستنجاد بالعرب على التخلص من الروم كما استنجد شاور وزير العاضد العلوى على الترك بالروم فحببوا الى المقوقس عظيمهم أن يراسل صاحب الشريعة الاسلامية ويخاطبه فى الامر ففعل وبقى السر مكتوما لايعلم به أحد حتى استخلف عمر بن الخطاب فكان من قدوم العرب الى مصر ونزولهم على بلادها ومعاونة القبط لهم على قتال الروم وتمهيدهم السبل والعقبات أمام جيوش المسلمين وامدادهم بالمال والميرة وجميع الاحتياجات الجندية ماسيذكر فى محله

وكان آخر ملوك القسطنطينية على ديار مصر قبل الفتح الاسلامى الملك هرقل وكان نائبه عليها المقوقس عظيم القبط فكان عدد ملوك القسطنطينية خمسة عشر ملكا أولهم طيودوسيس وآخرهم هرقل المذكور وكانت مدة ملكهم مائتين وتسعا وخمسين سنة كما رواه أكثر أهل التاريخ

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى)

مبتدئا بفذلكة من تاريخ العرب فى الجاهلية الى ظهور صاحب الشريعة الاسلامية ثم

تاريخهم فى الاسلام الى مجيء السلطان سليم بجيوشه وأخذه البلاد عنوة

وابسه شعار الخلافة فى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة هجرية

أى سنة سبع عشرة وخمسمائة وألف

ميلادية والله سبحانه

المستعان

(فهرست)

الجـــــــزء الاول

من

تاريخ الـكافى

(فهرست الجزء الاول من تاريخ الكافى)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾

تصويب فى الجزء الاول
من الكافى

صحيفه	سطر	خطـــأ	صـــواب
١١	٧	بألف وستمائة وست وخمسين	بألفين ومائتين وست وخمسين
١٣	٧	أربعة آلاف وخمسين	خمسة آلاف وأربع
٢٠	٥	عليا	عتليا
٢٠	١٢	احاذ	احاز
٢٠	١٥	لاحاذ	احاز
٢٠	٢٥	لاحاذ	احاز
٢١	٩	يهوياحاذ	يهوياحاز
٢١	١٩	يوشيا	يهوياحاز
٢١	٢١	يهوياحاذ	يهوياحاز
٢١	٢٢	يهوياحاذ	يهوياحاز

صحيفة

صحيفة

(تمت)

خطأ وصواب الجزء الاول من الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث

صحيفة	سطر	خطــــأ	صـــواب
١١	٧	بألف وستمائة وست وخمسين	بألف ومائتين وست وخمسين
١٣	٧	أربعة آف وخمسين	خمسة آلاف وأربع
٢٠	٥	عليا	عثليا
٢٠	١٢	أحاذ	احاز
٢٠	٥	لاحاذ	احاز
٢٠	٢٥	لاحاد	احاز
٢١	٩	يهوياحاذ	يهوياحاز
٢١	١٩	يوشيا	يهوياحاز
٢١	٢١ ، ٢٢	يهوياحاذ	يهوياحاز
٢٨	٥	فانه	فانه
٣٥	٤	تركتى	تركتنى
٤١	٣٠	امن	من
٤١	٣٠	الملوك	الملوك
٥٩	١٤	المتخذ	المتخذ
٦١	٢	تستة	ستة
٧٠	٢٢	تسكوا	تسكنوا
٧١	٧	قاصر	قاصرا
٧١	٧	القصد	لقصد
٧٥	١٢	ورأه	ورائه
٧٦	٢٧	اقصرو *	لقصر * وتحرير
٨٠	٢	ومحيث	ومحت
٨٣	١٢	ابليا	اخنوخ
٨٣	١٣	ابليا	اخنوخ
٨٣	١٥	ابليا	اخنوخ

(تابع الخطا والصواب)

صحيفة	سطر	خطـــــا	صـــواب
٨٤	٣٠	تخبروا	يخبروا
٨٩	١٨	حور	صور
٩٠	١٨	وعليه	عليه
٩٣	٧	رحل	لرجل
١٠١	١٦	الملك	بالك
١٠٨	١٧	وقدمات	ومات
١١٧	٧	تصل اليه	تصل الى رمسيس السادس عشر
١١٨	٢٨	الى	التى
١٢٣	١٤	الملوك	الملوك
١٢٤	١٩	وقيل	قيل
١٢٧	٢٩	لاقتاتلن	لاقاتلن
١٣٣	١٣	وسزر	وسرر
١٤٧	٢٦	وقدعاد	وعاد
١٦٣	٦	ولما	لما
١٦٣	١٢	السعاذة	السعادة
١٦٤	١٩	معلق	معلقة
١٦٤	١٩	فيه	فيها
١٦٥	٢٢	عن	من
١٦٨	٥	التصير	التصبير
١٧١	١٢	بالمدنية	بالمدنية
١٧٢	١٩	سيرو	مسيرو
١٧٩	١١	فكانت	فكان
١٩٢	١٦	ملوكهم	ملكهم
١٩٤	٤	عانين	ثمانين
٢٠٩	١١	ساسيرة	سار سيرة
٢١٨	١٤	من	عن
٢١٩	٢٣	لهم فى كلمة	لهم كلمة
٢٢٠	١٧	اباءه	اباءته
٢٢٢	١٢	كراهية	كراهة

(تابع الخطا والصواب)

صحيفة	سطر	خطـــــــا	صـــواب
٢٢٥	٢	وبحر	وبحرا
٢٢٧	١٠	حلفن	خلفن
٢٢٨	١٢	دمتريداطس	متريداطس
٢٤١	٢٤	منصب	عنصب
٢٤٣	٥	مصاريفه	مصارفه
٢٤٦	١٣	هيردوس	هيرودوس
٢٦٤	٧	ذبه	ذمة
٢٧٦	١٩	الانطونية	الانطونونية
٢٧٧	٣١	الانطونية	الانطونونية
٢٨٩	٨	وخشى	خشى
٢٩٠	١٥	منهم	منها
٣٠٢	١٧	اتفق غلياندس مع	اتفق مع
٣٠٧	١٣	مريانوس	نومريانوس
٣١١	١١	ضربا	ضربة
٣١٣	٢٣	فى الرفاهية	والرفاهية
٣١٨	١٩	بيزنيطه	بيزنطيا
٣٢١	١٩	ولم يلبثوا	ولم يلبثوا
٣٢١	٢٥	علك	ملك
٣٢٧	٩	يستبد بالملك	يستبد به
٣٢٨	٢٢	لودنوس	نورنوس
٣٤٨	١٩	واتحس	واتجس
٣٤٩	٦	ارسادوس	ارسوس
٣٥٠	٢٦	توليتن	بتوليتن
٣٥٧	٤	طردوه	وطردوه
٣٥٩	٢١	فشبت	فنشبت
٣٦١	٧	نحت	تخت
٣٧٠	١٧	القصاد	القاصد
٣٧١	٥	فعلموا ان ما	فعلموا ما
٣٧٤	١٣	عن	ومن
٣٧٤	٢١	وسار	وسارت
٣٧٦	١٤	مر	مر

(تم التصويب)





